يوسف النبهاني

الشاعر الفلسطيني الرائد

رسالة مقدمة من الطالب

عيسى محمد علي منصور ماضي

للحصول على درجة العالمية « الدكتوراه » من كلية اللغة العربية

بجامعة الأزهر الشريف

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور عبد السلام سرحان

الجزء الثاني

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

القاهرة

((الباب الثانــــي))

الفصل الخامس : كفاحــه الديــني

عاش الشيخ النبهاني رحمه الله في حلقات متصلة من الكفاح ابتداء من مولده في اجزم سنة ١٨٤٩م حتى وفاته في بيروت سنة ١٩٣٢م وقد كان مدار كفاحه يرتكز على قوة شخصيته وعناده الذي لا يتراجع مهما تجمعت القوى المضادة له . فهو رجل مبادئ وعقيدة ومن هذا المنطلق يجب أن نفهم كفاحه في مجتمعه التزاما بمبادئه وعقيدته فحياته في بيروت مركز تجمع المدارس التبشيرية المسيحية التي هي عبارة عن مراكز وطنية للدولة الغربية وكذلك كفاحه ضد مدرسة الأفغاني ومقاومته لتيار التجديد الذي تغذى تلاميذه من مدارس أجنبية بعيدة عن الفكر الاسلامي الملتزم .

التبشير المسيحي في بيروت :

لقد كانت ظاهرة التبشير المسيحي في الشرق العربي ظاهرة جديدة من نوعها جاءت مواكبة للأطماع الاستعمارية التي تركزت في سورية ولبنان وفلسطين . ولقد كانت بيروت مركز الصراع بين المسلمين والمسيحيين للحفاظ على الأكثرية منذ أقدم الأزمان [1] وقد كان وجود المسلمين يتراوح بين مد وجزر ابتداء من دخول المسلمين اليها لأول مرة وانتهاء بقيام الحرب العالمية الأولى فاعلان الجمهورية اللبنانية دولة ذات أكثرية مسيحية . فمنذ الفتح الاسلامي غمرتها الوجه الاسلامية وتقلص الظل النصراني عنها حتى اذا استتب الحكم لبني أمية في دمشق أصبحت بيروت بكامل أهلها مدينة اسلامية حتى أوائل القرن السادس الهجري حيث خضعت السواحل الشامية للسيطرة الصليبية التي كانت تهدف الى ازالة التراث الاسلامي من المدينة ولم يجد المسلمون الذين بقوا فيها العدد الكافي لاقامة الجمعة ـ اربعين شخصا ـ حتى ولا مسجدا واحدا يقيمون فيه الصلاة لأن الصليبيين هدموها جميعها .

ولقد أدى الانتصار الساحق الذي حققه صلاح الدين الأيوبي الى اعادة الأكثرية الاسلامية في بيروت بالاضافة الى المعاملة الطيبة التي وجدها النصارى في صلاح الدين مما أدى بهم لاعلان اسلامهم والمحاربة تحت راية الأيوبيين . ولما توفى

---

(١) راجع تاريخ بيروت لصالح بن يحي تحقيق الاب لويس شيخو ص ٥٤ـ٥٩ .

القائد صلاح الدين عاد الصليبيون الى بيروت نتيجة اهتزاز الممالك الاسلامية لاختلاف أولاد صلاح الدين على الحكم فعادت الأكثرية المسيحية فى بيروت حتى سنة ٦٩٠هـ حيث افتتحها المماليك فى عهد السلطان الأشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون فعادت الأكثرية الاسلامية " من بابها الى محرابها كما يقولون " ثم حل الأتراك محل المماليك عام ٩٢٢هـ وبقيت بيروت محافظة على أكثريتها الاسلامية وان كان الأتراك قد تساهلوا فى عودة بعض المسيحيين اليها من الجبال المحيطة بها ، وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر أصبحت بيروت تحت حكم الأمير يوسف الشهابى الذى اتخذ من النصارى بطانة له فازدادت الهجرة المسيحية الى بيروت وسرعان ما ظهر أحمد باشا الجزار داعيا الى شعار عودة الاسلام والمسلمين الى بيروت التى عرفت فى عهده مدا اسلاميا كثيفا وجزرا نصرانيا واضحا بحيث اشتركوا جميعا — موارنة وروما وأرثوذكسا — فى الصلاة فى كنيسة واحدة خلافا لما تسمح به طقوسهم المتناقضة .

وبقى الحال كذلك الى أن توفى أحمد باشا الجزار وانطلقت قرائح شعراء النصارى للتعبير عن فرحتهم فقال الشاعر الياس اده :

وافى السرور وصح ترجيح الأمل ** بهلاك غاشم لا يعاد له مثل
عين ولكن للمظالم والردى ** شر العوالم ان تفكر أو عمل
احمد ولكن ليس يحمد بالورى ** ملعون فى ثوب المساوى قد دخل
جزار لكن للفضائل جازر ** مهدى ولكن بالرذايل قد حفل
لله درك يامنون لقد بدت ** منك الحياة وطاب حكمك واعتدل (1)

أما أهالى بيروت فقد عمهم الأحزان وصاحبهم الخوف من أن ينتقم منهم أهالى الجبل النصارى لما بينهما من الضغائن فقال الشاعر عبد اللطيف فتح المفتى يصف مشاعر المسلمين :

يا أيها الجزار أعناق العدى ** يامن هم السادات والأمجاد
هم أهل بيروت الذين تزينت ** منهم بدر عطائك الأجياد
ولكنهم وودادهم لك صادق ** ما ان لهم فيمن سواك وداد

---

(1) الغرر الحسان للأمير حيدر أحمد الشهابى ج ٢ ص ٩٤٠ .

لا نقص فيه ولست فيه مشاركــــا ** بل فيك دوما لم يزل بـــزداد
ولقد خدمتك مادحا بقصيـــدة ** ومديح مثلك في الأنام رشـــاد (١)

وبعد موت أحمد باشا الجزار أخذ الوضع الديني يعود لصالح الوجود النصراني على حساب الوجود الاسلامي حتى فتحت المدينة من قبل ابراهيم باشا المصـــري عام ١٨٣١ الذي أباح سكن بيروت للنصارى بتشجيع من فرنسا التي وراء الحملة فأخذ النصارى يتوافدون من قمم الجبال فرحين مغتبطين متخذين من " حنا البحري " — النصراني مفتاحا لقلب القائد الذي استخلصه لمشورته .

يقول الشيخ طه الولي " وعندما أجبر ابراهيم باشا على الجلاء عن مدينـــة بيروت في تراجعه عن سائر فتوحاته بسورية والأناضول . كانت الدول الغربية تمسك بزمام المبادرة في توجيه السياسة العثمانية وتعمل على تطبيق وصية القائد الصليبي لويس التاسع الذي لاقى حتفه في تونس في الحروب الصليبية . وكانت هذه الوصيــة تقضي بابعاد المسلمين عن الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط الذي حولتـــه الفتوحات الاسلامية الى بحر العرب بعد أن كان يسمى بحر الروم وما كادت سنـــوات القرن التاسع عشر الميلادي تشارف نهايتها وسنوات القرن العشرين تواجه بدايتها . حتى أصبح سكان بيروت يتقاسمهم الدينان : الاسلام والنصرانية سواء بســواء " (٢)
ويقول الشيخ طه الولي أيضا : " وجدير بالذكر أن تهافت النصارى على دخـــول بيروت والاقامة فيها لم تكن عفوية ولا عادية بل انها كانت نتيجة لمخطط غربي قديــم مدروس تواضع على اعداده وتنفيذه على مراحل زعماء السياسة الغربية في ذلـــك الحين واجتهدوا في افتعال الأسباب الملية لنجاح هذا المخطط على الوجه الـذي رسمته لهم من قبل وصية لويس التاسع الذي يلقبونه (بالقديس لويس) بينما كـــان القناصل الأوروبيون في البلاد السورية بدمشق وحلب وبيروت يتعاونون فيما بينهم على تنسيق جهودهم السرية في هذا الصدد وستر اغراضهم الحقيقية بمناورات سياسية — ظاهرها التعاون مع الدولة العثمانية لاقرار الأمن واعادة الهدوء الى البـــلاد المضطربة بالفتن الطائفية التي كانوا هم من ورائها بالفعل وباطنها تنظيم هجــرة

---

(١) مجلة المشرق اليسوعية سنة ١٩٣٣ مجلد ٣١ ص ٤١١ مقال لويس اسكنـــدر المعلوف .
(٢) تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت طه الولي ص ٢١ـ٢٢ .

جماعية كثيفة للأسر النصرانية من داخل سورية الى ساحلها المحاذى لجبل لبنان ومن ثم تركيز هذه الهجرة بلباقة وهدوء فى بعض أنحاء الجبل وبصورة خاصة فى مدينة بيروت بالذات وذلك تمهيدا لاقامة كيان سياسى وادارى مستقل من لون طائفى معين تحكمه بعض الأسر الاقطاعية التى استدرجت بدعايات مختلفة الى اعتناق الديانة النصرانية وأعطيت لها المناصب الحكومية الملائمة ومن بين هذه الأسر التى ارتدت عن دين آبائها وأجدادها فرع آل أبى اللمع من عائلة قائدبية الدرزية وبعض آل شهاب من سكان " الحدث " وغزير [1] الذين كانوا من أهل السنة والجماعة قبل أن يرتدوا عن دينهم ويصبحوا نصارى ، وقد ذكر لى العلامة الاستاذ عارف بك الكندى أن الأمير بشير الشهابى الشهير بالمالطى حاول عن طريق الترغيب ادخال الشيخ نسيب تلحون فى النصرانية ولما رفض هذا الشيخ الدرزى الارتداد عن دينه سامه الأمير الشهابى سوء العذاب الى أن أدركه الفرج بتدخل عزيز مصر محمد على باشا الذى أمر الأمير المذكور بالكف عن اغراء الناس بتغيير دينهم [2] "وفى سنة ١٨٤٠ افتعلت فى دمشق فتنة طائفية رعناء بين المسلمين والنصارى بدسائس الأجانب الخبيثة وأدت هذه الفتنة الى نزوح عدد كبير من الأسر النصرانية من دمشق فى اتجاه جبل لبنان وبيروت ، ثم فى سنة ١٨٦٠ قامت فى البلاد فتنة طائفية أخرى كانت أشد نكالا وتخريبا من الأولى لكن فى جبل لبنان هذه المرة حيث توزعت الأدوار بين الانكليز الذين تظاهروا بتأييد الدروز ، والفرنسيين الذين تظاهروا بتأييد النصارى وكان من نتيجة هذه الفتنة الأخيرة أن نفذت المرحلة الثانية من المخططات الغربية القاضية بتهجير الطائفة النصرانية من مختلف المذاهب الى بيروت ليصبح النصارى فيها بعد زمن قليل أكثر عددا ونفوذا من أهاليها المسلمين وكان ذلك تمهيدا لما حصل بعد الحرب العالمية الأولى من قيام دولة لبنان الكبير واتخاذ بيروت عاصمة رسمية لهذه الدولة التى أصبح اسمها الآن " الجمهورية اللبنانية" [3] .

---

(١) مكانان فى بيروت .

(٢) تاريخ المساجد والجوامع الشريفه الشيخ طه ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق .

وقد ظهر الغرض من اقامة هذا الكيان السياسي الجديد " الجمهورية اللبنانية " في رسالة اللورد دوفرين الى مسيو بولفر بتاريخ ١٥ تشرين ثاني عام ١٨٦٠ وكانا في اللجنة العثمانية الأوروبية التي ناقشت حوادث عام ١٨٦٠ بين النصارى والدروز ومنها ما يلي " ان غايتي من هذه الرسالة ايقاف سعادتكم على ملخص الترتيبات التي سيطرحها مندوب فرنسة على بحوث رصفائه على ما أرجح بخصوص تنظيم جبل لبنان ويمكن أن يقال ان قوام مشروعه : انشاء امارة مسيحية مستقلة في قسم من لبنان تمتد من شماليه حتى نهر الألى بما فيه كل الجبهة الغربية وشواطئها البحرية وستخص مرافئ طرابلس وبيروت وصيدا في هذه الامارة المستقلة ، وتنزع تماما من الحكومة التركية ، فمع كرور الأيام لابد للدروز وسائر الطوائف الغير المسيحية من أن تستنسب الجلاء عن هذه الامارة الجديدة لاختلاف سكانها عنهم مذهبا فتصبح امارة لبنان ملجأ متسع الأطراف ويتسنى لمسيحيي دمشق وسائر أنحاء سورية أن يهاجروا اليها (١) .

وفي رسالة ثانية بين دوفرين وبولفر في ٩ تشرين أول ١٨٦٠ يقول دوفرين " واذا كنت فقهت نية المسيودي بوفور — قائد الحملة الفرنسية بلبنان آنذاك — فالتعويل على مشروعه يؤول الى تقليص ظل الدولة التركية عن مرافئ صيدا وبيروت وطرابلس وتصبح لبنان على ما قال " معقلا يلجأ اليه جميع مسيحيي سورية " (٢) .

وجاء في الرسالة أيضا : " أتشرف بان أخبر سعادتكم بأني تجاذبت أمس وقائد الحملة الفرنسوية أطراف الحديث فصرح لي بأن التنظيم الوحيد الكامل الذي فيه راحة لسورية في المستقبل قائم بتولية مسيحي وطني على كل لبنان بمينه والى الايالة مراعاة للظواهر " (٣) فقد كانت الروح الصليبية تحكم جميع الملاقات بين الدول الغربية والشرق العربي .

يقول الاستاذ محمد عزت دروزة " .... ومن الجدير بالذكر أن الملك شارل العاشر ودع الحملة بخطبة صليبية دلت على الروح التي تحفز فرنسة الى البغي

---

(١) مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان تعريب فيلب وفريد الخازن ج ٣ ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٣ .

(٣) المرجع السابق .

وقد جاء فيها : " ان العمل الذى ستقوم به الحملة توضية للشوف الافرنسى سيكون بمساعدة العلى القدير لفائدة المسيحية كلها " وقد كانت مثل هذه الروح من جملة الحوافز ونقاط الارتكاز الاستقلالية فى صلة فرنسة بلبنان وسورية ومطامعها فيهما " (١) .

بعد كل هذا يتضح لنا أن الصراع بين الاسلام والمسيحية فى منطقة لبنان كان صراعا تاريخيا ، كان سجالا حسب الأحوال السياسية حتى اذا جاء العصر الحديث كان أكثر جدية واصرارا لتوسع المطامع الاستعمارية التى اتخذت من الاقليات الدينية مراكز لنفوذها السياسى (٢) الذى انتهى الى انشاء دولة مسيحية وأخرى يهودية على أرض اسلامية مما يدل على أن الصراع فى المنطقة كان دينيا صليبيا مهما تعددت أشكاله وأساليبه .

وفى منتصف القرن التاسع عشر نشطت الحركة التبشيرية فى بلاد الشام وقد كانت هذه ظاهرة جديدة اذ أن الصراع التاريخى بين المسلمين والنصارى فى المنطقة كان سياسيا متركزا حول السلطة أما فى العصر الحديث فقد نشطت الارساليات التبشيرية فى مختلف الدول الأوروبية وكانت هذه ظاهرة جديدة فى المنطقة ، وقد كان لضعف دولة الخلافة سياسيا وتقدم الدول الغربية فى العلوم الحديثة مع تيقظ الروح الصليبية هى الاسباب المباشرة لظاهرة التبشير المسيحى . وقد كان عملهم منظما ومدروسا فقد كانت المؤتمرات العالمية للمبشرين تعقد ويتدارس فيها النتائج التى توصلوا اليها .

وقد كتب الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله عن هذه المؤتمرات تقريرا جاء فيه : " وقف شيخ من دعاة النصرانية فى آخر مؤتمر عقده البروتستانت قبل الحرب العظمى فخطب فى زملائه الدعاة قائلا ما معناه " لقد جرت الدعوة الى النصرانية فى أنحاء كثيرة من الوطن الاسلامى وأن تجاربى تخولنى أن أعلن بينكم على رؤوس الأشهاد أن الطريقة التى سرنا عليها الى الآن لا توصلنا الى الغاية التى ننشدها فقد

---

(١) حول الحركة العربية الحديثة جـ ٢ ص ١٧٤ .

(٢) محاضرات عن الامير شكيب أرسلان ص ٥ .

صرفنا من الوقت شيئا كثيرا وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة وألفنا ما استطعنا أن نؤلف وخطبنا ما شاء الله أن نخطب ومع ذلك كله فاننا لم ننقل من الاسلام الى النصرانية الا عاشقا بنى دينه الجديد على أساس الهوى أو نصابا سافلا لم يكن داخلا فى دينه من قبل حتى نعده قد خرج منه بعد ذلك ولا محل لديننا فى قلبه حتى نقول انه قد دخل فيه ومع ذلك فالذين تنصروا لو بيعوا بالمزاد لا يساوون ثمن أحذيتهم فالذى نحاوله من نقل المسلمين الى النصرانية هو باللعب أشبه منه بالجد فلتكن عندنا الشجاعة الكافية لاعلان أن هذه المحاولة قد فشلت وأفلست . وعندى أنه يجب علينا قبل أن نبنى النصرانية فى قلب المسلمين أن نهدم الاسلام من نفوسهم حتى اذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتى بعدنا أن يبنوا النصرانية فى نفوسهم أو فى نفوس من يتربون على أيديهم . ان عملية الهدم أسهل من عملية البناء فى كل شىء الا فى موضوعنا هذا لأن هدم الاسلام من نفس المسلم معناه هدم الدين على العموم وهى خطة مخالفة لما ندعو اليه لأنها خطة الحاد وانكار للأديان جميعها ولكن لا سبيل الى تخليص المسلمين من الاسلام غير هذه السبيل . فانظروا ماذا أنتم فاعلون (١) .

وقد عقد مؤتمر تبشيرى دولى فى القدس كتب عنه فى مجلة الفتح فقال عقد مؤتمر تبشيرى عام فى القدس سنة ١٩٢٤ وقد شهد هذا المؤتمر نواب من المؤتمرات المحلية ووفود من سائر البلاد الاسلامية منها بلاد العرب والعراق وايران وتركية والصين والهند البريطانية وجزائر الهند الشرقية الهولندية . وكان عدد المؤتمرين محدودا فلم يتجاوز الثمانين شخصا ولكن كان فى هؤلاء أعاظم رجال التبشير ومعلميهم وأطبائهم والقائمين بالأعمال الاجتماعية التبشيرية . وكان منهم أيضا رجال العمل المندوبون من جمعيات التبشير فى أوروبة وأمريكة والبلاد المتصلة بحركة التبشير فى العالم الاسلامى ولم يكن الحضور قاصرا على من ذكر من المبشرين بل انضم اليهم زعماء الكنائس المحلية وفيهم جماعة من المسلمين المتنصرين الكبار .

واذا روجع تاريخ التبشير لا يرى فيه أن قد مر يوم تضافرت فيه طوائف كثيرة ذوات قوة وعمل للنظر فى حركة التبشير فى العالم الاسلامى مثل ما كان فى المؤتمر العام المعقود فى القدس وفى المقررات والبحوث التى نظر فيها المؤتمر مليا . ووجد أن —

---

(١) مجلة الفتح عدد ١٩ السنة الثانية ص ٩–١٠ .

خطورتها عظيمة وهى مما يجب تبليغه الى كل مبشر يحمل بين جنبيه قلبا حيا لتوسيع مملكة المسيح •

استطاعت هذه المؤتمرات ان تبين بدلائل قاطعة أن الاسلام قد انقض غزله وحاق به الضعف وتفككت حزمته وهذا واقع أكثر ما يكون سياسيا وعلى الاجمال أصبحت الروح القومية تدحر روح الجامعة الاسلامية وتحل محلها فان المسلم التركى على سبيل المثال أخذ ينقلب ليصير تركيا أكثر منه مسلما • وكان لالغاء الخلافة تأثير عميق ليس فقط فى تركية بل فى جميع العالم الاسلامى • وقد أخذت الظواهر تتكاثر من جميع النواحى لتدل بصدق قاطع على انحلال الرابطة ، الاجتماعية فى الاسلام ، وآثار هذا الانحلال تقدما جليا فى ابراز مكانة المرأة الاجتماعية وعلى الأخص فى المدن ومن ثمار هذا الانقلاب النسائى العدول عن الزواج الباكر والتوسع فى الحرية على المرأة بحيث صار فى وسعها حضور الحفلات وسماع الخطب والمحاضرات وحضور الولائم وانشاء الأندية النسائية والتصرف بحرية فى الحجاب وتطلب العلوم والمعارف • وقد كان لانتشار المدنية المادية الغربية بجميع آثارها الحديثة المتنوعة نتيجة كبيرة سببت القضاء على حالات الانحلال الحادثة •

ومما ينفى عن دعاة حركة النصرانية ويعدونه نجاحا لهم أن يروا المسلم المصرى ينقلب ليصير مصريا أكثر منه مسلما ، والمسلم الهندى ينقلب ليصير هنديا أكثر منه مسلما فكل من يسايرهم على انجاح هذه النزعة يعده المسلمون من أذناب دعاة النصرانية أو من الاتهم التى لا تعقل " •

ومن الغريب أن يبتهج الذين يزعمون أنهم يدعون الى دين المسيح بانتشار المدنية المادية الغربية بين البشر ، مع أن دينهم روحى أكثر مما يحتاج اليه البشر فكأنهم يرضون بافلاس المبدأ الأساسى فى دينهم نكاية فى الاسلام ليس الا ومثل هؤلاء لا يدعون الى المسيحية ولكن يعيشون ليكيدوا للاسلام والمسيحية فى آن واحد وقد باد كثير من ضروب التعصب وظهرت روح جديدة تطلب النظر والبحث فى الأماكن البعيدة عن مواطن الاسلام وهى معروفة بالحزم غابتها احداث الانقلاب والتجدد فى جميع مناحى الحياة وقد برهن كثير من رجال المؤتمر على أنهم ما عادوا يرون ذلك المسلم الأبى باسلامه العالى الجبهة بدينه الذى كانوا يرونه من قبل " (١) •

---

(١) مجلة الفتح العدد ٩٠ ، ص ٨ـ٩ السنة الثانية •

مدارس التبشير المسيحي :

افتتحت هذه المدارس أولا كمدارس دينية تابعة لطائفتها ، ولكنها كانت مراكز دينية لنشر الدين المسيحي بطريقة تربوية جديدة [(١)] اذ لم تعد طريقة التبشير التقليدية تجدى .

يقول الاستاذ محمد عطية خميس :

" فبينما اجتمع مؤتمر المبشرين فى جبل الزيتونة بفلسطين عام ١٩٠٩ وقف مقرر المؤتمر ليقول " ان جهود التبشير الغربية فى خلال مائة عام قد فشلت فشلا ذريعا فى العالم الاسلامى لأنه لم ينتقل من الاسلام الى المسيحية الا واحد من اثنين : اما قاصر خضع بوسائل الاغراء بالاكراه ، واما معدم تقطعت به أسباب الرزق فجاءنا مكرها ليعيش " وهنا وقف القس زويمر المعروف ليقول " كلا ان هذا الكلام يدل على أن المبشرين لا يعرفون حقيقة مهمتهم فى العالم الاسلامى ... انه ليس من مهمتنا أن نخرج المسلمين الى المسيحية كلا .. انما مهمتنا أن نخرجهم من الاسلام وأن نجعلهم ذلولين لتعاليمنا ونفوذنا وأفكارنا ولقد نجحنا فى هذا نجاحا كاملا ، فكل من تخرج من مدارسنا لا مدارس الارساليات فحسب بل والمدارس الحكومية والأهلية التى تتبع المناهج التى وضعناها بأيدينا وأيدى من ربيناهم من رجال التعليم كل من تخرج من هذه المدارس خرج من الاسلام بالفعل وان لم يخرج بالاسم ، وأصبح عونا لنا فى سياستنا دون أن يشعر وأصبح مأمونا علينا ولا خطر علينا منه لقد نجحنا نجاحا منقطع النظير " [(٢)] .

" وقد ذكر مسيو اتين لامى " فى مقال نشرته " العالمين " الفرنسية فى عدد ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠١ أنه يمكن استغلال المدارس المسيحية فى القاء بذور الشك فى نفوس النشىء المسلم ، وافساد عقيدتهم فقال الكاتب المذكور " ان مقاومة الاسلام بالقوة لا تزيده الا انتشارا فالواسطة الفعالة لهدمه وتقويض بنيانه هى تربية بنيه فى المدارس المسيحية ، والقاء بذور الشك فى نفوسهم من عهد النشأة لتفسد عقائدهم الاسلامية من حيث لا يشعرون وان لم يتنصر منهم أحد فانهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين ، وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الاسلام مما

---

(١) اضافة الى كونها مراكز نفوذ استعمارية للدول التابعة لها .

(٢) مؤامرات ضد الاسرة المسلمة محمد عطية خميس ص ٥٥ـ٥٦ .

اذا اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها " [1] ويقول مسيو انين لاى أيضا : ان طريقة تربية أولاد المسلمين وان كان لها من التأثير ما بيناه ، فان تربية البنات فى مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ووصولنا الى الغاية نفسها التى وراءها نسعى بل أقول ان تربية البنات بهذه الكيفية هى الطريقة الوحيدة للقضاء على الاسلام بيد أهله [2] .

موقف النبهانى من التبشير المسيحى :

بعد كل هذا يتضح لنا أن البلاد الشامية وبالذات لبنان — موطن الشيخ النبهانى [3] كانت ميدانا لصراع دينى لحقب طويلة متعاقبة ، وقد كان المستعمرون يخططون لجعل لبنان دولة مسيحية ، ثم قدمت الارساليات التبشيرية من الغرب مدعومة سياسيا واقتصاديا من دولها الغنية بالعلم والمال ، وليت الأمر كان يقف على توعية طوائفها بالمسيحية بل تعداه الى نشرها بين المسلمين وهذا جرهم لمحاربة الاسلام والعمل على تقويضه بشتى الوسائل ولما وجدوا بعد البحث والدرس فى مؤتمراتهم العالمية التى كانوا يعقدون بعضها فى القاهرة أو القدس أو الهند — أن عملية دعوة المسلمين الى المسيحية بصورتها التقليدية مستحيلة والأكثر استحالة استعمال القوة فى ذلك ثم وجدوا أن الدعوة السافرة للمسيحية لا تجدى مطلقا ، لذلك وضعوا منهجهم على أساسين :

الأول انشاء المدارس التربوية الحديثة المدعومة بالعلم الحديث [4] الذى يفتقر له المسلمون وعلى رأسهم الدولة العثمانية وذلك لاغراء أبناء المسلمين للالتحاق بها ليتثقفوا بنفس الثقافة الهادفة التى يتلقاها أولاد المسيحيين .

والأساس الثانى : العمل على تغيير العادات الاجتماعية والخلقية عند المسلمين خصوصا النابعة من مفاهيم اسلامية عن طريق تطعيمهم بالحضارة الحديثة

---

(1) مؤامرات ضد الاسرة المسلمة ص ١٦ .

(2) مؤامرات ضد الاسرة المسلمة ص ٣٩—٤٠ .

(3) الحقيقة ان الشيخ النبهانى ولد وترعرع فى اجزم من قضاء حيفا ولكنه بحكم عمله عاش فى بيروت واتخذها مقرا له .

(4) راجع مجلة الفتح عدد ١٨٦ السنة الثانية ص ١٠ .

الغربية ليتخلوا عما يربطهم باسلامهم سلوكا وبالتالى عقيدة وليصبح المسلمون بعد هذا مسيرين بنظم وأساليب غربية نابعة من المسيحية الموجهة بأهداف استعمارية .

من هذه الظروف والملابسات يتحدد موقف الشيخ النبهانى وغيره من علماء المسلمين العاملين .

من هنا نشط الشيخ النبهانى رحمه الله لتأليف الكتب التى تدور حول الاسلام وشخصية الرسول والرد على جميع دعاة التجديد فى الدين والأخذ بالحضارة الغربية المطعمة بالمسيحية (١) لتثبيت الاسلام واظهاره واضحا كما أنه أخذ يهاجم الدين المسيحى نفسه موضحا ما فيه من تغيير وتزوير داعيا المسلمين أن يبتعدوا بأبنائهم عن مدارس النصارى داعيا لهم الى ايجاد مدارس للمسلمين تأخذ بالعلوم الحديثة بأساليب اسلامية .

وهو فى نثره وشعره لا يجد فرصة أو مجالا الا وينبه فيها على محاسن الاسلام محذرا من آفات مدارس النصارى . ففى كتابه " أفضل الصلوات على سيد السادات " يقول : ان مدارس الافرنج التى يفتحونها فى البلاد الاسلامية يجعلون من أهم الشروط لدخولها تعليم التلميذ ولو كان مسلما الدين المسيحى ودخوله فى جملة التلاميذ المسيحيين الى الكنيسة فى كل يوم للعبادة ويفصل منهم الأعمال الدينية ومن لا يقبل هذا الشرط لا يقبلونه ويوجد فى بيروت جملة من هذه المدارس وفيها بعض أبناء المسلمين منها المدرسة اليسوعية ومدرسة المطران المارونية وهم لا يلامون على ذلك لأنهم يفعلون فى مدارسهم ما يوافقهم ويبينون شروطهم ولا يجبرون أحدا على الدخول وانما اللوم العظيم على المسلم الذى يرضى بدخول ولده الى هذه المدارس ينام ويقوم ويدخل الكنيسة على الشرط المعلوم والذى أقوله ان المسلم الحقيقى لا يدخل ولده هذا المدخل الخطير الا لجهله بشرطهم المذكور أو لجهله بالحكم الشرعى فى ذلك أما شرطهم فها هو ذا نعلنه ليعلمه كل واحد وأما الحكم الشرعى فى ذلك فهو شائع فى كتب الشريعة الغراء ولا يخفى على أحد من العلماء وها أنا ذا اقتصر على نقل عبارة القاضى عياض فى كتابه " الشفاء " الشريف

(١) راجع مقتطفات من أقوال الاستاذ ليوبولد فايس فى كتاب مؤامرات ضد الاسرة المسلمة محمد عطية خميس ص ٢٨ .

ليعلم ذلك الحكم كلّ أحد ولا يبقى عذر بعده لمسلم .

قال رحمه الله فى أواخر كتابه المذكور بعد أن ذكر أشياء كثيرة من المكفرات .
" وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للقمر أو للشمس والقمر والصليب والنار والسعى الى الكنائس والبيع مع أهلها والترى بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس وقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد الا من كافر وأن هذه الأعمال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام " .

انتهت عبارته بفروعهـا .

وبعد نشر عبارة هذا الامام ومعرفة الحكم الشرعى فى دين الاسلام واعلان شرط الدخول فى هذه المدارس لم يبق عذر لمن يدعى الجهل فى ذلك من المسلمين فاذا أبقى أحد منهم بعد هذا ولده فى تلك المدارس وأمثالها فما هو الا من فقد اليقين وعدم المبالاة بأمر الدين نعوذ بالله" انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " وحينئذ يجب على الحكومة اخراج أولئك المساكين رغما عن أوليائهم الذين هم أصل بلائهم . ووضعهم فى مدارسها الكافلة بتعليمهم وتهذيبهم وتدريبهم وتأديبهم مع السلامة من كل محذور خدمة للدولة والدين وحاميهما حضرة سيدنا أمير المؤمنين نصره الله تعالى " (١)

ويقول الشيخ النبهانى رحمه الله" ونحن فى هذا العصر نرى كثيرا من المسلمين والنصارى ولاسيما بعد دخولهم المدارس الافرنجية يخرجون من أديانهم ويصيرون زنادقة أبغض شىء اليهم الدين وأهله واذا ذكروا أنبياء الله تعالى ورسله الكرام يصفونهم بما لا ينبغى " . (٢)

---

(١) أفضل الصلوات على سيد السادات يوسف النبهانى ص ٢٦٥ وفى مقابلة مع الاستاذ المؤرخ محمد جميل بيهم فى بيته فى بيروت فى ١٣/ ١/ ١٩٧٥ ، افادنى بما يشبه كلام الشيخ النبهانى وأن غالبية المسلمين كانوا لا يرضون بما يفعله بعض المسلمين الذين يرسلون اولادهم الى مدارس النصارى لذلك انشأوا مدارس المقاصد الخيرية كبديل .

(٢) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ٥٩٤ .

ويقول أيضا " أما المسلمون فهم بفضل الله تعالى وحسن توفيقه مبرؤون من الشك في صحة دينهم دين الاسلام وصدق نبيهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام سوى من قدر الله شقاوتهم وايقاع الخلل في دينهم بتربيتهم في مدارس النصارى واقامتهم فيها عدة سنين ليلا ونهارا فهؤلاء لا يسلم منهم الا القليل وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

ان المسلم الحقيقي لا يمكن أن يضع ولده ، أو من له عليه ولاية في تلك المدارس بعد أن يعلم أخطارها أو أضرارها على الدين ومثل من يتربى فيها من الخطر الذين يسافرون الى أوروبة وأميركة وغيرهما من البلاد التي لا اسلام فيها ويقيمون هنالك سنين كثيرة مختلطين بأهلها منقطعين عن الاسلام والمسلمين تاركين الصلاة والصيام منعكفين على الخمور والفجور وأنواع الحرام فهؤلاء وأمثالهم ممن يكون على هذه الحالة الشنيعة ولو في بلاد الاسلام لا يستغرب وقوع الشكوك في دينهم والأوهام فقد قال صلى الله عليه وسلم " المعاصي بريد الكفر " والبريد معناه الرسول أي أنها تتقدم قبل الكفر لتهيء له موضعا في قلب مرتكبها لما تحدثه فيه من الظلام المتتابع بتتابعها حتى تنطفي أنوار بصيرته فتدخل عليه الشكوك في صحة الدين شيئا فشيئا الى أن يعمى بالكلية فيرتحل منه الايمان ويحله الكفر والعياذ بالله تعالى "(١) .

وفي كتابه " ارشاد الحيارى من تحذير المسلمين من مدارس النصارى" الذي يدل عنوانه على محتواه يقول الشيخ النبهاني في المقدمة " أما بعد فان من أعظم المصائب على الملة الاسلامية والأمة المحمدية ماهو جار في هذه الأيام في كثير من بلاد الاسلام من ادخال بعض جهلة المسلمين أولادهم في المدارس النصرانية لتعلم بعض العلوم الدنيوية واللغات الافرنجية وفي ضمن ذلك يتعلمون الديانة المسيحية ويشاركون أولاد النصارى في عباداتهم الدينية مما هو كفر صريح مما لا يرضى به الله تعالى ولا محمد صلى الله عليه وسلم ولا المسيح مع أنه تغني عن تلك المدارس — التي **افتتحها** النصارى الافرنج في البلاد الاسلامية **لاغسواء** أولاد المسلمين وغيرهم — المدارس الاسلامية الكثيرة التي تزيد على المئات والألوف التي افتتحها في سائر أنحاء ممالكه المحروسة خليفة العصر حضرة سيدنا السلطان الأعظم أمير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني أعز الله به الاسلام والمسلمين وأدام له النصر العزيز والفتح المبين فقد فتح بعون الله تعالى وحسن توفيقه وامداد روحانية نبيه

---

(١) المصدر السابق ص ٦٠٦ .

ممالك دولته العلية العثمانية حرسها الله من كل بلية ما يغني المسلمين عن التطلع الى مدارس النصارى فى علم من العلوم الدنيوية والأخروية أو لغة من اللغات الشرقية والغربية كل ذلك حرصا منه على سلامة دينهم ودنياهم فهو الذى نصره وحرسه وحماه الأب الشفيق لجميع المسلمين بل هو أحرص منهم على حسن تربية أولادهم بالصفة المشروعة التى تجمع بين سعادتى الدنيا والدين وسلامة عقائد المسلمين والحمد لله رب العالمين .

فلما رأيت ذلك كذلك وعلمت يقينا أن كل من أدخل ولده من المسلمين الى تلك المدارس النصرانية فقد ألقى نفسه وولده فى أعظم المهالك وعرفت أنه لا يجوز لى ولا لغيرى من أهل الملة الاسلامية السكوت على هذه المنكرات التى هى على الملة والأمة أعظم بلية " .

ويقول أيضا " اعلم قبل الشروع فى المقدمة أن بعض المنكرات لا تحتاج الى اقامة دليل يثبت أنها أمر منكر بل النظر الى شدة قبحها وظهور شناعتها يكفى فى انكارها مجرد حكاية حالها مثلا : زنى رجل بامرأة نهارا فى الملأ العام فى مجمع الناس فهذا الا يلزمك اقامة دليل لتقبيح فعله بل مجرد حكاية حالته هذه القبيحة كاف للانكار والتشنيع عليه ومن ذلك — بل أعظم والله من ذلك — ما ارتكبه هؤلاء الفساق المراق من جهلة المسلمين من ادخال أولادهم فى مدارس النصارى ولا سيما على الشروط الآتية فاذا فلان المسلم أدخل ولده الى مدرسة نصرانية بشرط أن يتعلم دين النصارى ويدخل الى الكنيسة مع أولاد النصارى ويعبد معهم عبادة النصارى فهذا الفعل — لكونه بلغ منتهى القباحة والشناعة كما ان فاعله بلغ منتهى الضلال والرقاعة — لا يحتاج لاقامة دليل على اثبات قباحته وكونه من أنكر المنكرات وأشنع الشناعات بل مجرد حكايته كاف لاظهار شناعته وذم من ارتكبه من الجهال وأهل الفسوق والضلال [1].

ويقول الشيخ النبهانى — أيضا — معقبا على تحذير الامام الغزالى المسلمين أن يعلموا اولادهم قبل بلوغهم أشعار عشق من كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق من احياء علوم الدين [2] .

---

(١) ارشاد الحيارى ص ٢—٤ .

(٢) راجع احياء علوم الدين للغزالى جـ ٣ ص ٦٢—٦٤ المطبعة العثمانية المصرية ١٩٣٣ م .

"فانظر رحمك الله أيها المسلم العاقل المشفق على نفسه وولده ، كيف صنع هذا الامام الكبير في تعليم أولاد المسلمين من حين تأديبهم في صغرهم ـ الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ومخالطة أهله خوفا على قلوبهم من بذر الفساد فكيف تراه يقول فيمن يدخل ولده مدارس النصارى فيتعلمون دينهم ويدخلون كنائسهم ويتعبدون فيها بعباداتهم مع أولادهم ويخالطونهم ويتعلمون منهم ويعيشون معهم ليلا ونهارا عدة سنين ، وما كان يخطر في بال أحد أنه يأتي على المسلمين زمان يقع فيه بعضهم في مثل هذا الأمر الشنيع والفعل الفظيع واذ قد وقع ذلك الآن في كثير من البلدان وجب علينا الانكار وتمييز سبيل الجنة والنار" (١) .

وعن مطامع الافرنج من مدارس التبشير يقول النبهاني : " اعلم أني أقمت في مدينة بيروت مدة طويلة تزيد الى الآن على خمس عشرة سنة فاطلعت فيها على شيء من أحوال هذه المدارس النصرانية التي لا يجوز لكل مسلم أن يدخل اليها ولده أو من له حكم عليه بوجه من الوجوه .

وبيروت هذه هي أعظم مدن سواحل البحر الشامي وقد صارت في الأزمنة الأخيرة مجتمع الواردين من الأقطار البعيدة والقريبة من المسلمين وغيرهم ولذلك كان للافرنج فيها عناية مخصوصة ففتحوا فيها المدارس العظيمة وأنفقوا عليها النفقات الكثيرة وعمموا فيها التعليم وقبول التلاميذ من سائر الجهات ولكنهم جعلوا من أهم شروطها تعليم دين النصارى وفعل العبادة النصرانية في كنيسة المدرسة لكل التلاميذ ولم يفرقوا في ذلك بين اولاد النصارى واولاد المسلمين فأولاد المسلمين مادا موا في تلك المدارس هم نصارى كأولاد النصارى من غير فرق" (٢) .

ويقول أيضا " وانظر أيها المسلم العاقل ـ رحمك الله وأرشدك الى ما فيه رضاه ـ الى اجتهاد الدول الافرنجية في فتح المدارس في بلاد الاسلام وانفاقهم عليها النفقات الكثيرة على مر الشهور والأعوام واعتناءهم بشؤونها الاعتناء التام .. أتراهم يا أخي يفعلون كل ذلك شفقة على ابنك المسلم الذي هو ليس من ملتهم ولا من دولتهم وحرصا على نجاحه ؟ !! كلا .. والله انهم لم يفعلوا ذلك الا لمقاصد مهمة وفوائد لهم كثيرة جمة تقابل نفقاتهم وأتعابهم اضعافا مضاعفة وهي

---

(١) المصدر السابق ص ١٤ .

(٢) ارشاد الحيارى ص ١٥ .

كلها عليك وعلى ابنك وعلى دينك وأهل ملتك دواء عظيمة ومصائب كبرى !! يعلم ذلك جميع العقلاء ولا يخفى الا على الجهلة الأغبياء .

فمن فوائد هم أنهم يخرجون هؤلاء الصبيان الذين يتعلمون فى مدارسهم من دين الاسلام اخراجا حقيقيا بقلوبهم وان بقوا فى الظاهر مسلمين ويستجلبون محبتهم لهم محبة ممتزجة بلحمهم ودمهم ينشأون عليها . وذلك بتعلمهم لغاتهم وعوائدهم وكتبهم وأحوال مشاهيرهم وتراجمهم يرويها لهم المعلمون بأجمل الروايات وفى ضمن ذلك يذمون لهم عقائد الاسلام ومشاهير المسلمين وأئمة الدين حتى ربما يتجاوزون الى سيد المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وتتكرر هذه الأمور على سمع الصبى المسلم فى عدة سنين فلا يخرج من المدرسة الا وقد تجرد بالكلية من دينه وحميته الاسلامية وصارت تلك الدولة المعدة للمدرسة التى تعلم فيها أحب اليه من دولته وجنسيتها أحب اليه من جنسيته معتقدا فيها وفى رجالها الكمال وهو لم يتعلم شيئا من دين الاسلام وسيرة نبيه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ومناقب أصحابه الهداة المهديين وفضائل أئمة دينه المبين وأحوال خلفائه الراشدين ومن بعدهم من السلاطين والأمراء العادلين . بل روى له عنهم شياطين أولئك المعلمين عكس أوصافهم الجميلة ومناقبهم الجليلة فاعتقد فيهم خلاف الكمال الذى اعتقده على خلاف الحقيقة من أعداء دينه . ودولته وهؤلاء التلاميذ يكبرون ويعيشون فى الظاهر فى جملة المسلمين وفى الحقيقة هم أعداء للدولة والدين وقد أشربت قلوبهم الزندقة والضلال المبين وترى الواحد منهم لا يجد خلوة مع من يشاكله فى ضلاله وسوء حاله الا ويتذاكر معه فى الاعتراضات على دين الاسلام ودولة الاسلام وعوائد المسلمين ويمدحون ملك الدولة صاحبة المدرسة التى يكملون فيها دروس الضلال ويتجردون من الدين ومعالم الكمال ولا تزال هذه المدارس النصرانية تخرج من هؤلاء الزنادقة فى كل سنة عددا كثيرا فيجتمع منهم فى عدة سنين الجم الغفير جلهم أو كلهم على هذه الحال وقد جعلوا الحق وراءهم ظهريا وماذا بعد الحق الا الضلال ؟ .

ثم أورد — رحمه الله — نصوصا نقلها من كتاب تربية المرأة للاستاذ محمد أفندى طلعت المصرى — نقلا عن مجلة غربية اسمها " العالمين " — تبين أهداف الدول الغربية فى مساعدة مدارس النصارى ضمن خطة للقضاء على الاسلام بطريقة تربية أبنائه على أسس تشككهم فى كل الأديان . مشيرا الى حرص هذه المدارس

على تربية البنات في مدارسها لأثرها البالغ في تربية أبنائها وتوجيه الأسرة .

ويوضح الشيخ النبهاني مبحث الشك في أذهان الناشئة الذى يخرجهم عن الاسلام وكل الأديان فيقول " حينما يتعلم التلميذ المسلم في هذه المدارس أحكام دين النصارى يراها . هو - كما يراها أهلها - غير معقولة ولا مقبولة يناقض بعضها بعضا واذا اعترض هو أو أحد التلاميذ النصارى على حكم من أحكامها وجلها بل كلها معترضة وسأل عنه المعلم ينهره ويقول له : اسكت الدين فوق العقل لأن المعلم يعلم هو أيضا أن ذلك معترض ولكن لا جواب عنده ، وقد سمع من معلمه قبله هذه الجملة الدين فوق العقل لسد باب الاعتراضات على دينهم فانه باب واسع عندهم ولا يمكن سده بأجوبة صحيحة ولا يزال التلميذ كلما ترقى في معرفة أحكام دين النصارى يزداد نفورا منه وجزما بعدم صحته ولكنه مع ذلك ينتقل ذهنه الى عدم صحة جميع الأديان ويفضل عليها الزندقة وعدم الالتزام بدين منها. ويحسن له ذلك ويرغبه فيه عدم التكاليف الدينية من فعل المأمورات كالصيام والصلاة وسائر العبادات وترك المنهيات كالزنا والخمر والربا والقمار وما أشبه ذلك مما تستحليه نفوسهم من المعاصي فهذا مما يرغبهم في عدم التدين بدين من الأديان كما عليه أكثر الافرنج وان كانوا في الظاهر نصارى [1] .

ويقول الشيخ النبهاني - أيضا - : ومن العجائب أنا نرى طوائف النصارى على الاطلاق لا يضعون أولادهم في مدارس المسلمين مهما كانت ناجحة بل لا تضع طائفة منهم أولادها في مدارس طائفة أخرى لئلا تتغير عقائدهم فان كل طائفة منهم تكفر الأخرى وكذلك اليهود مع قلتهم وذلتهم فتحوا لأولادهم مدارس مخصوصة بهم لئلا يحتاجون في تعليمهم الى وضعهم في مدارس المسلمين أو النصارى كل ذلك من هذه الطوائف لحرصهم على أديان أولادهم وفي حال مشاهدتنا ذلك منهم نرى كثيرا من فساق المسلمين غير حريصين على دين أولادهم فيضعونهم في مدارس أى طائفة من طوائف النصارى بل وفي مدارس اليهود أيضا ويخاطرون بدينهم غاية المخاطرة ليتعلموا شيئا من اللغات الافرنجية ..

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣ .

فانظر أيها المؤمن حرص هؤلاء على أديانهم الباطلة وعدم حرصك على دينك الحق وتعجب من نفسك ان كان ينفعك العجب .

وأما قولك انى لا أخشى على ولدى اتباع ديانتهم لأنها ظاهرة البطلان فهذا يا أخى من تسويلات النفس ووساوس الشيطان لأن ولدك متى اختلت عقيدته الاسلامية فدخوله فى دينهم وعدم دخوله سيان وها أنا ذا اجتهدت فى نصحك والله المستعان [1] .

ويقول أيضا " أيها الغلام المسلم الذى يريد أبوه أن يهدم دينه بادخاله هذه المدارس لتوهمه تعمير دنياه - اما لجهله واما لكونه زائغ العقيدة ليس من أهل الاسلام فى الباطن وان كان فى الظاهر مسلما - اياك أن تطيعه فى هذا الأمر العظيم الذى عاقبته عليك الكفر والضلال والهلاك والوبال فانك غير مكلف بطاعته الا اذا اطاع الله تعالى ... فان الضرر الذى يترتب على دخولك هذه المدارس فى دينك .. لو قطعت لأجله اربا اربا حتى تتخلص منه لما كان ذلك كثيرا فلا شك أن أباك الجاهل أو الزنديق المنافق اذ رأى منك الجد فى الامتناع يضعك فى مدارس المسلمين الخالية من هذه الأخطار فتكون أنقذت نفسك من النار [2] .

وأخيرا يدعو النبهانى الى استعمال القوة فى اخراج أولاد المسلمين من مدارس النصارى فيقول " يجب ويفترض على كل مسلم له قدرة على اخراج بعض أولئك الأولاد المسلمين من المدارس النصرانية أن يخرجهم بما يقدر عليه اما بأن يكون والد ذلك الصبى أو وليه صديقا له فينهاه ويلح عليه بالترهيب والترغيب وأن يكون له مناسبة مع بعض أصدقائه فيحيلهم عليه واما بأن يبلغ أمره الى أحد من ينفذ عليه أمرهم من حاكم وغيره واما بأن يعطيه مالا ان كان حمله على ادخال ولده الفقر والحاجة كما - هو حاصل فى مدارس البنات التى افتتحها البروستانت فى بيروت .

والحاصل أنه يجب على كل مسلم بكل حيلة وكل وسيلة تمكنه أن يخرج ذلك الصبى أو الصبية واذا قدر على ذلك ولم يفعله فهو آثم مستحق للعقاب من الله تعالى

---

(١) المصدر السابق ص ٤١-٤٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٨ ، ٣٩ .

هذا اذا كان غير راض بقلبه بذلك وأما اذا رضى بدخول أحد أولاد المسلمين وكفرهم على الوجه المذكور فهو كافر مثل من أدخلهم وهو راض بذلك فان الرضا بالكفر كفر والله الهادى وعليه اعتمادى.[1]

ويقول أيضا "... فهؤلاء — أى : الذين يدخلون أولادهم مدارس النصارى — يجب على ولى الأمر أن يمنعهم من ادخال أولادهم ومن تولوا أمورهم من صبيان المسلمين الى هذه المدارس النصرانية شفقة عليهم واحتياطا لسلامة أديانهم ولا هادى الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله[2].

ويبدو أن المنافسة بين المسلمين والنصارى فى لبنان كانت مصيرية فكل فريق لا يدخر ما ينتقص به الفريق الآخر.

وقد ترك لنا الشيخ النبهانى بعض المؤلفات التى كانت من آثار هذه المنافسة ففى كتابه نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين". حيث صدره بقوله تعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" وغيرها من الآيات التى تحض أهل الكتاب على التفاهم ونبذ العصبية والمكابرة.

كما ذكر حديثا رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار".

ويقول فى المقدمة — بعد أن أطال فى ذكر أوصاف الكمال لله تعالى ومحاسن الرسول صلى الله عليه وسلم ومحاسن الاسلام ورحمة الله بعباده بأن أرسل لهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم — قال :

---

(١) ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين فى مدارس النصارى ص ٤٦—٤٧.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧.

أما بعد : فاني كنت سمعت بكتاب ضلال وبهتان ، وسفه وعدوان سماه صاحبه الهداية " أى : هداية الشيطان الى سبيل النيران ، لأنه هو الذى هداه اليه وأملاه عليه ، فهو كتاب ابليس .. أوحاه الى هذا الخاسر الخسيس الذى الفه بقصد الرد بلا حق .. على السيف الصقيل واظهار الحق ولم يقتصر فى غيه على ذلك بل سلك فى تيه الضلال أقبح المسالك فلم تطلب نفسى النظر اليه ولو للرد عليه لشدة كراهتى للكفر وأسبابه ، وبغضى للسفيه وسبابه وقلت كثير من علماء الاسلام وجها بذة الايمان من هو أوسع منى علما وأصح منى فهما وأكثر منى فضلا وأقل منى شغلا ، وأقدر منى على اثبات الحق ودفع الباطل وأمهر منى فى اقامة الحجج وترتيب الدلائل وان كانت صحة دين الاسلام وبطلان غيره من الأديان أثبت من أن يفتقر كل منهما الى الاثبات بقلم أو لسان وأظهر من أن يحتاج الى المهارة فى اقامة الدليل والبرهان ، ثم بعد أن مضى على ذلك نحو سنتين قدر الله اطلاعى عليه فوجدته صحيفة بهتان وافك وحقيبة عدوان وشرك وقد كتم مؤلفه اسمه وشهر كفره وظلمه ولا ملام عليه ولا عتب فليس بعد الكفر ذنب ، وقد أراد بزعمه أن يمو ، به على الخلق ويخفى بباطله اظهار الحق ويضمد بما حشاه به من خلقان الأباطيل جروح السيف الصقيل وهيهات هيهات لا تزول الحقائق بالترهات ... ولو اشتغل برد ما قالوه فى تزييف معتقده فقط من دون أن يتعدى الى الاعتراض على الدين المبين دين الاسلام ويرميه من كنانة افكه وكفره بسهام الأوهام لكان ذلك أخف الشرين ولكنه ضم الى المكابرة تزيين القبيح وتقبيح الزين .

.. وسميته (نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين ") ثم يتكلم عن مساعدة روح القدس له أسوة بحسان رضى الله عنه فيقول : " ... لا أشك فى انه حصل لى ذلك فى تأليف هذا الكتاب والحمد لله المنعم الوهاب فانى حينما كنت أكتب الردود على ذلك الجحود ، كنت ربما أكتب كراسا [1] أو قريبا منه فى نحو ساعتين أو ثلاث بقلم الرصاص ويدى فى غاية السرعة بالكتابة حتى كان ملهما يملى علىّ ذلك بل لو أملى على أحد لما بلغ الأمر تلك السرعة ولا أعلم لذلك سببا الا التأييد والامداد والالهام الذى ذكره لحسان النبى عليه الصلاة والسلام .

---

(١) هذا خطأ شائع والصواب : كراسة ، والجمع كراس وكراريس " .

ومن اطلع على كتابى هذا وعلم حالى وقلة بضاعتى فى العلم والفهم — مع كونى لم أشتغل فى تأليفه الا فى أول النهار غالبا وقد تم فى نحو أربعة أشهر مع كثرة عوائق وعلائق — يتيقن صحة الحديث الوارد فى حق حسان وأنه ليس خاصا به بل هو لكل من نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقلم أو اللسان ...... وان القرآن المجيد هو كلام الله تعالى الحق " الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " هذه عقيدة كل مسلم عالم أو جاهل حقير أو جليل قد رسخت فى قلوبهم رسوخ الجبال فلا يمكن أن تزلزلها عواصف الاكاذيب والأباطيل واعلم أنه ليس من خلقى المجادلة بخشونة مع أهل الأديان ولو كانوا من عباد الأصنام فضلا عن أهل الكتاب فقد أوحى الله تعالى الى سيدنا ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم حسن أخلاقك مع الكفار تنل منازل الأبرار واختلاطنا فى أوطاننا معهم كثير وان اختلف المصير فهم وان خالفونا فى الدين اخواننا فى الطين، كلنا أولاد آدم وآدم من تراب، وكم لهم منا ولنا منهم فى الشؤن الدنيوية أصحاب فلا تجوز الانسانية اساءة بعضنا لبعض، ومجاملة كل منا للآخر هى فى حكم السنة ان لم تكن فى حكم الفرض، ولكن عذرى فيما صدر منى من ذلك مقبول لما صدر منهم من التعدى فى حق القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم فصارت اجابتهم واساءتهم على من الفروض المحتومة ولولا ذلك لما أسأتهم بكلمة لقوله تعالى : " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن " وأباح لنا ذلك بقوله سبحانه " الا الذين ظلموا منهم " ولا شك أنهم من أظلم الظالمين باعتراضهم على القرآن وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد ألفوا الكتب وشحنوها بأسباب الشحناء ونشروها منطوية على الأضاليل الباطلة والقول الهراء، معترضين بها على دين الاسلام اعتراض الشوهاء على الحسناء فتذكرنا بذلك قول المعرى أبى العلا :

اذا عير الطائى بالبخل مادر	وعير قسا بالفهاهة باقل
فياموت زر ان الحياة ذميمة	ويا نفس جدى ان دهرك هازل

ولما كانت اعتراضاته وهى على كثرتها بلا محصل وليس على شىء منها معول، لا تخرج عن أن تكون فى شؤون النبى صلى الله عليه وسلم أو شؤون القرآن[1]

---

(١) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على اعدائه أعداء الشياطين ص١٢ — ١٤.

ويقول الشيخ يوسف النبهاني معاتبا النصارى على اعتقادهم صحة التوراة وقد ورد فيها نسبة زنا الأنبياء في الأقارب " ولو أنك ايها النصراني العاقل تأملت قليلا لما رضيت أن تنسب الى سادتك الانبياء أقبح الأوصاف التي ينسبها لك أحد أعدائك فضلا عن أصدقائك حين يقول لك يازاني أو يا ابن الزانية ولضاقت عليك الأرض بما رحبت ، ومع ذلك فأنت تنسب هذا الوصف الشنيع لأحب الخلق اليك وأعظمهم لديك ، ولا ترضى لنفسك أن تذكر حكايات الزنا والفواحش في مجلس أو كتاب حتى كتاب القصص المكذوبة والمرذولة كألف ليلة وليلة فإذا لبعتها تحذفها منها وترضاها لكتاب الله تعالى التوراة وتنزه نفسك عن ذكرها في كتابك اذا ألفت كتابا وتعد ذلك من قلة الحياء وسوء الأدب ولا تنزه الله تعالى أن يذكرها في كتابه كما نزهت نفسك الخبيثة عن ذلك . فأنت لو دققت أدنى تدقيق وانصفت أقل إنصاف لمقت نفسك غاية المقت وتبينت أنها على ضلال مبين وجهل عظيم في هذا الاعتقاد القبيح الذميم .

فيا أيها النصارى الكاثوليك كيف اعتقدتم صحة ورود هذه الفواحش في التوراة عن الله تعالى منسوبة الى أنبيائه الكرام ولم تبالوا باعتقاد عدم عصمتهم وهم سادات الأنام وأنتم تعتقدون عصمة البابا من الخطأ والآثام كيف رضيت عقولكم أن تكون منزلته عندكم في الدين فوق منزلة الأنبياء والمرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين .

فأنتم أفرطتم في تعظيمه كل الافراط حتى رفعتموه فوق النبيين الى اعلى عليين فسلط الله عليه البروتستانت حتى حقروه غاية التحقير فأنزلوه مع الشياطين الى أسفل سافلين كما وضعه رئيسهم لوثر نقلا عن اظهار الحق [1] الناقل له عن كتبهم . أليس من العجيب اعتقاد عصمة هذا الرجل وعدم عصمة النبيين .

فيا أيها العقلاء لا أقل من أن تجعلوا أنبياء الله تعالى بمنزلته وتعتقدوا فيهم العصمة من الزنا ونحوه كما اعتقدتموها فيه وحينئذ يجب عليكم أن تعلموا يقينا أن جميع ماورد في التوراة في حق الأنبياء من تلك الاقاصيص والحكايات هي من الأكاذيب الباطلات والدسائس المختلقات التي لا يجوز اعتقاد صحتها بحالة من الحالات وأنتم يامعشر البروتستانت قد نقحتم دين النصارى تنقيحا بالغا وحذفتم كل مازاده عليه أصحاب المجامع في العصور السابقة مع أنهم بلا شك أعظم أمانة من

---

(١) اظهار الحق على دين النصرانية الشيخ رحمة الله الهندي .

الزنادقة الملحدين الذين لا دين لهم وجميع ما كانوا زادوه من الأحكام الدينية هو بيقين أقل فحشا من هذه الفواحش التى نسبتها التوراة الى الأنبياء فما الذين منعكم من أن تكملوا معروفكم بحذف هذه الأباطيل والافتراءات المدسوسة فى كتب دينكم فى حق الأنبياء والمرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين واذا لم تسمح نفوسكم بحذفها كلها فلا أقل من أن تحذفوا رميهم بالزنا ولا سيما رميهم بالبنات والقرابات وسجودهم للأصنام وتعتقدوا أن هذه الشناعات والأكاذيب الباطلات لا يمكن أن تكون بالهام من الملك العلام فلو فعلتم ذلك لاستحققتم الثناء الجميل وسلمتم من هذا الوصف الذميم ، ولكن الأمر ليس بيدكم فالله يهدى من يشاء الى صراطه المستقيم " (١) .

وقد حذر الشيخ النبهانى رحمه الله من الطرق الخفية التى يشوه النصارى بها التراث ، بالحذف والزيادة عن طريق ما يطبعون من الكتب فدعا الى مقاطعة كل ما طبعوه وعدم الاطمئنان له فقال " يوجد فى بيروت مطبعة للرهبان اليسوعيين طبعوا فيها كثيرا من الكتب والمجاميع الأدبية التى جمعوها من كتب المسلمين ولكنهم لعدم أمانتهم فى النقل أزالوا من الكتب التى نقلوا منها العبارات التى فيها تأييد لدين الاسلام وتعظيم لرسول الله .. سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

فمن ذلك أنهم طبعوا كتاب " فقه اللغة " فأزالوا خطبته بالكلية لما فيها من تعظيم الحضرة المحمدية عليها من الله أفضل صلاة وأكمل تحية .

ومن ذلك أنهم طبعوا كتاب " الألفاظ الكتابية " فغيروا وبدلوا فى عباراته فى محلات كثيرة فاذا قال كما قال الله تعالى يغيرون عبارته بقولهم كما قال القائل أو كما قيل وهكذا ، وجمعوا مجموعا كبيرا عدة أجزاء أكثرها من كتب المسلمين وحذفوا من عباراتهم ما يتعلق بتعظيم دين الاسلام وتفخيم حبيب الرحمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، بل أبدلوا فى بعض الأحيان عبارات علماء المسلمين الصحيحة المليحة بعباراتهم الفاسدة القبيحة ، وذلك فيما يتعلق بشؤون سيد المرسلين ودينه المبين وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، فأنا أحذر جميع المسلمين من الكتب المطبوعة بالمطبعة اليسوعية فى بيروت ــ ولو كانت من كتب وتأليف المسلمين

---

(١) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ٦٠١ ــ ٦٠٢ .

فضلا عن مجاميعهم التي جمعوها وطبعوها مثل المجموع الذى سموه " مجانى الأدب " فى عدة أجزاء فانهم لا أمانة لهم فى النقل يحرفون الكلم عن مواضعه ويمزجون مضاره بمنافعه ويضعون السم فى الدسم ويبدلون الصحة بالسقم فاياك ايها المسلم أن تشترى شيئا من كتبهم فانى والله ما اخبرتك الا عن علم ويقيم لا عن ظن وتخمين واذ رأيت بعض التقاريظ باسم بعض علماء المسلمين على بعض كتبهم فلا تعبأ بهما فانهم اذا ثبت تصرفهم فى نفس تلك الكتب بالتحريف والتعديل وحذف مالا يوافق مذهبهم واثبات ما يوافقه وان خالف دين صاحب ذلك الكتاب فما يمنعهم من التصرف فى التقاريظ على حسب هداهم وما يوافق مصلحتهم فالحذر من كتبهم الحذر وها انا انذرتك ايها المسلم وقد اعذر من أنذر (١) .

وقد رد النصارى على الشيخ يوسف النبهانى فى كتابيه " نجوم المهتدين" و " ارشاد الحيارى" ردوا عليه فى مجلة " المشرق " كما يلى :

" الشيخ يوسف النبهانى " اطلعنا أحد الأدباء على عدة تآليف حديثة نشرها فى مصر الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى رئيس محكمة الحقوق فى بيروت فقرأنا بعض نصوصها فاذا هى كلها قذف وطعن فى النصرانية وتعظيم للاسلام فأما تعظيم الشيخ لدينه فهو وشأنه وليس لنا أن نعارضه فيه وأما تشنيعه على النصرانية ومعتقدات النصارى فدليل واضح على أنه لا يعرف من عقائد ديننا شيئا من ألفها ويائها ولا أريد برهانا على قولى الا هذه الأسطر القليلة التى تشهد على جهل الشيخ بما يعرفه صغارنا " واستشهد بما كتبه الشيخ النبهانى فى كتابه نجوم المهتدين ص ٣١ " ثم قال " فهذا مبلغ علم الشيخ فى معرفة الدين المسيحى وفى هذه الأسطر وحدها نيف وعشرة أغلاط فى طبعته تنطق بطول باعه فى الجدال وقد كان حضرته سبق وبرهن على مقدرته فى البحث والمناظرة فى كتابه " ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى " الذى زين بعض ترهاته أحد أفاضل الكتبة ونحن أيضا لا نأبى مناظرة الشيخ والدفاع عن ديننا واقناع كل عاقل بصحته ان شاء النزول معنا فى هذا الميدان على شرط أن نعرض له حجتنا بالحرية التامة وأن تعقد لجنة يرضى بها الفريقان تحكم حكما عدلا فى أقوال المناظرين " (٢) .

---

(١) ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى ص ٥١ـ٥٢ .

(٢) مجلة المشرق الاب لويس شيخو السنة الثانية عشر ١٩٠٩ ص ٧١٨ ـ ٧١٩ .

وبالمناسبة نشير الى أن هذا هو الأسلوب نفسه الذى استعملته مجلة المشرق فى هجومها على الاستاذ محمد كرد على تحت عنوان (ضراء العلماء) محرر مجلة المقتبس لانه وصف الحضارة الشرقية والعمران العربى وأطراهما اطراء يستدعى تحفظا كثيرا كما يقولون ومما جاء فى قولهم " .... وما كنا لنتعرض لقوله لولا بخسه فى أمور كثيرة حقوق النصرانية لما عدد " آثار الهمجية الغربية فى أدوار الظلمات وكرر ما يتناقله عن الأجيال الوسطى قوم من أهل الأغراض فى نحت تلك القرون وما كنا لنظن أن رجلا متنورا مثل محرر " المقتبس " ينقل كثيرا من تلك الأحاديث الباطلة التى أكل عليها الدهر وشرب فيشنع بها على الدين النصرانى . نعم اننا لسنا ممن يزعم أن كل شىء فى النصرانية كان مقدسا كاملا ونعلم أنه وجدت فيها كما وجدت فى غيرها آثار من الضعف البشرى الا أن أعداء الدين قد تحاملوا عليها ترويجا لغاياتهم ونسبوا الى الكنيسة أشياء كثيرة قد زكاها من تبعتها كبار العلماء فى زماننا كمسألة محكمة التفتيش والحكم على غاليلى وكأخبار لوثاروس ولعله خدع بما كتبه الشيخ محمد عبده فى كتابه " الاسلام والنصرانية " فيسوؤنا أن أدباء المسلمين يرمون الكلام على عواهنه وينقلون مزاعم النصرانية دون أن يتحققوا صحتها فاننا مستعدون أن نكشفها لهم بالبينات الواضحة " (1) .

من هذا يتضح لنا أن مجلة المشرق ردت على الأستاذ محمد كرد على نفس الأسلوب والمنهج الذى ردت به على الشيخ يوسف النبهانى أما العبارتان الأخيرتان من الردين فقد كانتا على الوزن والقافية نفسيهما من الاستعداد للمناظرة الشخصية المباشرة الى الاستعداد للكشف والتوضيح بالبينات مما لا يحصل مثله عادة .

هذا ويبدو أن النبهانى كان معرضا للاعتداء عليه من النصارى لوقوفه ضدهم فقد تردد عن طبع كتابه " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين " خوفا من الاعتداء عليه حيث يقول " فى المبشرة العاشرة " من المبشرات المنامية " رأيت فى أحد الربيعين من سنة ١٣٢٢ أنى جالس فى المسجد النبوى مستقبلا حجرته الشريفة صلى الله عليه وسلم ناظرا اليها وأنا أكرر قول الامام الابوصيرى :

ومن تكن برسول الله نصرته // ان تلقه الاسد فى آجامها تجم

وبعد هذا السرد صممت على طبع كتابى نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى

---

(1) مجلة المشرق الأب لويس شيخو ١٢ــ٢١ .

دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين " بعد أن كنت مترددا فى طبعه خوفا من وقوع محاذير فبعد هذه المبشرة سهل الله أسباب طبعه فطبع فى مصر ولم يحصل شىء من الموانع والحمد لله رب العالمين [١] .

شعر النبهانى فى محاربة التبشير المسيحى :

كما سخر النبهانى نثره فى محاربة النصرانية وبيان تناقضاتها والتحذير من مدارسها كذلك استخدم شعره ووجدانه للغرض نفسه مع الحجاج العقلى والاتيان بالأدلة ومن الجدير بالذكر انه لم يتعرض لليهودية الا عرضا ، ولربما لأنهم لم يتعرضوا للدين الاسلامى كما أن التبشير بالدين اليهودى غير موجود أصلا ولا يشجعونه لأنهم يعتقدون أنفسهم مميزين عن غيرهم " كشعب الله المختار " ففى قصيدته "الرائية الكبرى فى الكمالات الالهية والسيرة النبوية ووصف الملة الاسلامية والملل الأخرى ، التى من عنوانها التزم النبهانى بذكر اليهود فى أربعة وعشرين بيتا فى حين أن القصيدة بلغت ٧٢٥ بيت .

ومما جاء فى " فصل الكلام مع اليهود فى شأنه صلى الله عليه وسلم ووصف دينهم الذميم وما فيه من اعتقاد التجسيم " :

ويا قاتل الله اليهود فانهم ** أشد الورى كفرا واخبثهم مكرا
عقيدتهم فى الله شر عقيدة ** تنزه عنها ربنا وعلا قدرا
وقد حرفوا مثل النصارى كتابهم ** وزادوا حروفا حبرها لعن الحبرا [٢]
وأفحشها يعقوب صارع ربه ** فيا بئس هذا القول من فرية تترى
سجيتهم فصل الخناء ودينهم ** كأنفسهم خبثا حوى العار والعرا [٣]
فلا تعجبن من قذفهم [٤] أنبياءهم ** وهم خيرهم نفسا وأطهرهم [٥] أزرا
ففى طبعهم بغض الخيار لأنهم ** على الشر والشنار قد فطروا فطرا

---

(١) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ١٣ــ١٤ .

(٢) الحبر هنا عالم اليهود .

(٣) اصل العر الجرب .

(٤) قذفهم اتهامهم اياهم بنحو الزنا حاشاهم من ذلك .

(٥) ازر جمع ازار وهو الثوب الاسفل خلاف الرداء .

ولا عجب انكارهم لمحمـــــد ** وقد فعلوا من قبل فى الأنبيا النكـــرا
وكم أسفـرت فيه بأسفار دينهـــم ** بشائر لكن لم تجد عندهم بشـــرا (١)
فكم من نبى منهـــم فتكـــوا بـــه ** فكانوا ومازالوا أشد الورى خســـرا
ومن سادة الأحبار قد حل حبــــه ** قلوبا بنور العلم قد عمرت عمـــرا (٢)
وكم من يهود صدقوا سيد الـــورى ** ولكنهم كانوا بنسبتهم نـــزرا
ومؤمنهم ايمانه ضد طبعـــــه ** وكافرهم بالطبع قد ناسب الكفـــرا
خبائثهم لا ينتهى وصف رجسهـــا ** فكم لوثوا عصرا وكم لوثوا مصـــرا
وقد مسخت منهم خنازير جمــــة ** وبعض غدا قردا وبعض غدا فـــأرا (٣)
لقد شملتهم لعنة بعد لعنــــة ** من الله مغضوبين قد دحروا دحـــرا
فدعهم فان اللعن أعمى قلوبهـــم ** وبه عن شهود الحق قد قصروا قصـــرا

<u>أما النصارى</u> : فقد أكثر من القول فى دينهم مستعملا كثيرا من الحجـــج العقلية والنقلية ففى فصل الكلام مع النصارى فى اثبات نبوته صلى الله عليه وسلـــم بالدلائل الباهرات ووصف دينهم وما فيه من الفوائل والآفات " ومما قاله فى هـــذا الفصل :

وقل للنصارى مالكم مـــع عقولكـــم ** وقد ظهر الاسلام وليتم الظهـــرا
فأنتم اذا مثل اليهود بجحدكـــم ** كلاكم عن الحق المبين قـــد ازورا
وليس لكم عذر بترك اتباعـــــه ** فانجيل عيسى عنه صرح بالبشـــرى
وتوراة موسى قد تحلت بذكـــره ** فكم زينت فيها بشائره سفـــرا (٤)
وأخبار شعيا والزبور وغيرهـــــا ** وكم رئيت رؤيـا له عبرت عـــبرا
ودعوة دين ليس تبقى لكـــاذب ** ثلاثين عاما قد جرى ذلك المجـــرى
ودعوته دامت وعم انتشارهـــــا ** سنين مئات اربعا تتبع العشـــرا

---

(١) اسفر الصبح اضاء والاسفار جمع سفر بالكسر كتاب •

(٢) الاحبار علماء واليهود الذين اسلموا •

(٣) راجع حياة الحيوان تجد قصص مسخهم •

(٤) الديوان ص ١٥ ج٢ ـ ٣١٧ه

ويقول منها أيضـــا :

وبينت من آفـــات ملتكم لكـــم ** عجائب لا تبقى لتابعها عـــذرا
بذلت لكم منى نصيحة مشفـــق ** ولا أبتغى شكرا لديكم ولا أجـــرا
أجيراننا والله انى لخيركـــم ** محب لنفسى اذ أحب لها الخيـــرا
نراكم أدق الناس فكرا بصنعـــه ** وأبلد خلق الله فى ربكم فكـــرا
نرى لكم عقلين عقلا لدينكـــم ** وعقلا لدنياكم بهـــا زنده أورى (١)
وقد كنتم من قبل تخفـــون دينكـــم ** حياءً فلا أدرى لما اخترتم النشـــرا
ويا ليتكم أبقيتموه محجبـــــا ** فمن فطنة الشوهاء أن تلزم الخـــدرا
ووالله لولا انكم تنشرونـــــه ** لنا وكشفتم عن معايبه الستـــرا
اذا كان فضل السبق يحملكـــم على ** بقاء على الدين القويم وان أزرى (٢)
فكونوا يهودا واعلوا باعتقادهـــم ** بعيسى والا فاتبعوا الملة الغـــرا
ألم تنظروا يا قوم ديـــن محمـــد ** وفى افقه شمس الهدى أسفرت سفـــرا (٣)

ثم تكلم عن اعتقادهم فى التثليث وصلب المسيح عليه السلام ، وفيه يقول :

جعلتم اله العالمين ثلاثـــــة ** غلطتم فان الله لا يقبل الكثـــرا
واذ قلتم كى تعلموا فحشى غيكـــم ** ثلاثتها فرد غدا أمركم امـــرا (٤)
ثلاثتها وفرد فرد ثلاثـــــة ** فيالك زورا صير العقل مـــزورا (٥)
ولا عـــذر عند الله والعقل لا مـــرئ ** يدين بأن الله قد حل فى العـــذرا (٦)
ولكن روح القدس اذ جاء نافخـــا ** بها حملت عيسى وما برحت بكـــرا
وألقته طفـــلا مثل أبنـــاء آدم ** وما زاد شيئا عن سواه ولا ظفـــرا
وبالـــدر غذتـــه فللـــه دره ** نبيا كريما كان فـــى أمـــه بـــرا

---

(١) أورى الزند / أخرج نـــاره .

(٢) أزرى بأخيه ادخل عليه عيبـــا .

(٣) الديوان ص ٣١٧ ـ ٣١٩ .

(٤) امرا : عجيبـــا .

(٥) مزورا : مائـــلا .

(٦) العذرا : مريم عليها السلام .

وقد كان مثل الناس في كل حاجة ** فيأكل مضطرا ويخرج مضطرا
وان كان من أم أتى دون والد ** فآدم من فخارة أحرز الفخرا
وحواء في عكس المسيح تخلقت ** فلا أم بل من ضلع آدمها اليسرى
ثلاثة أقسام ورابعها الذي ** برا الله من أبناء آدم أو يبرا (١)

ثم أخذ يناقش معهم المسيح المصلوب ـ كما يقولون ـ هل كان الناسوت أم اللاهوت ؟ مستهزئا باعتقادهم صلبه فقال :

تقولون رب ثم قلتم عبيده ** شرار الورى جاروا على ضعفه جورا (٢)
وما يستحق اسم الاله سوى الذي ** تعالى اقتدارا أن يهان وأن يزرى
ألا أخبرونا هل سمعتم بمعشر ** سواكم رأوا في صلب ربهم فخرا
فهذا اعتقاد القوم والحق أنه ** دعا ربه فورا فخلصه فورا (٣)

وفي فصل آخر تكلم عن زعمهم حكمة الصلب لتخليص بني آدم من خطيئته عليه السلام وفي فصل ثالث تكلم عن وصف الصليب وعبادتهم له ومما قاله :

أفي كل شيء ناقض العقل دينكم ** كأن عليكم في وفاق النهى حجرا
متى واحد منكم رأى قط واحدا ** رأى من صليب قد تقلده خيرا
فتنتم به من غير أسباب فتنة ** يقال لأهليها لعل لهم عذرا
هو الوثن الأعلى الذي عم شره ** فما اللات والعزى وثالثة اخرى (٤)
فلم ير في الأكوان شكلا كشكله ** بفتنته الشيطان قد نشر الكفرا

---

(١) برا يبرا خلق يخلق .
(٢) يزرا يهان ويعاب .
(٣) الديوان ص ٣١٩ ـ ٣٢١ .
(٤) ثالثة اخرى : هي مناة صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة .

الى أن يقـــول :

وكـم عبدوا وسط الكنائـس شكلـــة ** كصورة عيسى والحوارين والعـــذرا[1]
فهـذى هى الأوثان وهى بيوتهـــا ** وكم انفقوا تبراوكم نذروا نـــذرا
فما بالهم قد الحقوا الذم كلـــه ** بمن عبدوا الأصنام والعجل والشـورا
أما ينصفون القـوم فالأمـر واحـــد ** كلاهم عن الديـن القويم قـد ازورا
وسيدنا عيسى برىء وأمـــه ** من الشرك أو أن يمنحـا مشركا شكـرا[2]

وله فصل فى " وصف الرهبان هجاهم فيه هجاء مقذعا ، قال فيه :

وكم فتيات راهبات وفتيـــة ** رهابين من زهد بهم سكنوا ديـــرا[3]
ويا حبذا تلك الفعال لو انهـــا ** تكون مع الاسلام نالوا بها أجـــرا
ولكنهم مع شركهم بالهـــم ** ولم يؤمنوا بالمصطفى ضيعوا العمـــرا
فوا اسفا من حبسهم لنفوسهـــم ** لقد خسروا الدنيا ومار بحوا الأخـرى
ولكنهم كفوا عن الناس شرهـــم ** وما أوصلوا للناس نفعا ولا ضـــرا
فلو كان ترك الشر يقضى بشكرهـــم ** على ما بهم أكثرت فى حقهم شكـــرا
وشبه اذا ما شئت بالضب بعضهـــم ** نوى لخداع الناس من ديره جحـــرا
ومنهم قسوس خالفوا النـــاس للأذى ** وجروا عليهم من لظى غيهم جمـــرا
رموا بسهام الخبث فى كل بلـــدة ** كسلح الحبارى حين ترمى به الصقـــرا
وقد زعموا التبشير لكن ربنـــا ** يكذبهم اذ قال فى الذكر لا بشـــرى[4]
فيا بؤسهم من مجرمين جزاؤهـــم ** سجون من النيران تحجزهم حجـــرا
أضرت بهم أنوار دين محمـــد ** فهرت من الأنوار اكلبهم هـــرا

---

(1) فى التعبير ضرورة شعرية والا فهم الحواريون .. لا الحوارون ، والشكلة: الشبه
د /سرحان

(2) الديوان ص ٣٢٣ـ٣٢٥.

(3) الرهابين جمع رهبان .. مفرد ،وقيل: رهبان جمع راهب ،ورهابين جمع الجمع .
د /سرحان

(4) اشارة لقوله تعالى : "يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ..... سورة الفرقان آية ٢٢ ".

وكم نبحوه وهو فى الأفـــق طالــــع ** ولكن نبح الكلب لا يصل البـــدرا
وما سائنى اغواؤهم لمعاشــــــر ** من الناس ضلوا بدلوا كفرهم كفـــرا
ولكنهم عاشوا ولا ثوا وأفســـدوا ** وشنوا على الاسلام من شركهم شـــرا
أولئك اقوام اذا قال قائــــــل ** هم شر خلق الله قلت لهم : جـيرا (١)

وفى فصل رابع " ذكر بعض عجائب دينهم كالقربان وهو بزعمهم استحالة الخبز والخمر الى لحم عيسى ودمه عليه السلام " وما قاله فى هذا الفصل :

ومن أعجب الأشياء خبز وخمـــرة ** اذا طفق القسيس فوقهما يقـــرا
يصيران حالا لحمه ودمـا لــــه ** فأعجب به خبزا وأعجب بها خمـــرا
أما يستحيل اللحم والدم فى الحشـــا ** الى قذر لا أستحب له ذكـــرا ؟
فهل أحد فى الكون يرضى لنفســـه ** بهذا ؟ فيرضى الرب سبحانه بـــرا (٢)

وفى فصل آخر " ذكر المشح وهو ـ عند المسيحيين ـ خنق القسيس المريض عند اليأس من شفائه " .

وفى فصل آخر تكلم على الاعتراف وهو أن يعترف المذنب منهم بذنبه للقسيس ليغفر له) .

ومن أقبح الأشياء حسناء غـــادة ** كان بعينيها اذا نظرت سحـــرا
محاسنها تزرى بأحور مائـــــس ** (رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا) (٣)

---

(١) جيراى حقا او نعم أو اجل القاموس المحيط مادة جيروالديوان ص٣٢٥ : ٣٢٦ .

(٢) البر من اسماء الله الحسنى مأخوذ من البر وهو الخير الديوان ص٣٢٦ : ٣٢٧ .

(٣) أزرى به عابه واهانة . الاحور الذى فى عينيه حور وهو شدة بياض العين مع شدة سوادها وماس مال وتبختر فى مشيته . والصعدة القناة المستوية نبتت كذلك لا تحتاج الى تثقيف والصعدة السمراء هنا : الرمح وهذا شطر بيت من كلام ابن النبيه فى مطلع قصيدة والشطر الثانى هو قوله :
فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى .

سبى الناس منها ردفها وقوامها ** ووجنتها الحمر أو مقلتها الحورا
تجيء عليها الطى والحلل انجلت ** مطرة مصقولة صفت الشعرا
بها يختلى قسيسها وهو أعزب ** شقاشقه من توقه هدرت هدرا (١)
فتعترف الأنثى له بذنوبها ** ولو بالزنا سرا ليمنحها الغفرا
ولا جائز منهم هجوم عليهما ** ولو بقيا فى السرو حدهما شهرا
ورب امرىء من غير قصد عراهما ** فشاهد مدهوشا بعروتها الـزرا (٢)
ومن لم يكن يجرى اعترافا كهذه ** فذلك أشقى القوم أعظمهم وزرا
فأف لدين يهتك العرض بالرضا ** ويوهم رب العرض أن له أجرا (٣)

وقال فى وصف عقلائهم وفى " وصف فرقة البروتستانت التى ضللت كل فرق النصارى وضللوها ثم تكلم فى فصل عن "الكلام على قولهم الدين فوق العقل والفرق بين دينهم ودين الاسلام المؤيد بالعقل والنقل " ثم تكلم فى فصل عن " الكلام على اسند راجه تعالى للافرنج بالنعم الدنيوية وذكر حكمة بعض الأحكام الشرعية " وتكلم فى (وصف مجامع أنسهم وبه تظهر حكمة مشروعية الحجاب للنساء" ومما جاء فيه قوله:

وليس بازراء بهم مس عرضهم ** فأعراضهم ليست تشد بهم أزرا (٤)
فقد جعلوا للرقص فى وقت لهوهم ** ليالى أنس كم لهم أطلعت بدرا
فزوجة ذا فى حضن هذا وزوجها ** بزوجته أجرى الذى معها أجرى
نساء رجال كالمراة ـ تعانقوا ** بأحسن أشكال تثير الهوى قهرا
فلو نظر العنين فيهن نظرة ** لما احتاج فى تقويم قوته أخرى

---

(١) الشقاشق جمع شقشقة ـ بكسر الشينين ـ وهى شىء كالرئة يخرجه البعير من فمه اذا هاج . والتوق هو الشوق الى الشيء والتروع اليه وخصه الفقهاء بالاشتياق الى الناس وهدر البعير ردد صوتا فى حنجرته .

(٢) عراهما : غشيهما وجاءهما وعروة القميص ونحوه أخت زره الذى يدخل فيها وذلك كناية عن الزنا . وهى من أحسن الكنايات ولم أطلع عليها لغير النبهانى وقد ذكر ذلك صادقا .

(٣) الديوان ص ٣٢٩ .

(٤) أزرى به عابه واهانه والازر القوة قال تعالى أشدد به أزرى .

وأتقى عباد اللـه ليس بممكـن ** هنالك تقواه اذا لم يكن صخـرا
فلا تلم ابنا قد توله بعد هـا ** اذا لم يكن طوعا لوالده برا
فان لم يكن هذا زناء فانـه ** أخوه سوى أن الزنا فعله سرا
ومن قبل هذا ما استنكرا أمـه ** قد استحسنته هكذا علنا جهرا
ولو خيروا فى فعل ذلك مسلمـا ** وأنثاه لاختارا على فعله القبرا
حياؤهما قد ناسب الدين منهما ** كما أن هتك الستر قد ناسب الكفرا
فنحمد رب العالمين لشرعـه ** حجابا عن الاسلام قد حجب العهرا(١)

تحذيره من المدارس المسيحية فى شعره :

وكما حارب مدارس التبشير فى نثره حاربها أيضا فى شعره مبينا أهدافها وأضرارها ، وأول ما يتبادر الى الذهن صدقه فى دعواه واخلاصه فى اسداء النصيحة للمسلمين من أضرار هذه المدارس وعدم جدواها ، ومما قاله فى هذا الفصل الذى عنوانه " نصيحة المسلمين وتحذيرهم من الفتن العصرية التى أعظمها وأخطرها المدارس النصرانية .

فيا أمة الاسلام فى الدين مجدكم ** وقد أدركت أعداؤكم ذلك السرا
عقاربهم دبت لكم فتحفظوا ** ولا تحسبوا جمرا أتوكم به تمرا
وقد زعموا مع لينهم حب خيركم ** فلا تخدعوا من فى الأفاعى رأى خيرا ؟
ألا انتبهوا فالقوم دسوا لدينكم ** دسائس كفر قد تغر امرا غرا(٢)
وأعظمها شرا مدارس فى القرى ** وفى البدو والأمصار قد نشرت نشرا
تربى لكم أطفالكم فى حجورها ** وقد جعلت درس الضلال لهم درا
فصار كثير منهم مثل أهلها ** سوى الزى والأسماء واتحدوا كفرا
ألا فانظروا كم أخرجت من بنيكمو ** زنادقة بالكفر قد ربحوا الخسرا
وصاروا من الأعداء لا فرق بينهم ** سوى أنهم فى الدين أعظمهم ضرا

(١) الديوان ص ٣٣٥ـ٣٣٦ .

(٢) الدسيس اخفاء للمكر كما فى لسان العرب وفى معنى ذلك الدسيسة والجمع الدسائس من الدس ومعناه كما فى القاموس الاخفاء ودفن الشىء تحت الشىء وتغر : تخدع ، والغر الذى لم يجرب الامور .

وهم كل يوم بازديـــاد وذينكـــم ** يزيد بهم نقصا ويحكم خســـرا
فكيف بمن يأتون من بعد عصركـــم ؟ ** اذا دام هذا فالمنوا ذلك العصـــرا
وكم نادم من وضع أولاده بهـــا ** وقد سبقت أسيافها العذل والعذرا
ألا انتبهوا ما قد مضى غير عائـــد ** وبالحزم بعد اليوم فاستقبلوا الأمـــرا
ومن يدعى الاسلام وهو مثابـــر ** على الغي لم يبرح به الشهر والدهـــرا
وليس له أعمال خير فـــؤاده ** بأنوارها يبيض من بعد ما اغبـــرا
فلا صام لاصلى ولا حج لالـــه ** زكاة ولا أعمال بر بهـــا بـــرا
كمن قد تربى فى مدارس شيـــدت ** لتخريب دين الله عاش بها عمـــرا
فصار يحب الكافرين وشبههـــم ** يرى لذة فى قربهم ويرى فخـــرا
مناسبة قد ألفت بين أهلهـــا ** تجر الى الأشكال أشكالهم جـــرا
ويكره أهل الدين حتى قريبـــه ** ولاسيما من كان أشعث مغبـــرا
وما ذنبهم الا تمدنه وهـــم ** على فطرة الاسلام قد فطروا فطـــرا
فاسلام هذا مثل ثوب مـــزور ** رقيق فمن يكساه فى حكم من يعرى
فذلك عريان وان كان كاسيـــا ** وأفضل منه مؤمن لبس الطمـــرا (١)
وكم هالك فى الكافرين عـــداده ** وان كان بين المسلمين حوى قـــبرا
نعم علموا أولادكم كل نافـــع ** من العلم ان العلم أعظم أن يـــزرى
ولا سيما ما فيه تأييـــد دينكـــم ** فاعداؤكم بالعلم قد ملكوا الأمـــرا
أعدوا لهم من قوة ما استطعتـــم ** فلا يقبل الله لاهمالكم عـــذرا
ومن دون علم كيف تحصل قـــوة ** تكف بها عنا من المعتدى الضـــرا
ولكن حفظ الدين شرط محـــتم ** فلا خير فى الدنيا اذا ضاعت الأخرى (٢)
ولا تيأسوا من رحمة الله انكـــم ** متى ما أطعتم ربكم جبر الكســـرا
وهذا الذى ــ من سخطه ــ تشهدونه ** جرائركم زادت فجرت لكم جـــرا (٣)

---

(١) الطمر : الثوب الخلق .

(٢) ليس فى اللغة حتم ــ بتشديد التاء ــ ولكنه خطأ شائع والصواب : محتـــوم
د . سرحان

(٣) الجرائر جمع جريرة وهى الجناية .

وينصركم ان تنصروه بطاعــــة ** بأن تتبعوا من شرعه النهى والأمــر ا
ألم تـهدوه ناصرا عند نصركــم ** له فبترك النصر قد ترك النصــرا
فعودوا بعد ، فهو الكريم وانــه ** اذا اعتذر الجانى له يقبل العــذ را
عسى ولعل الله يأتى بفتحــه ** ويحدث للاسلام من لطفه أمــرا
ألم يشرح الرحمن صدر محمــد ** وأكد أن العسر يستصحب اليسـرا
هنيئا لعبد عاش فى الناس مسلمـا ** ولم يعتقد شركا ولم يعتنق كفـرا
فذاك مليك العصر لوبات طاويـا ** وأمضى جميع العمر فى عيشة غـبرا (١)
فعقباه عند الله جنة عدنــه ** وينسى بحلو الفوز كل الذى صـرا
وآخر خلق الله من كان كافـرا ** وان ملك الدنيا وعاش بها دهــرا
فعقباه فى أخراه أسوأ حالــة ** ومثواه نار الله قد زفرت زفــرا
فيا معشر الاسلام فزتم بحظكــم ** فحمدا لمولاكم وشكرا له شكــرا
ويا معشر الكفار موتوا بغيظكــم ** فما نفعتكم حين ذكرتم الذكــرى (٢)

وفى "رائيته الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغرا" التى بلغــت أبياتها نحو خمسة وعشرين وخمسمائة بيت خصص معظمها فى هجاء جمال الديــن الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا ومحمود شكرى الألوسى والوهابية ، وفى الفصــل الأخير منها ما سماه "حسن الختام بمدح النبى عليه الصلاة والسلام مع التلهــف والتأسف على حالة المسلمين والاسلام" وقد ذكر مدارس النصارى وخطرها على أولاد المسلمين فقال :

أحذر قومى من عداة تألبــوا ** علينا وساموا ديننا الخسف والخسـرا
لقد علموا الاسلام حصنا مشيــدا ** وأنهم لا يظفرون به قهــرا
فساقوا عليه من مدارس غيهــم ** جيوشا بلا حرب بها أحرزوا النصـرا
مدارس فى حكم الكنائس أحكمـت ** أبالسهم فيها الدسائس والمكــرا
موائد علم تحتوى كل مشتهــى ** بها وضعوا سما بها نفثوا سحــرا

(١) العيشة الغبرا عيشة الجوع الشديد فى السنين المجدبة .
(٢) الديوان ص ٣٣٩ـ٣٤٢ .

بها انقلبت أولادنا من عداتنـا ** وخيلت البلوى لنا نعمة كـبرى
وها قد جنى بين الأنام جنائها ** لملتهم من روضها الحنظل المرا[1]

هكذا جند الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله فكره وقلمه في محاربة التبشير المسيحي ومدارسه في بيروت التي هي مركز التبشير في العالم الاسلامي واذا قدرنا الأوضاع الثقافية واتجاهاتها في عصره، نحو كل ما هو أوروبي أو حديث وقد بهرت الناس القوة السياسية والاقتصادية التي لا يدين أصحابها بالاسلام مما جعلهم يقلدون هؤلاء تقليدا ان لم يكن أعمى فقد كان بدون فكر وترو - على حساب دينهم ومعتقداتهم التي لا يزال السواد الأعظم يقدسها ولا يرى غيرها بديلا .

أمام كل هذه المفارقات كان الشيخ يوسف النبهاني يؤدي رسالته التي تعلمها من قريته - اجزم - ومن الأزهر الشريف بكل أمانة واخلاص متحديا كل الصعاب بلا خوف أو تعب ومن هنا ندرك مدى حقد وكراهية النصارى له ، ولعله يقصدهم هم وأعوانهم عندما يشتكي من كثرة أعدائه وما يلحقونه به من ضرر . ولعل المركز الاجتماعي والعلمي الذي يحتله الشيخ يوسف النبهاني - كما يقول الاستاذ نديم الجسر كان أعلى وأرفع من أن يصلوا اليه ولكنهم تمكنوا من الحاق الأذى بولده،[2] محمد شمس الدين الذي لم يعش طويلا بعد وفاة والده ، اذ لم يقض أكثر من أربع سنين حيث دفن بجواره رحمهما الله . ولعل من وجه الغرابة أن أذكر اجتماعي بالمرحوم الأستاذ محمد على الطاهر الصحفي والكاتب الفلسطيني المشهور صاحب جريدة "الشورى" التي كانت تصدر في القاهرة .. أقول لقد اجتمعت به في بيروت في بيته الواقع في شارع "جان دارك" قرب الجامعة الأميريكية وقد بلغ من العمر عتيا ولما سألته عن الشيخ يوسف النبهاني لم أسمع منه - لشدة مرضه - الا قوله" كان ضد النصارى هم يكتبون ضده ، وهو يكتب ضدهم - وقد توفي بعد اجتماعي به بعشرة أيام تقريبا[3] .

---

(١) جنى الزهر والتمر قطعه وجنى الذنب فعله ففي جناتها تورية . الديوان ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(٢) هكذا حدثني الاستاذ أمين النبهاني - أبو نبهان .

(٣) اجتمعت به بتاريخ ١٢ / ١٠ / ١٩٧٤ . رحمه الله .

مدرسة الأفغاني :

لقد احتلت مدرسة الأفغاني مكانا بارزا في شعر الشيخ يوسف النبهاني . وقد كان خلافه مع هذه المدرسة دينيا خالصا فالأفكار التي كانت تنادي بها كانت معاكسة لأفكاره ومبادئه وقد كان من آثار هذا الصراع أن ترك لنا قصيده باسم "الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغراء وقد طبعت هذه القصيدة أربع طبعات في مصر وتونس والمدينة المنورة وقد بلغت أبياتها خمسمئة وخمسين بيتا وجعل لها "خمسة تنبيهات" .

الأول " قال فيه "قد اشتملت هذه الرائية الصغرى على الثناء على الله ورسوله والكتاب والسنة ومدح الأئمة الأربعة ومذاهبهم ومقلديهم وذم هؤلاء المبتدعة الذين جهزهم ابليس في هذا العصر جيشا محاربا للاسلام والمسلمين ، وقد تجاوز بعضهم الى من قبلهم من أئمة الهدى والصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

وأعلم أن هؤلاء المفتونين يدعون الاجتهاد المطلق واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ويرفضون المذاهب الأربعة [1] مع جهلهم المركب وفسقهم المحقق وتهتكهم في أنواع المعاصي في الكبائر والصغائر وسائر الآثام وتركهم ماعدا الشهادتين من أركان الاسلام فلا صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام . ومع كونهم كالأنعام أو أضل من الأنعام يدعي كل واحد منهم أنه من أئمة الاسلام ويدعو الناس الى الاجتهاد في الدين حتى العوام وهم مع كل ذلك لا يتقيدون بالحلال والحرام وانما دينهم كلام في كلام وصارت أحكام الدين عندهم كل ما خطر ببالهم ووافق أغراضهم وجرى على ألسنتهم وأقلامهم من الألفاظ المنمقة والمعاني الملفقة التي تلقفوها من مقالات الفلاسفة وكتاب الفرنجة

---

(١) يقول جمال الدين الأفغاني "... انى لم أعرف في أئمة المذاهب شخصا أعظم مني حتى أسلك طريقته" وعن دعوته الى وحدة الأديان راجع جمال الدين الأفغاني للاستاذ محمد سعيد عبد المجيد ص ٩٣ وراجع جمال الدين الايراني وعبد النعيم حسنين ص ١٩٧ ـ ١٩٨ . وراجع ايضا تاريخ الأستاذ الامام للسيد رشيد رضا ص ح .وراجع أيضا جمال الدين الأفغاني محمود أبو رية ص ١١ .

مما لا يوافق دين الاسلام ولا يقوله من عنده من هذا الدين أدنى كلام فينشرونه في كتبهم وجرائدهم بصفة ترضى اخوانهم مراق المدارس وفساق العوام الذين لا يعبأون بالاسلام ولا بأحكام الاسلام .

وقد يستدلون على غير فهم وعلم ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليوهموا العوام أنهم انما يأخذون من الكتاب والسنة ما يلفقونه في الأحكام فنصحى لكل المسلمين ألا يلتفتوا الى كلامهم وان يعتقدوا أنهم في هذه العصر من أعدى عداة الاسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل ونسأله سبحانه لنا ولجميع المسلمين حسن الختام .

التنبيه الثاني " أن هؤلاء المفتونين الضالين المضلين قد مشوا بيد عنهم على أثر البروتستانت (١) من النصارى الذين يدعون اصلاح دين النصرانية بتركهم العمل بأقوال ائمتهم السابقين والاقتصار على ما في التوراة والانجيل من أحكام الدين وقد أخطأ هؤلاء الطغام بتقليد هم أولئك الأقوام لأن مازاده ائمتهم على التوراة والانجيل ليس له أصل فيهما وانما هو من ترتيب مجامعهم أما ائمة الاسلام فلم يزيدوا على الكتاب والسنة شيئا من عند أنفسهم بل جميع أحكام المذاهب الأربعة اما مأخوذة من صريح الكتاب والسنة وهو أكثر الأحكام أو مستندة الى الاجماع الذي هو مستند اليهما او الى أحدهما او مستندة الى القياس الصحيح عليهما أو على أحدهما فليس هناك

---

(١) ذكر الفرد سكاون بلنت التشابه بين دعوة البروتستانت ودعوة الأفغاني فقال " .... وكان هم الأفغاني في الأستانة أن يطلق العقول من الأغلال التي قيدتها طوال الأجيال الماضية ويقيم الحجة على أن الدين الاسلامي ليس شيئا ميتا ولكنه نظام يصلح للانسانية المتطورة (*) في جميع العصور فهو لا يعادي التطور وكل هذا يماثل ماحدث في احياء المسيحية بأوروبة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر على أن الغريب في شأن الاسلام هو أن يعود الفضل في نشوء روح النقد بين أهله الى رجل تربى في بلاد رجعية كآسية الوسطى وتعلم في جامعة سحيقة كجامعة بخارى (التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر ص ٧٨) راجع أيضا عقد فضيلة الشيخ مصطفى صبرى موازنة بين دعوة الأفغاني ومحمد عبده ودعوة لوثر وكلفن في كتابه (موقف العقل والعلم والعالم في رب العالمين وعباده المرسلين جـ ١ ص ١٤٤ ـ ١٤٥) .

(*) هذه الكلمة ومفرد أنها غير موجوده في اللغة وقد أباحها المجمع اللغوى على غير أساس . د / سرحان .

حكم فى المذاهب الأربعة خارج عن الكتاب والسنة من كل الوجوه ولا يمكن أن يستعملوا القياس الا اذا لم توجد آية أو حديث يصلح للاستدلال .

" التنبيه الثالث " أنا نحمد الله تعالى على أنا لم نكن من هذه الفرقة الضالة المضلة التى حدثت فينا معاشر المسلمين فى هذا العصر فانه لابد من حدوثها تصديقا لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا : آليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ " ففرقة البروتستانت (١) انما حدثت فى النصارى فى نحو ثلاثمائة سنة وسموا أنفسهم المصلحين لدين النصرانية فلابد أن يكون فى المسلمين فرقه تتبعهم فى وصفهم المذكور تصديقا لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فظهر الشيخ جمال الدين الأفغانى أولا ثم تبعه تلاميذه وشرهم الشيخ محمد عبده ثم تلاميذه وشرهم الشيخ رشيد القلمونى ثم كثروا وتفرقوا فى البلاد وسموا أنفسهم المصلحين (٢) وهم أهل الجهل والفساد واعداء الصلاح والاصلاح .

" التنبيه الرابع " يصدق على هؤلاء المفسدين الذين سموا انفسهم المصلحين قوله تعالى فى أوائل سورة البقرة : " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون " . وقد نقل الحافظ السيوطى فى تفسيره " الدر المنثور " ومثله البيضاوى وابن جرير الطبرى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون " فقال لم يجىء أهل هذه الآية بعد انتهى وهى لعمرى آية باهرة ومعجزة ظاهرة مطابقة لما قبلها وما بعدها من الآيات لأوصاف هذه الفرقة الخاسرة وكنت كلما قرأت هذه الآيات يخطر فى بالى أنها موافقة لأوصاف هؤلاء الجماعة المفسدين الذين يزعمون اصلاح الدين فلما راجعت التفسير المذكور ورأيت قول سلمان المسطور تيقنت أنهم هم المرادون وان شملت ما قبلهم ممن

---

(١) اشار الكونت فيليب طرازى الى التشابه بين دعوة مارتن لوثر لاصلاح المسيحية ودعوة محمد عبده لاصلاح الاسلام – راجع تاريخ الصحافة (ج ١ ص ٢٨٩–٢٩٠) علما بان مارتن لوثر قد اعرب عن احتقاره للقرآن الكريم ورفض قراءته عن الفرنسية – راجع مقالا للاستاذ القزازفى مجلة هدى الاسلام العدد من الثالث والرابع مجلد ١٩ ربيع أول وربيع ثانى ١٩٧٥ .

(٢) راجع مجلة الضياء السنة السابعة ص ٩٩٥٩٩–١٩٠٤–١٩٠٥ حيث

يدعون الاصلاح وهم أهل الفساد •

وكما كان ذلك فى وصف المنافقين فى عصر سيد العباد صلى الله عليه وسلم وان كنت لا أحكم على هؤلاء بالكفر وان خالفوا طرق السداد وهم فى ضلالهم درجات الشقى والقريب منه والمغفل القريب من السعيد وان داموا على ماهم عليه فى التلاعب بالأحكام وعداوة أئمة الاسلام فما هم عن الكافرين ببعيد •

" التنبيه الخامس " قد سميت هذه القصيدة بالرائية الصغرى بالنسبة الى قصيدتى الرائية الكبرى المشتملة على ٧٢٥ بيتا وأما هذه فعدة أبياتها ٥٥٣ بيتا وهى تنقسم الى خمسة أقسام وخاتمة •

(القسم الأول) فى الثناء على الله ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم والكتاب والسنة ومدح الأئمة الأربعة ومذاهبهم ومقلديهم وهم أهل السنة السنية فى الأمة المحمدية •

(القسم الثانى) فى وصف المفسد الأول الشيخ جمال الدين الأفغانى وأهل بدعته الذين يدعون الاجتهاد ويسعون فى الأرض الفساد •

(القسم الثالث) فى وصف المفسد الثانى الشيخ محمد عبده المصرى تلميذ الأفغانى وقد سبق شيخه فى طاعة الشيطان وتأييد هذا الشأن فصار عندهم هو الأول وعليه المعول •

(القسم الرابع) فى وصف الشيخ رشيد القلمونى صاحب جريدة " المنار " التى تطبع فى مصر وتنشر بدعهم فى سائر الأقطار وهى أضر جريدة على الاسلام والمسلمين فالمؤسس لها هو الشيخ محمد عبده لنشر ضلاله المبين وتضليله للأولياء والفقهاء والمتكلمين •

اوضحت ما كان ينويه الشيخ محمد عبده من اصلاح الدين الاسلامى وفى توسيع نطاق العلم فى الجامع الأزهر حتى يكون كاحدى الكليات الكبرى فى أوروبة •

(القسم الخامس) فى وصف الوهابية ووصف المجنون المفتون شكرى أفندى الألوسى البغدادى المتلاعب بالمذاهب الاسلامية فانه كبعض أفراد عائلته [١] كانوا شافعيين ثم تحنفوا ثم دخلوا فى مذاهب الوهابية .

(الخاتمة) وهى حسن الختام بمدح النبى عليه الصلاة والسلام مع التلهف والتأسف على حالة المسلمين والاسلام [٢] .

وقد افتتح الشيخ النبهانى رحمه الله قصيدته هذه بقوله :

هو الله لا نحصى لآلائه شكرا ** له الحمد فى الأولى لنا الحمد فى الاخرى [٣]

وكيف نؤديه بشكر حقوقه ** ونعمته بالشكر تستوجب الشكرا

وأشهد أن الله لا رب غيره ** وأن له فى خلقه النفع والضرا

له كل ما قد كان أو هو كائن ** وما لسواه فى الورى ذرة صغرى

ومهما يكن منهم ومهما يكن لهم ** فان له فى ذلك الخلق والأمرا

وكل فعال الفاعلين فعاله ** اذا فعلوا خيرا وان فعلوا شرا

وليس لهم منه سوى كسب فعلهم ** فنالوا به اثما ونالوا به أجرا

وأشهد أن المصطفى خير رسله ** وأعظمهم فضلا وأرفعهم قدرا

محمد المختار من معدن الورى ** كما اختار من بين الحصا الحافق الدرا

وبعد فانى سقت نحو عداته ** عساكر ترديهم وان حسبت شعرا

بامداده أقسامها خمسة أتت ** منظمة قد أحرزت كلها النصرا [٤]

---

(١) كذا وهو خطأ شائع والصواب : اسرة . هـ / سرحان .

(٢) الديوان ص ٤٠٠ ــ ٤٠٢

(٣) الاولى : نعمته .

(٤) الديوان ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠ .

ثم قال من القسم الأول فى مدح الكتاب والسنة والأئمة الأربعة ومذاهبهم رضى الله عنهم :

أتى المصطفى والناس فى ليل غيهم ** فأشرق فى أفق الهدى بينهم بدرا
أتانا بدين فاق حكما وحكمة ** وقد قهر الأديان برهانه قهرا

الى ان يقول :

فما كان معلوما من الدين ظاهرا ** فهمناه لا نحتاج تقليدنا حبرا
وما احتيج فيه لاجتهاد فاننا ** بأحكامه نقفوا أئمتنا الغرا
محمد النعمان احمد مالك ** بحور علوم كم لنا قذفت درا
لطاعة مولاهم وتقواه لازموا ** وصاموا وقاموا داوموا الفكر والذكرا
فعلمهم أحكامه من كتابه ** وأفهمهم من سنة المصطفى السرا
وأشهدهم مالم يرد فيهما معا ** بنورهما قاسوا على قدره قدرا
فأقوالهم منه وليس لهم سوى ** مظاهرهم أجرى بها الله ما أجرى

الى أن يقول :

بهم أمة المختار فى دينها اقتدت ** مذاهبهم للحشر لا تفقد النشرا
رواها بحسن الضبط عنهم أئمة ** وقد ملأوا الأقطار من نشرها عطرا
وما هى الا من شريعة أحمد ** جداول تجرى كل قوم لهم مجرى
وقد أشبه الاسلام بيتا مربعا ** عليها استوى قصرا وقام بها حصرا (1)
مذاهبهم مثل المرايا صقيلة ** بها ارتسم القرآن والسنة الغرا
فأقوالهم آياته وحديثها ** بمعناهما لكن عبارتهم أخرى
قد اقتبسوا من نور أحمد نورهم ** فبان لهم ما فى شريعته أجرى
ومن بعدهم جاءوا بمقدار بعدهم ** عن المصطفى عار الظلام لهم سترا

---

(1) استوى قام وقصرا أى مقصورا عليها وفيه تورية بقصر البناء وهو البيت المرتفع .

وكل امام جاء عنه وصحبة ** لأصحابه ما بينهم لم تزل تقرا
اذا صح قول المصطفى فهو مذهبي ** وما قلته من قبل فارموا به الجدرا
وما زالت الحفاظ من كل مذهب ** تحرره حتى غدا ذهبا نضرا (١)
شريعة خير الخلق شمس منيرة ** وأنوارها قد عمت البر والبحرا
أضاءت بها الأكوان بعد ظلامها ** وكم ذا أمدت من أئمتنا بدرا
لقد أشرقت فيهم وفي كل مؤمن ** وأعطت لكل من أشعتها قدرا
ولكن بقدر القابلية نورها ** يكون قليلا بالمقابل أو نزرا
وهل يستوى أن قابلت بشعاعها ** جواهرهم أو أنها قابلت صخرا
وأجهل خلق الله من قال: انها ** باشراقها ساوت مع الحجر الدرا
وكم من امام (٢) جاء في كل مذهب ** كبير به قد أحرز المذهب الفخرا
وما منهم فرد بدعوى اجتهاده ** سمعنا له في غير مذهبه مسرى
بلى في طريق للولاية واضح ** يجوز بقاء الاجتهاد ولا حجرا
وأما طريق الدرس بالنفي والهوى ** فكم أوصلت للسالكين بها شرا
قد اجتهدوا فيها بحكم نفوسهم ** فنالوا بها منها الكبائر والكبرا
نعم كل قرن يبعث الله فيه من ** يجدد أمر الدين ينصره نصرا
وذلك اما واحد أو جماعة ** بكثرة علم أو بمنقبة أخرى
على الكل من مولاه هتان رحمة ** تمازج منه الروح والجسم والقبرا (٣)

في هذه القصيدة وضح الشيخ النبهاني عقيدته بشأن دعوى الاجتهاد وتقليده للمذاهب الأربعة وصحة الاجتهاد عن طريق الكشف للأولياء فقط حيث ان باب الاجتهاد مغلق ودعوى الاجتهاد هذه أو الأخذ من القرآن والسنة مباشرة هي أهم المآخذ التي أخذها على مدرسة الأفغاني .

والقسم الثاني من رائيته الصغرى قدمه بقوله " القسم الثاني في وصف الشيخ جمال الدين الأفغاني وأهل بدعته الجهلة اللئام الذين يزعمون أنهم

---

(١) الذهب النضر الخالص .

(٢) اشارة الى الامام الغزالي والامام فخر الدين الرازي .

(٣) الديوان ص ٣٥٠ ـ ٣٥٤ .

مصلحون لدين الاسلام يدعون الاجتهاد ويبغون فى الأرض الفساد " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ".

وكم من قرون قد توالت ولم يجل ** يدعوى اجتهاد مطلق عالم فكرا (١)
فكيف ادعاء الجاهلون بعصرنا ** فما أقبح الدعوى وما أفظع الأمرا
وأولهم قد كان شيخا مشردا (٢) ** به ملك الأفغان أجرى الذى أحرى

---

(١) قرون مئات من السنين لم يدع أحد فيها الاجتهاد المطلق حتى ان الامام الغزالى والفخر الرازى وهما من أهل القرن الخامس قد صرح كل منهما بأنه لا يوجد فى عصرهما مجتهد مطلق وقد بسطت الكلام على ذلك فى كتابى " حجة الله على العالمين " ورسالتى " السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة " المذكورة فى أول كتابى " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم الذى لم يؤلف فى معناه مثله . النبهانى .

(٢) مشرد مطرود وذلك ان جمال الدين الأفغانى لما اراد الافساد فى الدين فى بلاد الأفغان طرده ملكها وقد كان يزعم انه من أقربائه فى جهة أخرى يدعى الشرف وملك الأفغان لايدعيه . هذا قبل مجيئه الى الآستانة للمرة الأولى مطرودا من ايران . وهناك أقوال كثيرة فى أن جمال الدين ايرانى شيعى وليس أفغانيا سنيا وقد ذهب الى هذا الشيخ مصطفى عبد الرازق حيث يرى ـ محمد عبده ـ ان جمال الدين وان كان فى الحقيقة فارسيا فقد انتسب الى الأفغان لأمرين :

(١) ان يكون من السهل عليه الظهور بمظهر السنى لا الشيعى .

(٢) ان يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها فى الخارج .

" مجلة العروة الوثقى المقدمة مصطفى عبد الرازق ص ١٨) .

وأشار الى هذا ايضا أرنست رينان الذى تحاور مع جمال الدين فقال : "... ان الشيخ جمال الدين أفغانى متحرر مما علق بالاسلام من أوهام وخرافات وهو من العناصر القوية القلب التى تسكن مرتفعات ايران المجاورة لتخوم الهند حيث تكمن روح الآرية تحت نقاب ضعيف من الاسلام . (كتاب

....

= جمال الدين الأسد أبادى المعروف بالأفغاني ترجمة الدكتور عبد النعيم حسنين ص ١٦٦ – ١٦٧) ، وقد تلقى السيد الأفغاني تعليمه في النجف الأشرف على يد الشيخ مرتضى أثناء زيارته للعتبات مع والده سنة ١٢٦٦هـ وبقى أربع سنوات ثم سافر الى الهند لاستكمال تعليمه وكان عمره ست عشرة سنة ، ثم وصل الى بمباى سنة ١٢٧٠ هـ (جمال الدين الأسد أبادى وعبد النعيم حسنين ص ٦٤) ، كما أن جمال الدين كان يلبس زى علماء الدين الايرانيين طيلة وجوده في ايران ، وقد نشر الدكتور عبد النعيم حسنين في كتابه الذى ترجمه عن الفارسية ومؤلفه ابن أخت جمال الدين وهو ميرازا لطف الله خان ، وفيه يوضح أن جمال الدين ايراني شيعى مولود في قرية أسد أباد وهى معروفة في ايران وليس من قرية أسعد أباد الأفغانية ، وفى هذا الكتاب نشرت صورة لجمال الدين وهو باللباس الايراني مع لفيف من علماء الشيعة بزيهم المعروف وخلفه ابن أخته مؤلف الكتاب المذكور (راجع كتاب جمال الدين الأسد أبادى ص ٧٩) .

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى في كتابه عن (جمال الدين الأفغاني ص ١٣٤) " .... ثم استدعاه ناصر الدين شاه فارس فلبى الدعوة وقصد الى طهران فأستقبله الشاه بصدر رحب وأثنى على فضله وجعله مستشاره الخاص في اصلاح شؤون بلاده ، فكان له نعم المرشد الأمين وكانت لهجته صريحة كعادته في نصح الشاه وأشار عليه بتغيير كل شأن معيب في شؤون الحكومة " وفى ص ١٣٥ يقول " ولما كان معرض باريس لعام ١٨٨٩ رجع جمال الدين اليها وفى عودته منها التقى بالشاه في ميونخ عاصمة بافاريا فأعتذر له عما فرط منه – أى شاه ايران – ودعاه الى صحبته اذ كان يرغب في الانتفاع بعلمه وتجاربه فأجاب الدعوة وسار معه الى فارس وأقام في طهران فحفه علماء فارس وامراؤها وأعيانها بالرعاية والاجلال واستعان به الشاه على اصلاح أحوال المملكة وسن لها القوانين الكفيلة باصلاح شؤونها فعمل بجد فيما عهد اليه ووضع مشروع دستور لفارس يجعلها ملكية دستورية " فلو كان جمال الدين أفغانيا سنيا لما كانت له هذه الصلة بايران وشاهها وكيف يحضر الشاه رجلا سنيا ليصلح المملكة والقوانين والمعروف أن هناك عداء تاريخي مستحكم ثم كيف يلتف رجال الدين الايرانيين حول =

....

= رجل سنى فتكون كلمته مسموعة واشارته مطاعة كل هذا يجعلنا نجزم أن جمال الدين كان ايرانيا شيعيا ويبدو لى من الاهتمام البالغ من جمال الدين بايران وشؤونها أنه كان يرمى الى اقامة دولة شيعية كبرى لذلك ادعى الافغانية وأنه سنى ليكون مسموع الكلمة فى تجواله بين المسلمين لذلك كانت دعوته وأفكاره تغلف بأسلوب فلسفى جدلى وهو ما تمتاز به كتب الشيعة الدينية وقد كان الأفغانى يركز على اللامذهبية لتتساوى المذاهب جميعها فينهدم صرح المذهب السنى بتساويه مع بقية المذاهب المهجورة وقد كان يسعى لان تكون ايران صاحبة السيادة فى العالم الاسلامى فهو يقول " ..... ان ايران مركز الاسلام وان لها حق السيادة طبعا على شرط ألا يحكمها عنصر تركى وأن يكون حكمها بيد أبنائها " .
(جمال الدين الايرانى ص ١٩٦) ويقول جمال الدين أيضا " ..... وليس ببعيد على همم الايرانيين وعلو أفكارهم أن يكونوا أول القائمين بتجديد الوحدة الاسلامية وتقوية الصلات الاسلامية كما قاموا فى بداية الاسلام بنشر علومه وحفظ احكامه وكشف اسراره وما قصروا فى خدمة الشرع الشريف بأى وسيلة ومنهم البخارى ومسلم والنيسابورى والنسائى والترمذى وابن ماجه وأبو داود والبغوى وأبو جعفر البلخى والكلينى وغيرهم وممن أنبتتهم ايران أبو بكر الرازى الطبيب الشهير والامام الفخرى الرازى ممن نشأوا فى طهران ... الخ من العلماء ، ان أهل فارس كانوا من أول القائمين بخدمة اللسان العربى وضبط أصوله وتأسيس فنونه ومنهم سيبويه وأبو على الفارسى والرضا ومنهم عبد القاهر الجرجانى مؤسس علوم البلاغة لبيان اعجاز القرآن وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية .... الخ من علماء اللغة والتصوف والفقه ... فأى فضل كان ولم يكن لهم فيه اليد الطولى وأى مزية من الله من بها على الاسلام ولم يكونوا من السابقين لاقتنائها نعم وفيهم جاء قول النبى صلى الله عليه وسلم "لو كان العلم فى الثريا لناله رجال فارس" فيا أيها الفارسيون تذكروا أياديكم فى العلم وانظروا الى آثاركم فى الاسلام وكونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الاسلامية وقاية انتم بما سبق لكم أحق الناس بالسعى فى استرجاع ما كان لكم من فتوة الاسلام أنتم أجدر المسلمين بوضع أساس للوحدة الاسلامية وما ذلك ببعيد على طيب عناصركم وقوة عزائمكم أظن أنه لا يخفى عليكم أن هذا الوقت هو أحسن الأوقات لندائكم بالوحدة مع الأفغانيين والتحالف =

....

= معهم على العادين لتكونوا بالاتحاد معهم حصنا حصينا وحرزا منيعا تقف دونه أقدام الطامعين » (العروة الوثقى لا انفصام لها العدد الصادر يوم الخميس ١٤ أغسطس ١٨٨٤ ق ٢ ص ١٠٤) .

وقد ذكر الدكتور عبد النعيم حسنين فى مقدمة ترجمته لكتاب ميرز الطف الله خان عن جمال الدين تسعة شواهد تثبت أن جمال الدين ايرانى شيعى (ص ٩ – ٢٩) ، وقد كانت الصفحة الأولى من الكتاب صورة لجمال الدين مكتوبا تحتها " جمال الدين فى زى علماء الشيعة الذى كان يلبسه فى ايران " ومن خلال اطلاعى على ما كتب عن السيد جمال الدين أن الذين قالوا بافغانيته اعتمدوا على مصدر واحد هو الشيخ محمد عبده الذى أخذه من لسان السيد جمال الدين نفسه وليس من مصدر آخر ، كما أنى لا أستبعد أن يكون سبب فتور الملاقات بين السلطان عبد الحميد والسيد جمال الدين هو اكتشاف السلطان لهوية السيد الايرانية الشيعية خصوصا بعد مقتل السلطان ناصر الدين شاه ايران الذى كان للسيد فى قتله اليد الطولى لخلاف سياسى بينهما حيث أرسل خليفته مظفر الدين شاه عريضة موقعة من أعيان قرية أسد أباد الايرانية التى ولد فيها السيد بأنه ايرانى شيعى ، تحريضا للسلطان عبد الحميد عليه وفى مجلة " العرفان " كتب السيد صالح الشهرستانى مقالة عن السيد جمال الدين قال فيها " ..... وانى وان كنت واثقا منذ أن شرعت قبل ما يقرب من ٤٢ سنة فى البحث عن تاريخ حياة هذا العالم المصلح اللبق أى منذ أن نشرت أولى مقالاتى عنه على الصفحات (٥٨ ، ٢٣٥ ، ٤٠٤) من المجلد ٢٤ من مجلة (العرفان) الزاهرة المؤرخ فى سنة ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٣ م نعم تأكدت من مليته الايرانية وأرومته العلوية نتيجة لتحقيقاتى عنه فى العراق وايران وفى مختلف الأسفار والمؤلفات التى بحثتها ولكن خلال هذه السنوات الطويلة تعززت لدى تلك الثقة أكثر وأكثر وزال عن ذهنى بعد ماكان يراودنى أحيانا من الشك فى امكان ما يذهب اليه كثير من الكتاب العرب من تبعية السيد جمال الدين الأفغانى وذلك على أثر زيادة التحقيق والتتبع والاستزادة مما كتبه الباحثون عنه خلال العقود الأخيرة فى القرن العشرين وخاصة بعد اطلاعى مؤخرا على كتاب طبعته جامعة طهران باللغة الفارسية تحت رقم (٨٤١) وباسم مجموعة (أسناد ومدارك =

....

= جاب نشده دربارة سيد جمال الدين مشهور بافغانى) أى مجموعة الوثائق والمستندات غير المطبوعة عن السيد جمال الدين المشتهر بالأفغانى لجامعية الاستاذين الدكتور أسغر مهدوى وأيرج قسار والمطبوع فى مطبعة جامعة طهران سنة ١٣٤٢ هـ مجلة العرفان (٦٥٥) أيار مارس حزيران الموافق ربيع الثانى وجمادى الاولى ١٣٩٤ هـ ص ٥٩٩ ــ ٦٠٠ وقد وجدت فى صفحة ٦٠٠ من العدد نفسه صورة للسيد جمال الدين بالملابس الايرانية الشيعية مع نخبة من العلماء الايرانيين الشيعيين •

ومما يؤيد عندى شيعية جمال الدين الشبهات التى كانت تحوم حول معتقداته وأفكاره التى أراد بها أن يهجن الاسلام فقوبل بالرفض والطرد من علماء الأزهر خصوصا الشيخ عليش والشيخ الشربينى والشيخ يوسف الدجوى وغيرهم وبقى عداء مستحكما بين علماء الأزهر وأتباعه حتى ان جمال الدين نفسه كان يدعو الى الفرعونية الجاهلية •

يقول الأستاذ سليم المنحورى بعد أن وصف المركز الذى وصل اليه الأفغانى بفضل الماسونية : " انكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد وربيتم بحجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين تسومكم حكوماتهم الحيف والجور وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون بل راضون وينتزف قوام حياتكم ومواد غذائكم المجموعة بما يتحلب من عرق جباهكم بالمقرعة والسوط وأنتم فى غفلة معرضون • فلو كان فى عروقكم دم فيه كريات حيوية وفى رؤسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية لما رضيتم بهذا الذل والمسكنة ولما صبرتم على هذه النقمة والخمول ولما قعدتم على الرمضاء وأنتم ضاحكون تناوبتكم أيدى الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والاكراد والمماليك ثم الفرنسيس والعلويين وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ويهيض عظامكم بأداة عسفه وأنتم كالصخرة الملقاة فى الفلاة لاحس لكم ولا صوت انظروا أهرام مصر وهياكل منفيس وآثار طيبة ومشاهد سيوة وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم •

=

....

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ** ان التشبه بالرجال فلاح [(١)]

والسؤال هو هل يصدر مثل هذا الكلام ممن يدعو الى جامعة اسلامية بنية صادقة .

وقد أتخذ الشيخ أبو الهدى اصيادى من ايرانية جمال الدين وسيلة للطعن فيه [(٢)] .

وعلى ايرانية جمال الدين يشهد بروكلمان بذلك فيقول " ... ومهما يكن من أمر فقد كان الاسلام ولا يزال هو المهيمن على الحياة الدينية فى مصر وانما يرجع الفضل فى ذلك فى المحل الأول لتأثير جمال الدين وهو فارسى آثر لأغراض سياسية أن ينتسب الى الأفغان حيث قضى سنى شبابه [(٣)] .

كما كتبت مجلة الاخاء الايرانية التى تصدر فى طهران عدة مواضيع كانت تصرح فى جميعها بايرانيته فتقول " المصلح جمال الدين أسد آبادى المعروف بالأفغانى [(٤)] .

---

(١) كتاب سحرهاروت (من ص ١٨٠ / ١٨٣) .

(٢) راجع كتاب البينات فى الدين والاجتماع والأدب (١ : ١٥١) .

(٣) الاسلام فى القرن التاسع عشر (١٠٢ / ١٠٣) .

(٤) راجع العددين ٤٥١ ، ٤٥٤ من المجلة .

تسمى جمال الدين مع قبح فعلــه ** كما وضعوا لفظ المفازة للصحــرا (١)
يقولون : هذا المصلح الأكبر الــذى ** به صار حكم الدين فى عصرنا يســرا
مذاهب أهل العلم ممن تقدمـــوا ** توافق أحوال الزمان الذى مــرا
وأبدع هذا الشيخ للناس مذهبـــا ** يوافق فى تيسير أحكامه المصــرا (٢)
غدا كل عبد فيه صاحب مذهـــب ** به صار فى الأحكام مجتهدا حــرا
فقد كان تنورا لطوفان غيهـــم ** ولكن محل الماء فار لهم جمــرا
أتى مصر مطرودا فمات بقطرهـــا ** فيا قبحه شيخا ويا حسنه قطـــرا (٤)
وكنت بذاك الحين فيها مجـــاورا ** بأزهرها صاحبت أنجمه الزهــــرا (٥)
بتاريخ ست والثمانين قد تلـــت ** مع المائتين الألف فى الهجرة الغرا

---

(١) وقد سموا الصحراء مفازة تفاؤلا والا فهى مهلكة ومن هذا القبيل تسميـــة هذا الافغانى الضال المضل جمال الدين وهو من أقبح المفسدين فـــى الدين .

(٢) منها تحليله لربا القرض راجع جمال الدين الافغانى عبد الرحمن الرافعى ص ١٦٥ .

(٣) التنور هو الذى يخبز به وقد كان ظهور طوفان نوح عليه السلام من التنـور فجمال الدين هذا بمنزلة التنور لضلال هذه الفرقة ولكنه لم يفر لهم مـــاء وانما فار نارا .

(٤) يقول الاستاذ سليم بك المنجورى " ... وبعد أن اقام فى الهند ردحـا جاء فروق عاصمة الدولة العلية فاتصل بصدرها " أمين عالى باشا " وحظـــى لديه ولما رغب اليه الصدر أن يخطب فى دار الشورى ارتجل خطبه فى الصناعات غالى فيها الى حد ان أدمج النبوه فى عداد الصنائع المعنوية فشغب عليـــه طلبة العلم وشددت عليه صحف الوقت بما الجأ الصدر الى ابعـــاده قصد مكه مجاورا وجاور هناك عاما وبضع عام أخذ فى خلالها مبـــادىء اللسان العربى ثم جاء مصر " كتاب سحر هاروت ص ١٧٨ " .

(٥) كنت مجاورا فى مصر فى الجامع الازهر سنة ١٢٨٦ هـ وهى التى حضر فيهــا جمال الدين الأفغانى الى مصـــر .

حضرت بفقه الشافعى خطيبـــــة ** على شيخ شربين فألفيته بحـــرا[(١)]
وجاء جمال الدين يوما لدرســــه ** فألقى على الأستاذ أسئلة تـترى[(٢)]
ففاضت عليه من معارف شيخنـــا ** سيول أرته علمه عنده قطـــرا
واذ شم منه الشيخ ريح ضلالــه ** والحاده أولاه مع طرده زجــرا[(٣)]
وذاكرته يوما فأخبــر أنــــه ** كأستاذنا لم يلحق فى مصره حبــرا
ومن بعد هذا حاز فى مصر شهـرة ** وألقى دروسا للفلاسف فى مصــرا
وحين أتاه ذلك الحين عبـــده ** وأمثاله أفشى لهم ذلك الســـرا
أسر لهم محو المذاهب كلهـــا ** ليرجع هذا الدين فى زعمه بكــرا[(٤)]

---

(١) شيخ شربينى هو شيخنا الامام العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربينى شيـــخ الجامع الأزهر رحمه اللـــه ٠

(٢) تـــترى متتابعـــة ٠

(٣) الالحاد الميل والعدول عن الحق يقول الاستاذ سليم بك المنحـــــورى " وبرز فى علم الاديان حتى أفضى به ذلك الى الالحاد والقول بقدميــه العالم زاعما ان الجراثيم الحيوية المنتشرة فى الفضاء هى المكونة بتــــرق وتحويرطبيعيين ٠٠٠٠ وان القول بوجود محرك أول حكيم وهما نشأ عـــن ترقى الانسان فى تعظيم المعبود على حسب ترقيه فى المعقولات " (كتاب سحر هاروت ص ١٧٦) ٠

(٤) كتب فضيلة الشيخ محمد زاهد الكوثرى مقالا بعنوان " اللامذهبية قنطـــرة اللادينية " وبين كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدرب أصحابه على الفتوى وأن العلوم التى انتشرت بين الناس عن أصحاب الرسول فى الآفاق هى من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ثم وضح تداخل المذاهب الأربعة وتلقيهم العلم عن بعضهم ومنهجية كل واحد منهم ثم قال " فمذاهـــب تكون بهذا التأسيس وهذا الدعم اذا لقيت فى آخر الزمن متزعما فى الشرع يدعو الى التمذهب بها باجتهاد جديد يقيمه مقامها محاولا دعم امامتــه باللامذهبية بدون أصل يبنى عليه غير شهوة الظهور تبقى تلك المذاهـــب وتابعوها فى حيرة بماذا يحق أن يلقب من عنده مثل هذه الهواجـــس والوساوس أهو مجنون مكشوف الأمر غلط من لم يقده الى مستشفى المجاذيب =

....

ـــ أم مذبذب بين الفريقين يختلف أهل المقول في عده من عقلاء المجانين أو مجانين العقلاء ؟؟ ، بدأنا منذ مدة نسمع مثل هذه النعرة من أناس هم في حاجة شديدة ـ على ما أرى ـ الى الكشف عن عقولهم بمعرفة الطبيب الشرعي قبل الالتفات الى مزاعمهم في الاجتهاد الشرعي القاضي ـ في زعمهم ـ على اجتهادات المجتهدين فعلى تقدير ثبوت أن عندهم بعض العقل فلا بد أن يكونوا من صنائع هذا الدين الحنيف ممن لهم غاية ملعونة ترمي الى تشتيت اتجاه الأمة الاسلامية في شؤون دينهم ودنياهم تشتيتا يؤدى بهم الى التناحر والتنابذ والتشاحن والتنابز يوما بعد يوم بعد اخاء مديد استمر بينهم منذ بزغت شمس الاسلام الى اليوم ٠٠٠٠٠ فاذا تم لدعاة النعرة الحديثة قصر الاجتهاد على شخص واحد من أبناء العهد الحديث بمؤهلات غير مألوفة وتمكنوا من ابادة المذاهب المدونة في الاسلام لهؤلاء الأئمة الاعلام ومن حمل الجماهير على الانصياع لآراء ذلك الشخص يتم لهم ما يريدون ولكن الذي يتغنى بحرية الرأي على الاطلاق بكل وسيلة كيف يستقيم له منع الطامحين من أبناء الزمن الى الاجتهاد أم كيف يجيز املاء ما يريد أن يمليه من الاراء على الجماهير مرغمين فاقدي الحرية أم كيف يبيح داعي الحرية المطلقة حرمان الجماهير المساكين المقلدين من حرية تخير مجتهد يتابعونه باعتبار تعويلهم عليه في دينه وعلمه في عهد النور ؟ ولم يسبق لهذا الحجر مثيل في عهد الظلمات وهذا محال لا أستطيع الجواب عنه ٠ وقصارى القول أنك اذا قمت بدرس أحوال القائمين بتلك النعرة الخبيثة وجدتهم لا يألفون المألوف ولا يعرفون المعروف أعمت شهوة الظهور بصائرهم حتى تراهم يصادقون المتألبين على الشرف المسكين فنعرتهم هذه ما هي الا نعيق الالحاد المنبعث عن أهل الفساد فيجب على أهل الشأن أن يسعوا في تعرف مصدر الخطر واطفاء الشرور وليست هذه الدعوة المنكرة سوى قنطرة اللادينية السائدة في بلاد أخرى منيت بالالحاد وكتبت لها التعاسة والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين ، والعاقل من اتعظ بغيره والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (١) ٠

---

(١) مقالات الكوثري (ص ١٢٩ / ١٣٧) ٠

فلم يلف منهم غير خل موافـــق * * سميع له قولا مطيع لـه أمـــرا
فسا ق على الاسلام منهم حجا فـــلا * * يرى فرقة سارت فيتبعها أخـرى (١)
أغاروا على الاسلام فى كل بلـــدة * * فما تركوا نجدا وما تركوا غـورا
شياطين بين المسلمين ففرقـــوا * * باغوائهم كم أفسدوا جاهلا غمرا (٢)
قد اختصروا بالجهل دين محمـــد * * وما تركوا من عشر احكامه العشـرا
لقد زعموا اصلاحه بفسادهـــم * * وكم حملوه من ضلالاتهم اصـرا (٣)
كفئران قصر أفسدت فيه جهدهـــا * * ترى نفسها قد أصلحت ذلك القصرا
فما بالهم لا يصلحون نفوسهـــم * * أما هى بالاصلاح من غيرها أحرى ؟
وقد جاء فى القرآن ذكر فسادهـــم * * وزعمهم الاصلاح فى السورة الزهرا (٤)

---

(١) ناقش الشيخ مصطفى صبرى الاستاذ محمد فريد وجدى فيما كتبه فى مجلـة الازهر من التشكيك فى صحة النبوة دون شبهات وانها ضرب من ضـروب العبقرية وان الاله هو الاثير الذى فى الجو راجع موقف العقل والعلـم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ص ١١٧ ـ ١٢٤ ج ٢ .

(٢) الغمر : الجاهـل .

(٣) الاصر : الثقـل .

(٤) قال الله تعالى فى سورة البقرة " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض " الآية نقل السيوطى فى تفسير " الدر المنثور " عن سلمان الفارسى رضى الله عنـه أنه سئل عن هؤلاء القوم فقال لم يأتوا بعد وذكر ذلك البيضاوى فـى تفسيره وقال الشهاب فى حاشيته انه نقله عن تفسير ابن جرير الطبـرى قلت ـ أى النبهانى ـ لا شك أن المنافقين المذكورين فى هذه الآيـات السابقة واللاحقة والخوارج الذين خرجوا على سيدنا على وغيره من أئمـة الاسلام متصفون بهذه الأوصاف الذميمة الا أنهم لم يدعوا أنهـم مصلحون لدين الاسلام ويلقبوا أنفسهم بهذا اللقب مثل هذه الفرقـة الضالة فرقة جمال الدين الأفغانى ـ ومحمد عبده المصرى وتسمية هؤلاء أنفسهم المصلحين تبعوا فيها فرقة البرتستانت النصرانية فانهم سمـوا أنفسهم المصلحين لدين النصارى بتركهم العمل بما زاد على التـوراة والانجيل ورفضهم كلام أئمة النصارى الأقدمين أصحاب المجامع ==

....

= وغيرهم فتبعهم من المسلمين هؤلاء الضالون فرفضوا مذاهب أئمة الاسلام وادعوا الاجتهاد المطلق وأنهم قادرون على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة مع أنهم من أجهل الجهال في دين الله وأفسق الفساق ، ولكنهم كانوا مظهرا لمعنى هذه الآية القرآنية بعد أربعة عشر قرنا من نزولها ، كما أنهم كانوا مظهرا لتصديق قوله صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا : اليهود والنصارى ، قال فمن ؟ صلى الله عليه وسلم فهذا الحديث الصحيح ينطبق على هذه الفرقة الضالة تمام الانطباق .

وفى دره المنثور سلمان قائـــــل * * هم بعد لم يأتوا فخسرا لهم خسرا
وها هم أتونا مثل ما قال ربنـــا * * بأوصافهم فأعجب لها أية كبرى (١)
خوارج لكن شيخهم غير نافــع * * ولكنه قد كان أزرق مغبـــرا (٢)
بفعل البروستنت اقتدوا باجتهادهم * * لقول رسول الله لو دخلوا جحـرا
أولئك قد الفوا زوائد دينهـــم * * وقد ضللوا فى ذلك القس والحبرا
قد اجتهدوا فى دينهم حينما رأوا * * مجامعهم زادته فى نكره نكـرا (٣)
ومهما يكن عذر لهم فى اجتهادهـم * * فمجتهدونا اليوم قد فقدوا العذرا
ومع كونهم مثل البروستنت فارقـوا * * أئمتهم كل غدا عالما حبـــرا
فقد قلدوا أهل المجامع منهـــم * * بمؤتمر للبحث فى الدين فى مصرا (٤)

---

(١) ها هم أتونا : أسلوب خاطئ ، وصوابه : هاهم أولاء ٠ د /سوحان

(٢) خوارج أى مثل الخوارج الذين خرجوا على الامام على وغيره من أئمة الاسـلام السابقين غير أن أولئك الخوارج كان من رؤسائهم نافع بن الازرق وهـؤلاء شيخهم غير نافع ففع نافع تورية ، وكذلك فى أزرق والمراد بالازرق شديـد السمرة مع الغبرة وهكذا كان لون جمال الدين الافغانى ومحمد عبده المصرى يصلح أن يطلق على كل واحد منها الأسود السالخ وهو اسم الحيـــة ٠

(٣) مجامعهم هى أن ملوكهم السابقين كقسطنطين كانوا يجمعون علماء دينهـم فيتذاكرون ويزيدون فيه وينقصون منه على حسب أهوائهم وأغراض ملوكهم ٠

(٤) وقد تبعوا النصارى أصحاب المجامع بتشكيل جمعية فى عهد قريب فى مصر وسموها المؤتمر الدينى ليبحثوا فيه عما يرونه لتحسين دين الاسلام بزعمهـم فى الزيادة والنقص وكان تشكيل هذا المؤتمر سبع وعشرين وثلاثمائة وألـف هجرية وخدعوا شيخ الازهر الاستاذ العلامة الكبير سليم البشرى فجعلـوه رئيسا لهم ولكن الله تعالى لم يجمع قلوبهم على الاجتماع فيه فلم يجتمعـوا ولكنهم فى عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف قلدوا البروتستانت وتبعوا أثرهم بتشكيل جمعية سموها جمعية الدعوة والارشاد ، لترسل مبشريـــن ==

به سنن القوم النصارى تتبعوا	* *	على الاثر لم يعدوا ذراعا ولا شبرا
فلله در المصطفى سيد الورى	* *	فقد طابقت أخباره كلها الخبرا
أمن بعد قول الله أكملت دينكم	* *	يريدون فى الاسلام أن يحدثوا أمرا ؟
يقولون لا نرى كتابا وسنة	* *	ونتبع زيدا فى الديانة أو عمرا (١)
وذلك حق قصدهم فيه باطل	* *	وخير كلام قد أرادوا به شرا
أرادوا به من جهلهم بنفوسهم	* *	لترفع دعوى الاجتهاد لهم قدرا
فصارت جميع الناس ساخرة بهم	* *	كما يدعى الحجام سلطنة كبرى
وما أخذت كل المذاهب عندنا	* *	بغير كتاب الله والسنة الغرا (٢)

= يدعون الناس الى دين الاسلام مثل المبشرين الذين يرسلهم البروتستانت يدعون الناس لدين النصارى وجعلوا لهذه الجمعية مدرسة لتعليم كيفية هذا الارشاد وأركان هذه الجمعية هم رشيد رضا صاحب جريدة المنار واخوانه المجتهدون أصحاب هذا الدين الجديد الذى يرفض المذاهب الاربعة الاسلامية وكلهم من تلاميذ الشيخ محمد عبده وعلى مذهبه ومشربه ولذلك لا نأمل أن يقدر الله على يدهم خيرا للاسلام والمسلمين وان كان يوجد فيها أخيار ولكنهم بالنسبة الى أولئك قليل ، ويكفيك دلالة على صحة ذلك أن نفوذ الشيخ رشيد فى هذه الجمعية أكثر منهم جميعا ولو أخليت هذه الجمعية منهم لرجونا خيرها ولكان يترتب عليها خير عظيم لو كان أهلها من أهل السنة والجماعة اتباع المذاهب الاربعة والسر الباطن فى تشكيل هذه الجمعية من هؤلاء والله أعلم — هو أن يتبعوا البرتستانت فى جميع أعمالهم ، ومن أهمها بعد استقلالهم فى دينهم تشكيل مدارسهم لاضلال التلاميذ وارسال المبشرين لدعوة الناس لدينهم فقام هؤلاء من المسلمين وقلدوهم بذلك ومشوا على أثرهم فيه لتحصيل تمام المشاكلة والمشابهة بين الفريقين وبذلك يتبين تمام مطابقة الحديث الصحيح لهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن من قبلكم " وقد سهل على هؤلاء المبتدعين تقليد البروتستانت ولم يسهل عليهم تقليد أئمة المذاهب الاربعة كما أنهم سهل عليهم تقليد أئمة اخوان الشياطين مثل محمد عبده وجمال الدين ولم يسهل عليهم تقليد أئمة الأمة المحمدية بأسرها منذ أكثر من ألف سنة .

(١) راجع تاريخ الأستاذ الامام ص ح .

(٢) قال الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٤ — ٢٤٧ بسنده الى ابن كرامة =

فكل دعاوى الاجتهاد نردها ** ونرمى بها بحرا ونرمى بها برا
وما يدعيه اليوم غير حثالة ** بأسفل حوض العلم كدرت المجرى
قد اجتهدوا أن لا تكاليف عندهم ** فصاروا اباحيين لانهى لا أمرا
فيفعل فى الاحكام فعل دوابه ** اذا أطلقت من دون قيد الى الصحرا
وقد جاوزوا أطوارهم ودوابهم ** على حالها ما جاوزت مثلهم طورا
فما قط شاهدنا حمارا مسابقا ** جوادا وتيسا صارع الليث والنمرا[1]
وهم لو تعدوا ألف طور ومثلها ** حدودا وأطوارا لما جاوزوا القمرا
يقولون انا كالائمة كلنا ** رجال وما زادوا على أحد ظفرا
وقد أخطأوا أين الثريا من الثرى ؟ ** وما لبغاث الطير أن يشبه النسرا
نعم مثلهم وزنا بوزن وصورة ** على صورة كالترب قد أشبه التبرا
ولو ثم مرآت يرون نفوسهم ** بها لرأوها بين أهل النهى ذرا[2]
يقولون أغنانا كتاب وسنة ** ولم يبقيا فينا لغيرهما فقرا
وفى الالف منهم ليس يوجد حافظ ** لجزء حديث قل أو سورة تقرا
وما قرؤه منهما عن جهالة ** فلا فاهم معنى ولا عالم سرا
تراهم اباحيين أو هم نظيرهم ** اذا كنت عن اسرارهم تكشف الستر
وكل امرىء لا يستحى فى جداله ** من الكذب والتلفيق مهما أتى نكرا
فمن قال صلوا قال قائلهم له ** يجوز لنا فى البيت نجمعها قصرا

= قال كنا عند وكيع يوما فقال رجل أخطأ أبو حنيفة فقال وكيع كيف يقدر أبوحنيفه ان يخطىء ومعه مثل أبى يوسف وزفر فى قياسهما ومثل يحيى بن أبى زائدة وحفص ابن غياث وحيان ومندل فى حفظهم الحديث والقاسم بن معن فى معرفته باللغة العربية وداود الطائى وفضيل بن عياض فى زهدهما وورعهما ومن كان هؤلاء جلساءه لم يكد يخطىء لانه ان أخطأ ردوه ـ مقالات الكوثرى ص ١٣٢ .

(١) كذا والصواب : ولا تيسا ، وسيأتى

فلم نر نورا زاحم الأسد قبله ** ولا حدأة من قبله زاحمت نسرا

وهو الاسلوب الصحيح لانه يجب تكرار حرف النفى ، ويظهر أنها ضرورة الشعر .

(٢) الذر صغار النمل .

وان قيل لا تشرب يقول شربتها ** بقصد الشفا أو قال ليس اسمها خمرا[1]
فيجهر كل المعاصى مجادلا ** بما نفث الشيطان فى قلبه سرا
وفى الالف منهم واحد ربما أتى ** مساجدنا لكن اذا كان مضطرا
واخبرنى من لا أشك بصدقه ** بأن قد رأى من بال منهم بلا استبرا
ولازمه حتى أتى بعد مسجدا ** فصلى ولم يحدث من الحدث الطهرا
وآخر منهم قد أقام صلاته ** بدون اغتسال مع جنابته الكبرى
على وجه كل من ظلام علامة ** به عرفت من لم يكن يعرف الأمرا ؟
بهم غربة الدين استبانت بمصرنا ** فيا قبحهم قوما ويا قبحه عصرا
يقولون عصر النور فيه تنوروا ** ولكنه من نورة تحلق الشعرا[2]
وقد حلقت ايمانهم من قلوبهم ** فما تركت من نور ايمانهم أثرا
معادن سوء يتقى المرء شرهم ** يجاملهم جهرا ويلعنهم سرا
ومجلب مغناطيس الحادهم لهم ** من الناس لعنات وان لعنوا الغيرا[3]
ذئاب على الاسلام صالوا وما اكتفوا ** بأنيابهم حتى به انشبوا الظفرا
مقاريض اعراض بالسنة لهم ** حداد بها قد اشبهوا الجرذ والفأرا[4]

---

(١) يقول الاستاذ سليم بك المنحورى عن عادات السيد الافغانى فى طعامه وشرابه " .... واذا تعاطى مسكرا فقليلا من الكونياك " كتاب سحر هاروت ص ١٨٥ .

(٢) قال فى المصباح النورة بضم النون حجر الكلس ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرنيخ وغيره تستعمل لازالة الشعر وتنور اطلى بالنورة .

(٣) ناقش الشيخ مصطفى صبرى ما نشره الاستاذ محمد فريد وجدى فى الاهرام من أن نوابغ الكتاب والشعراء فى البلاد الاسلامية يستبطنون الالحاد ، ويهيئون الاذهان لقبوله دسا فى مقالاتهم وقصائدهم (موقف العقل والعلم ص ٩٩ ـ ١٠٠ ج ١) .

(٤) الجرذ : بضم الجيم وفتح الراء التى سكنت هنا لضرورة الشعر .
د /سرحان

واني وان أحكم لظاهر حالهم * * باسلامهم بالقول لا أكفل السرا [١]
ففي وجه كل قد بدا من ظلامه * * دخان يريننا أن في قلبه جمرا
ولم أجتمع والله منهم بواحد * * وذاكرته الا وددت له القبرا
ولم استمع دعواه الا مقته * * والا قرأت الحمق في وجهه سطرا
وأعداؤهم من بيننا كل عالم * * ولا سيما ان كان في فقهه بحرا
وان كان مشهور الولاية ضمنت * * جوانحهم من بغضة الحصة الكبرى
على ديننا ساقوا كتائب كتبهم * * وفي حربه جاءت جرائدهم تترى
فيا أمة الاسلام يا خير أمة * * بسبيل الهدى تقفو أئمتها الغرا
الا فاحذروا الأسد الضوارى مرة * * ومن هؤلاء المارقين احذروا عشرا
مجاذيم من داء الضلالة كلهم * * فما أحد من دائه أبدا يبرا
تجارت بهم أهواؤهم كالذى جرى * * به كلب يعدى اذا نهش الغيرا
وهم كل يوم في ازدياد كأنهم * * أبالسة بالحك قد ولدت أخرى [٢]
كأسنان مشط كلهم في ضلالهم * * فلا أحد يبدى على أحد فخرا
ولا تائب منهم وهل ثم توبة * * وهم لا يرون الوزر في نفسه وزرا
أجاهدهم ما دمت حيا فان أمت * * تركت لهم جيشين نظمى والنثرا
ولست أبالى ان أفز بجهادهم * * اذا فاتني فتح لرومية الكبرى [٣]

---

(١) الى مثل معنى هذا البيت يقول الاستاذ سليم بك المنحورى " ... ومنذ ذلك الوقت - أى اخراجه من مصر مطرودا - احتجبت عن المؤلف سليم بك المنحورى - اخباره حتى ظهرت فى باريس صحيفة العروة الوثقى موسومة باسمه وموشاه بقلم دهقان رجاله الشيخ محمد عبده فعلم من منزعها أنه عاود الاستمساك بالدين الحنيف وجنح الى نهج خطة جديدة تكسبه ميل العالم الاسلامى ورضاءه عنه . (سحر هاروت ص ١٨٤) .

(٢) أبالسة جمع ابليس وقد ورد أنه يحك فخذه بفخذه يتولد من ذلك أبالسة

(٣) ورد فى الحديث الشريف أن المهدى فى آخر الزمان يفتح رومية الكبرى (الديوان ص ٣٥٤ - ٣٦٥) .

((القسم الثالث فى وصف شيخهم الثانى الشيخ محمد عبده تلميذ الأفغانى وقد سبق شيخه فى طاعة الشيطان وتأييد هذا الشأن فصار عندهم هو الاول وعليه فى بدعهم المعمول)) .

لهم شيخ سوء من بنى القبط أصله * * بمحنته الشوهاء نسبته تقرا
على قلبه ساد الهوى فهو عبده * * وقد سكن الشيطان من رأسه وكرا
أبو مرة فى مصر أحرز امرة * * فصير عيش المسلمين بها مرا (١)
أبو جهل هذا العصر قد صار مفتيا * * بمصر فأحيا الجاهلية فى مصرا
جرئ على الفتوى بحق وباطل * * بحكم الهوى والجهل ما شاء أجرى (٢)
وليس بعلم الفقه يلحق محضرا * * وان راح يعدو خلفه أبدا حضرا (٣)
ومع جهله فى ديننا وعلومه * * يرى نفسه أعلى ائمته قدرا (٤)
فنون جنون الجاهلين كثيرة * * وأقبحها قرد يرى نفسه بدرا
لسان له كالثور لف نباته * * ولكنه بالجهل قد غلب الثورا
فلم نر ثورا زاحم الأسد قبله * * ولا حدأة من قبله زاحمت نسرا (٥)
تولع بالدنيا وصير دينه * * اليها على ما فيه من خفة جسرا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن * * يسارا سعى يعدو اليها من اليسرى

---

(١) ابو مره كنية ابليس والامرة هنا الافتاء .

(٢) " الشيخ محمد عبده مصلح جرئ حاول الهدم والبناء فى اقدس هيكل عند البشر فيما يعتبره الناس دينا " العروة الوثقى ص ٣٣ ؛

(٣) المحضر هو خادم القضاة الذى يرسلونه لطلب الاخصام والحضر هو شدة العدو .

(٤) راجع المسائل الكافية ص ١٢١ .

(٥) راجع هامش ص ٤١٣ رقم (١) .

فمن جهة يدعى الامام ويقتـــدى * * بأعمال أهل الكفر من جهة أخرى (١)

يذم خيار المسلمين وعندمـــا * * يرى حاجة للكفر يستحسن الكفـرا

لكيما يقال الشيخ حـر ضميـره * * فيبلغ عند القوم مرتبة كبـرى (٢)

أتى لبلاد الشام أيام نفيـــه * * فاثبت فيها من ضلالته بـذرا (٣)

---

(١) ناقش الشيخ مصطفى صبرى سبب اشتهار الشيخ محمد عبده فقال "... وفى الحقيقة ماذا يمكن أن يكون سبب اشتهار الشيخ من بين علماء مصر واستحقاقه لدوام الصحف والمجلات فى الاشادة باسمه هل هو عدم سلوكه الطريقة العلمية كغيره فى الدفاع عن الدين وعدم نجاحه فيه لهذا السبب كما ذكره هيكل باشا أو كونه متهما فى دينه والاول غير معقول جدا أن يكون سببا لاشتهار أحد من العلماء وامتيازه على غيره فتعين الثانى .

ولا تقل غير معقول أيضا أن يكون اتهام الرجل فى دينه مزية له ومنقبة أدت الى ارتفاع درجته عند الناس اذ لا تستبعد كونها مزية له عند الذين يعدون هذه التهمة حرية وهم المتغلبون فى زماننا وقد قال فضيلة الاستاذ المراغى شيخ الازهر فى خطبه ألقاها بمناسبة الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده يوم ١١ يونيه ١٩٤١ نقلا عن الامام الغزالى " استغفر كل من بالكفر لا يعرف والضلال لا يوصف " وكان هذا القول من الشيخ الخطيب بعد كلام عن الاتهام المعروف الموجه نحو الشيخ المحتفل بذكراه" موقف العقل والعلم والعالم ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) راجع التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر الفريد بلنت ص ٨١ .

(٣) كانت الحكومة المصرية قد نفت الشيخ محمد عبده من القطر المصرى فجاء الى بلاد الشام وأقام فيها عدة سنوات تمكن فى أثنائها من بذر ضلاله فى نفوس الجهال من أبناء المدارس وطلبة العلم وكان ينتقل من بلد الى بلد فأثر تأثيرا سيئا ، وكان قد نفى من علماء مصر العاملين وصلحائها الكاملين الشيخ محمد عبد الجواد وأخوه الشيخ أحمد فسكنوا فى بيروت كالشيخ محمد عبده فأقبل على هذين الاخوين الصالحين جمهور المسلمين اقبالا عظيما ونفروا من الشيخ محمد عبده نفورا كبيرا وكان معروفا عندهم بعدم التقوى فلا يزالون =

بها باض بيضا كان ابليس حاضنا * * له فسمت افراخه تتبع الاثـــرا
وعاد الى مصر فأحدث مذهبا * * ولوث من اقذاره ذلك القطـــرا (١)

= يعترضون على أفعاله وأحواله المخالفة للدين ... ومع ذلك أقبل عليه فساق المسلمين ومراقهم وغير المسلمين من الدروز والنصارى والمبتدعين فصار يحبهم ويحبونه وهكذا أصحابه فى مصر " لم نسمع برجل صالح وقعت بينه وبينه أدنى محبة وقد أجمع كل الناس على اختلاف الملل والنحل أنه وشيخه الافغانى وجميع تلاميذه ومحبيه لم يكن أحد منهم من صلحاء المسلمين بمعنى الصلاح المعروف فى دين الاسلام من العمل بالفرائض والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات وهو وهم جميعا لا يعدون الصلاح فى العالم وغيره منقبة بل بالعكس ينسبون الصلحاء الى الغفلة وقلة العقل ولا يرون لهم أدنى مزية ، ولذلك ترى جماعته يبالغون فى الثناء عليه ويجعلونه فريد العصر مع مشاهدتهم تركه الصلاة والصوم والحج وغير ذلك من فرائض الاسلام مع شربه الخمر ومعاشرته لنساء النصارى وغير ذلك من المحرمات وقد تمكن بدهائه وقوة شيطانه أن يرسخ فى أذهانهم استحسان الفسوق والمروق من الدين واستقباح الصلاح واتباع سبيل المؤمنين ولذلك لا تجد أحدا منهم ملازما للصلوات مثابرا على الطاعات تاركا لأنواع الفسوق والمحرمات فهؤلاء هم الذين يدعون الاجتهاد ومن لا يدعيه من المسلمين معدود عندهم من المغفلين الاوغاد ولا يعجبهم الا أمثالهم أهل الزيغ والفساد والتاركون لشرائع الاسلام المجاهرون بالفسق والزندقة والالحاد ومع كل هذا يعتقدون فى أنفسهم أنهم على الحق وجميع الأمة من أهل المذاهب الاربعة على الباطل فالحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به هؤلاء اللئام الذين كاد بهم الشيطان فى هذا الزمان المسلمين والاسلام .

(١) أحدث : أوجد ، وفيه تورية بأحداث من الحدث بمعنى نقض الطهارة بنحو بول أو غائط .

وأيد أعداء البلاد بسميه * * وأوهم أهل الجهل أن بهم خيرا (1)

---

(١) فى هذا البيت والخمسة الابيات التى تليه يشير الشيخ النبهانى الى صلة الشيخ محمد عبده بالانجليز ومحاباته لهم .

وهنا أذكر ما جاء فى التقارير التى كانت القنصلية البريطانية فى القاهرة ترفعها عما يجرى من أحداث داخل القطر الى حكومتها فى لندن .

جاء فى تقرير سنة ١٩٠٥ ص ١٥ تحت عنوان فقره ٧ " الشيخ محمد عبده " فى خلال العام الماضى اختفت شخصية عظيمة من مسرح الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر وذلك بموت الشيخ محمد عبده وأحب أن أسجل هنا اعتقادى الراسخ بأن موته المبكر كان خسارة كبرى لمصر وحين وصلت الى القاهرة فى سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده فى محنة فقد كان أحد زعماء الحركة العرابية وقد عفا عنه الخديوى السابق بما جبل عليه من فطرة طيبة وقد أدى عمله القضائى بأمانة وكفاءة وفى عام ١٨٩٩ ارتقى لشغل منصب مهم وهو وظيفة (المفتى) فكان لمعرفته العميقة بالشريعة الاسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة (Lightend) أثرها فى جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى ويمكننى أن أشير هنا على سبيل المثال الى الوجهة التى اختارها حين ثارت مشكلة صناديق التوفير وتساءل الناس ان كان الاسلام يبيح للمسلمين استثمار أموالهم فيها فقد استطاع الشيخ محمد عبده وقتذاك أن يقترح طريقا يمكنهم من ذلك دون اخلال بالشريعة الاسلامية ... والأيام وحدها هى التى ستكشف عما اذا كانت الآراء التى تعتنقها المدرسة التى تزعمها الشيخ محمد عبده سوف تستطيع التسرب الى المجتمع الاسلامى وأنا شديد الرجاء فى أن تنجح فى اكتساب الانصار تدريجيا ... وان اتباعه ليستحقون أن يعاونوا بكل ما هو مستطاع من عطف الأوربى وتشجيعه " .

ويقول فى موضع آخر : وأنا أوافق موافقة تامة على اشارة السير مالكولم ماكلريث فى شأن الضربة القاسية التى عوقت طريق الاصلاحات التى من هذا =

....

= النوع ـ اصلاح المحاكم الشرعية ـ بموت الشيخ محمد عبده ، وقد أشرت في موضع سابق من هذا التقرير الى ما أنجزه هذا الرجل الممتاز من خدمات

وفي مكان آخر يتكلم عن الوطنية في مصر فيقول " انه شديد الاقتناع بأن الامل ضعيف أو معدوم في هذه الوطنية كما يفهمها الحزب الوطني " ثم يقول : وقبل أن أنهي الكلام عن الحركة الوطنية المصرية أحب أن أشير الى مسألة أخرى الى جانب هؤلاء الذين يدعون لأنفسهم صفة الوطنية توجد جماعة أخرى من المصريين الذين لا يتمتعون بمثل شهرة الفريق الاول ، ولكنهم يقلون عن منافسيهم استحقاقا لهذه الصفة على الرغم من اختلافهم معهم في المنهج الفكري وفي أسلوب العمل وهذه الجماعة الصغيرة العدد والآخذة في الازدياد هي الحزب الذي يمكن أن أسميه على سبيل الاختصار بأتباع المفتي الاخير الشيخ محمد عبده وقد أشرت مرارا في تقريراتي السابقة الى المبادىء التي تنادي بها هذه الجماعة المصرية وفكرتهم الأساسية تقوم على اصلاح النظم الاسلامية المختلفة دون اخلال بالقواعد الأساسية للعقيدة الاسلامية فهم وطنيون حقا بمعنى أنهم راغبون في ترقية مصالح مواطنيهم واخوانهم في الدين لكنهم غير متأثرين بدعوة الجامعة الاسلامية ويتضمن برنامجهم ـ ان كنت قد فهمته حق الفهم ـ التعاون مع الاوربيين لا معارضتهم في ادخال المدنية الغربية الى بلادهم والامل الاساسي في الوطنية المصرية بالمعنى الوحيد الذي يمكن أن يكون صحيحا وعلميا يكون في تقديري في أولئك اللذين ينتمون الى هذا الحزب ، لذلك عين منذ وقت قريب أحد الأعضاء الممتازين من هذا الفريق وهو سعد زغلول باشا " وزيرا للمعارف " .

Reports by His Majesty's agent and consul - general on the finances adminstrations and condition of Egypt and the Sudan.

تعريب الدكتور محمد محمد حسين

London printed for his majest's stationary by office by Harrison and sons, st Marstin's lane printers in ordinary to his majesty.

وقد حصلت على الترجمة من الدكتور محمد حسين نفسه .

....

= ولقد أثارت شخصية محمد عبده وتلاميذه سعد زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين كثيرا من الشبهات حولها منها ما أثاره الدكتور على سامى النشار فى محاضراته على طلبة جامعة الاسكندرية ودار العلوم فعارضه الدكتور عثمان أمين الذى يقدس الشيخ محمد عبده وقد سجل الاستاذ محمد عطيه خميس وقائع هذه المعارضة على صفحات مجلة صوت الاسلام العدد ١٤٠ـ ٢١ يونيه ١٩٦٢ م ثم اشترك الاستاذ العقاد فى الدفاع عن الشيخ محمد عبده وهجم على الدكتور النشار وتصدى له كاتب آخر بتوقيع ناقد هجم العقاد ومحمد عبده وعثمان أمين .

راجع أيضا " نظرة عابرة " للشيخ محمد زاهر الكوثرى ص ١١ ـ ١٢ حيث تكلم عن أثر الانجليز فى العفو عن الشيخ محمد عبده من نفيه وفى ترقيته لمنصب القضاء والافتاء وصلته باللورد كرومر .

يحسن بين الناس قبح فعالهم * * ومهما أساءوا راح يلتمس العذرا
بمقدار ما خان البلاد وما أتى * * لاعدائها نصحا علا عندهم قدرا (١)
ولم يقتنع منهم بدنيا استفادها * * ولكنه قد شارك القوم في الاخرى
وأحدث بين المسلمين نظيرهم * * برستنت صاروا مثلهم فرقة أخرى (٢)
ونال بجاه القوم في الناس رتبة * * بها حاز فيمن شاء النفع والضرا
فأصلى رجال العلم من كل مذهب * * بنار فساد منه قد قذفت جمرا
فمن رهبة أو رغبة كم سعى له * * طغام من الجهال اكسبهم خسرا (٣)
وألقى لهم درسا يخالف حكمه * * بازهرها المعمور دين أبي الزهرا
وقد ضل في القرآن مع عظم نوره * * كما خبطت عشواء في الليلة القمرا (٤)

---

(١) قال صاحب الاعلام الشرقية : ولما صدر العفو عن المترجم وعاد الي مصر قال اللورد كرومر في كتابه " مصر الحديثة " ان العفو صدر عن الشيخ محمد عبده بسبب الضغط البريطاني وكان أهم غرض له من الاصلاح اصلاح العقيده والمؤسسات الاسلامية (ص ٦٨) أما السيد رشيد رضا فيرجع الفضل في العفو عن الشيخ محمد عبده من منفاه الى احمد مختار باشا ولا ينكر وساطه كرومر أيضا (تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٨٩٤ ـ ٨٩٥) .

(٢) يقول مستر بلنت " ... وبينت أصل الاسلام ومفاخره وتدهوره الظاهرى بالتدهور الذى خيل للناس أنه استولى على المسيحية منذ أربعمائة سنة والذى قد تلافاه الاسلام كما تلافته المسيحية في الاصلاح الدينى وتحرير أفكارها من قيود التقاليد الضيقة التى أوقفت تطورها وعرقلت تقدمها وقد شرحت الآراء كما تعلمتها من الشيخ محمد عبده أستاذ المدرسة الجديدة الحرة وتوسلت الى مواطنى بكل ما فيهم من خير أن يعطفوا على آمال احرار المسلمين ويؤيدوهم ضد الرجعيين ذوى المكائد والتعصب الأعمى والذين يلجأون في آخر الأمر الى حل مشكلاتهم بحد السيوف . (التاريخ السرى لمصر ص ٩٢) .

(٣) الطغام أوغاد الناس وادنياؤهم الواحد والجمع فيه سواء .

(٤) ذكر الشيخ مصطفى صبري قولا لمحمد عبده وهو " ان وجود شي في القرآن ـ

فتفسيره من رأيه ليس خاليـــا * * فاما يرى فسقا واما يرى كفـــرا[١]
أحذر كل الناس من كتب دينـــه * * وبالرد والاعراض تفسيره أحـــرى
وساوس أوحتها اليه أباليـــس * * بها يجد المراق ان عذلوا عـــذرا
عقيدته من قبحها مثل وجهـــه * * تشاهد فى مرآة ملتنا الغبـــرا
وأقواله مثل السراب بقيعـــة * * بظاهرها قد تخدع الجاهل الغرا[٢]
به برزت حسناء فى شر منبـــت * * كما نبتت فى الدمنة البقلة الخضـرا

= لا يقتضى صحته " وقوله لرشيد رضا هو " ان المعجزات شبهة لا حجـــة " راجع كتاب (موقف العقل والعلم والدين من رب العالمين وعباده المرسليـن ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨) .

(١) يقول الشيخ زاهد الكوثرى " .... وتعويله ـ محمد عبده ـ على أهـــل الكلام واعتماده على الرأى فى الافتاء والتفسير طول حياته وليس عنده من علـم متن الحديث ورجال الحديث وعلل الحديث ما يمكنه من الجولان فى ميـــدان البت فى بالرواية بالرواية " (مقالات الكوثرى ص ٣٧٤) . وعن منزلتـــه العلمية أيضا يقول الشيخ محمد بن يوسف الكافى " ... ولقد أخطـــأ الشيخ محمد عبده خمس مرات فيما كتبه فى هذا الموضوع ، حيث انه يقـــرر أنه لا وجود للشيطان حقيقة وانما هى خلجان فى النفس وشعور فى القلـــب ، خطأ ينزه عنه صغار الطلبة والشيخ لم يكن متميزا على غيره فى شىء يذكـــر الا الانشاء وطلاقة اللسان ومهما مع ما حصل له فى آخر عمره من توليته المناصب المحتاج الى صاحبها اشتهر صيته واغتر بذلك من لا علم له بحقيقة أمـــره والا فأهل مكة أدرى بشعابها المسائل الكافية ص ١٢١ .

(٢) القيعة هى القاع وهو المستوى من الارض .

يرى لفتى تيمية بابتداعه ** وزلاته فى الدين منقبة كبرى[1]

---

(١) يقول الشيخ يوسف الدجوى فى رسالة بعثها الى الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٨ هـ " ... وقد أنكر - ابن تيمية - حديث الزيارة وهو صحيح كما أوضح ذلك السبكى فى " شفاء السقام " الى غير ذلك مع أنه من الحفاظ وأشهر شىء فى مزاياه هو أنه محدث ولكنه التسرع يذهب النفس ويشدها والمجازفة تعمى عين البصيرة وتفقأ بصر العقل على أنى أعترف بأن لابن تيمية وابن القيم حسنات كبرى ومحاسن عظمى ومواقف مشهورة ومساعى مشكورة وتحقيقات دقيقة ومباحث أنيقة . وانه ليجب على العالم المنصف ألا تحجبه السيئات عن الحسنات ولا الحسنات عن السيئات والانسان مجمع الغرائب والعجائب ومحل المتضادات والتناقضات وأرجو أن تعذرنى فقد هاج حفيظتنا واستثار الكامن منا ما نراه الان من أولئك الزعانف الذين يدعون الاجتهاد وقد رددوا صدى مقال امامهم ابن تيمية واكثروا من ذكر الكتاب والسنة وهم أبعد الناس عنهما واخلاهما منهما ولو عقلوا لعلموا أنهم مقلدة ابن تيمية على غير هدى ولا بصيرة فهم أعظم الناس جهلا وأكبرهم دعوى يعادون المسلمين ويكفرون المؤمنين ولا غرو فقد كفر اسلافهم من الخوارج على بن أبى طالب رضى الله عنه .... وأما الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فهو غنى عن الثناء والاطراء ، وأكبر من الاسهاب والاطناب ، وقد رأيناه فى حاشية العقائد العضدية يسابق عبد الحكيم فيكاد يسبقه ولكننا نعجب له وقد تربى تلك التربية العقلية الفلسفية كيف يسير وراء كل ناعق من الاوربيين فيردد صدى صوته بلا نقد ولا تمحيص وقد يكون ذلك عندهم فى محل الظن والتخمين أو الفرض والتقدير وربما أول له الآيات الصريحة أو السنة الصحيحة قبل أن يقام عليه البرهان أو يبارح محل الاستحسان ، ولعمرى ان هذا يمثل الضعف الانسانى اكبر تمثيل ويحقق أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وأن الانسان خلق ضعيفا ، ولا داعى لأن نفيض فى بيان تلك الآراء ففى المنار =

ولكنه لم يتبعه بزهـــــده * * وأقواله الحسنا وخيراته الأخـــرى [١]
يماشر نسوان النصارى ولا يــرى * * بذلك من بأس وان كشفوا الستـرا [٢]
ويأكل معهم كـل ما يأكلونـــه * * ويشربها حمراء ان شاء أو صفـــرا
ويفتي بحل المسكرات جميعهـــا * * اذا هي بالأسماء خالفت الخمـــرا

= منها شيء كثير واراني قد اطلت أو أمللت ولكنها نفثة مصدور فلنكتف بهـــذا سائلين الله أن يكثر من أمثالك المجاهدين المخلصين " (كلمة في السلفيـــة الحاضرة ص ٥ ـ ٧) .

(١) راجع ماكتبه الشيخ النبهاني في " العقود اللؤلؤية " معترفا لابن تيميـــة بالفضل والورع مع ما أخذه عليه في نقاط كثيرة " العقود اللؤلؤية ص ٤٠٥ " .

(٢) الذى أعلمه من حال الشيخ محمد عبده وكل من عرفه يعلمه كذلك أنه حيـــن كان في بيروت منفيا كان كثير المخالطة للنصارى والزيارة لهم في بيوتهـــم والاختلاط مع نسائهم بدون تستر ، وهذا مما يعلمه كل من عرف حالـــه في هذه البلاد فضلا عن أسفاره المشهورة الى بلاد أوربية واختلاطـــه بنساء الافرنج ، وارتكابه المنكرات من شرب الخمر وأكل المنخنقة وترك الصلوات ولم يدع هو نفسه الصلاح ولا توهمه فيه فكيف يكون قدوة في دين الاســـلام نعم هو امام للفساق والمراق مثله ولذلك تراهم على شاكلته لا حج ولا صـــوم ولا صلاة ولا غيرها من شرائع الاسلام [١] .

---

(١) هذا كلام صريح في التحامل ، ولا يمكن لمن عنده مسكة من عقل أن يصدقـــه ويؤسفني جد الأسف أن يصل التطاول والتنابذ الى هذا الحد .
د / سرحان

وأكل مخنوقا ويفتى بحلـــــه * * لئلا يقولوا : انه ارتكب الـــوزرا
وتحليله لبس البرانيط والربـــا * * به بعض أهل العلم قد الحق الكفرا(١)

---

(١) " طلب العلامة الشبراملسى مرارا مناظرة الشيخ ونشرها على صفحات الجرائـد فى المسائل الثلاث التى أباحها الشيخ الحل للميته ولبس البرنيطة والربـــا القانونى فلم يستطيع أن يقابله ، وهذه سنة كل من يريد الظهور وهو خلـو مما يريد الظهور به " (راجع المسائل الكافية محمد بن يوسف الكافـــى ص ١٢٣) وراجع تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ حيث أكـد السيد رشيد محاربة الامام للثورة العرابية فى كل مجال خصوصا فى القســم الادبى من الوقائع المصرية التى رأس تحريرها وفى ص ١٤٩ يقول رشيد رضا " ... وقد قال الامام لعرابى مرارا كثيرة عليك بالهدوء والسكينة وأنـــا أضمن لك أكثر مما تطلب فى بضع سنين ونهاه بعد ذلك عن محاربة الانجليـز " وفى الصفحة نفسها يقول : " انتهت الثورة العرابية بالاحتلال الانجليـزى " وقبض على زعمائها والقوا فى غيابة السجن ليحاكموا فيقتلوا تقتيلا ، وجمــل الفقيد منهم لأمر ما " ليت السيد رشيد رضا وضح لنا العبارة الأخيـــرة ولعل فيما حدث للاستاذ الامام بعد النفى ما يلقى الضوء على الموضوع اذ أنه أول من عاد من جميع المنفيين حيث توسطت له الأميرة نازلى حليم لدى اللـورد كرومر الذى بمساعدته عين فى منصب مفتى القطر المصرى وزادت صلاتـــه بالانجليز وثوقا ، ويقول الاستاذ أحمد أمين " انكشف الغطاء وظهـــر العداء ودبرت المؤامرات ودست الدسائس وكلما أمعن الخديوى فى ذلـــك اضطر الشيخ محمد عبده الى كثرة الاتصال بالانجليز وكلما اتصل زاد غضـب الخديوى حتى لقد هم الخديوى بعزله عن الافتاء فصرح اللورد كرومر " أنــه لا يوافق على عزله من منصب الافتاء مهما كانت الأحوال ما دام موجـــودا ، (زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ص ٣٢٠) .

ويقول الدكتور فيليب حتى " .... وكان الجو الفكرى فى مصر فى آخـر القرن التاسع عشر قد أصبح ملائما لاستقبال الأفكار الجديدة وانمائهـــا وذلك بتأثير الكتابات والخطب التى كان يذيعها المصلح الحر الشيخ محمـــد عبده وكان قد بلغ أعلى مركز دينى فى البلاد ـ مركز مفتى الديار المصريـة ـ =

وكم زار باريزا ولندرة ولم * * يزر مكة يوما ولا طيبة الغرا

وان كان يوما للرياء مصليا * * يرى فاعلا يوما وتاركها شهرا

فمن قال كالكلب العقور فصادق * * سنوى أنه فى الدين قد فعل العقرا (١)

وقد كنت فى لبنان يوما صحبته * * لقرب غروب الشمس فى صحوة كبرى (٢)

وصليت فرض الظهر والعصر بعده * * لديه وما صلى هو الظهر والعصرا

وكان صحيح الجسم لا عذر عنده * * بلى ان ضعف الدين كان له عذرا

ومع كل هذا فهو أستاذ عصره * * فأف له شيخا وأف له عصرا (٣)

---

(١) عقره جرحه .

(٢) قد دعانى رجل من أهل جبل لبنان سنة خمس وثلاثمائة وألف هجرية الى بيته فتوجهت معه فوجدت هناك الشيخ محمد عبده فتصاحبنا من الصباح الى المساء لم أفارقه نهارا كاملا فصليت الظهر والعصر وهو لم يصل ظهرا ولا عصرا ولم يكن به علة ولا عذر الا خوفه من أنه اذا صلى بحضورى يقول أولئك الحاضرون الذين كان لا يصلى أمامهم انه صراء فى هذه الصلاة لأجلى فغلب عليه شيطانه وأصر على عدم الصلاة والا فقد بلغنى عنه أنه كان يصلى تارة ويترك تارة والترك أكثر .

(٣) " .... وكان من مضار الشيخ - محمد عبده - بالاسلام وعلمائه ، أن الناشئين بعده من حملة الأقلام بمصر المنحرفين عن الثقافة الاسلامية لما أكبروا الشيخ وآراءه الشاذة - التى انتقدتها فى هذا الكتاب وأوجدوا له من السمعة العلمية السامية مالا يزال طنينه فى أذن الشرق الاسلامى - ولا شك فى تأييد القوة الماسونية له - كان ذلك حثا للذين يحبون الشهرة والظهور من شباب العلماء وكهولهم على نيل ما أرادوه بوساطة الشذوذ فى الرأى والتزلف الى الكتاب المتفرنجين بل الانتهاء الى الماسونية (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين مصطفى صبرى ج ١ ص ١٣٤) .

ويقول أيضا " ..... أما النهضة الاصلاحية المنسوبة الى الشيخ محمد عبده من أنه زعزع الازهر عن جموده على الدين فقرب كثيرا من =

....

= وكان محمد عبده قد تتلمذ على جمال الدين الأفغانى وكان محمد عبده لا يرى أى تناقض أساسى بين الاسلام والعلم الحديث ولقد فسر بعض الآيات القرآنية تفسيرا عقليا وأوضح قصور الطريقة المدرسية الاسلامية وبينما كان جمال يقول بالثورة السياسية لتحقيق الاصلاح المنشود كان محمد عبده يرى أن اليقظة الدينية هى التى تحققه وقد ساهم كلاهما أكثر من أى كاتب عصرى فى تمزيق ثوب المحافظة والرجعية الذى التف به الاسلام منذ العصور الوسطى .... وهو أول من هجم بعنف على تعدد الزوجات والطلاق والحجاب . (تاريخ العرب مطول د . فيليب حتى ص ٨٨٨) وترجم له صاحب الاعلام الشرقية فقال وفى الفتاوى والمسائل العلمية المهمة كان ينكر الوسيلة ويحلل الموقوذة ويسوغ لبس القبعة ويجيز ربح صناديق التوفير ويحاول الاجتهاد ويفسر القرآن على غير طريق السلف وبسبب هذه الفتاوى رد عليه كثير من مشاهير العلماء فى مصر " (راجع الاعلام الشرقية ص ٦٩) .كما حامت شبهات أخرى حول الشيخ محمد عبده يقول الاستاذ عثمان أمين " ..... فلا عجب أن نراه فى بيروت يسعى الى توكيد روابط الود بين أهل الأديان الثلاثة السائدة فى الشرق العربى وقد حانت الفرصة لذلك حين جاء الى سوريا " مرزا باقر " الفارسى الذى كان قد عرفه الشيخ محمد عبده فى باريس اثناء الاشتغال بتحرير العروة الوثقى .واتصل محمد عبده فى بيروت ببعض الشخصيات المعروفة بالاهتمام بالشؤون العامة. والف هو ومرزا باقر جمعية سرية سياسية دينية ، غرضها التأليف بين الاسلام والمسيحية واليهودية والعمل على اقامة الوئام بين أهل هذه الاديان والتعاون على ازالة ضغط الغرب على الشرق وانضم الى تلك الجمعية" مؤيد الملك " أحد وزراء ايران ،و"حسن خان " مستشار السفارة الايرانية فى الآستانة كما انضم اليها بعض الانجليز واليهود " محمد عبده للاستاذ عثمان أمين ص١٠٣ـ ١٠٤ .

ومن هذه الشبهات ما ذكره الاستاذ عثمان أمين حيث يقول "وكان طبيعيا ـ وقد اتصل المجاور الأزهرى بتلك الشخصية القوية الجذابة ـ أن يفتتن بها وأن ينساق الى الطريق التى رسمتها له: فلابدع اذن أن نرى اللاهوتى الشاب الذى كان يناصر فى "العقيدة المحمدية" أراء السنيين والاشاعرة ـ وهم يمثلون حزب المحافظين فى الاسلام ـ لا يتردد الآن فى التحول عن تلك الطريق واذا به فى "الحاشية على شرح العقائد العضوية" ينقلب مناصرا المعتزلة والعقليين وجميع النظار من الاحرار والمتسامحين " المرجع السابق ص ٢٥ .

وقبل غروب الشمس صاحب شيخه * * لقرب العشا أيام جاورت في مصرا (١)
حكى الحسن بن الأسطواني وهو من * * بدور الهدى في الشام أكرم به بدرا (٢)
حكى أنه من بعد ما مات عبده * * رأى عينه في النوم مطموسة عورا
فأولت أن الشيخ دجال عصره * * وما زال دجالا وان سكن القبرا
فقد مات لكن أحيت الدجل كتبه * * وورث كلا من تلاميذه قدرا
وهم كلهم والشيخ أيضا وشيخه * * الى الأعور الدجال نسبتهم تدرى
ولولا حديث المصطفى لأسامة * * يقول به هلا شققت له الصدرا
لما صحت الدعوى باسلام بعضهم * * لدى وما استبعدت عن بعضهم كفرا
وكنت كتبت الكاف والفاء بعدها * * على جبهات القوم كى يعرفوا والرا
كما جاء في الدجال يكتب لفظها * * فيقرأ من يقرأ ومن لم يكن يقرأ
فقد أشبهوه في معان كثيرة * * من الدجل والالحاد والبدع الأخرى

= الازهريين الى اللادينيين خطوات ولم يقرب اللادينيين الى الدين خطوة واحدة وهو الذى أدخل الماسونية فى الأزهر " بوساطة شيخه جمال الدين الأفغانى " (المرجع السابق ج ١ ص ١٣٣) .

(١) اجتمعت فى مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وألف هجرية بالشيخ جمال الدين الأفغانى وانا مجاور ولازمته من قبل الغروب الى قرب العشاء فلم يصل المغرب وتحققت أنه كان تارك صلاة ويصلى فى بعض الأحيان . والغالب عليه الترك كتلميذه الشيخ محمد عبده وفرقته كلهم تاركون الصلاة ولا أظن أنه يوجد منهم واحد مداوم على صلاته وقليل منهم يصلى تارة ويتركها تارة أخرى .

(٢) أخبرنى العالم العامل الصوفى الكامل الشيخ حسن أفندى الأسطوانى خطيب الجامع الأموى فى دمشق الشام وهو من المداومين على حج بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام فى كل عام بأنه رأى فى منامه الشيخ محمد عبده بعد وفاته أعور العين ففسرت رؤياه بأن ذلك لكونه من أعظم الممهدين فى هذا العصر للأعور الدجال .

وما الفرق الا أنهم فى قلوبهـــــم ** عما هم ودجال الورى عينه عـــورا
تقدم فيها نائبا عنــه عبــده ** فأغوى الذى أغوى وأغرى الذى أغـرى
فويل له ويل لمن يتبعونــــه ** ومن كان من اعدائهم فله البشرى (١)

((القسم الرابع فى وصف رشيد رضا صاحب جريدة المنار التى تطبع فى مصر وتنشر بدعهم فى سائر الأقطار ومؤسسها محمد عبــده كبير هؤلاء الأشــرار)) .

وأما رشيد ذو المنــار فانــه ** أقلهم عقلا وأكثرهــم شـــرا
أتانى ببيروت بشــرخ شبابــه ** بمقلته السودا ووجنتـه الحمـرا (٢)
له لحية مقصوصة مــن جذورهــا ** تترجم عنه ان فى نفســه أمــــرا
وكان ولى الأمــر عنــدى جالســا ** نصوحى جزاه الله عن نصحه خيــرا (٣)
فوبخــه مستقبحا ما أتــى بــه ** وأبدى له من سخطه النظر الشــزرا
وأفعاله تبدى قبيــح ضلالــه ** وتكشف عن مكنون الحاده الستـــرا
وأطواره فى حكمها قد تناقضــت ** بحكم هواه كل وقت ترى طـــورا

---

(١) الديوان ص ٣٦٥ ـ ٣٧٤ .

(٢) المقلة شحمة العين التى تجمع البياض والسواد والوجنة ما ارتفع مـــن الخديـــن .

(٣) ولـى الأمـر هو نصوحى بك الذى كان واليـا فى بيـروت .

فكم ذا أراد النصب فى درس جامـــع * * فأولاء أرباب التقى الخفض والجــرا (١)
وكم قام يتلو فى الكنيسة خطبـــــه * * بها تاب عن قس وعانقه جهــــرا (٢)
وكم قام فى وسط المجامع خاطبـــا * * وقد مزج الايمان بالخلط والكفـــرا
له كجمال الدين نسبه كـــاذب * * بها زاد فى طنبوره نغمة أخــرى (٣)

---

(١) النصب يطلق فى اصلاح الناس على الاحتيال والكذب للحصول على شـــئ من الدنيا ، ويقال لفاعله نصاب ، وهكذا الشيخ محمد عبده وشيخــــه وتلاميذه جميعا ولا سيما هذا السفيه رشيد رضا كلهم نصابون اتخذوا دينهــم لهوا ولعبا وباعوه بعرض قليل من الدنيا قاتلهم الله أنى يوءفكون والخفــــض خفض المنزلة وجر الشئ سحبه وفى هذه الثلاثة تورية بالنصب والخفض والجـــر ولم يكن من أرباب التقوى فقد هجم عليه المسلمون فى جامع سيدنا الحسيـــن فى مصر حينما سمعوا منه ألفاظا شنيعة فى حقه رضى الله عنه وكادوا يفتكـــون به لولا هروبه وكذلك وقع له فى الجامع الأموى مثل ذلك وكادوا يفتكون بـــه لولا أن خلصه منهم بعض الحاضرين وأخرجه من دمشق الشام ليلا ، فذهـــب الى قريته واختفى فيها ثم هرب الى مصر من البلاد الشامية لما حصل لــــه فى طرابلس من الضرب والجرح وفى دمشق الشام من الهيجان العظيــــم والطرد الأليـــم .

(٢) خطب فى كنيسة من كنائس مصر وصارت طوائف المسلمين تلعنه على هـــذه الخطبة وهو لا يبالى " اذا قل دين المرء قل حياوءه " ولم تر فرقة مـــن أهل البدع أقل حياء من هذه الفرقة وهو ممتاز بينهم بذلك .

(٣) زعم جمال الدين الأفغانى أنه شريف كما زعم هذا الرجل وكلاهما كـــاذب ولا دليل لواحد منهمـــا على صحة ما قاله سوى مجرد دعواه وهـــوءلاء الجماعة هم من أكذب الناس ولا عدالة لهم ولا يوثق بأخبارهم مطلقـــا ولا تقبل شهادتهم فى حق غيرهم فضلا عن أنفسهم وحاشا أن يخرج مـــن السلالة الطاهرة هكذا أوغاد من أهل الضلال والالحـــاد .

وقد سمعت أذناى قول ابن عمه * * مجيبا بأن لا نسبة لهم تدرى [1]
وهذا منار السوء مرآة مجده * * وقد أظهرت فى موضع الشرف الشرا
أتى مصر مطرودا وقد خان دينه * * ودولته يا لهف قلبى على مصرا
أتاها وقد مس الثرى فى بلاده * * من الجوع لا بِرّا حواه ولا بُرّا
فآواه فى أكنافه الشيخ عبده * * وأشبعه خبزا وأشبعه خسرا
وهذا منار السوء أسسه له * * ولقنه التضليل سطرا تلا سطرا
غدا ناشرا فيه ضلالات شيخه * * كما نشر الزراع فى أرضه البمرا
فغذى بهاتيك النجاسات معشرا * * بدون عقول خمنوا بمرها تمرا
وكم ضل رأيا من سقامة فهمه * * بأمر صحيح من شريعتنا الغرا
ولو سأل الاشياخ أدرك سره * * ولكنه مع جهله قد حوى كبرا
ومنه حديث الشمس بعد غروبها * * فتسجد تحت العرش تستأذن السيرا
بآخر شهر الصوم من عام سبعة * * وعشرين قد أبدى المنار له ذكرا
رواه الامامان البخارى ومسلم * * فصحته كالشمس قد طلعت ظهرا
وما شك فى صدق الحديث وانما * * وأى خبر المختار ما طابق الخُبرا [2]
وصرح فيه أنه غير واقع * * وأن رسول الله لم يعرف الأمرا [3]

---

(١) زارنى فى بيروت ابن عم الشيخ رشيد من قرية قلمون التابعة لطرابلس فسألته هل هم ينتسبون الى الشرف فقال ليس لهم نسبه وقد غاب عنى اسمه الآن وهو قد كان بينه وبين الشيخ رشيد دعوى تتعلق بامامة جامع تلك القرية ووقفه تغلب عليه الشيخ رشيد رضا وأبوه مدة من الزمن ثم استرجعه فعارضوه فى ذلك .

(٢) الخُبر بالضم العلم بالشيء .

(٣) يقول الشيخ يوسف النبهانى بعد أن ذكر قصة انكار السيد رشيد رضا لسجود الشمس (.... وأزيد هنا أن ما قاله صلى الله عليه وسلم فى سجود الشمس هو مثل قوله تعالى فى سورة الحج " ألم ترى أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من =

فهل بعد ذا التكذيب يحتاج كفره * * اثباته بين الورى حجة أخرى
واذ كان لم يؤمن بأمر مغيب * * بدنيا فأولى أن يكذب بالأخرى
وفى جزء شعبان من العام نفسه * * ببيروت للاسلام قد جوز الكفرا
أباح لهم أن يعبدوا بكنيسة * * عبادة أهليها بمدرسة كبرى
وقلده من لم يبالوا بدينهم * * لكيما يقول الناس ان لهم عذرا
فيا أمة الهادى لقد طال صبركم * * على فاجر بالدين والمصطفى أزرى
ويا أهل مصر كيف صار عدوه * * يكذبه ما بين أظهركم جهرا
وعهدى بكم للدين أسدا فما الذى * * لكم قد جرى حتى تهيبتم الهرا
ألا غيرة كالشام أشكركم بها * * فلست أؤدى ما حييت لهم شكرا
طرابلس من غيظها بسمت له * * كما أظهر الضرغام من غيظه البشرا
وقد برقت كالسيف أرجاؤها له * * فجاءته بعد البرق صاعقة كبرى
وساق الفاروق من نسل بنته * * مقدم قوم كاد يسكنه القبرا[1]
على رأسه انصبت عصاه كأنها * * قناة له شقت وأجرت به نهرا
عليه سطا كالليث شتت جمعه * * ففروا جميعا عنه اذ سمعوا الزأرا
وأدماه منه فتكه عمرية * * أراد بها ذاك الهزبر له زجرا

= مكرم ان الله يفعل ما يشاء[2] ، وقد ورد نحو ذلك فى عدة آيات فلا حاجة للاطالة بذكرها كما قالوه فى تفسير هذه الاية من معنى السجود هو معنى السجود فى الحديث الشريف من أنه الخضوع أو غيره واذا كان قوله هذا صلى الله عليه وسلم عند هذا الضال المضل مخالفا للواقع المشاهد فكذلك قوله تعالى هو عنده مخالف للواقع المشاهد لانه مثله بدون أدنى فرق أعوذ بالله من غضب الله وقد ثبت بذلك جهله العظيم وكفره الوخيم بتكذيبه هذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فكيف بعد هذا يجوز سكوتكم عليه يا أهل مصر وعلى مناره وقد صلاكم بنار ضلاله وناره ويجب على الاستاذ الاعظم شيخ الازهر أن يخصص جمعية من العلماء بترتيب مجلة وظيفتها المحاماه عن الاسلام والرد على كل من تعرض له بسوء من الكفرة والمبتدعة اللئام (العقود اللؤلؤية ص ٦ ـ ٧) .

(١) الفاروق سيدنا عمر رضى الله عنه ومن نسله ابن المقدم من أعيان طرابلس الشام =

(٢) هذا نوع من المجاز المرسل الذى علاقته الاطلاق والتقييد .

أراد بها ايقاظه من سباتـــه * * وكان بخمر العجب ممتلئا سكـرا
أراد بها تحذيره مـن ضلالـه * * فكانت له من عظم شقوته أغـرا
وجاء دمشق الشام من بعد يبتغى * * دراسة شوك قد توهمه بـرا
أتى المسجد المعمور ينشر فرشه * * وقد طبق الارجاء من أرهـه جـأرا
وكان بها من تونس الغرب صالح * * شريف فلما فاه ألقمه فهـرا[1]
محا ظلمات الغى نور بيانـه * * وأخمد من نيران الحاده الجمـرا
رماه بسهم من كنانة علمـه * * فخار ومن أعلى منصته خـرا
وأولاه من آل الخطيب خطيبهم * * فتى العلم عبد القادر الصدمة الاخرى[2]

= وهو سبط الولى الشهير العارف بالله شيخنا الشيخ على العمرى رحمه الله وقد نسيت الان اسمه جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

(١) حضر درس ذلك المبتدع جماعة من علماء الشام لينظروا ماذا يقول فلما خرج عن الجادة تصدى له العلامة الامام أحمد جهابذة الاسلام السيد الشريف الشيخ صالح أفندى التونسى وكان مقيما فى الشام وقتئذ مشغولا بنشر العلم وهو الآن فى القسطنطينية يقرأ الدروس ويطيب بتحقيقاته النفوس ويتعقب أهل البدع الذين يدعون الاجتهاد ويسعون فى الأرض الفساد .

(٢) آل الخطيب هم من أفضل بيوت العلم فى دمشق الشام يتوارثونه كابرا عن كابر وهم أشراف من السلالة القادرية . والشيخ عبد القادر هذا هو من أنجب نجبائهم وأفضل علمائهم وهو من أفاضل الشبان أصحاب الهمم العلية الذين تفتخر بهم الشام فى هذا العصر ، فقد خاطر بنفسه مرارا لتأييد هذا الدين المبين والذب عن شريعة جده سيد المرسلين فى مقابلة الزنادقة والمبتدعين فوقاه الله شرورهم وألقى كيدهم فى نحورهم .

جزى الله أهل الشام خير جزائـــه * * وتاب على من تابعوا ذلك الميرا (١)
وجاء الى حمص فخاب وأرسلـت * * اليه حماة ان أتى أرضها النـذرا
فعاد الى مثواه فـى قلمونـة * * ومن خوفه كالضب قد لزم الجحـرا
فكانت له فى عمره شـر رحلـة * * بها بين تجار الهدى ربح الخسـرا
وعاد الى مصر من الشام هاربـا * * ينفض عن اعطافه الموت والذعـرا
ومن نحو عام جاءنـى فنصحتـه * * كما تنصح الثعبان أو تنصح الفـأرا
وذاكرته فى شيخه وهو عبـده * * تملكه الشيطان عن قومه قسـرا
فقلت له لو كابن سينـا زعمتـم * * وعالم فاراب وأرفعهم قـدرا
لقلنا لكم حقا وان كان باطـلا * * ولم نر فى هذا على ديننا ضـرا
ولكنكم مع تركه الحج مـرة * * وحج لباريز ولندرة عشـرا
ومع تركه فرض الصلاة ولم يكـن * * يسر بذا بل كان يتركها جهـرا
ومع كونه شيخ المسون مجاهـرا * * بذلك لا يخفى أخوتهم مصـرا
ومع غير هذا من ضلالته التـى * * بها سار مثل السهم للجهة الأخرى
تقولون أستاذ امام لديننـا * * فما أكذب الدعوى وما أقبح الأمـرا
ونحن نراه عندنـا شر فاسـق * * فيقتل فسقا بالشريعة أو كفـرا
رضينا بحكم الله فينـا وفيكـم * * وحكم رسول الله والشرعة الغـرا
تعالوا نباهلكم فنلعن من غـدا * * بنا وبكم أولى بلعنته أحـرى
فيا ربنا العن شرنـا وأضرنـا * * بتحكيمه فى الدين مع جهله الفكـرا
وخص رشيدا ذا المنار وشيخـه * * وشيخهما ان شئت بالحصص الكبرى (٢)

---

(١) الميـر الحمـار •

(٢) اعتمد العلماء تحريم لعن المعين بخصوصه ولو كان كافرا ولذلك لما عينـت فى هذا البيت هؤلاء الثلاثة رؤوس الضلال قلت ان شئت ان الأمـر فى ذلك راجع لمشيئة الله تعالى أى ان كانوا مستحقين فالعنهم لعنـا كبيـرا •

ثلاث أثافٍ تحتها نار فتنة * * ومن فوقها الإلحاد صار لها قدرا[1]
وقد دخلوا حزب الممسون بهمة * * بها حل كل من محافله الصدرا
ومذهبهم حكم الديانات واحد * * تساوى به الاسلام والملل الاخرى
فلو ثم دين لم يجوز دخولهم * * ولكنه من قبل ذلك قد فرا
فمن مات منهم مات أقبح ميتة * * فلا رحم الرحمن سحنته الغبرا
ومن عاش منهم عاش نحو جهنم * * يحث على آثار أشياخه السيرا
فيا رب أصلحهم وان لم ترد لهم * * صلاحا فلا تنجح الهي لهم امرا[2]

القسم الخامس في وصف الوهابية ، أتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع في بدعته لابن تيمية ووصف المجنون المفتون شكرى أفندى الالوسى البغدادي المتلاعب بالمذاهب الاسلامية فانه كبعض أفراد أسرته كانوا شافعيين ثم تحنفوا ثم دخلوا في مذهب الوهابية وهو مؤلف كتاب "غاية الاماني في الرد على النبهاني " الذى انتصر فيه لمذهب الوهابية على المسلمين ، وأثبت به عداوته لسيد المرسلين وصرح فيه بنقد أئمة دينه المبين صلى الله عليه وسلم .

وأعجب شيء مسلم في حسابه * * غدا قلبه من حب خير الورى صفرا[3]
أولئك وهابية ضل سعيهم * * فظنوا الردى خيرا وظنوا الهدى شرا
ضعاف النهى أعراب نجد جدودهم * * وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا
مسيلمة الجد الكبير وعرسه * * سجاح لكل منهم الجدة الكبرى
الى الله بالمختار لم يتوسلوا * * لان لكل عند خالقه قدرا[4]

---

(١) الاثافى جمع أثفية بتشديد الياء وقد تخفف الياء في الجمع وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القدر عليها .

(٢) الديوان ص ٣٧٤ ـ ٣٨٥ .

(٣) في حسابه أي في حسبانه وظنه وفيه تورية بحساب العدد يرشحها ذكر الصفر في القافية والصفر الخالي وفيه تورية بصفر الحساب .

(٤) التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى عند الوهابية شرك وقدر الشيء مبلغه وماله عندى قدر أى حرمة ووقار قاله في المصباح .

فقد ورثوا الكذاب اذ كان يدعـــى * * بأن له شطرا وللمصطفى شطـــرا(١)
أشار رسول الله للشرق ذمـــة * * وهم أهله لا غرو أن اطلع الشـرا(٢)
به يطلع الشيطان ينطح قرنـــه * * رؤس الهدى والله يكسره كســـرا
فكم طعنوا فى الأشعرى امامنـــا * * ومالنا تريدى الحبر أكرم به حبـــرا
بتحقير أحباب الاله تقربوا اليـــه * * فنالوا البعد اذ ربحو الخســـرا
ويعتقدون الأنبياء كغيرهـــم * * سواء عقيب الموت لا خيـر لا شرا
وقد عذروا من يستغيث بكافـــر * * وما وجدوا للمستغيث بهم عــذرا
وكم رحلوا للشرك فى دار رجســه * * وجابوا الى أوطانه البر والبحـــرا
وما جوزوا للمسلميـن رحيلهـــم * * لزورة خير الخلق فى طيبة الغـــرا
رموا بضلال الشرك كل موحـــد * * اذا لم يكن منهم عقيدته بتـــرا
وهم باعتقاد الشرك أولى لقصرهـــم * * على جهة للعلو خالقنا قصـــرا(٣)
هوا الله رب الكل جـل جلالـــه * * فما جهـة بالله من جهـة أخرى
تأمل تجد هذى العوالم كلهـــا * * بنسبة وسع الله كالذرة الصغـــرى(٤)

---

(١) ادعى مسيلمة الكذاب أنه شارك النبى صلى الله على وسلم فى الرسالة .

(٢) ورد فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى جهة الشـــرق وهو فى المدينة المنورة وقال : من ههنا يطلع قرن الشيطان .

(٣) الوهابية يعتقدون أن الله تعالى منحصر فى جهة العلو وهم بهذا الاعتقـــاد الفاسد يستحقول اطلاق الشرك عليهم فانه يلزم من ذلك اعتقادهم بوجـــود آلهة كثيرة فان الارض كروية والسماء تعلو فى سائر جهاتها فكل علو لقـــوم فى جهة هو سفل لقوم آخر فى جهة أخرى وعلـــو هؤلاء أصحاب السفـــل هو أيضا سفل لقوم آخرين وهكذا فى كل بقعة وكل قوم على وجه الارض فيكـــون حينئذ اله كل قوم فى علوهم وهو غير اله للقوم الذين هذا العلو سفل لهم بـــل الههم ما كان فى جهة علوهم وعلوهم أيضا هو سفل لقوم آخرين فيكون الههـــم ليس الها لاولئك بل الههم فى علوهم فاعلم ذلك ثم بعد نظمى هذه القصيـــدة التى ذكرت فيها هذا المعنى بنحو سنة راجعت تفسير الفخر الرازى عند قوله تعالى فى سورة طه (الرحمن على العرش استوى) فوجدته ذكر هذا الاحتجاج فحمدت الله تعالى على موافقته مع زيادة عليه .
(٤) الذرة ـ النملـــة الصغـــيرة .

فحينئذ اين الجهات التى بهـــا * * على الله من حمق بهم حكموا الفكـــرا
وان اختلاف للجهات محقـــق * * فكم ذا من الاقطار قطر عـلا قطـــرا
وكل علو فهو سفل وعكســـه * * وقل نحو هذا فى اليمين وفى اليسرى
فمن قال علو كلها فهو صـــادق * * وذلك قد يقضى بآلهة أخـــرى
ومن قال سفل كلها فهو صـــادق * * فليس لهم رب على هذه يـــدرى
فمن يا ترى بالشرك أولى اعتقادهـم * * أولئك أو أصحاب سنته الغـــرا ؟
حنابلة لكن مذهـب أحمـــد * * امام الهدى من كل ما أحدثوا بيرا (١)
وقد عم فى هذا الزمان فسادهـم * * فما تركوا شاما وما تركوا مصـــرا
ولم ينفرد شذاذ مذهب أحمـــد * * فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخـــرى
كشكرى الألوسى تابعا اثـر جـده * * وأعمامه لكنهم آثروا الستـــرا (٢)

---

(١) نقلت عن الامام أبى الفرج بن الجوزى وهو من أئمة الحنابلة فى كتابى " شواهد الحق " أن الامام أحمد رضى الله عنه برئ من اعتقاد الجهة وأن هـــؤلاء الحنابلة الذين يعتقدونها هم مخطئون أفحش الخطأ ومخالفون لمذهب امامهم فى ذلك .

(٢) شكرى الألوسى هو شكرى أفندى ابن عبد الله أفندى ابن محمود أفندى الألوسى البغدادى صاحب التفسير الشهير وحفيده هذا شكرى هو مؤلف كتـــاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " رد به على كتابى " شواهـــد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم ، وحيث انه جديـد فى مذهب الوهابية وانما ورثه عن أبيه وجده فقط أراد بهذا الكتـاب أن يثبت عندهم أنه أرسخ منهم فى مذهبهم ولذلك بالغ فى ذم أئمة المسلميـــن من العلماء والاولياء العارفين وانما اخفى حاله ولم يصرح باسمه فى ظهـــر الكتاب بل قال انه تأليف أبى المعالى السلافـى لان دولة بعض من يخشى بأسهم كانت قائمة فلم يتجاسر على اظهار نفسه ولكن المطبعـة التـــى طبعته فى مصر والجماعة الذين طبعو على نفقتهم من النجديين وجمعيـــة الوهابية ومن أشدهم بغضا للاسلام والمسلمين عبد القادر التلمسانـــى

الى أن رمى مجنونهم برجيعة ** على الناس فى تأليفه ذلك السفرا (١)
وما وصلت أرجاسه غير قومه ** به وبهم أرجاسه حصرت حصرا
ومهما أبانوا عذرهم بجنونه ** نصدقهم فيه ولا نقبل العذرا

= ترجمان قنصل الانجليز فى جدة كلهم مقرون مفتخرون بأن مؤلف هذا الكتاب هو شكرى أفندى الألوسى ليطلعوا الناس على أن من أسر أهل السنة والجماعة الشريفة فى بغداد من دخلوا فى مذهبهم والحمد لله على العافية .

(١) مجنونهم شكرى أفندى هذا فان أخاه عارف أفندى وهو من خيار هذه الأسرة الشريفة وما زال من أهل السنة والجماعة كأجداده الأقدمين زارنى فى العام الماضى فى القسطنطينية بعد طبع ذلك الكتاب الخبيث واعتذر لى عن مؤلفه أخيه شكرى أفندى بأنه مجنون فصدقته لان كتابه هذا لا يصدر من عاقل ولو كافرا ولانى كنت أسمع ممن يعرفونه أن فى عقله ودينه اختلالا بسببه تحصل منه هذه الجراءة على الطعن فى الدين وأئمة المسلمين حتى أخبرنى العالم الفاضل الشيخ أمين أفندى سويد الدمشقى بأنه سمعه فى بغداد يطعن فى الامام الشافعى فخاصمه على ذلك وسمعت من أهالى بغداد أنه غير متدين بدين مستقيم أما قومه فقد اجتمعت بجماعة منهم كعمه المرحوم عبد الباقى أفندى وعلى أفندى وابن عمه نعمان أفندى واخوته مصطفى أفندى وعارف أفندى ورشدى أفندى فما سمعت ولا رأيت على أحد منهم شائبة فى دينه وكلهم من خيار المسلمين نفعنا الله بهم أجمعين وأسلافهم الطيبين الطاهرين .
(الرجيع روث الدواب وخرء الانسان) .

فكان عليهم قيده بسلاسل * * وأن يحجروه عن فظائعه حجرا
فمن أطلق الكلب العقور فانه * * هو المخطىء الجاني الذي فعل العقرا (١)
أتى بكتاب الشتم لا العلم داعيا * * الى لعنه بين الورى كل من يقرا (٢)
عدو رسول الله أرضى عداته * * ومنى ومن أحبابه أوغر الصدرا
ومن حمقه وكفره قال انه * * الهى وقد اكثرت فى مدحه الشعرا (٣)

---

(١) عقر : جرحه •

(٢) كتاب الشتم هو كتابه الذى سماه " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " وطبعته له جمعية الوهابية على نفقتها فى مصر وهو انما جمع فيه مناقب ابن تيمية وعقيدته وعقيدة الوهابية وتراجم كثيرين والقصائد التى فى مدحهم ومدح أجداده وغير ذلك مما لا دخل له فى موضوع الكتاب وانما أراد تكبير حجمه فوق ذلك طبعه بورق ثخين وحرف كبير حتى ظهر مثل المخدة حتى قرظته جرائد المارقين كالمنار بأنه كتاب كبير فى الرد على أعدائهم علماء المذاهب الأربعة •

(٣) الحمق قلة العقل قال فى كتابه المذكور عنى : انى أعتقد ألوهيته صلى الله عليه وسلم وذلك لقصور فهمه عن ادارك علو منزلة النبى صلى الله عليه وسلم واستعظامه المعانى التى مدحته بها عليه الصلاة والسلام وأنا أعلم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم مع كونه أشد الخلق وأعظمهم عبودية لله عز وجل لا يمكن للخلائق أجمعين أن يقفوا على كنه حقيقته المحمدية وعلو منزلته عند الحضرة الالهية صلى الله عليه وسلم ومع ذلك أقرر أن من يعتقد ألوهيته صلى الله عليه وسلم يكفر بذلك فهو اذا كان يعتقد فى كذلك يكون كافرا بتكفير المسلم فلا جزاه الله عن نفسه وعنى خيرا فقد شغلنى بما لا حاجة بى للاشتغال به • ولو اشتغل هذا الخبيث بدفع مضرات الأميركان ونحوهم من الكفرة الهاجمين لتضليل أولاد المسلمين لكان خيرا له من أن يشغل نفسه وشغلنى به بل هو يوالى أولئك الكافرين يؤلف لهم التآليف ويأخذ منهم الجوائز ولا يبعد عن لؤمه واستعماله الدين للدنيا أن يكون أخذ مقدارا وافرا من كتاب غاية الأمانى أجرة على تضليله الناس فقد كانت نفقة طبعه على حساب جمعية الوهابية التى رئيسها عبد القادر التلمسانى فى جده •

ولو حل مدحي للنبي بسفره ** للوثه تبا له وله سفرا [1]
ومع شحنه من نظم كل مجازف ** بشعر اذا حققته تلقه بعرا
فمن مدح خير الخلق ما راح منشئا ** ولا منشدا بيتا ولا منشدا شطرا
باقراره كم صفت فيه قصيدة ** ونوعت في أمداحه النظم والنثرا
وألفت في فضل استغاثتنا به ** أجل كتاب لم يدع للسوى عذرا
شواهد حتى أطلعت في سطورها ** بدور علوم كل سطر حوى بدرا
فكانت لارواح المحبين جنة ** وكانت على أعداء خير الورى جمرا
فلو خصني بالشتم مع عظم جرمه ** لما لمته لكنه عم الشرا
فذم هداة الدين من كل مذهب ** وأعطى لكل من سفاهته قدرا
غدا لفتى تيمية أي ناصر ** فهلا استحق المصطفى عنده النصرا
وهلا عفا عنا لذنب بزعمه ** لخدمتنا روح الوجود أبا الزهرا [2]

---

(١) قال في كتابه المذكور عني : اني مدحت النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لا ينقل منها شيئا في كتابه لئلا يلوثه بها فانظر هذا الضلال المبين وانظر هذا التهتك في الدين وانظر هذه الاستهانة بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أيمكن أن يقول هذه العبارة مسلم في قلبه محبة وتعظيم له صلى الله عليه وسلم بل هذه العبارة الخبيثة التي صدرت من هذا الخبيث لا تصدر من النصارى واليهود ولا أدرى اذا عرضت على العلماء الأعلام هل يفتون ببقائه مسلما أو يخروجه بها من دين الاسلام •

(٢) روح الوجود من حيث ان كل شيء منه وفرع منه فالعرش بما حواه وكل ما خلق الله مخلوق من نوره صلى الله عليه وسلم فنوره سار في جميع العوالم فهو بمنزلة الروح لها عليه الصلاة والسلام •

فلو كان من نسل المجوس عذرته ** وقلت امرؤ يبغى لاجداده ثأرا
ولكن نراه يدعى خير نسبة ** وأم الفتى منه بنسبته أدرى
فمن ذا رأى فى الناس شخصا مواليا ** لقوم يرون الحب فى جده كفرا (١)
ومن ذا رأى فى الناس شخصا معاديا ** فتى بمعالى جده أنفق العمرا
اذن نحن فى شك من النسب الذى ** يقول وفيه الشك نحصره حصرا
وبعد فذياك الكتاب يدلنا ** على جهله طورا على غفوه طورا
كتاب عليه اللعن من كل سامع ** وصاحبه أيضا غدا ما طرا مطرا
وكثر فيه النقل من دون حاجة ** ليثبت فى دعواه بالكِبَر الكُبْرا
وبالحرف والقرطاس عظّمَ حجمَه ** ليحمل لعنات أتت فوقه تترى
وكل جواب فيه غير مطابق ** لمعنى كلامى عند من يفهم الأمرا (٢)

---

(١) من مذهب الوهابية تكفير المستغيثين بالنبى صلى الله عليه وسلم لله تعالى فى قضاء حاجاتهم ومثله فى ذلك غيره من الأنبياء وهذا المراد بقولى يرون الحب أى الافراط فيه بزعمهم .

(٢) من راجع كتابى " شواهد الحق " وكتابه " غاية الأمانى " وطابق بين كلامه وكلامى بالدقة يعلم حينئذ جهله وعجزه عن الجواب الصحيح فانه تارة لا يجيب أصلا وتارة يجيب بأجوبة لا توافق الحقيقة ولا يفهم لها معنى ينطبق على المقصود ولكنه يخرج لنقل النقول الكثيرة والكتب الكاملة بحروفها منها مناقب ابن تيمية للشيخ مرعى الكرمى ومنها عقيدة ابن تيمية ومنها عقيدة محمد بن عبد الوهاب ومنها غير ذلك فلو جمعت هذه الكتب لكانت نحو ثلثى كتابه والثلث الباقى نصفه أشعار ونصفه شتائم وفشار (١) وعار وشنار على هذا المجنون الجبار لا زال غضب الله منصبا عليه آناء الليل وأطراف النهار اللهم الا أن يكون شريفا من السلالة الطاهرة حقيقة وتكون هذه الأخلاق السيئات جاءته من جهة الامهات فحينئذ أسامحه فى حقوقى فى الدنيا والآخرة وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعفو عنه ويوفقه للتوبة النصوح والرجوع عن هذا المذهب الباطل والاعتقاد العاطل وأن يرزقنى واياه حسن الختام بجاه الحبيب الاعظم عليه الصلاة والسلام وأسأله =

---

(١) بضم الفاء . كلمة عامية بمعنى الكلام الذى يقال ساعة الهذيان . د /سرحان

ولكنه عشواء تخبط خبطهـا * * بليل من الأهواء قد فقد البدرا(١)

وأعقل منه الكلب يستر رجسه * * وهذا رأى فى نشر ارجاسه فخرا

كتابى لخير الخلق قد جاء ناصرا * * وهذا لاعداء النبى أتى نصرا

فذلك من أعلى وأعلى مناقبى * * وهذا له أقوى مثاليه الكبرى

وذلك فخرى فى الحياة وبعدها * * وهذا له خزى بدنياه والأخرى

وقرظ قولى عند ما تم طبعه * * مشايخ اسلام الشريعة فى مصرا(٢)

وقرظ سفر السوء بالزور أهله * * ومن كان عن سبل الشريعة مزورا(٣)

= حينئذ أن يصفح عنى ويعفو عما صدر منى فانى بشر وقد آذانى أذية بالغة عن قصد وتصور وتصميم ، أما أنا فردى على جده محمود أفندى وعمه نعمان أفندى فى كتابى " شواهد الحق " فوالله الذى لا اله الا هو أنى لم أقصد به غرضا دنيويا وليس بينى وبينهما ولا بين أحد من ذريتهما أدنى سبب يحملنى على ذلك كل من عرفتهم منهم من أحبابى ، وكنت أكرم من يرد منهم الى بيروت جميعا لشرفهم ونسبتهم الطاهرة ، وأدعوهم الى بيتى ، وأتقرب اليهم بالمودة جهدى ، ومع كل هذا حينما رأيت " جلاء العينين " كتاب نعمان أفندى مشتملا على نصرة البدعة على السنة وقد حصل منه ضرر لبعض القاصرين من المسلمين حملنى ذلك على كتابه ماكتبته فى حقه فى كتاب " شواهد الحق " والله المطلع على الضمير وهو نعم المولى ونعم النصير .

(١) العشواء الناقة التى لا تبصر ما أمامها .

(٢) قرظ كتابى " شواهد الحق " شيخ الجامع الازهر العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربينى وغيره من العلماء والمفتين وأكابر المدرسين وأسماؤهم وعباراتهم مكتوبة فى آخره رحمهم الله تعالى ورضى عنهم أجمعين .

(٣) أما كتابه فقد قرظه هيان بن بيان والحارث بن همام وان كان لابد من وجود أشخاص لتلك الأسماء المجهولة فهم من أعداء دين الاسلام .

يذم خيار المسلمين وينتقى * * لاشرارهم أمثاله الحمد والشكرا
فمثل الرفاعى القطب يختار ذمه * * وشيخ منار السوء يمنحه شكرا (١)
خبائث أرواح تحن لبعضها * * فسحقا لهم سحقا وخسرا لهم خسرا (٢)
هم الكل أعداء النبى فبعضهم * * عداوته كبرى وبعضهم صغرى
وخصوا محبيه بنسبة حبهم * * فأعطوا لكل من عداوته قدرا
وقد جعلوا لى حصة من كبارها * * لما علموا من حبه حصتى كبرى
فيارب زدنى فيه حبا وزده بى * * وفى طيبة أختم لى على دينه العمرا

---

(١) هو رشيد رضا القلمونى لا رضى الله عنه ولا حسن كان على شاكلته من أعداء الدين " الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " وقد ذكر شكرى أفندى كثيرا من آشرارهم وكلهم أشرار فى كتابه هذا وأثنى عليهم الثناء الجميل وذكر كثيرا من أئمة المسلمين كالقطب الرفاعى وذريته والسبكى وابنه التاج وابن حجر الهيثمى والجلال السيوطى والامام اليافعى ونجم الدين البكرى والشيخ الاكبر وذرية الشيخ عبد القادر الجيلانى وغير هؤلاء ممن لا يخطرون ببالى الان من أئمة الهدى وأكابر الأولياء رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم شتمهم بافظع الشتم ووصفهم بأقبح الاوصاف مما يستحى النصارى واليهود أن يصفوا أدنياء المسلمين فضلا عن أكابرهم بشىء منها ، وذلك فضلا عن ثنائه الثناء الجميل على ابن تيمية وجماعته التابعين بدعته من الوهابية وغيرهم فاذا جمعت جميع ما ذكر ودققت فيه النظرتتحقق صحة شهرته بالجنون لان مجموع ذلك لا يصدر من عاقل وان كان كافرا ، ومع كل ذلك فهو اذا صحت نسبته الطاهرة يسامحونه كلهم فى الاخرة .

(٢) سحقا أى بعدا ومن حنو هذه الارواح الخبيثة لبعضها ثناء شكرى أفندى الجميل عليهم وثناء شيخ المنار فى مناره على شكرى أفندى وعلى كتابه المذكور الذى ذكره مرارا فى مناره ورغب الناس فى اقتنائه لطعنه فى أعدائه الاولياء الكرام وأئمة الاسلام وبالغ فى ذمى فسرنى ذلك لانى أحب انتشار عداوتنا الدينية ليحذرهم المسلمون وكل مسلم عاقل يرجح ذمه فى مناره على مدحه لانه يدل على سلامة دينه .

انتصاره للامام تقى الدين السبكى :

يقول الشيخ يوسف النبهانى " ٠٠٠٠٠ وقد رد عليه – أى ابن تيمية – الامام السبكى فيما رد به على كتبه بأبيات مدح فيها كتابه "منهاج السنة" واعترض عليه ببعض بدعه فتصدى للتشنيع على السبكى بذلك والرد عليه شخصان من الحشوية ممن هم على عقيدة ابن تيمية أحدهما حنبلى والآخر فيما زعم شافعى ، أما الحنبلى فاسمه أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود العبادى المقيلى السرمرى نزيل دمشق الشام وأما الشافعى بزعمه فهو محمد بن يوسف اليمنى اليافعى وذكر قصيدته نعمان أفندى الألوسى فى "جلاء العينين" فقد نظم كل منهما فى ذلك قصيدة طويلة فى أكثر من مائة بيت فيها الهجر والبجر والتحامل على الامام السبكى بما لا ينبغى أن يصدر من مسلم فضلا عن عالم وهما مطبوعتان فى آخر كتاب (منهاج السنة) وقد رأيت أن أنتصف منهما وأقابلهما بعملهما جاعلا محط نظرى اثبات الحق ودحض الباطل وبيان المذهب الصحيح من المذهب العاطل ، فنظمت هذه القصيدة من البحر والقافية وأسأل الله لى ولهم ولجميع المسلمين العفو والعافية . وقد أثبت فيها استحالة الجهة على الله تعالى بدلائل ظاهرة باهرة وتعرضت لجواز الاستغاثة وشد الرحال لزيارته صلى الله على وسلم بما لا يأباه عقل ولا يمنعه نقل رادا على من يخالف ذلك والله أعلم بما هنالك " (1) .

وقد بلغت هذه القصيدة ثلاثة وخمسين بيتا ومائة بيت ضمنها خمسة عشر بيتا من قصيدة الامام السبكى للاستشهاد بها وهو فى هذه القصيدة يناقش مسائل خلافية مستعملا الحجة والمنطق فجاءت القصيدة تقريرية بعيدة عن الخيال والتصور الذى هو روح الشعر وحياته . ومما قال فى قصيدته هذه :–

الحمد لله حمدا أستمد بـه	لنصرة الحق كى أحظى بمطلبه
بك استمنت الهى عاجزا فأعن	أبغى رضاك فأسعفنى بأطيبه
فان تعن ثعلبا يسطو على أسد	وتخذل الليث لا يقوى لثعلبه (2)

---

(1) الديوان ص ٤٠٤ – ٤٠٥ .

(2) كان الواجب : يسط ، لا يقو – بحذف الواو والالف جزما فى جواب الشرط ، ولكنها ضرورة الشعر . د / سرحان

وانني عالم ضعفي ولا عمل ** عندي يفيد ولا علم أصول به
ورأس مالي جاه المصطفى فيه ** أدعوك يا رب أيدني له وبه
وارحم به علماء الدين قاطبة ** من أهل سنته ساه ومنتبه
لولاهم ما علمنا ما بعثت به ** خير الورى وعجزنا عن تطلبه
منهم أبو الحسن السبكي ناصره ** سقاه غيث الرضا الهامي بصيبه
ورب غر غوى ذمه حسدا ** به غرور وقاح الوجه أصلبه
ساءت خلائقه ضلت طرائقه ** قد تاه بالتيه في تيهاء سبسبه
فقال ما قال في السبكي من سفه ** قبحا له من سفيه القول أكذبه
أوفي الجدال بغير الحق مختلقا ** ما شاء من كذب وهو الخليق به
وقال مفتخرا بالزور مذهبنا ** ترك الجدال وتأنيب لطالبه
فانظر أكاذيبه واعجب لحالته ** من التناقض هذا بعض أعجبه
يا أيها الجاحد الحق المبين أفق ** قد طال نومك يا نومان فانتبه
أهلكت نفسك فارحمها وذر بدعا ** بها بليت ودع قولا شقيت به
لم تجعل المصطفى أهلا لزائره ** بشده الرحل أو من يستغيث به
وكم رحلت الى أمر به أرب ** من أمر دين ودنيا قد عنيت به
وفي المساجد لا كل الامور أتى ** ذاك الحديث الذى قدما سمعت به
والاستغاثة معناها تشفعنا ** به الى الله فيما نرتجيه به
وما بذلك من بأس ومن حرج ** الا لذي ميت من لسعة الشبه
هو الحبيب فمن يا قوم يمنعه ** فضلا حباه اله العالمين به
والله والله لولا الله يضلل من ** يشاء من خلقه فيما يريد به (١)
ما كان يوجد ذو عقل فيمنع ذا ** من أهل ملته أو يستريب به (٢)

---

(١) فك الادغام في " يضلل " هنا غير جائز ، ولكن الشيخ يتساهل ، ويلجأ للضرورة كثيرا . د . سرحان

(٢) الديوان ٤٠٥ ـ ٤٠٧

ثم يناقش قضية التشبيه فيقـــول :

ها انت تزعم أن الله فى جهــــــة ** ولا تبالى بتشبيه ظللمت بـــه[1]
من أين جئت بذا ؟ هذا امامك لـم ** يقله أحمد حاشا أن يقــول بـــه
وسل أبا الفرج الجوزى تابعــــه ** ينبيك بالحق فاطـم واعلن بـــه
وتزعم الله بالذات استقــر علــى ** عرش فتلحق أوصاف الحدوث بـــه
والتوسل لا ترضى وتضحـــــــه ** تقول ذلك فعل المشركيـــن بـــه
نزهت ربك عن شـــرك بزعمكـــه ** ولم تنزهه عن شِبْهٍ وعـن شَبَـــه
لقد وقعت ممن الاشراك فى شـــرك ** من حيث شئت خلاصا منه بوءت بـــه
أما الطلاق ثلاثا فالمخالف فـــى ** وقوع ساقط من نفس مذ هبـــه[2]

وهكذا يستمر النبهانى رحمه الله فى ذكر مسائل الخلاف ومناقشتها بالدليل حينا وبالسخرية حينا آخر ، ثم تعرض للشيخ أبى المظفر السرمرى الحنبلى وللشيخ محمد بن يوسف اليمنى الشافعى حيث قيد أقوالهما بخصوص التوسل والزيارة والطلاق ثلاثا وعن الجهة فى حق الله تعالى وفى ختام القصيدة يشرح الشيخ النبهانـــى خلاصة رأيه وما يؤمن به فى ابن تيمية وأتباعه ، وكعادته دائما يحسن الظـــن فى نية خصمه داعيا له بالتوبة والمغفرة فيقــول :ـــ

هذى عقيدتنا فى الله خالقنـــــا ** لم نخش لم نعتزل فيما ندين بـــه
ولا نكفرهـم لكـــن نبدعهـــم ** فى الدين اذ أخطأوا فى بعض أضربه
اخواننا أسلموا لله واجتهـــــدوا ** الحق شاءوا فضلوا فى تشعبـــه
مع كونهم من فحول العلم قد زلقـــوا ** ببعض ما دق فى الأذهان من شبه[3]

---

(١) ها أنت : خطأ ، والصواب : ها أنت ذا . د / سرحان
(٢) الديوان ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .
(٣) زلق من باب فرح ونصـــر . د . سرحان

ورب شخص ضعيف الفهم سيق الـى ** صوب الصواب فلم يبرح يقول بـــه
الأمر لله من يهديه نال هـــدى ** ومن أضل فقد حل الضلال بـــه
ولم نخطئهم فى كل مسألــــة ** فكم كلام لهم فـــازوا بأصوبـــه
وفى الفروع وباقى الديـن مذهبهم ** كغيرهم وافقوا الشرع الشريف بـــه
وكتبهم فى سوى معنى عقائدهــم ** بحور علم فرد منها لا عذبـــه
لكن اذا كنت لم تدرك دسائسهم ** دع ما يريبك تفلح فى تجنبـــه (١)
والله يرحمنا طرا فرحمتـــه ** هى العماد لكل المؤمنين بـــه (٢)

انتصاره للشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى

كتب الشيخ النبهانى هذه القصيدة ردا على الامام ابن تيمية الذى عرض بالشيخ الاكبر فى كتابه " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " وجعله من أولياء الشيطان وفى هذه القصيدة يندد الشيخ النبهانى بمن يعادون الأولياء والصوفية لعدم فهم كلامهم ويرد ذلك الى عدم توفيق الله لهم وأن مفاتيح التصوف بيد العارفين من أوليائه ، وهم يعطون هذه المفاتيح لمن يختاره(٣) الله وهو ينصح المسلمين الذين لا يفهمون رموز الصوفية وكلام العارفين ألا يسيئوا الظن بهم بل يسلموا أمرهم ـ الصوفية ـ لله لأن هذا أسلم لهم ، والقصيدة بلغت واحدا وثلاثين بيتا قال فيها :

---

(١) كان الواجب : فدع .. باد خال الفاء على جواب الشرط لانه طلبى .. ولكن الضرورة تدفع دائما الى التساهل . د / سرحان .

(٢) الديوان ص ٤١٨ ـ ٤١٩ .

(٣) ولسان حاله يقول كما قال أحد العارفين على لسان الحضرة الالهية :

أيها المدبر عنـــا ـ ان ادبارك منـــا
لو أردناك جعلنـــا ـ كل ما فيك يردنـــا

يا نسيما سرى الى قاسيونـــا ** حى حَبْرا بسفحه مدفونــا[1]

حى هى بالصالحيــة بحـرا ** ملأ الكون لؤلؤا مكنونــا

حى شمسا هنالك صينـت ** طبّق الشام نورُها والصينــا

هى تحت الثرى بجُلّـق غابـت ** وعلا نورها لعليينــا[2]

ذلك الحاتمى مولاى محيى الديـن ** أكرم بـه اماما أمينــا[3]

فاز من فتح ربـه بعلـوم ** عرّفته الأكوان والتكوينــا

كم حكى من علوم غيب بكشـف ** عن شهود لم يحكها تخمينــا

كان فيها اليقيـن ذئما فلمـا ** جاءها صير الظانون يقينــا

رب قوم لم يعرفوه فعاشـوا ** عن سنا فضلـه المنيـر عمينـا[4]

مثل ناموسة تريـد لنور الشمس سترا ** عن أعين الناظرينــا

كل فرد من كتبـه خيـر كنـز ** بين أهليه لا يـزال مصونــا

فى فتوحاته الفتـوح فمنهـا ** كم ولى قد نال فتحـا مبينــا

---

(١) قاسيون اسم جبل فى دمشق الشام فيه قبر الشيخ محيى الدين بن العربى •

(٢) جلـق : دمشق الشام •

(٣) الحاتمى نسبة لجده حاتم الطائى •

(٤) السنا الضوء وهؤلاء القوم هم ابن تيمية ومن كان على شاكلته فقد ألف كتابـا سماه " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " ولشدة جهلـه بأولياء الرحمن جعل جماعة من أكابرهم الذين يفتخر بهم المسلمون والاسلام من أولياء الشيطان ومنهم سلطان العارفين الشيخ الاكبر سيدى محيى رضى الله عنه وعنهم أجمعين وقد قيض الشيطان من حزبه فرقة طبعوا هذا الكتـاب وأمثاله من كتب ابن تيمية ليضلوا بها الناس ومن أشهرهم الضال المضل رشيد رضا صاحب جريدة المنار وعبد القادر التلمسانى ترجمان قنصل الانجليز فـى جدة الذى اتفق مع جماعة من اخوانه رؤساء الوهابية على طبع ما خالـف مذهب أهل السنة والجماعة من كتب ابن تيمية وغيره من علمائهم لاجزاهم اللـه عن الاسلام والمسلمين خيـرا •

غير أن الأبواب فيها انغلاق ** ومفاتيحها هم العارفونا[1]

ان تكن عارفا فبادر اليها ** تلق فيها ما شئت دنيا ودينا

واذا جئتها بغير دليل ** عدت فى شر صفقة مغبونا

ألف فن فى كل سطر وزد ما ** شئت عدا فلست تحصى الفنونا

هى ليست تأليف فكر ولكن ** واردات للمتقين حبينا[2]

أو ما جاء : واتقوا الله نصا ** فاتقوه يا أيها المنكرونا

هكذا كذبوا بما لم يحيطوا ** من قديم بعلمه الجاهلونا

أحمد الله أن حبانى حبا ** واعتقادا فى سادتى العارفينا[3]

---

(١) العارفون أى : الأولياء العارفون بالله ، وهم من اهتدى بهديهم وشملته أنظارهم وأنوارهم يفهمون دقائق الفتوحات المكية وسواها من كتب سيدى محيى الدين بن العربى وغيره كسيدى عبد الكريم الجيلى من أئمة الصوفية ولا يقدر على فهم كتب أهل العرفان المشتملة على اسرارهم من لم يمدوه بأنوارهم فنصيحتى لك أيها المسلم ان أردت سلامة العقيدة أن تلازم أحكام الشريعة ان لم تكن من أهل الطريقة والحقيقة ويكفيك حسن الاعتقاد فى هؤلاء الأفراد ، وسلم اليهم مالهم فالتسليم أسلم والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٢) الواردات أى الالهامات من الله تعالى يلهمها المتقين قال الله تعالى " واتقوا الله ويعلمكم الله " والصوفية هم أتقى الناس وحبينا : أعطينا .

(٣) حبانى ـ اعطانى ـ وسيد العارفين هو سيدى محيى الدين فقد اتفق الصوفية من عصره الى الان وغيرهم من أخيار الأمة على اطلاق لفظ الشيخ الاكبر وسلطان العارفين عليه .

رضى الله والنبى وأهل الحق عنهم ومن بهم يقتدونا
فاعتراض من بعد هذا عليهم ** ليس يرضى بفعله المؤمنونا
فاقصدوهم ولو بشد رحال ** وارتحال يا أيها الزائرونا
واستغيثوا بهم الى الله وادعوا ** ودعوا الفاسقين والمارقينا
فهم خير معشر عرفوا الله وكانوا لخلقه مرشدينا
وعليكم بقصد تربة محيى الدين تلقوا منى وتكفوا منونا[1]
كان ختما للاولياء تبيينا[2] ** بهداه لخاتم المرسلينا
سيد الخلق صفوة الحق من كل البرايا ورحمة العالمينا
أفضل الأنبياء والرسل والأملاك طرا مدهم أجمعينا
من رضاه فيه رضا الله والسخط لسخط الاله دام قرينا
فعليه يا رب صل وسلم ** واعف عنا واغفر لنا آمينا[3]

هذه أهم القصائد التى ظهر فيها كفاح الشيخ يوسف النبهانى مع خصومه مباشرة ولكن من يتصفح ديوان شعر الشيخ النبهانى لا يجد فيه قصيدة واحدة فى غير مدح الرسول والذات الالهية وبيان محاسن الاسلام .

وبالرجوع الى أحوال عصره الثقافية والسياسية من نشاط الحركات الثقافية الأجنبية التى اتخذت من النشاط الدينى مظهرا لها ومن تغلب الدول الأجنبية على دولة الخلافة العثمانية ... الذى أدى الى كثرة الامتيازات التى حصل عليها غير المسلمين من الرعايا العثمانيين تتضح أمامنا الرؤية لتقويم هدف الشيخ

---

(١) المنون الموت والمراد هنا المصائب الشبيهة بالموت .

(٢) الختمية درجة عالية للولاية نالها الشيخ الاكبر وينالها من قدرها الله له من بعده من أكابر الأولياء الى هذا الزمان كما ذكر ذلك سيدى السيد احمد القشاشى المدنى ونقله عنه المحبى فى خلاصة الاثر .

(٣) الديوان ص ٤١٩ ـ ٤٢٢ .

النبهانى من قصر شعره على شخصية الرسول والذات الالهية ومحاسن الاسلام وكأنه يذكر المسلمين بأن هذا هو البديل الصحيح لكل ما يشاهدونه من مظاهر الغلبة الثقافية والسياسية لغير المسلمين .

والشيخ النبهانى - رحمه الله - الذى يقصر ديوانه على أغراض دينية فقط فى عصر بدأ الناس فيه يتشككون فى صلاحية الاديان وجدواها فى الحياة المصرية بمافيها من جديد يلفت الانظار الى أن من يكون هذا شأنه لا شك فى صدق نيته واخلاصه وفى الاعتداد به رائدا للشعر الاسلامى فى العصر الحديث وللمدائح النبوية .

الشيخ النبهانى لم يدع مناسبة الا وأعاد القول فيها حول مدرسة الأفغانى أو الوهابية أو دعاة التجديد .

فهو - بعد أن ذكر رؤيا منامية رأى فيها الامام ابن تيمية وفسرها له صهره السيد محمد صادق الجبالى التونسى وافقت ما كان خطر للشيخ النبهانى فى تفسيرها - قال :

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - هو من أكابر الصالحين لولا بدعه الشديدة التى أضرت بالاسلام والمسلمين وقد كادت تهلكه وأهلكت بعده كثيرين كفرقة الوهابية ومن تبعهم من الفاسقين والمارقين وهم جماعة محمد عبده المصرى وشيخه جمال الدين ، وكل قوم منهم زادوا فى ضلالهم على أئمتهم السابقين فقد كان ابن تيمية وتلامذته كابن القيم وابن عبد الهادى يضللون المستغيثين بالنبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء وتبعته فرقة الوهابية على ذلك وتبعوا أمامهم ابن تيمية فى تحريم السفر لزيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة غيره من الأنبياء والأولياء وفى اعتقاد الجهة من جانب الله تعالى وتقدس عن أن تحصره الجهات أو تسعه جميع المخلوقات فى الارضين والسماوات وسائر العوالم الممتدة فى كل جهة من الجهات الست بلا نهايات فالله سبحانه خالقها جميعها وهى حادثة وهو قديم موجود قبلها بلا أوليات ، ومع اعتقاد الوهابية هذه الاعتقادات الفاسدات هم حريصون على ديانتهم بحسب عقائدهم محافظون على

الصلوات وسائر الفرائض والطاعات ولم يدعو الاجتهاد ولكنهم حنابلة مقلدون مذهب الامام أحمد فى عباداتهم ومعاملاتهم ، فجاء محمد عبده المصرى وطائفته الذين سموا أنفسهم المصلحين لدين الاسلام فتبعوا الوهابية بكل ما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة من أهل المذاهب الاربعة ولا سيما فى مسألة الزيارة والاستغاثة والاستهانة بقدر الأنبياء والأولياء بعد الموت بحيث جعلوهم بعد الموت مثل عوام المسلمين بلا فرق حيث لا يمكن أن يحصل منهم وبسببهم خير أو شر لأحد وزادوا على الوهابية المروق من الدين والجرأة على موالاة الكافرين وكثرة التلاعب بحسب أغراضهم فى الأحكام ، وقد تركوا أركان الاسلام من الحج والصلاة والزكاة والصيام وتهتكوا بشرب الخمور وارتكاب أنواع الفسوق والفجور وسائر الآثام ، وجعلوا أنفسهم مشرعين فى دين الاسلام فأفتوا بحسب أهوائهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام وادعوا الاجتهاد المطلق وحرضوا على دعواه العوام وصار كل واحد منهم فى زعمه من جملة أئمة الاسلام ولموافقتهم الوهابية بضلالاتهم صار الناس يقولون انهم وهابية وهم شر منهم لمروقهم من الدين مروق السهام والوهابية لا زالوا متشرعين بشرائع الاسلام (١) .

وعن السيد رشيد رضا يقول فى المبشرة الستين :

رأيت فى منامى منذ سنتين الشيخ رشيد رضا القلمونى صاحب مجلة المنار التى تطبع فى مصر وهو تلميذ الشيخ محمد عبده المصرى تلميذ جمال الدين الأفغانى — وكلهم ومن سار بسيرهم من شرار أهل البدع فى هذا العصر بل هم شرهم وأضرهم بعقائد المسلمين وأشدهم عداوة لسيد المرسلين ودينه المبين فى هذا العصر وجريدة المنار هذه هى التى تنشر بدعهم وتبث خبائثهم

---

(١) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ٢٧ — ٢٨ .

ويلاحظ هذه الاتهامات العنيفة التى تنزل الى مستوى قد لا يليق فى الجدل بين العلماء . د /سرحان

فى سائر الأقطار وقد حصل على بعض جهلة المسلمين فى عقائدهم ضمها اضرارًا وأى أضرار — رأيته فى منامى أى الشيخ رشيد رضا هذا فى صورة العبد الأسود ولكنه كان حبشى اللون ، ولم يصل الى سواد الزنوج وعرفت من منامى ان ذلك من غضب الله عليه — لأن لونه الحقيقى أبيض — وأن سبب هذا الغضب هو جريدة المنار هذه .. أدركت ذلك فى منامى وأنا جالس معه فنصحته حينئذ بقولى له : أن ما تكتبه من مجلة المنار تقدر أن تكتبه بجريدة اخبارية وتترك هذه فلم يجبنى بشئ ثم استيقظت وحضر الى بيروت منذ سنتين — بعد الروءيا بسنوات — فجاء الى محكمتى محكمة الحقوق وذاكرته فى شوءون شيخه الشيخ محمد عبده وأخبرته بهذه الروءيا لعله يتعظ فلم توءثر فيه شيئا [1] .

وتحت عنوان " خاتمة فى ذكر هوءلاء الأشرار وملائمة من لم يرد عليهم من علماء الأزهر الأخيار " تحت هذا العنوان العريض يذكر لنا الشيخ النبهانى بعض ما كان يجرى فى مناقشات بينه وبين السيد رشيد رضا والشيخ محمد عبده فيقول :

" لما اجتمعت بالشيخ رشيد رضا ذاكرته فى شأن شيخه الشيخ محمد عبده قلت له فى شأنه : انكم تتخذونه قدوة فى دينكم وتدعون الناس الى ذلك ، وهذا غير صواب ، فانه لم يكن

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ .

محافظا على الفرائض الدينية فلا يصح أن يكون قدوة فى الدين فمن المعلوم المسلم أنه كان يترك كثيرا من الصلوات بلا عذر وأنا نفسى رافقته من وقت الضحى الى قبيل المغرب عند رجل كان دعانا فى جبل لبنان فلم يصل الظهر ولا العصر ولم يكن له عذر بل كان بكمال الصحة ورآنى صليت الظهر والعصر (١) ولم يصلهما ، فسلم الشيخ رشيد رضا بتركه لبعض الصلوات ، وقال فى الجواب عنه : لعل مذهبه يجوز الجمع فى الحضر فتعجبت من هذا الجواب لأن الجمع انما يجوز فى السفر والمطر والمرض عند بعض الأئمة بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ذلك ، ولم يقل أحد : ان الظهر والعصر يجمعان مع المغرب والعشاء حتى نحتمل صحة هذا الجواب ولو جدلا قلت له وأيضا كان تاركا للحج الى بيت الله الحرام مع الاستطاعة وتلك الاستطاعة التى كان مالكاً لها من القوة الجسمية والمالية كان يحج الى باريز ولندرة وغيرهما من بلاد أوروبة وغيرها مرارا كثيرة ولم يخطر له أن يكون سفره مرة واحدة للحج مع قرب الديار فلا شك أنه آثم بذلك أشد الاثم وتارك لركن من أركان الاسلام .. ثم قلت له ومما لا يختلف فيه اثنان انه كان هو وشيخه الشيخ جمال الدين الأفغانى داخلين فى الجمعية الماسونية (٢) وهى لا تجمع مع الدين بوجه من الوجوه بل هى نرفض الأديان كلها وهى ضد السلطات

---

(١) فى "تاريخ الاستاذ الامام" للسيد رشيد رضا — ندد المؤلف بمن يأخذون على الاستاذ الامام جمعه بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء وجوز ذلك فقهيا .. علما بأن الامام ابن تيمية لا يجيز الصلاة فى غير وقتها ولو قضاء اذا فاتت بلا عذر شرعى ، وهى من المسائل التى اخذت لمخالفته فيها الاجماع .

(٢) يقول الاستاذ سليم بك العنحورى — عن جمال الدين — : وفى خلال علم ١٨٧٨ زاد مركزه خطرا فى البلاد وسما مقامه لأنه تدخل فى السياسات وتولى رياسة جمعية (الماسون) العربية وصار له أصدقاء وأولياء من أصحاب المناصب العالية ... وكثر سواد الذين يخدمون افكاره ويعلون بين الناس مناره من أرباب الأقلام من مثل الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقانى وعلى بك مظهر والشاعر الزرقانى وأبى الوفاء القونى فى مصر ، وسليم النقاش

....

== وأديباسحق وعبد الله نديم فى الاسكندرية فتغيرت ثم لهجته فى أحاديثه وأخذ يقرب منه العوام" (١) .

وفى نقاش جرى بين السيد رشيد رضا والشيخ محمد عبده حول الماسونية يقول السيد رشيد رضا وقد ظهر لى أن طريقتهم البهائية أحكم من الطريقة الماسونية . فان هؤلاء الماسون رأوا أن من الحكمة ألا يفرقوا بين الأديان فى الدخول فى جمعيتهم بدعوى أنها لا تمس الأديان وان كانت غايتها هدم جميع الأديان وأما البهائية فيقولون بصحة كل دين فى نفسه ويستدلون به على دينهم الناسخ لما قبله" (٢) .

وقد دافع الدكتور محمد على الزغبى عن ماسونية الأفغانى ومحمد عبده فقال ــ نقلا عن كتاب" خاطرات جمال الدين الأفغانى " ــ ما نصه :
" أول ماشوقنى للانضمام شعار كبير يدعو للحرية والمساواة وبذل الجهد فى سبيل مثل أعلى ولكننى أرى جراثيم الأثرة وحب الرياسة وانسياق الجماعات الى العمل ارضاء للشهوات وجلبا للمنافع متفشية بين أعضائها .

انضم جمال الدين للمحفل الاسكوتلاندى وما كاد يسمع كلمة "لا نتداخل بالسياسة" حتى أنفجر قائلا" اذا لم تتداخل الماسونية فى السياسة

---

(١) سحر هاروت ص ١٨٢ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٣٦) .

(=) وراجع British Encyclopidia Volume 9, 1965 p. 840-844.

راجع أيضا كتاب "هذه هى الماسونية " تأليف د . فورستيه ترجمة دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٥ م . وعن ماسونية اللورد كرومر صديق الشيخ محمد عبده والذى سعى للعفو عنه من النفى (راجع "حقيقة الماسونية للدكتور محمد على الزغبى ص ٢٨٣ــ٢٨٥ .

....

═══ فلا حملت يد الأحرار مطرقة ولا قامت لبنايتها زاوية . (١)

---

(١) "الماسونية فى العراء" ص ١٦٠ وراجع أيضا الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ص ٥٢١ـ٥٢٢ ، وقد سجلت مجلة المقتطف وقائع وأخبارا عن الماسونية فى أعداد مختلفة ولزيادة الاطلاع على الماسونية وأهدافها رجع :

١ ـ القانون الأساسى للمحفل الأكبر المصرى لعشيرة البنائين الأحرار القدماء المقبولين مطبعة طه ابراهيم ويوسف برلاوى بمصر سنة ١٩٢١ .

٢ ـ القانون العمومى للمحفل الأكبر الأسكوتلاندى العامل بطريقة البنائين الأحرار القديمة المقبولة .. عربه عن النسخة الانجليزية المطبوعة سنة ١٩٢٣ جورج أشقر وودبع حنا بأمر محفل السلام رقم ٩٠٨ مطبعة مجلة المعارف بيروت ١٩٢٦م .

٣ـ "تاريخ الماسونية القديمة وآثارها" تأليف شاهين مكاريوس ملتزم النشر بمكتبة الهلال ـ مصر .

٤ـ البناؤون للاستاذ حنين قطامى بيروت شارع باستور .

٥ـ "فضائل الماسونية" شاهين مكاريوس مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨٩٩ .

٦ـ "البناية الحرة" "خطوات عن الماسونية" للدكتور أحمد زكى أبى شادى ، المطبعة السلفية مصر .

٧ـ الماسونية دين فينيقى "جان أبو نعوم" .. مكان وتاريخ الطبع غير موجودين .

٨ـ رسوم البناية الحرة تعريب شكرى فاخورى مطبعة البلاغ طرابلس الشام ١٩٢٣ .

٩ـ تبديد الظلام أو أصل الماسونية ترجمة عوض خورى مطبعة الاجتهاد ١٩٢٩ . بيروت .

....

ولقد كنت أود أن أذكر الكثير من المعلومات عن الماسونية كما وردت في هذه المراجع ولكن خوفا من الاستطراد أحيل القارئ اليها ولكن أود أن أذكر أن المادة الأولى من القانون الأساسي للماسونية الذى وضعه المجمع الماسوني في مدينة يورك بانكلترة عام ٩٢٦م وحضره جميع رؤساء المحافل المعروفة في ذلك الوقت برياسة البرنس ادفان ادلستور — حفيد الفرد الأكبر أشهر ملوك سكونيا — ونظروا في بقايا الأوراق والشرائع مع الماسونية القديمة التى حفظت عندهم واستخلصوا منها المواد الآتية وجعلوها أساسا لجميع المحافل وهى بنصها منقولة عن أصلها الافرنجي وهى : يجب عليك أيها الماسوني أن تكرم الله وتعبده باخلاص متبعا شرائع نوح لأنها شرائع الهية يجب على كل امرئ الرضوخ لها والاذعان لما تأمرنا به فلهذا يجب عليك ألا تتبع شرائع فاسدة وتعاليم كاذبة فلا تأثم نحو الله (١) ".

وقد جاء في بعض كتبها ما نصه " ان بلاد كنعان هى رقعة الأرض الممتدة في سواحل البحر الأبيض المتوسط أو البحر الكبير كما كان يسميه السومريون مرورا ببادية الشام حتى ما بين النهرين فقوس الرمال حتى البحر الأحمر ومن تخوم آشور في الشمال حتى أواخر رملة في سيناء هذه هى بلاد الكنعانيين منذ البدء " (٢).

وهل تنادى اسرائيل بغير هذا ؟ !!!

---

١٠ — الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية شاهين بك مكاريوس طبع في مطبعة المقتطف بمصر.

١١ — الماسونية في العراء الدكتور محمد على الزغبى دار معتوق للطباعة والنشر سنة ١٩٧٠م.

١٢ — حقيقة الماسونية للدكتور محمد الزغبى دار معتوق للطباعة والنشر سنة ١٩٧٤م.

١٣ — مقال كبير للاستاذ وهبى سليمان الألبانى مجلة صوت الاسلام لسان حال شباب سيدنا محمد العدد ١٠٠ الخميس ٢٠ محرم ١٣٨٠هـ.

(١) راجع " الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية " ص ٤١.
(٢) راجع كتاب " الماسونية دين فينيقى ص ١٦.

كلها الدينية وغيرها فكيف يمكن أن يكون قدوة فى دين الاسلام مع كونه ماسونيا وكذلك شيخه ؟!! .

فقال رشيد : نعم .. هما داخلان فى الماسونية ولكن أنا لم أدخل فيهـا .

قلت : فلو قلتم ان الشيخ محمد عبده هو فيلسوف الاسلام بمنزلة ابن سينا — والفارابى لسلمنا لكم ذلك وان كان خلاف الحقيقة لانه لا ضرر فيه علينـا ولا على ديننا ، أما أن يكون من أفسق الفساق بتركه أركان الاسـلام ومع ذلك تقولون عنه انه فى دين الاسلام ، امام : فهذا شىء منكر لا يقبلـه أحد من ذوى الأحلام .

فقال : الشيخ رشيد رضا نحن لا نعده مثل ابن سينا ولكن نعده مثـل الامام الغزالى .

فانظر رحمك الله لهذا الضلال وهذه المكابرة فانه يسلم أنه كان تاركـا للصلاة والحج وأنه كان ماسونيا ويقول انه مثل الغزالى .

والحقيقة أن كل واحد من هذه الفرقة الضالة يعتقد نفسه أجل من الغزالـى لأنهم يدعون الاجتهاد المطلق صغيرهم وكبيرهم والامام الغزالى لم يدع الاجتهـاد المطلق بل صرح فى الاحياء بعدم وجود المجتهد المطلق فى عصره بقوله : " كما هـو حكم جميع أهل العصر " ، وكذلك الفخر الرازى صرح بذلك وغيرهما من الأئمـة الاعلام قرروا ذلك .

وهؤلاء الجهال كل واحد منهم يعد نفسه بمنزلة الأئمة الأربعة رضى اللـه عنهم وقد رسخ هذا الضلال فى نفوسهم الخبيثة فليس للموعظة فيهم أدنى تأثـير وهم يجتهدون فى أن يكون كل الناس على شاكلتهم ضالين مضلين ومع هذا الفسـاد العظيم يزعمون أنهم هم مصلحون لهذا الدين المبين ولا شك أنهم من جملة الذيـن شملهم قوله تعالى : فى أوائل سورة البقرة : " واذا قيل لهم لا تفسدوا فـى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ، ألا انهم هـم المفسدون لكن لا يشعـرون " [1].

---

(1) البشائر الايمانية ص ٣٤ــ٣٦ .

الشيخ النبهانى يستعدى علماء الأزهر على السيد رشيد رضا ومناره :

يقول الشيخ يوسف النبهانى - أيضا - : وقد اجتمعت بالاستاذ الأكبر الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر فى مجلسه بالرواق العباسى ومجلسه غاص بالعلماء الأعلام حماة الاسلام فأخذ بعضهم فى ذم مجلة المنار وصاحبها رشيد رضا ومؤسسها شيخه الشيخ محمد عبده ، فاتفقوا على أنها مجلة ضلال وأنهما ضالان ومضلان وسمعت مثل ذلك من مفتى مصر العلامة الشيخ بكرى الصدفى وغيره من أهل العلم والدين بل سمعت من الثقات أن كثيرا منهم كانوا يكفرون الشيخ محمد عبده فى حياته وبعد مماته ومنهم شيخ الجامع والمفتى المذكوران ومن علماء الأزهر العلامة الفقيه النبيه الشيخ بخيت المطيعى مفتى الاسكندرية وقد سمعته مرارا يضلل الشيخ محمد عبده وتلميذه صاحب المنار ، كما سمعت ذلك من كل من اجتمعت عليهم من علماء الأزهر .

نعم عليهم جميعا منى ومن كل المسلمين أشد الملام لوجودهم فى مصر التى تصدر فيها مجلة المنار (١) وتنشر أقبح الضلال فى سائر الأقطار - وصاحبها يتبجح بأن علماء الازهر يخافون من شره ، وهم على ذلك سكوت والسكوت فى بعض المواضع اقرار فكيف قبلتم ياجهابذة الأزهر على أنفسكم هذا العار ؟ أما ترون أنفسكم مكلفين بانكار هذا المنكر واشهار هذا الانكار شفقة على عوام المسلمين الذين ضل كثير منهم وجرى مع ذلك التيار ، ولتثبتوا للناس فى الأقطار البعيدة والقريبة أن علماء مصر مازالوا على عقيدة أهل السنة ومذاهب الأئمة الأخيار فبسكوتكم كل هذه السنين يخشى أن الناس فى الديار البعيدة يسيئون الظنون بعقائدكم الصحيحة التى ما عليها غبار .

والحاصل أن سكوتكم على هذه الحالة السيئة هو عار عليكم أكبر العار .. فضلا عن الاثم العظيم الذى كلكم فيه مشتركون وذلك من أعظم المصائب وانا لله وانا اليه راجعون (٢) ثم أخذ الشيخ النبهانى يعدد العلماء الذين لهم مواقفه

---

(١) لعل فى قصد الشيخ النبهانى من مجلة المنار ما كتبه السيد رشيد رضا من جواز وقوع الذنب من الرسل راجع المنار ج ٣ م ١٣٤٩٣١ ص ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥-٣٦ وقد أشار الشيخ مصطفى صبرى الى تهاون علماء مصر ازاء دعوة الأفغانى " ... يدل على رجحان استانبول بعلماء

عدائية مع الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا " فذكر العلامة الفاضل الشيخ يوسف البدرشومى " الذى كشف بعض العار عن علماء الجامع الأزهر حيث تصدى للرد على الشيخ محمد عبده فى بعض نزغاته الشيطانية التى خالف بها جميع مذاهب الملة الاسلامية وهى فتاويه التى أفتى فيها بتحليل الربا وأكل المنخنقة ولبس البرنيطة المختصة بالكفار وغير ذلك مما أجمع المسلمون على تحريمه وصار ذلك من الأشيا المعلومة من الدين بالضرورة فألف الشيخ يوسف المذكور مؤلفا فى رد ذلك سلك فيه أوضح المسالك وقد اجتمعت به هذه المرة فى مصر وشكرته على ذلك وأخبرنى حفظه الله بأنه ألف كتابا حافلا فى رد ضلالاتهم وأنه سيطبعه جزاه الله خيرا .

وكذلك كنت كثيراً ما أزور العلامة الأوحد سعادة أحمد بك الحسينى لسبق صداقة بينى وبينه بالمكاتبة فرأيت عنده من الاكرام والرعاية والاحترام مالا يقوم عنى بمكافأته عليه الا الله تعالى ، وقد دعانى الى بيته فى حلوان مرارا وأخذنى معه

= دينها الراسخين فى مبادئهم العلموية أمران :

الأول أن الشيخ جمال الدين الأفغانى لم يستطع أن يسحرهم برسالته التى أنجحها فى مصر فخرج من بين علمائها من يشد أزره ويشترك فى أمره ثم يؤدى دورا هاما فى هدم الأزهر بزحزحته عن نهجة القديم .

والأمر الثانى أن وباء الماسونية لم يجد بيئة صالحة للانتشار بين رجال الدين فى الأستانة كما وجدها بين أقطاب الأزهر وهذا على الرغم من أن مصر كانت فى الماضى البعيد مركزا كبيرا للعلوم الاسلامية قبل دخول الاسلام فى استانبول " موقف العقل والعلم والعالم جـ ١ ص ١٤٤ . (١)

---

(١) هذا كلام غير مقبول لأنه غير صحيح ، والمؤكد أن ظروفا خاصة هى التى أملت هذا الكلام ، والا فأين علماء الأستانة يوم أن ضيعت الماسونية اليهودية نظام الخلافة فى تركية بل والاسلام أيضا . د / سرحان

الى عزبته الواقعة قرب المحلة الكبرى وبقينا نحو خمسة عشر يوما على ما يعجز اللسان والقلم عن وصفه من مكارم أخلاقه الدالة على شرفه الحقيقى وأصالة أعراقه ، كان بيته فى مصر قرب المحكمة الشرعية القديمة فى جوار المشهد الحسينى — مجمع الأفاضل والعلماء من أهل المذاهب الأربعة حيث يجتمعون عنده فيكرمهم غاية الاكرام ويخدمهم عند الاقتضاء بنفسه الكريمة مع ما اتصف به من غزارة العلم وعلو المقام .

ومن أجلهم الأستاذ الكبير العلامة الشهير المحقق النحرير ، الشيخ سعيد الموجى الشافعى أحد أكابر المدرسين فى الجامع الأزهر وعلمائه الأعلام ... كان هو والعلامة أحمد بك الحسينى وجميع العلماء الذين يحضرون مجلسه من أهل المذاهب الأربعة متفقين على تضليل الشيخ محمد عبده ورشيد رضا والأفغانى وكل من كان على شاكلتهم ممن يدعون الاجتهاد المطلق وهم أضل من الأنعام .

وقد ذكر لى سعادة حسن باشا مدكور — أحد أعيان مصر وأعضاء مجلس الأوقاف الكبير الذين يفتخر بهم العصر والمشهورين بالديانة والأمانة — من عجائب ضلالات الشيخ محمد عبده التى لا يتجاسر عليها أحد سواه جملة غرائب خالف بها دين الاسلام ، ومن أغربها أنه أراد وهو مفتى مصر لمن يخرق خرقا عظيما فى الدين يقترب به الى الكافرين فاجتهد وسعى سعيا حثيثا بكل ما قدر عليه لمنع المسلمين عموما فى القطر المصرى من الحج الى بيت الله الحرام فى ذلك العام فأبدى رأيه وبذل أقصى ما وسعه حتى استحصل على موافقة بعض أعضاء المجلس وكاد الأمر يتم على ما أراد ، قال فلما رأيت ذلك وخفت من تمام هذا الأمر الشنيع الذى ليس أشنع منه قاومته بكل ما قدرت عليه ووافقنى على ذلك أكثر الأعضاء فدفعنا هذا البلاء عن المسلمين والحمد لله رب العالمين فخرج من المجلس وهو فى غاية الغيظ ، حيث لم يدرك فى الشر مناه ولا حول ولا قوة الا بالله .

وذكر العلامة الفقيه الشيخ عبد الرحمن عليش قاضى المحكمة الشرعية وآل بيته الكرام فقال : — ومن اجل من رأيت منهم العناية التامة بأمرى حتى استحقوا من كل الوجوه دوام حمدى وشكرى أسرة الامام الكبير الولى الشهير صاحب المؤلفات السائرة والأنفاس الطاهرة سيدنا الشيخ محمد عليش الكبير — رضى الله عنه وعنهم ونفعنا والمسلمين ببركاتهم فى الدنيا والآخرة — فانهم بسبب انتسابى لخدمة جدهم الأعظم صلى الله عليه وسلم أكرمونى ودعونى الى منازلهم مرارا وهم الاستاذ الجليل

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عليش الكبير والعالم العامل السيد الشريف الشيخ محمد حسن صهر الشيخ الكبير وزوج ابنته وابن اخيه وابنه الأستاذ العلامة الفقيه النبيه صاحب الهمة العلية والأخلاق المرضية التى قلما رأيتها فى أحد سواه وهو سبط الشيخ عليش الكبير ابن ابنته أحد قضاة المحكمة الشرعية فى مصر المتصف بالعفة التامة والعدل التام ومعرفة القضايا والأحكام ومحاسن الأخلاق مع الخاص والعام ، وهو مع ذلك يقرأ فى الأزهر الدروس ويطيب بتحقيقاته النفوس وكنت اجتمعت به فى بيروت من نحو عشرين سنة وأكرمته ودعوته الى منزلى ثم فى العام الماضى اجتمعت به فى حيفة عائدا من زيارة جده الأعظم صلى الله عليه وسلم فلما اجتمعنا فى مصر فى هذا العام رأيت منه ومن سائر أفراد أسرته الكريمة غاية الاكرام وأخبرنى حفظه الله أنه منذ سنوات نذر أن يزور النبى صلى الله عليه وسلم فى كل عام — وهو جار على ذلك من عدة أعوام — وأنه رآه صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض جملة مرات فى المنام ومنها مرة وجه للزيارة فى سكة الحديد فلما وصل الى تبوك رآه صلى الله عليه وسلم قد حضر من المدينة المنورة — لاستقباله فأكرمه غاية الاكرام قال لى حفظه الله وكنت فى حياة الشيخ محمد عبده قد حصل بينى وبينه شئ من المودة والعلاقة ، ولأسباب دنيوية ، فرأيته صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول لى : لا أحب علاقتك مع محمد عبده ، فانتبهت من النوم وقد نزع الله من قلبى تلك العلاقة جملة واحدة والحمد لله رب العالمين " .

واعلم أيها الواقف على كلامى فى هؤلاء الخاسرين من أعداء الدين أنه لاعداء بينى وبين أحد من هؤلاء يحملنى على الحط منهم والتنديد بهم بل كانت بينى وبين بعضهم صحبة ومودة قبل اشتهارهم بهذا الضلال ، وكذلك شيخهم وأصل ضلالهم جمال الدين الأفغانى فانى كنت عرفته فى مصر وكنت أزوره وأرى منه القبول والاقبال — الى أن ظهر لى أمره فهجرته مرة واحدة لفساد عقيدته وسوء سيرته ، ثم انى بعد أن توظفت فى رياسة محكمة حقوق بيروت سنة ١٣٠٥ هـ كان الشيخ محمد عبده مقيما فيها وصار يزورنى فى أكثر الأيام وأكرمه وأحترمه ويتناول معى الطعام بدعوة وبدون دعوة لما صار بيننا من المودة حتى انه استعار من عندى كتاب "الكامل" للمبرد ولم يرده ، والظاهر أنه استحل ذلك باجتهاده فبئس الامام ولما كنت فى العام الماضى فى مصر اجتمعت بصديقه وجاره فى بلدة عين شمس القريبة من مصر واسمه الشيخ محمد أمين وهو رجل عالم ليس فى عقيدته

شائبة وانما كان يجتمع عليه كثيرا بمناسبة الجوار قال لى سألته عنك فأثنى عليك الثناء الجميل الا أنه قال شغل نفسه بكتب الصلوات هذا هو الوصف الذى اعتقد أنه من عيوبى ، وهو اشتغالى بتأليف الكتب فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وترغيب الناس فيها ٠

وللشيخ محمد أمين هذا صديقان فاضلان اجتمعت بهما بعد ، فأخبرانى بقضية غريبة سمعاها من الشيخ محمد عبده حينما اجتمعا به فى دار الشيخ أمين هذا فى عين شمس منذ سنوات بعد أن ذكر الشيخ النبهانى زيارته للصعيد حيث زار ضريح الشيخ محمد الفرغلى ثم زار ضريح الشيخ أبى شرقاوى ببلدة دير سمادة ثم زار ضريح الشيخ عبد الرحيم القناوى فى قنا ثم زار ضريح أبى الحجاج الاقصرى فى الاقصر ، وقد أخبرنى الشيخ يوسف والشيخ أبو الوفا ، العالمان المذكوران كل واحد منهما بانفراد ، أنه سمع من الشيخ محمد عبده ، أنه ينكر وجود سيدنا أحمد البدوى رضى الله عنه [(١)] وأن هذا السيد البدوى الذى يعتقده المسلمون اسم بلا جسم ولا وجود له أصلا — قال لى الشيخ يوسف : وكنت قادما من زيارة السيد البدوى فنزلت ضيفا فى عين شمس عند الشيخ محمد أمين فرأيت عنده ، جماعة من جملتهم الشيخ محمد عبده ، فلما علم أنى قادم من زيارة السيد البدوى قال لى : مثلك يا شيخ يوسف يعتقد بوجود السيد البدوى — ينفى وجوده رضى الله عنه بالكلية فانظر الى ضلال هذا الملحد وعداوته للدين وأئمة المسلمين وأشهر مشاهير أولياء الله العارفين الى أى درجة بلغت فى المكابرة ونفى اليقين حتى أنكر المحسوسات والمتواترات التى لا يشك فيها احد من الكافرين ، فضلا عن المسلمين والحمد لله الذى عافانا من هذا الضلال المبين وأحمده سبحانه وتعالى على ما أنعم به على من حسن الاعتقاد فى جميع أوليائه الأحياء منهم والأموات ولاسيما المشهورين بالولاية فى جميع الأعصار والجهات كسيدنا ومولانا السيد أحمد البدوى صاحب الأسرار الظاهرة والأنوار الباهرة والمناقب السافرة والكرامات المتواترة رضى الله عنه ونفعنا

---

(١) وهما من أكابر العلماء الذين احتفوا بالشيخ النبهانى أثناء زيارته هذه وأكرموه غاية الاكرام ذكرهما اثناء تفصيل زيارته وما لاقاه من الاكرام والاحترام راجع التفصيل ص ٤٠ من البشائر الايمانية ٠

ببركاته فى الدنيا والآخرة ، فقد أجمعت الأمة المحمدية على ولايته الكبرى في جميع الآفاق على الرغم من ذلك الخبيث وأمثاله من أهل الضلال والنفاق والمعروفين بفساد العقائد وسوء الأخلاق . (١)

وللشيخ يوسف النبهانى أيضا كتاب مهم دخل فيه المعركة مع الوهابية وغيرهم ممن يؤيدون مذهبهم من أوسع أبوابها اسمه " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم " وقد طبع الكتاب ثلاث طبعات كانت أخيرتها عام ١٩٦٥ طبع مصطفى البابى الحلبى والكتاب يعد انتصارا للامام تقى الدين السبكى فى رده على الامام ابن تيمية لتحريمه زيارة قبر الرسول والاستغاثة وفى هذا الكتاب تظهر مقدرة الشيخ النبهانى فى التأليف من ذكر الأدلة ومناقشتها مع حسن ظنه المطلق فى خصومه وأنه اذ يرد عليهم لا ينتقص من مقدرتهم العلمية أو من دينهم وانما يرد عليهم فيما أخطأوا فيه من أمور الدين ، وقد قدم اثنى عشر تنبيها تتضمن خلاصة النتائج التى توصل اليها والتى يدعو اليها .

وأهمها قوله فى التنبيه الثانى " اعلم أنى لا اعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة لا الوهابية ولا غيرهم وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والايمان بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وما جاء به فى دين الاسلام (٢) وفى هذا التنبيه لا يسوغ تكفير الامام ابن تيمية لمن يزور قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من باب دعوة الرياء بالشرك وقد تكلم كثيرا على من يدعون الاجتهاد او الاخذ من القرآن والسنة مباشرة وشنع عليهم كثيرا واتهمهم فى عقولهم .

وفى الحقيقة أن جميع آثار الشيخ النبهانى من نثره ونظمه انما كانت للدفاع عن الاسلام ضد خصومه أو لتوضيح فكرة اختلف بها مع الغير أو فى ترغيب المسلمين

---

(١) كتاب البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ٤٤ .

(٢) هذا الكلام معتدل معقول مقبول وان كان ما مضى من كتاباته يناقضه تماما !!! د / سرحان .

فى فضل الطاعات أو توضيح البدع أو التغنى بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقتدى بها فى عصر يفتقر فيه المجتمع لرجال يتحلون بالفضائل وقد كانت شخصية الرسول فى مختلف عصور الانحطاط والغزو الأجنبى تحتل الموقف الرئيس فى تنبيه الأمة وجمع كلمتها وعلى هذا أقول :

ان الشيخ النبهانى ما عاش لنفسه لحظة واحدة بل عاش لدينه ولمجتمعه مشاركا بآرائه ولم يعش فى برج عاجى كما يقول الشيخ عبد الله العلايلى بل عاش مع الناس لكنه أوصى بان يتلف كل ما قاله من شعر فى غير مدح الرسول ، وهو لم يأخذ قرشا واحدا من مؤلفاته التى كانت تلاقى رواجا فى عصره ولهذا جعل حق الطبع ملكا لجميع المسلمين بشرط الجودة ورخص الثمن بل كان آخر دعواته عند مماته ألا يغنيه الله ولا يغنى أحدا من ذريته . وهكذا كان رجلا قلما يبارزه ند فى ميادين البطولة والكفاح .

الكفاح الدينى المضاد للشيخ النبهانى :

رد النصارى على الشيخ يوسف النبهانى :

لا شك أن المكانة الدينية التى كان يشغلها الشيخ النبهانى فى العالم الاسلامى وفى بيروت على الأخص التى هى مركز النشاط المسيحى فى الوطن العربى كانت تشغل أفكار المسيحيين ولا شك أنه كان يجد منهم كل محاربة واضطهاد حتى بدون أذى وقد أخبرنى الأستاذ امين النبهانى أنه عندما توفى الشيخ يوسف النبهانى لاقى ولده محمد شمس الدين وكان قاضيا فى طرابلس الشام كل اضطهاد ومحاربة حتى فى رزقه حيث أخرج من وظيفته وساءت أحواله وتوفى بعد أربع سنين من وفاة والده ، وقد صرح الشيخ النبهانى فى مواطن كثيرة من كتبه بأنه يلاقى العنت والمحاربة والبغضاء من أهل عصره حتى انهم سعوا لعزله من وظيفته مرارا ولكن الله نجاه من مكرهم [1] .

---

(١) راجع أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٩ .

وقد كان لتأليف الشيخ النبهانى التى حارب فيها التبشير المسيحى أو الدين المسيحى نفسه أبلغ الأثر فى تعميق العداوة مع المسيحيين . ويظهر هذا مما كتبته مجلة "المشرق" تعليقا على كتابى النبهانى وهما "نجوم المهتدين ورجوم المعتدين" و "ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى" ... أن وقع الكتابين كان عميقا فى قلوب النصارى فكتبت مجلة المشرق تحت عنوان "الشيخ يوسف النبهانى" يقول : أطلعنا أحد الأدباء على عدة تآليف حديثة نشرها فى مصر الشيخ يوسف النبهانى رئيس محكمة الحقوق فى بيروت فقرأنا بعض نصوصها فاذا هى كلها قذف وطعن فى النصرانية وتعظيم للاسلام فأما تعظيم الشيخ لدينه فهو وشأنه وليس لنا أن نعارضه فيه وأما تشنيعه على النصرانية ومعتقدات النصارى فدليل واضح على أنه لا يعرف من عقائد ديننا ألفها وياءها ولا أريد برهانا على قولى الا هذه الأسطر القليلة التى تشهد على جهل الشيخ بما يعرفه صغارنا" ثم استشهد بما كتبه الشيخ النبهانى فى كتابه "نجوم المهتدين ص ٣١" ثم قال : "فهذا هو مبلغ علم الشيخ فى معرفة الدين المسيحى وفى هذه الأسطر وحدها نيف وعشرة أغلاط فظيعة تنطق بطول باعه فى الجدال وقد كان حضرته سبق وبرهن على مقدرته على البحث والمناظرة فى كتابه "ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى" الذى زين بعض ترهاته بعض أفاضل الكتبة ونحن أيضا لا نأبى مناظرة الشيخ والدفاع عن ديننا واقناع كل عاقل بصحته ان شاء النزول معنا فى هذا الميدان على شرط أن نعرض له حجتنا بالحرية التامة وأن تعقد لجنة يرضى بها الفريقان تحكم حكما عدلا فى أقوال المناظرين (١) .

رد مدرسة الأفغانى على الشيخ النبهانى :

فى كتاب "الأعمال الكاملة" لجمال الدين الأفغانى لا يوجد أى ذكر للشيخ يوسف النبهانى ولعل الفارق فى السن والمركز الاجتماعى فى الوقت الذى عاشا معا فيه كان السبب . ولذلك لم أجد فى أقوال الشيخ محمد عبده ذكر للشيخ يوسف النبهانى . أما رشيد رضا فقد كان لسانهما المعبر عن أفكارهما بمجلته المنار بما

---

(١) مجلة المشرق الاب لويس شيخو السنة الثانية عشرة ١٩٠٩ — ص ٧١٨ — ٧١٩ .

كتبه فى كتابه (تاريخ الأستاذ الامام) • ولقد كان لرائية النبهانى الصغرى — التى هجا فيها السيد الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم — دوى هائل فى مختلف الأوساط سواء من تعنيهم الرائية مباشرة أو غيرهم ممن لهم عناية بالأدب والشؤون الاسلامية •

أما السيد رشيد رضا فيقول " بل أقول ان من فضل أدباء مصر وشعرائها وكتابها مع علمائها أنه لم يوجد أحد منهم سفه نفسه لأجل الخديوى بالطعن فى الأستاذ الامام كما فعل رجل بيروت المتاجر بدينه الشيخ يوسف النبهانى الخرافى الشاعر فانه تقرب الى سموه — أى الخديوى عباس — بهجو الأستاذ الامام الذى كان يجله ولدى كتاب بخطه يثبت ذلك — وأستاذه السيد جمال الدين وتلميذه محمد رشيد رضا فى قصيدة طويلة غلا فى البهتان والافتراء عليهم فيها والاحتجاج على ذلك بأحلامه المنامية فمنحه سموه راتبا شهريا فى الأوقاف ولم يكن لهجوه وافترائه أدنى رواج فى مصر لأن أقل المتعلمين فيها فهما وعلما أرقى من الدجال النبهانى عقلا وأدبا ويعدون الشيخ محمد عبده أعظم رجل أنجبته بلادهم فى هذا العصر لأن لم يكن فى كل عصر وقد ثبت ذلك باجلالهم له فى حياته ومماته بما لم يتفق لغيره وقد تولى بعض تلاميذه مشيخة الأزهر وافتاء الديار المصرية ومما ذمه هذا الدجال ونهى المسلمين عنه تفسير المنار الذى كنا نقتبس منه أنوار حكمته وما امتاز بفهمه وباليته يعلم مكانة هذا التفسير عند أرقى علماء الأزهر وسورية وغيرهم — كفضيلة مفتى بلدة بيروت — وما قرظوه به مفضلين له على تفاسير الأولين والآخرين) [1] •

وفى مكان آخر كتب السيد رشيد رضا يقول — بعد أن ذكر بعض من كانوا يتهمون الشيخ محمد عبده بعدم الصلاة — " وكان مثله كثير من الناس يسمعون من بعض الحاسدين أو الدجالين المتجرين بالدين أقوال الطعن بمنطلى دجلهم فى الحكماء الراسخين والأئمة المعلمين كالشربتلى بمصر والنبهانى فى سورية فيأخذونها قضية مسلمة ويذيعونها بغيرتهم الجاهلية الخاطئة فمن كان منهم حسن النية ، سخر الله له من يظهر له الحقيقة فيتوب الى الله تعالى ويكون حسن الخاتمة " [2] •

---

(١) تاريخ الأستاذ الامام (جـ ١ ص ٤٨٩ — ٥٩٠) •

(٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٠٤٣ •

وقد ذكر النبهاني رحمه الله بعض ردود الفعل العنيفة للرائية الصغرى فقال في المبشرة " الثالثة والستين " " رأيت ليلة الاثنين الثاني من ربيع الأول سنة ١٣٣٠هـ في منامي أني أتلو آيات قرآنية بكثرة وكأن مملياً يمليها على ونسيتها الآن بخصوصها وهي في وصف بعض الأنبياء ونصر الله تعالى لهم على أعدائهم وأمره تعالى لهم بالصبر ولاسيما سيدنا محمد وسيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام وطال هذا الأمر وهو قراءتي تلك الآيات وتكرارها مرة بعد أخرى واستيقظت على ذلك ففهمت أن المقصود من هذه الرؤيا الاشارة الى هؤلاء المبتدعين جماعة (محمد عبده) المصري الذين ذممت بدعتهم وشيخهم المذكور وشيخه جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا تلميذ محمد عبده صاحب جريدة المنار وشر هؤلاء الأشرار بقصيدتي الرائية الصغرى وهي خمسماية وخمسون بيتا وانما سميتها صغرى بالنسبة لرائيتي الكبرى في وصف الملة الاسلامية والملل الأخرى وهي سبعمائة وخمسون بيتا وصفت بها محاسن الملة الاسلامية ومساوىء الملل الأخرى فأجمع الفريقان على عداوتي وأذيتي وكفاني الله شرهم والحمد لله . وانما فهمت من هذه الرؤيا أن المقصود أولئك الأشرار لأن أحدهم جاءني الى بيتي قبل ثلاثة أيام من هذه الرؤيا ونصحني ألا أتعرض لمحمد عبده والأفغاني لأن جماعتهما قد غضبوا من قصيدتي وفي نيتهم مقابلتي بالأذى . (١)

كما ذكر لنا قصة حبسه في المدينة المنورة وأسبابه فقال :

" يقول الفقير يوسف النبهاني – عفا الله عنه – قد حضرت من المدينة المنورة الى دمشق الشام في رجب سنة ١٣٣٠هـ – ١٩١١م بعد أن حبست في المدينة المنورة أسبوعا ولكن بالاكرام والاحترام وذلك بناء على تعصب الكافرين والمنافقين اللئام الذين أوقعوا الفساد بيني وبين الحكومة بايهامهم اياها أنني أفرق بين رعاياها بكتبي وقصائدي والتي دافعت بها عن دين الاسلام ونافحت بها عن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام . ولا سيما "الرائية الكبرى " في وصف الملة الاسلامية والملل الأخرى التي أشبعت فيها الكلام في الرد على النصارى في مقابلة تعرضهم لدين الاسلام "والرائية الصغرى " في ذم البدعة ومدح السنة

---

(١) دلائل الخيرات ص ١٣٨ – ١٣٩ .

الغراء التى أشبعت فيها الرد على أهل البدع والضلال اللئام الذين يدعون الاجتهاد ، ويسعون فى الأرض الفساد ، ثم تحققت الحكومة مما أنا عليه من الصدق فى خدمة دين الاسلام والمنافحة عنه وعن النبى صلى الله عليه وسلم فأمرت بتخلية سبيلى وأظهر لى كبار رجالها الندم على ما كان فحضرت الى الشام فاستقبلنى علماؤها وأعيانها وغيرهم بغاية الاكرام والاحترام " (١) .

ويذكر الشيخ النبهانى ــ رحمه الله ــ رؤيته للامام أحمد بن حنبل فيقول :

" رأيت وأنا فى المدينة المنورة ليلة الاثنين الرابع عشر من محرم الحرام سنة ١٣٣١هـ فى منامى " كأن قائلا قال لى ان الامام أحمد بن حنبل جالس فى مكان ذكره لى فتوجهت للسلام عليه فوجدته فى مجلس حافل ورأيته بصورة كهل فى لحيته شيب قليل ، وهى ذات طول متوسط قليل العرض وشعرها أسود مائل للصهوبة (٢) ولون وجهه حنطى الى البياض ومجلسه حافل بالناس وهو سيدهم وكبيرهم وله مجلس فى داخل ذلك المجلس هو أيضا حافل بالناس فبعد أن قبلت يده أجلسنى بالقرب منه " واستيقظت على هذه الحالة فغسرت هذا المنام بأن هؤلاء جميعهم هم الممتحنون بسبب تمسكهم بدين الاسلام ومدافعة أعدائه اللئام وأنى قد حصل لى ما حصل لهم فحبست فى المدينة المنورة أسبوعا قبل هذه الرؤيا بستة أشهر وحججت بعد اطلاقى الى بيت الله الحرام ثم رجعت الى المدينة المنورة فرأيت هذا المنام والحمد لله رب العالمين . (٣) .

ولهذه الرؤيا دلالة واضحة على ما كان يعانيه الشيخ النبهانى من اضطهاد ومحاربة من العناصر المضادة له والتى يبدو أنها لم تدخر وسيلة لايقاع الشيخ النبهانى بها ... خصوصا بعد خلع السلطان عبد الحميد .

---

(١) دلائل الخيرات ص ١٣٩ ــ ١٤٠ .

(٢) الصهوبة كالصُهبة ــ بضم الصاد فيهما ــ والصهب ــ بالتحريك ــ حمرة أو شقرة فى الشعر . د . سرحان

(٣) دلائل الخيرات ص ١٤٠ .

ورجال الدين كانوا أعظم عون للشيخ النبهاني مما شجع مؤلفاته على الانتشار ولم يكن أحد يستطيع أن يكتب ضده الا باسم مستعار خصوصا في البلاد العثمانية وقد صور الشيخ النبهاني ما كان يلحقه من أذى في أرجوزته التي مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم ورد على من منعوا زيارة قبره ، وقد جاء فيها :

وارم أعادي الدين بالدمار	**	صرنا من المحنة في غمار
من كثرة المصائب الطواري	**	في زمن دبر بالادبار
أحاط بالاسلام كالسوار	**	والليث فيه انقاد للحمار
رمت لظى الالحاد بالشرار	**	والدين ان يسلم من الكفار
يؤذه منا عصبة الأغمار	**	فاحرسه ياربي من الأشرار
بحق طه المصطفى المختار	**	يا ربنا واغفر به أوزاري
أرح به من تعب أفكاري	**	أنعم به علي باليسار
سهل به يسر به إعساري	**	خذ لي ممن كادني بثاري
واشف سقامي وأزل عواري	**	أصلح به الأهل مع الذراري (١)

هذا وقد ذكر الشيخ النبهاني رؤى منامية رآها غيره له تدل على ما كان يواجهه الرجل من خصومات .

والرؤية الأولى : ذكرها النبهاني بقوله " اخبرتني بنتي عائشة بعد أن زوجتها للسيد الشريف العالم الفاضل السيد محمد الصادق الجبالي التونسي يوم السبت الخامس عشر من رمضان ١٣٢٦ هـ ، بأنها في ليلة ذلك اليوم رأت في منامها رجلا درويشا فقال لها قولي لأبيك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه كثيرا ويزوره في كل يوم ويحميه من كل من عاداه . (٢)

والرؤيا الثانية هي " جاءني رجل قادم من مدينة الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ١٣١٩ هـ وقال لي ان مفتيها يسلم عليك ويقول لك انه رأى في المنام نبي الله اسحق عليه السلام فأخبره أنه يحميك ويدفع عنك شر أعدائك كرامة لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فسررت بذلك سرورا كثيرا " (٣) .

---

(١) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٢) البشائر الايمانية في التبشيرات المنامية ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢١ .

والنبهاني حدثنا أنه تردد في طبع كتابه " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين " لأنه تحسب من اعتداء النصارى عليه لأنه يهجمهم ويهجم التبشير المسيحي " (١) .

الردود على رائية النبهاني الصغرى :

(١) رد الشيخ علي بن سليمان :

لقد أحدثت رائية النبهاني الصغرى صدى عظيما لدى أنصار من هجاهم فيها فكتبت قصائد مختلفة على الوزن والقافية نفسيهما فقد عثرت على أوراق محفوظة في مكتبة الشيخ زهير الشاويش في بيروت تشتمل على رائية مناقضة لقصيدة النبهاني كتبها الشيخ علي بن سليمان اليوسف التميمي وافتتحها بقوله .

" الحمد لله الذي اصطفى من عباده أنصارا ، وجعلهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم سرا وجهارا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي شرع به النوع الانساني وكان منه مختارا ، فأصبح من لم يسر على ضوء مشكاة هداه في نهجه مختارا وعلى آله وأصحابه الذين جردوا لاعلاء كلمة الحق سيوف عزم لم تبق على الأرض من الكافرين ديارا .

أما بعد فقد وقفت على القسم الخامس من الرائية الصغرى التي تشدق بها يوسف النبهاني وملأ ما ضغيه بها فخرا وظن أنه قد أوتي قرطي مارية وفاز بمنقبة يا ساريه (٢) واستسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم وراح في أئمة الهدى

---

(١) المصدر السابق ص ١٣ـ١٤ .

(٢) مارية بنت أرقم أو بنت ظالم من شهيدات النساء في الجاهلية ، وكان في قرطيها مائتا دينار ، أو جواهر قيمتها اربعون ألف دينار ، أو درتان نادرتان كلتاهما في حجم بيضة الحمامة فأهدتهما الى الكعبة ، وكانا شيئا ثمينا ، ويرغب في الشيء فيقال : خذه ولو بقرطي مارية .

طاعنا ولمن تبعهم لاعنا قد ضمخها بقذرة الفش والزور ، ولطخها بحمأة الكذب والفجور ، وكان القول الأحق أن تمسك القلم عن هذا الأحمق .

لو كل كلب عوى القمته حجرا ** لأصبح الصخر ممدودا من الذهب (١)

اذ لا جواب له غير السكوت لأنه بنى بيتا أو هن من بيت العنكبوت وحيث ان عدم الرد عليه ربما يعده عجزا فلذلك أجريت اليراع في رد هذا الجاهل وان كنت في شغل شاغل فقلت والله المستعان ، وعليه التكلان :

وطئت بنعلي فوق رائية صفرى ** فاصفرتها مذ ضمت الزور والوزرا

ومزقتها كي لا يلوث رجسها ** أكف الورى من مزجها الروث والبعرا

فتبا لمنشيها الذي ضل رشده ** وسحقا لها سحقا وهجرا له هجرا

غدا الغمر من تيه يزنح كشحه ** ويحسب أن قد شاد فوق العلا قصرا

فقال وشر القول ما كان خاليا ** من الحق والانصاف متبعا نكرا

" وأعجب شيء مسلم في حسابه ** غدا قلبه من حب خير الورى صفرا "

"أولئك وهابية ضل سعيهم ** فظنوا الردى خيرا وظنوا الهدى شرا

"ضعاف النهى اعراب نجد جدودهم ** وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا" (٢)

له الويل مما قد جنى في مقاله ** من الكذب والبهتان والفرية الكبرى

يعرّض في اقيال نجد وصيدها ** ويوسعهم ذما ويعزو لهم وزرا (٣)

فظن حليف اللوم أن قلوبهم ** من الحب للمختار قد أصبحت صفرا

فيا جرو نبهان اتئد لا تفه بما ** يسوء ضرب البيت في بيته أدرى

= أما سارية فهو ابن زنيم وكان محاصرا مع جيش المسلمين في نهاوند ، وضاق ذرعا بالحصار فناداه عمر — وهو في المدينة — صارخا " يا سارية الجبل أي : الجأ الى الجبل يسمع النداء ونجا من الحصار بجيش الاسلام ، وكانت كرامة لابن الخطاب رضى الله عنه . د . سرحان

(١) ويرى الشطر الثاني .... لأصبح الصخر مثقالا بدينار . د . سرحان

(٢) الابيات الثلاثة السابقة للنبهاني .

وإياك والشـم السرانيين فى المـلا ** فقد هتكوا عن خزيك السَّجْفَ والسترا
ولا تمْلَ جهلا ماضغيك بهجوهـم ** فانك يا نسل الخنا بالهجا أحـرى
فأعراب نجد جاهدوا كل مشـرك ** فما تركوا شاما ولا تركوا مصـرا
بأسيافهم قد أصبح الحق ظاهـرا ** ومن سمرهم قد أحرزوا الفتح والنصـرا
وقد شيدوا أحكام شـرع محمـد ** وذبوا عن الاسلام والسنة الغـرا
ولم يعرفوا عزفا ورقصا بمسجـد ** ولم يضربوا نغما ولا حركوا نحـرا
ولا عقدوا الرايات فوق سطوحهـم ** يرجون فى الأموات أن يدفعوا الشرا
ولا عرفوا قطبا ولا وتـدا ولا ** مغيثا سوى الله الذى يكشف الضُّرا
فان كان هذا الحال ليس مـبررا ++ لديك فقد عُوِّضْتَ عن ذا الهدى خُسْرًا(١)

وهكذا أخذ الشيخ على بن سليمان يورد بعض أبيات للشيخ النبهانى ويرد عليها ، ومن الأبيات التى أوردها للنبهانى ورد عليها قوله :

الى الله بالمختـار لم يتوسلـوا ** لأن لكل عند خالقـه قـدرا

وقوله :

أشار رسول الله للشـرق ذمـه ** وهم أهله لا غرو أن أطلع الشـرا(٢)
فكم طعنوا فى الأشعرى امامنـا ** وفى الماتريدى الحبر أكرم به حـبرا

وقوله :

ويعتقدون الأنبياء كغيرهـم ** سواءً عقيب الموت لا خير لا شـرا

وقوله :

وما جوزا للمسلمين رحيلهـم ** لزورة خير الخلق فى طيبة الغـرا

---

(١) مبرر : خطأ شائع وقع فيه الناس جميعا والصواب : مسوغ ٥٥ د /سرحان .
(٢) يقصد الرجال .

وقوله :

رموا بضلال الشرك كل موحد ** اذا لم يكن منهم عقيدته تبرا
وهم باعتقاد الشرك أولى لقصرهم ** على جهة للعلو خالقنا قصرا

وقوله :

ولم ينفرد شذاذ مذهب أحمد ** فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخرى
كمن رد قولى تابعا اثر جده ، ** وأعمامه لكنهم آثروا السترا
الى أن رمى مجنونهم برجيمه[1] ** على الناس فى تأليفه ذلك السفرا

وقوله :

غدا لفتى تيميه أى ناصر ** فهلا استحق المصطفى عنده النصرا

وقد بلغت قصيدة الشيخ على بن سليمان التميمى خمسة وخمسين ومائتى بيت وقد استعمل أقذع الألفاظ وأمر الكلمات مثل قوله :

فان لم تكن تأتى بنص مؤيد ** فحسبك قد أصبحت بين الورى شورا

وقوله :

بفيك الثرى كم من دعاوى عريضة ** وحسبك لا عرفا عرفت ولا نكرا
ودع عنك يا محتال سفسطة بها ** تبهرج زيفا ثم تحسبه تبرا
وتخدع جهال الورى وتصدهم ** عن المنهل الصافى وتحكره عكرا
فقلها ولا تبدى سفاسف أحمق ** مقالة حق نورها يصدع الفجرا

وقوله :

وأصبحت عن هدى الأئمة نازحا ** ومن رأيهم ياذا الهوى أبدا تبرى
وعرضت بالشيخ ابن سحمان عاديا ** على شارف هو جاء أخطأت المسرى
فمهلا فان الحى فيه حماته ** وقد جردوا للمعتدى البيض والسمرا

---

(١) يقصد شكرى الالوسى ، وقد تقدم الشطر الاول برواية "كشكرى الالوسى تابعا اثر جده ،" ...

وقد جعلوا نص الكتاب مجنبهم ** وقد ألفوا فى نصره الكر والفرا
وخضت بسب المنتمين الى الهدى ** وكنت بهذا السب بين الملا أحرى
ولم تتورع من هجا كل فاضل ** لأنك ممن فى الدنا ألف الشرا

وقوله :

وطعنك فى محمود شكرى وجده ** وأعمامه من أحرز والسبق والفخرا
وكان بهم ركن الشريعة ثابتا ** وكانوا لآفاق الهدى الأنجم الزهرا
فما أنت والشم الذرّ يا ابن استها ** فهيهات أن تلقى لما قلته غفرا
تصول كما السنور حرك ذيله ** ولم تدر أن الليث قد أنشب الظفرا
وتشتم أهل الفضل والعلم والحجى ** فما أنت الا الكلب قد نبح البدرا
فلو كنت من نسل اليهود لقلت ذا ** عدوّ مبين يبغض السادة الغرّا
ولو كنت من نسل النصارى لخلتها ** جرائر موتور غدا يطلب الوترا
ولكنك المداح فى الدهر تدّعى ** مديح رسول الله فى نظمك الشعرا
وتهجو بنيه حيث فى هديه اهتدوا ** ولم يعرفوا زيدا ولم يعرفوا عمرا
فان النصارى لم يفد هم مديحهم ** لعيسى رسول الله أو أمه العذرا
وقد ما لقد ألفت شر مؤلف (١) ** تحيط به اللّعنات من كل من يقرا
نصرت به كل ابتداع وفرية ** وللمذهب المهجور تنصره نصرا
فوافتك من محمود شكرى صواعق ** تمزق منك العرض بل تهتك السترا
فأضحى الذى لفقته وجمعته ** هباء وريح الحق تنثره نثرا
ومذ بلغ السيل الزبى وتقطعت ** بأقوالك الأسباب وانحصرت حصرا
أخذت تبل الريق بالنظم دائبا ** وسميتها للجهل رائية صغرى
وكنت كذات النكث من بعد غزلها ** وذا المغزل المشئوم نكسره كسرا
أو الثور يؤذى العالمين خواره ** فقبحاً له صوتا وتعساً له ثورا

---

(١) يقصد كتاب النبهانى " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق .

(٢) يقصد كتاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " ومؤلفه محمود شكرى الألوسى .

وقوله أيضا :

فمن أنت يا مخذول حتى ترده ما ** يقول أو لو التحقيق بالكذب والازرا
وتكبر منك النفس وهى حقيرة ** وتحسب أن الدهر حلّى بك الدهرا
فجد الفتى محمود شكرى أخى النهى ** لعلامة الأمصار حقا فسل مصرا
وقد طبق الدنيا بآثار علمه ** وأضحك بالافتاء من ديننا الثغرا
شقائقه هبت بغالية الثنا ** وآثار تحقيقاته أعيت الحصرا
لك الويل قد أصبحت للعلم تدعى ** وتسحب بين الناس من عُجّبك الأُزْرا
وتمسى لأهل الحق خصما مشاغبا ** وتحسب أن قد زدت بين الورى قدرا
وما ذاك الا النفس بالجهل سولت ** لحاقا بهم فاخسأ ونل فى الدنا زجرا
فأنت لدين الجاهلية منتم ** تدين بما دانوا وتقفو لهم اثرا
لذاك نراك اليوم بالجهل شاتما ** (منار الهدى) والله يرفعه قسرا (1)
وتبغضه اذ لم يكن لك مثله ** وهل يخطب الحسناء من فقد المهرا
فآثاره بانت لباد وحاضر ** وأنواره قد عمت البر والبحرا
تقوم به للحق همة سيد ** رشيد لنهج الحق ترفعه ذكرا
فياشرف الاسلام اذ جاء للهدى ** (منار) به يختال رافعه فخرا
به يجمع الاسلام بعد شتاته ** وتسمو به الأيام بسامة ثغرا
فمت أيها المغبون غيظا وحرقة ** ونل من مساعيك الندامة والوزرا
أخا حسرات فى فؤادك أججت ** زفيزا وفى أحشائك النار والجمرا
واختم قولى بالصلاة مسلما ** على المصطفى المختار خير الورى طرا (٢)

وقد بلغت القصيدة ستين ومائتى بيت .

---

(١) يقصد مجلة المنار لصاحبها السيد رشيد رضا .

(٢) مخطوط مؤلفة على بن سليمان اليوسف التميمى موجود فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد برقم ٨٨٦٣ وهى أيضا موجودة فى مكتبة الشيخ زهير الشاويش فى بيروت وقد اعتمدت على نسخة مكتبة المتحف العراقى لوضوحها .

(٢) رد الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم :

" ..... أما بعد : فيقول الفقير الى الله تعالى عبد العزيز بن ابراهيم حشره الله تعالى مع المنعم عليهم فى جنات النعيم : ان أهل البدع والأهواء الشنيعة لم يزالوا معادين للأحكام السنية ونصوص الشريعة موقد بن نيران الفتن أمام المتبعين للسنن وان أهل الحق يعانون منهم أمرا خطيرا على ما اقتضاه قوله عز اسمه " ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا لاسيما فى هذا العصر الذى تجاهر فيه كل ذى معصية بمعصيته وتجاسر كل ذى غواية على اظهار غوايته ، ألا وان منهم حليف الشيطان وعدو أهل الايمان وطاغية بنى نبهان يوسف بن اسماعيل النبهانى عامله الله تعالى بعدله الربانى فقد تجاوز فى طغيانه كل حد وصال وجال فى ميدان الزيغ وألف كتبا حشاها من الهذيان وملأها من وساوس الشيطان فرد عليه عند ذلك أهل الايمان وحملة القرآن وظهر ضلاله للعيان بأوضح حجة وأظهر برهان فلما عجز عن مقاومة النص الصريح ومعارضة الدليل الصحيح أخذ يبدئ ويعيد ويشتم أهل التوحيد فنظم قصيدة وسمها بالرائية الصغرى خامر بها طينة الخبال وبادرى فعند ذلك مزقته سهام أقلام الهداة وقابلوه بما يستحقه من الكلمات وخلدوا عليه اللعنات فأحببت أن أتطفل على موائد أولئك الأئمة، فنظمت فى رد كلامه هذه القصيدة على روى منظومته وبحرها مجازاة على ذنوبه الجمة فقلت :

على وجهها الموسوم بالشؤم اذ تقرا	**	قصيدة أتاك أضل بنى الغبرا
وذا يوسف النبهانى أهون بشخصه	**	فتباً له قدما وبؤسا له غُمْرا
ولم أدر من أى الطوائف نسبة	**	ولكن بيت السوء ذاك به أحرى
لقد قال غير الحق افكا وباطلا	**	وقد ظنه المأفون من جهله درا
كما سب محمودَ الألوسىَّ واجترا	**	على شتمه ظلما وقد حمل الوزرا
وسب كتابا قد حوى جل آيه	**	من الوحى ما ألقى الخبيث لها(١) فكرا

---

(١) يقصد كتاب " غاية الامانى فى الرد على النبهانى " للألوسى .

فكم من حديث قد حواه وسنة ** ولكن في أذنيه عن سمعها وقرا
ولم يدر ما قد قال من سوء فهمه ** فيا محنة الاسلام من سوأة كبرى
فيا أيها الفدم الذى جاء منشدا ** يسب دعاة الدين اذ ظنه فخرا
يسب دعاة الحق من كل جهبذ ** هداة لمن أخطا الصراط أو ازورا
كما سب في مصر أخا العلم والتقى ** فقام منار السوء يمنحه شكرا (١)
وقد غاظه نصر الهدى واتباعه ** فأضرم في قلب الخبيث به جمرا
وشبهته بالهر اذ كنت فأرة ** وكم أهلك الضرغام من كفه فأرا
ولست بِكُفْوٍ أَنْ تُصانَ وَتُتقى ** ولا عِرضُكَ المهتوك يستوجبُ السَّترا
ومن حمقه أن قال لم يتوسلوا ** ولم يقصدوا المختار فى طَيبة الغَرّا
أقال رسول الله بى فتوسلوا ** وبى فاهتفوا فى الحادثات لدى الضرا (٢)

الى أن يقول :

أتقصد بالإضلال أَجْراً وترتجي ** بِسَبِّ دُعاةِ الدين نُجْحَكَ فى الأخرى
كمطعمة الأيتام من كد فرجها ** وتطلب جهلا عند خالقها الأجرا
وما ذنبنا عند النبى وحزبه ** ومن كان عن نهج الهداية مزورا
سوى محض اخلاص العبادة كلِّها ** الى الله لا ندعو نبيا ولا قبرا
ونبغض أهل الشرك بالله والذى ** الى بدعة يدعوو من فعله نبرا
فلا مذهب التعطيل نرضاه مذهبا ** ولا نتقى فى الدين زيدا ولا عمرا
وصلى اله العرش ربى بفضله ** على المصطفى خير الوجود أبى الزهرا

هذا آخر ما وفق الله تعالى الى نظمه على منظومة حليف الغواية عديم الدراية ضليل بنى نبهان وناصر حزب الشيطان يوسف بن اسماعيل البيروتى أخزاه الله وعامله بعدله فى أخراه ، ولولا اشتغال البال وتشتت الأحوال لأطلنا فى ابطال

---

(١) يقصد السيد رشيد رضا .

(٢) الضُّرا : مضاف اليه وكان واجب الكسر ولكن الفقهاء يكسرون القواعد فى أشعارهم كثيرا . د / سرحان .

أقواله وبيان سوء أحواله وأذقناه سما ناقعا وعذابا واصبا لا يجد له فى دفعه شافعا ، على أن الاخوان لم يألوا جهدهم فى ابطال ماكان له من الهذيان وهكذا حزب الشيطان لم يزالوا فى خيبة وخسران والحمد لله رب العالمين وخذل اعداء الدين كان ذلك فى ١٣٣١هـ[1] .

والقصيدة بلغت ستين بيتا ولم يتورع الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم عن استعمال أقذع الألفاظ فى وصف خصومه ورميهم بالضلال والبهتان .

(٣) رد الشيخ سليمان بن سحمان :

" ... أما بعد فقد وقفت على منظومة لرجل من أهل الشام من أهل بيروت يقال له يوسف بن اسماعيل النبهانى تجاوز فيها الحد واقذع فيها والحد وأسهب فى مسبة أهل الاسلام وهداة الائمة الأعلام وجاء بضروب من المنكرات والضلالات ، وأنواع من الكفر والجهالات فاستعنت بالله على رد ماموه به من سفسطة جهالاته وترهات مقالاته وخرافاته والله المسئول المرجو الاجابة أن يمنحنا بفضله الاصابة وأن يجعله لوجهه خالصا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا نص الجواب .

وقفت على نظم حوى الكفر والشرا	**	وصاحبُه خِبٌّ لئيمٌ وقد أجرا
ينابيعَ كُفْرٍ فى تقاسيم غيبة	**	فَحَصَّرَ فى تقسيمه الإفك والشّعرا
ولم يأتنا منها سوى الخامس الذى	**	تهور فيه الفدم بالكفر واستجرا[2]
ولا لسجاح ويل أمّك فاتئد	**	فما الفشر الا ما هذرت به فشرا[3]
وقد أسلمت والشام كان مقرها	**	فلو كان من لؤم لكنت به أحرى
واذ كنت من أنباط اجزم لم تكن	**	من العرب العربا ولا من سموا فخرا
اتحسب أناويلُ أُمّك غفّلَ	**	كأنباط من فى الشام ماحققوا الأمرا

---

(١) مخطوط رقم ٨٧٢١ مكتبة المتحف العراقى ببغداد .

(٢) الى الجزء الخامس من الرائية الصغرى الفدم : العى عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم والغليظ الأحمق الجافى (القاموس المحيط) .

(٣) الفشر كلمة عادية ، ومستوى هذا الشعر فى منتهى الانحطاط وهو فى الواقع: نظم ، وليس شعرا . د / سرحان .

ثم رد على قول النبهانى :

الى الله بالمعصوم لم يتوسلوا ** نعم هذه حق يعدونها كبرى

وقوله أيضا :

أشار رسول الله للشرق ذمه ** وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا

ثم رد عليه بخصوص اثبات الجهة الى الله تعالى :

وفى قول النبهانى :

تأمل تجد هذى العوالم كلها ** بنسبة وسع الله كالذرة الصغرى

يقول الشيخ سليمان أيضا :

فتباً له من ماذق مارق غدا ** بمنظومه كلبا يهرّ به هرا
ويزعم أن الزيغ فيما يقوله ** ذو والحق والمأفون خاض له بحرا
وقد عام فى تياره وضلاله ** الى لجة من زيفه وارتضى الكفرا
الى آخر الهذر الأخس الذى به ** غدا الأحمق الأشقى يعد به فشرا
وما ذاك الا أنه ذو وقاحة ** ومنطوقه ركس وقد ألف الشرا
قضى وطراً من شتم أصحاب أحمد ** وعاد الى قوم بهم أوقع الهُجْرا
فعاش ذميما بين أمة أحمد ** بأوضاعه النّكرا التى أوجبت خُسْرا
فأصبح ممقوتا بها حيث انها ** حوت بِدَعا من غيه بل قد حَوَت كفرا
ولام على تضليلها كُلَّ مسلم ** وحرَّر غيظا فاض من جهله شعرا
وماذا يضر السُّحب فى الجو نابح ** يهرّ بأوجاس له نحوها هرا

ويقول ايضا :

شواهد كفر أطلعت فى سطورها ** شرور علوم كل سطر حوى كفرا[1]
وما كل قول بالقبول مُقابَل ** فكيف وقد أبدى ضلالاته جهرا ؟

---

(١) يقصد كتاب " شواهد الحق " للنبهانى .

الى أن يقول :

فان كنت فى شك من النسب الـــذى ** نقول وفيه الشك نحصره حصـــرا (١)
فما أنت الا ضِفدعٍ وابنُ ضفـــدعٍ ** فلا حقَّ تدريه ولا منكراً تـــذرا
وشكك لا يجدى لدى كلّ مسلـــمٍ ** فدع هذرك الأخزى وفحشاءك النكرا
فانك كالحرباء ترنو بطرفهـــا ** الى الشمس من حمق وقد أوغر الصدرا
وهل أنت الا من قرية اجـــزم ** قرية حيفا من فلسطين لا تـــدرى
وقد صحّ عندى من أحاديث من لــه ** بحالك تحقيق يقررها جهـــرا
فإنك من غوغاء أنباط إجـــزم ** أصابك منها الفـال والحالة الصغرى (٢)
ودعوى بنى نبهان تحتاج أن يــرى ** بذلك ثبت ثابت عن بنى الزهـــرا
يقرره محمود شكرى لأنـــــه ** هو الحلم الفرد الذى استوجب الشكرا

ويقول أيضـــا :

وما الفتى الا ما نحاه وما محـــا ** به الملة السمحا من الكفر والا طـــرا
وما الجهل جهرا غير ما القرد خطـــه ** ويحسب جهلا أنه الاوحـــد الأدرى

ويقول أيضـــا :

ولكنما ابليس فى نيك خارثـــا ** بارجاسه الكبرى وأركاسه الصفـــرى
فاصبحت لا تدرى سواها وانمـــا ** لك القحة الشنعا شعارا بها تخـــرى (٣)
فاصبحت ملعونا بكل محلـــة ** وأصبح محمـود بها نائلا فخـــرا
وقرظ قولا منك فى مصر عصبـــة ** هم الفاغة النوكاء اذ قرظوا الكفـــرا (٤)

---

(١) يشك النبهانى ان يكون محمود شكرى الالوسى من نسل الرسول صلى اللـــه عليه وسلم •

(٢) الفال : الشؤم أو الضعف • أو عرق فى داخل الفخذ •

(٣) القحة ـ بالتحريك ـ الوقاحة •

(٤) الذين قرضوا كتاب الشيخ النبهانى : الشيخ على محمد الببلاوى شيخ الجامـع الأزهر سابقا والشيخ عبدالقادر الرافعى مفتى الديار المصرية سابقا وشيخ مشايخ الحنفية والشيخ عبدالرحمن الشربينى شيخ الأزهر سابقا والشيخ بكرى الصدفى مفتى الديار المصرية سابقا والشيخ محمد عبدالحى الكتانى أحد كبار علماء ـــ

ولو أنهم من أهل شرعة أحمد ** لما قرظوا كفرا وأعلوا له قدرا
ولكنهم صم وبكم عن الهدى ** وأعينهم عمى فلم تبصر الشرا
نفوس كلاب في جسوم أوادم ** تهر على أهل الهدى دائما هرا (١)
وقرظ سفر اللالوسي عصبة ** عن الحق ما ازوروا ولا حرروا هجرا (٢)

الى أن يقول :

وقد كان معلوما لدينا بأن من ** زعمت هداهم من ذويك وفي مصرا (٣)
غواة طغاة لا تقاة أئمة ** فلم يستحقوا المدح مناولا النصرا
"هم الكل اعداء النبي فبعضهم ** عداوته كبرى وبعضهم صغرى"
ولو كان أهل الزيغ والشرك عندنا ** أئمة اسلام لسنتنا الغرا
لذلك أعطينا — ولم نحترم لهم ** مقاما — لكل من عداوتنا قدرا
وللأحمق الأشقى أمض عداوة ** نخصصه من تلك بالحصة الكبرى
سنسقيه كأسا مفعما ونذيقه ** بذاك زعافا عن مقالاته النكرا
واشراكه بالله جل جلاله ** وجحد علوالله من فوقنا جهرا

= المغربوالسيد أحمد بك الحسيني الشافعي المحامي والشيخ سليمان العبد الشبراوي والشيخ أحمد الحسيني البولاقي والشيخ أحمد البسيوني شيخ الحنابلة والشيخ سعيد الموجي والشيخ محمد الحلبي • والفاغة: الفوغاء والنوك بضم فسكون — الحمق •

(١) هذا البيت والثلاثة التي قبله في هجاء علماء شيوخ الأزهر •

(٢) لم أجد في كتاب غاية الاماني في الرد على النبهاني " أي تقريظ لاحد سوى أحد قضاة محكمة الرياض الشيخ غيهب محمد غيهب الذي كتب مقدمة الطبعة الثانية مترجمة للشيخ الالوسي المؤلف •

(٣) هذا البيت والاثنا عشر التي بعده في هجاء علماء شيوخ الأزهر الذين قرظوا كتاب النبهاني " شواهد الحق " •

فقد جاء هذا القدم إِمْراً وعَوَيــــدا ** وأظهر فى منظومه ذلك الإِمْـــرا (١)

الى أن يقول :

فتبا لها تيك العقول ومـــــارآت ** من الرأى فى طمس لا علامه جهـــرا
وصل على خير الأنام محمـــــد ** أعز الورى قدرا وأعلا هو فخـــرا (٢)

وقد بلغت أبيات القصيدة أربعة وأربعمائه بيت .

(٤) رد الأستاذ محمد بهجت البيطـــار :

افتتح رده بقوله : " الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علــى سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد وقفت على رسالــة للشيخ يوسف النبهانى سماها الرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغــرا" وهو من باب تسمية الشيء باسم ضده ، فرأيت المؤلف قد تعدى بها حده ، وتجاوزه الــى ما بعده ، وكذبها كبار الرجال وفطاحل الأبطال من الأئمة المصلحين أهل التقــوى والدين ، أمثال المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى والمرحوم الأستاذ الامــام الشيخ محمد عبده ، والامام الكبير والعلم الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحــب مجلة المنار ، وعلامة البلاد العراقية السيد محمود شكرى الألوسى . وقد رأيتــه تمادى بها فى طغيانه ، واسترسل فى زوره وبهتانه ، وطفق يكتب عن هـــؤلاء الأبرار والأئمة الأخيار ما أوحى اليه الشيطان من ضروب الكذب والهذيان ، حــتى جاءت رسالته مفعمة بالشرور مملوءة بقول الزور ، شاهدة عليه يوم الحساب بمـــا

---

(١) المؤيد – بوزن مكرم – الشديد ، كالمؤيد بتشديد الياء المفتوحة ، والامــر المنكر العجيب .

(٤) مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد رقم ٨٧٨٩ ويبدو ان هـــذا المخطوط مكتوب بخط المؤلف لان فى اخره ختمه ومكتوب جنبه (انشأ هـــا الفقير الى الله عز شأنه سليمان بن سحمان) .

حاد به عن الصواب •

وقد رددت عليه بهذه المنظومة التي سميتها " الطامة الكبرى على صاحب الرائية الصغرى " ولم أقصد بها مجاراته في طول قصيدته وعرضها لأن وقتي أقل من أن يتسع لمثل ذلك ولكني كتبت ببناني ، ما أجراه الحق على لساني ، طاويا كشحي ما استطعت عن السب والشتم وألفاظ البذاءة واللوم راجيا أن يكون هذا الرد منبها له في آخرة أمره وخاتمة عمره حتى يستغفر من ذنبه وينيب الى ربه وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب " •

وقد جعل الشيخ البيطار قصيدته من مقدمة وأربعة فصول يذكر في المقدمة عقيدته الصحيحة وبراءته من الحشوية •

والفصل الأول في غرور النبهاني ودعاوية وقد تكلم فيه عن الاجتهاد المطلق ومقاصد مدعيه الشريفة •

والفصل الثاني في الانتصار للسيد جمال الدين الأفغاني حيث أشار الى كونه امام الشرق ومصباح نوره ومجدد دينه •

والفصل الثالث في الانتصار للشيخ محمد عبده وقد تكلم فيه عن علمه الواسع وأنه خليفة السيد الأفغاني وتكلم عن تفسيره للقرآن وعن رؤية الشيخ النبهاني للشيخ محمد عبده في المنام وعينه عوراء •

والفصل الرابع في الانتصار للعلامة الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وقد تكلم فيه عن تفسير المنار وبراعة السيد رشيد رضا في العلوم وعن الاستقبال الحافل الذي قابلت به بيروت السيد رشيد رضا أثناء زيارته لها وعن مقصده في السماح لأولاد المسلمين بالالتحاق بالمدارس النصرانية •

وفي الفصل الخامس في الانتصار للسيد محمود شكري الألوسي • وقد تكلم فيه عن فضله في العلوم وعن شهادة العلماء له بذلك •

ويبدو أنه احتذى في تقسيم القصيدة الى خمسة فصول بهذه الصورة معارضة للنبهاني في رائيته حيث قسمها الى خمسة فصول أيضا •

ومما جاء في المقدمة قوله :

ومن يفقد العقل الثمين فانــــــه ** الى الناس والأوطان يستحسن الضــرا
فمن كل حشوى ومن كـــل جامـــد ** ومن كل شرير يَرَى فُجْرَه بِـــــرَّا
فينهض ذاك المصلح الفرد وحـــده ** ويسأل مولاه المجيب له النصـــرا
ويستل سيفا من صوارم نصحـــــه ** عليهم به تلقى مكائدهم بـــــترا
يسوق لهم جيشا من الحق صارمـــا ** فيقذفهم قذفا ويدحرهم دحـــرا

وفى الفصل الأول قال :

ألست ترى من آل نبهان يوسفـــا ** يصرح فى تضليل أهل الهدى جهـــرا
تآليفه ملأى بكل مذمـــــــة ** فيبدى بها لعنا ويبدى بها كفــرا
حشاها بما أوحى اليه غُـــرُوره ** من الإفك والبهتان مخرقة كـــبرى
وراح بها يرمى بكل ضلالـــــة ** أئمةَ هذا العصر اذ نوروا العصـــرا
اذا ذكر الاعلام فى الدين والتقـــى ** يفسقهم طورا وَيكْفرهُمْ طـــورا (١)
يرى أن دعوى الاجتهاد ضلالـــة ** وأن دعاة الاجتهاد أتوا نُكْـــرَا
يراهم ابا حيين حيث تمسكـــوا ** بهدى كتاب الله والسنة الغـــرا
وقد خص دعوى الاجتهاد بأربـــع ** وحرم أن الناس يَعْدُونَهُمْ فشـــرا (٢)
وقال الذى يبغى الهدى من سواهـــم ** فقد حاد عن سبل الشريعة وازورا
فما قول ذا المعتوه فيمن تقدمـــوا ** من التابعين السابقين لهم عصـــرا

الى أن يقول :

نعم لا نرى فرقا وأى موحـــد ** سوى الأرعن النبهان قال بما مـــرا

وفى الفصل الثانى قال :

فأول من فى عصره قام داعيـــا ** هو السيدُ الأفغانُ من قد سما ذكـــرا
فقد جاء مصرا قاصدا لصلاحهـــا ** فأعمل فى أرجائها همة كـــبرى

---

(١) يكفرهم من أكفر .. أى : رمى بالكفر ، وليست فى اللغة . د . سرحان

(٢) بأربع يقصد أئمة المذاهب الأربعة ، وكلمة " أربع " خطأ ــ لأن المعدود مذكر . د . عبد السلام سرحان .

سقاها علوما من ينابيع فِكْـــرِه ** فأخصب روض العلم والفضل فى مصـرا
أتهجو امام الشرق مصباح نـــوره ** جمال الهدى والدين من قد علا قدرا
رويدك لا تنطح بقرنك صخــرة ** فَتَدْمَىَ ولا تنبح بصوتك ذا الهـ را
لقد عاش ذا الأستاذ طول حياتـــه ** يؤلف للاسلام جامعة كـــبرى
وعندى أن الله جل جلاله اصـــ ** طفاه لتجديد لملته الغـــرا
فقد بصر الأقوام أسرار دينهـــم ** ودك خرافات به الصقت نُكْـــرا

وفى الفصل الثالث يقول :

ومن بعده قد قام لله داعيـــا ** امام يقول الحق بين الملا جهـــرا
هو السيد الأسنى محمد عبـــده ** ختام أولى التحقيق من قد سما قـدرا
توخى طريق الجِدِّ فى طلب العــلا ** الى أن غدا فى مصرَ آيتَه الكـــبرى
وأصبحت الفتيا كسالف عصرهـــا ** بحكم كتاب الله والسنة الغـــرا

الى أن يقول :

وهذا ابن نبهان أتى فى زماننـــا ** مخازى أضحى فى الورى أمرها امرا
يحاول تعليم التعصب والهـــوى ** ليرجع فينا الطعن واللعن والكفـــرا
وكم ذا أساء الشيخ نحو امامنـــا ** برائية صغرى وكم ذا بـــه أزرى
وكم ذا افترى افكا عليه محرمـــا ** تمور الجبال الراسيات له مـــورا
فمما افتراه ما ادعاه بأنـــه ** بلا مانع قد أهمل الظُّهر والعَصْرا
ومما افتراه ما ادعاه بأنـــه ** يحلل شرب الخمر أو يشرب الخمــرا
وما قال من ترك الامام لحجـــه ** فان صح ذا فالحق أن له عـــذرا

وفى الفصل الرابع قال :

وان تلاميذ الامام تواطـــأوا ** على نهج ذاك الليث واستسهلوا الوعرا
وان لِمَنْ خَيْرِ التلاميذ نسبـــة ** وأعْزَزِهم علما وأرفَعِهم قَـــدْرا
منارَ الهدى بحرَ الندى قاهِرَ العدا ** رشيدَ رضاً من أحرز الفخر والنصـــرا
امام اذا ما المشكلات تعقـــدت ** وأعجزت الأبطال أن يدركوا السـرا

يراعته ان هزها بيمينـــــه ** على طِرسهم يستحضر البيض والسمرا
وهذا منار الدين مذ صاح فى الـــورى ** ففى سائر الأفكار قد زلزل الكفرا

ثم تكلم عن مقصد رشيد رضا من انكاره لسجود القمر والشمس لله تعالى كما ورد فى الحديث الشريف • والقرآن الكريم وتكلم عنها النبهانى فى مقدمة ديوانه ص ٥ـ٦ فقد نقل مقصد رشيد رضا بأنه شبيه بقصة تأبيز النخل • ثم تكلم عن زيارة رشيد رضا لبيروت وسماحه لأولاد المسلمين بالدراسة فى المدارس النصرانية وقيام أهل بيروت اليه بالضرب والشتم كما ذكره النبهانى فى رائيته الصغرى وذكر طرد أهل الشام للسيد رشيد رضا وضربهم له وأخذ على النبهانى اثناءه عليهم وتشجيعه لهم •

وفى الفصل الخامس قال :

وأما الألوسى حبر بغداد فهو مــن ** أئمة هذا العصر أعظم به حبرا
فاهديه من شكرى ثناء معطــرا ** ولست أؤدى ما حييت له شكرا
أمانى فى سفر له فيه ما تــرى ** سهاما على النبهان قاصمةً ظهرا (١)
فقد كشف الاستار عن جهله بمـا ** عليه من سقف المباحث قد خرا
وألقمه صخر الحجاج مبرهنـا ** فمن هوله قد كاد يسكنه القبرا
ولست أرى أن الذى قد حدا بـه ** على نظمه ذا الوقت رائية صغرى
سوى ذلك السفر العجيب الذى به الـ ** امام الألوسى أحرزوا الفضل والنصرا
وماذا عسى أنى أقول ومدحـه ** من العلماء طبق البر والبحرا (٢)

وقد بلغت هذه القصيدة سبعين ومائة بيت •

يقول ناظمها محمد بهجت البيطار : انتهيت من نظمها فى ١٠ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ •

---

(١) يقصد كتاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانـى " •

(٢) مخطوط رقم ٨٧٢١ موجود فى مكتبه المتحف العراقى فى بغداد •

(٥) رد محمود شكري الألوسي المسمى : " الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى " : (1)

بعد افتتاح الرد بمقدمة من الحمد والتسبيح والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

" أما بعد فان الشيخ يوسف النبهاني لم يزل مولعا بالخرافات مضادا للهدى الرباني ، وكم ألف من الرسائل المشحونة بالسخف والضلال والباطل والعاطل تنبو عن قبولها الطباع وتتجافى عن استماعها الأسماع بالفاظ رثة ومعان غثة وقد نشرها بين الناس وبثها بين سائر الأجناس فاستحى العالم الاسلامي منها لاسيما العلماء الأعلام خوف أن يظن المخالف أنها من دين الاسلام .

ومن تلك الكتب كتابه الموسوم بشواهد الحق المشحون بالباطل والخطأ المطلق بل الذى لا يفوه بمثله الا الضليل أو الجاهل الأحمق ، وقد شتم فيه أئمة الدين وأخيار المسلمين وحرف النصوص وأخل ببنيان الايمان المرصوص ، فرد عليه بعض أهل العلم بما أظهر عواره ، وأبرز عاره وشناره ، وعرفه بقدره وشهره بجهله فى جميع الاقطار فضلا عن قطره ، وسماه " بغاية الأماني في الرد على الزائغ النبهاني " فحينئذ قامت قيامته وشالت نعامته وحاص حيصة الحمر الأهلية اذ رأت الاسد ، ولم يزل في شهيق ونهيق ولم يلتفت اليه أحد حيث رمى بسهم لا يندمل جرحه ، وجرح يصارم لا يلتئم قرحه ، وسقط في يديه ، وبهت مما رآه بعينيه .

ولما كانت النفس الخبيثة مطبوعة على الوقاحة ، ومخلوقة من محض الغي والقباحة لم يرعو عن غيه ، وان ألجم بلجام الالزام لكبحه عن الرعي في مرعى بغيه ، فنظم قصيدة رمى بها أجلة العصر الذين افتخر بفضلهم الزمان ، وطاول بهم من تقدم من أعلام علماء الأمصار والبلدان ، حيث كان كل واحد منهم في محراب الفضل أجل امام ، وفي ميدان العرفان سباق غايات لا يرام ، فتكلم عليهم بما يغضب الديان ، ويستوجب خلود النيران ، وسمى قصيدته " بالرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا " ، وذلك من باب تسمية الشيء باسم ضده ، ترويجا على من لم يفرق

---

(1) اشارة اليها الاستاذ محمد بهجت الاثري في اعلام العراق ص ١٤١ .

بين يومه وغده ، ولا بين المحدود وحده ، وتلبيسا على أشباهه من الجهلة الذين لا يعرفون جزر البحر من مده ، ورتبها على خمسة فصول — ثم ذكر الفصول الخمسة — .

ولما كان شتمه للكل بسبب الذب عن السلف والنجديين اقتصرنا على بيان ما في القسم الخامس من الزور والبهتان ، وموافقة الشيطان ، ومخالفة الحق ومراغمة الديان ، وذلك على سبيل الاختصار لأن هذه المطالب مبسوطة في عدة أسفار ، ورسمنا ما كتبناه " بالآية الكبرى على ضلال النبهاني في (رائيته الصغرى) (1) . والله الهادي الى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وطريقته في رده هذا هي أن يذكر الأبيات ويرد عليها مفندا ما يراه من الأخطاء وقد كان رده نثرا .. ومن نماذج ردوده :

" قال النبهاني القسم الخامس في وصف الوهابية أتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع في بدعته لابن تيمية . "

أقول في هذا العنوان عدة غلطات تدل على مبلغه من العلم وحاله من الدين والفهم .

ومنها قوله في الوهابية : انهم أتباع محمد بن عبد الوهاب وذلك أن السلفيين من أهل نجد وغيرهم لم ينتسبوا محمد بن عبد الوهاب ولم يقلدوه ولم يدع هو الامامة لأحد ، وانما كان يذكر الناس بالكتاب والسنة ، فوافق اعتقادهم اعتقاده ، اذ الحق لا يتعدد هكذا يقال من محمد عبد الوهاب والشيخ تقي الدين بن تيمية ، والسلفيون كلهم يأخذون بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، وهكذا جميع أئمة الأمة ، فهم متفقون على ذلك الاعتقاد اذ مأخذ الجميع واحد .

---

(1) لم يذكر المؤلف اسمه في مخطوطه وقد ذكر رده هذا الشيخ غيهب بن محمد غيهب الذي قدم الطبع الثانية لكتاب لاغاية الاماني في الرد على النبهاني " وفي ترجمة للسيد الالوسي ذكر من مؤلفاته ومنها "الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى" وربما يكون سبب عدم ذكره لاسمه هو خوفه من السلطه التي كانت تحارب كل من يرد على النبهاني راجع تفصيل ذلك في كتاب" غاية الأماني في الرد على النبهاني ص ٨-٩ " .

ومنها خطؤه فى النسبة فان من وافقوا محمد بن عبد الوهاب ان كانـــــوا اتباعه فينبغى أن ينسبهم الى اسمه فيقال : محمدية كما أن اتباع مالك يقال لهم المالكية وهكذا فالنسبة انها تكون لاسم المتبوع لا لأبيه كما لا يخفى فالنبهانى جاهل بالعربيـة كما أنه لا خبرة له فى الأمور الدينية ، فقلد غيره فى هذه التسمية والنسبة تقليد أعمـى لأعمى أو يقال ، انه اذا راعى القواعد فسماهم محمدية غض هو وأعداء الحق بريقهـم اذ هم فى واقع الأمر كذلك لأنهم متبعون للكتاب والسنة فهم أتباع محمد بن عبد اللـه ابن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم ــ لا أتباع ابن عبد الوهاب ، فحسدهم أعـداء الحق على هذه النسبة ونبزوهم بهذا اللقب وقد قال الله تعالى : "ولا تنابزوا بالألقاب".(1)

ومنها زعم أن ما عليه القبوريون الغلاة هو السنة وما ذهب اليه مخالفوهـم ــ مما دل عليه الكتاب والحديث الصحيح ــ هو البدعة ، وهذا كلام من لم يعلم الفـرق بين السنة والبدعة ، ولم يعرف حدود ما أنزل الله على من أرسله الله بالهـدى ودين الحق ، بل انه يشبه كلام من كان يقول : " ولا تأمنوا الا لمن تبع دينكـم " فرد الله عليهم بقوله" قل ان الهدى هدى الله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الـذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير" . والكلام على البدعة مفصل فـى (١ : ٧٦ ، ٣٣١) . من كتاب" غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " فليراجع" .

ثم ذكر قول النبهانى فى رائيته الصغرى :

ضعاف النهى اعراب نجد جدودهـــم	**	وقد أورثوهم عنهم الزور والــوزرا
مُسيلمةُ الجدُّ الكبيرُ وعرسُـــهُ	**	سجاحُ لكلٍ منهم الجدَّةُ الكـبرى

وبعد أن رد عليه وفند اقواله أورد بيتين اخرين .. هما :

أشار رسول الله للشـرق ذمـــه	**	وهم أهله لا غرو أن أطلع الشـرا
به يطلع الشيطان ينطح قرنـــهُ	**	رؤس الهدى والله يكسره كســرا

---

(1) هذه نسبة خاطئة لأن النسبة الى الجمع ممنوعة الا اذا كان علما ، ولكنه الجهـل باللغة شاع وذاع حتى بين من زعموا أنهم علماء بالعربية وينقدون النـاس على خطئهم فيها . د / سرحان.

وهكذا يستمر الشيخ الألوسي في ذكر بعض أبيات للنبهاني ثم يرد عليها . ثم يختم رده على الشيخ النبهاني بقوله" ...

والحاصل أنه رجل سوء بذيء اللسان كذاب دجال ونسكت عن أشياء أخرى فما كل معلوم يقال ..

هذا ونسأل الله العظيم أن يبصره في خِلالته (١) ويوقظه من غفلته وجهالته ويعرفه بنفسه حتى لا يستحقر أبناء جنسه ، وأن يوفقه للعود الى دينه ويهيئ له من ينقذه من نيران جحيمه ، والا فلا يفيده الحب الكاذب والانتساب الى أي مذهب كان في المذاهب ، انما النجاة في الموت على الايمان في أي مكان كان ، نسأله تعالى أن يختم بالسعادة آجالنا ويحقق في الخير آمالنا ، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وقد وقع الفراغ مما كتبته صباح يوم الاثنين ثالث عشر صفر سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبويه الموافق ٣٠ من كانون الثاني ١٩١٢م وكانت مدة اشتغالي بتسويده مدة يسيرة جدا مع ما أنا عليه من المصائب وتوالي النوائب وتشتت الأفكار بما صنعت يد الأقدار ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين" . (٢)

وقد بلغ مجموع الأبيات في القصائد الأربع التي ردت على الشيخ يوسف النبهاني تسعمائة بيت وهي بمجموعها أربت على ما ذكره النبهاني في رائيته الصغرى من القذف والشتم والاتهامات المختلفة .. حتى ان بعضهم مثل الشيخ علي بن يوسف التميمي استعمل ألفاظا مقذعة ومسفة .

والذي أراه أن أقوى هذه القصائد هي قصيدة الشيخ سليمان بن سحمان فهي قوية في استدلالها وقوة صياغتها .

أما رد السيد محمود شكري الألوسي فقد كان ردا علميا منظما وهو أقوى الردود التي اطلعت عليها في استدلاله ونقاشه ، فهو — وان كان يستعمل بعض

---

(١) الخِلالة — كالخُلولة — : اسم من الخُلّة .. أي الصداقة الخاصة أو الخليلة .. تكون في دعارة وفي عفاف ، والمقصود هنا الأولى . د /سرحان .

(٢) مخطوط رقم ٨٧٢١ موجود في مكتبة المتحف العراقية — بغداد .

العبارات المقذعة في وصف الشيخ يوسف النبهاني لم ينس في آخر رده أن يدعو له بالهداية والعودة الى الصواب تماما كما فعل الشيخ النبهاني في آخر الفصل الرابع من رائيته الصغرى حيث قال :

فيارب أصلحهم وان لم ترد لهم ** صلاحا فلا تنجح الهي لهم أمرا

كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني للسيد محمود شكري الألوسي :

أما ظروف تأليف الكتاب فهي كما كتبها الشيخ غيهب بن محمد الغيهب في ترجمته للسيد الألوسي .. قال " عندما عزمت على كتابة هذه الترجمة اتصلت بالعالم السلفي الشيخ محمد نصيف بجدة والذي كان له اسهام فعال في تأليف الكتاب وطبعته الأولى فأفاد بما ملخصه : انه عندما ظهر كتاب النبهاني المسمى (شواهد الحق) وقرأه الشيخ محمد نصيف ورأى ما فيه من التلفيق والتحريف والاستدلال السخيف وذكر الأحاديث الباطلة الموضوعة والضعيفة الواهية ، وتهجمه على المحققين من علماء السلف وتجويزه دعاء الأموات والاستغاثة بهم وغير ذلك مما يخالف صريح الكتاب وصحيح السنة . عندما قرأه كتب للعالم العلامة الشيخ محمود شكري الألوسي يطلب منه أن يقوم بالرد على النبهاني ويدحض اباطيله ، وينتصر للحق وأهله فلم تمض سنة الا وقد جاء الرد المسمى (غاية الأماني في الرد على النبهاني) للشيخ محمود الألوسي واتفق الشيخ محمود نصيف والشيخ عبد القادر التلمساني – من تجار جدة المحسنين ، والعلماء السلفيين – على أن يقوما بطبعه وتكاليف الطبع بينهما مناصفة . وكان الشيخ التلمساني آنذاك في مصر فاتفقا أن يقوم بطبعه فرج زكي الكردي في مطبعته بمصر فقام بطبعته الأولى وقد وضع المؤلف على طرة الكتاب : "تأليف أبي المعالي الحسيني" ، اشارة الى كنيته ونسبة الحسيني وزاد عليهما "السلامي الشافعي" لئلا يتضح اسمه خوفا على نفسه ، وذلك أن العلماء السلفيين في ذلك العصر كانوا يخافون على أنفسهم من معارضة أهل البدع والخرافيين – كالنبهاني وغيره .

والسبب في ذلك أن السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية قد قرب المشائخ من أهل الطرق من الصوفية أنصار البدع ، لذلك خاف السيد محمود

شكرى الألوسى من اظهار اسمه على طرة الكتاب ، وكذلك صاحب المطبعة فرج الله زكى خاف على نفسه ولم يذكر اسمه الا رمزا (ف • ج • ز) ولا اسم مطبعته ولا البلد التى فيها المطبعة وكذلك الشيخ عبد القادر التلمسانى والشيخ نصيف خافا على أنفسهما من العلة نفسها ، لأن السلطان عبد الحميد فى ذلك الوقت كان له النفوذ فى بغداد ومصر والحجاز وهى البلدان التى فيها المؤلف والطابع والمطبعة ولهذه المضايقات والظروف عندما تم طبع الكتاب لم يتمكنوا من توزيعه الا عندما أخذت حكومة اسطنبول بالقوانين الوضعية الأوروبية وأعلنت الدستور وكان الدستور يقضى بحرية العقائد والأديان ، فعند ذلك أرسلت حصة الشيخ محمد نصيف من الكتاب الى الحجاز ووزعها ، ووضع على كل نسخة وزعها اسم المؤلف بخط يده ، وكذلك الشيخ عبد القادر وزع نسخه فى مصر وغيرها ثم ان الشيخ محمد نصيف عندما لم يخف من جراء اظهار الكتاب أعلن فى جرائد بيروت فى ذلك الحين أن لديه كتابا فى الرد على النبهانى للشيخ الألوسى اسمه " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " ثم انبرى بعض تلامذة النبهانى وأعلن عن الرد ، وحاول أن يحط من قدر الكتاب ، ولكن كما قيل :

وقل للعيون الرمد للشمس أعين سواك تراها فى مغيب ومطلع (١)

وقد دارت مسائل كتاب الألوسى هذا حول الجهة لذات الله تعالى وحول زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والاستغاثة والاجتهاد المطلق كما أنه دافع عن الامام ابن تيمية وتلامذته وابن قيم الجوزية وابن عبد الهادى وابن حزم .

وفى نهاية الجزء الثانى ذكر المؤلف تقاريظ تسعة من العلماء لكتابه لم تزد على كونها عبارات اطراء وثناء للكتاب ومؤلفه ... ومنهم " خادم السنة أبو العباس البنجانى " و " عبد الودود بن محسن " و " خادم الحديث النبوى عبد الله السلامى " و " أبو الخير محمد الحجازى " و " معين الدين بن بركات وغيرهم ولم يذكر المؤلف الوظيفة العلمية التى يشغلها صاحب التقريظ لامكان الرجوع اليه

---

(١) غاية الأمانى فى الرد على النبهانى ص٨ـ٩ وفى هذا الاخفاء ثم الاظهار دلالة على مكانة تآليف النبهانى فى قلوب المسلمين وعلى اتجاه العصر الثقافى والفكرى وعلى تبدل الأحوال بعد اعلان الدستور .

بل ذكر الأسماء مجردة مما يشكك فى صحة هذه الأسماء [١] .

أما الشيخ النبهانى فقد ذكر التقاريظ على كتابه "شواهد الحق" وكتب اسم صاحب التقريظ — ووظيفته وكلهم علماء معروفون ومشهورون فى مصر .

أما اذا كان سبب ذكر أسماء اصحاب التقاريظ مجردة خوفا عليهم من بطش السلطات كما فعل المؤلف فان الطبعة الثانية للكتاب التى ذكر المؤلف اسمه فيها صريحا بعد اعلان الدستور كان المفروض ايضا أن يقدم معها مزيدا من التعريف بأسماء هؤلاء المقرظين . نفيا للشك فيهم .

السيد رشيد رضا يعلن عن كتاب " غاية الأمانى " فى مجلة المنار :

" غاية الأمانى فى الرد على النبهانى كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الأعلام المكنى بأبى المعالى الحسينى السلامى الشافعى ، رد فيها على ما جاء به النبهانى فى كتابه " شواهد الحق " من الجهالات والنقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقلوبة فى جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وما تعدى به طوره فى سب أئمة العلم وأنصار السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية الى أن قال :

وفى هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية فى التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والأدب ، وما انفرد به بعض المشاهير فأنكره العلماء عليه كالانكار على الغزالى وابن عربى الحاتمى وغيرهما ... فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون الينا فى الشرق والغرب يسألوننا أن نرد على النبهانى ، وكذا من اغتروا بقوله ونقوله وظنوا أن قولنا فى الاعتذار من عدم قراءة كتبه والرد عليها : انه لا يوثق بعقله ولا نقله ، وهو من قبيل السب وحاشا لله ما هو الا ما نعتقده فيه وفى كتبه بعد النظر فى بعضها ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة والنقول المكذوبة والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهدا وهو ينكر الاجتهاد ويعترف أنه ليس أهلا له [٢] .

---

(١) وقد شكك النبهانى نفسه فى صحة هذه الأسماء فقال أما كتابه — الألوسى — فقد قرظه هيان بن بيان والحارث ابن همام وان كان لابد من وجود اشخاص بتلك الأسماء المجهولة فهم من أعداء دين الاسلام "الديوان ص ٢٩٤ .

(٢) المنار جـ ١٢ ص ٧٨٥ .

الشيخ محمد بن عوض بافضل الحضرمي يرى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام فينهاه عن اقتناء كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني :

يقول الشيخ يوسف النبهاني " جاءني وأنا في مصر في شهر شعبان سنة ١٣٢٨هـ العامل الفاضل الكامل سيدي الشيخ محمد بن عوض بافضل الحضرمي أخص تلاميذ سيدنا العارف بالله السيد أحمد بن حسن العطاس باعلوي المتوفى منذ ثلاث سنوات الذي ذكرته مع مناقبه وكراماته في كتاب جامع كرامات الأولياء . وقد ذكر لي في مكتوبه المذكور جملة مراء نبوية من جملتها مبشرة جليلة تدل على شدة بغض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتاب .. " نيل الأماني (١) في الرد على النبهاني " تأليف الوهابي الشهير المجنون الشرير شكري افندي الألوسي رد فيه على كتاب " شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم وطعن فيه على كثير من أئمة أهل السنة والجماعة من الأولياء والعلماء المجمع على جلالة قدرهم الى أن يقول : والمبشرة التي ذكرها في مكتوبه سيدي الشيخ محمد بن عوض العالم الفاضل السيد الشريف سيدي السيد علوي بن طاهر الحداد المقيم الآن في بلدة قيدون من حضرموت أحد الأفاضل من تلاميذ سيدنا المرحوم السيد أحمد بن حسن العطاس قال حفظه الله : اني في سفري الأخير الى عدن عام ١٣٢٨ هـ ـ وقفت على كتاب يسمى " نيل الأماني (٢) في الرد على النبهاني " " فأخذته مزدريا به ومتعجبا من صنع مؤلفه وأعجبني ورقه الصقيل وحروفه الجميلة وبقيت متشوقا الى ما احتوى عليه فطالعت قطعة منه ونهاني أحد السادة الفضلاء فقلت له : ليس غرضي من مطالعته الا الاحاطة بما فيه مع اطّراح تمويهاته جانبا فرأيت في المنام سيد الأنام صلى الله عليه وسلم على صورة من أجمل الصور وأكملها وتأملت وجهه الشريف فاذا هو كالمغضب فجئت اليه لاصافحه فقبض يده فقلت له : يا رسول الله أنا ولدك فما ذنبي فقال لم تطالع في نيل الأماني (٣) ؟ فقلت له : انما طالعت فيه متفرجا ـ أو ما هذا معناه ـ وأتوب الى الله . فصافحته وقمت فزعا وأخذت الكتاب وأحرقته فرأيته صلى الله عليه وسلم في مناي ثانيا وهو منبسط اليّ والبشر يلوح على وجهه .. انتهت عبارته بحروفها " (٤).

---

(١) هكذا ورد وهي مكان "غاية" في الموضعين .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) الصواب : " غاية الأماني " .

(٤) دلائل الخيرات ص ١٥١ ـ ١٥٢ .



الأمير شكيب أرسلان يلوم النبهاني على قصيدته :

يقول الأمير شكيب أرسلان : " وقد بدا له ــ النبهاني ــ أن السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ممن يتشككون في هذه الأمور ــ الكرامات وخوارق العادات ــ فكان يحمل لهم تحت كشحه ضغنا شديدا ، ويعتقد ضررهم بالملة الاسلامية ، ومرة اجتمع الشيخ محمد عبده والشيخ يوسف النبهاني عندي في الجبل وكنت مصطافا في قرية عين عنوب في بلادنا ، وذلك منذ ٤٨ سنة فكان الجدال يدور بينهما وكان الشيخ محمد عبده اذا نحا باللائمة على علماء المسلمين فيما قصروا فيه من ايقاظ هذه الأمة الموكول اليهم ارشادها والنصح لها ، يأخذ الشيخ يوسف بالانكار عليه ويقول له لماذا سوء الظن بالعلماء ؟ الى غير ذلك مما يعارضه به وكنت أعلم شيئا من سوء ظن النبهاني بالأفغاني وبأستاذنا الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا ، ويؤسفني هذا الأمر الا أني لم اكن أظن أن سوء الظن يبلغ بالنبهاني ذلك الحد البعيد في حقهم حتى خرج به عن الاعتدال خروجا لا يليق بمثله ، فقد قرأت له قصيدة رائية مطبوعة ويالأسف رماهم فيها بهاجرات وقذف بهم قذفا فظيعا حمله عليه مجرد سوء الظن ، وتجسم الظن في نفسه مما يؤاخذه الله عليه عفا الله عنه ، وقد كان هو يلوم الشيخ محمد عبده على سوء الظن في العلماء مما لا يعد كحبة الخردلة في جانب ما ظهر من سوء ظنه هو فكيف وقع فيما كان ينهى عنه ، وقذف هؤلاء العلماء بدون بينة ولا دليل ؟ وغفل مع تقواه عن قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " اننا سألنا الله له المغفرة لما قرأناه له من تلك القصيدة الشاذة بل الشنيعة ولكن .. من ذا الذي ما ساء قط ؟؟ " (١) .

---

(١) " السيد رشيد رضا " أو ــ اخاء أربعين عاما " ص ٧٦ ــ لم يطلع الأمير شكيب أرسلان على القصائد التي ردت على رائية النبهاني الصغرى ولو اطلع على ما فيها من عبارات أكثر اقذاعا مما قاله النبهاني لوجد للنبهاني عذرا كما أنه لم يطلع أيضا على كتاب " غاية الأماني في الرد على النبهاني " وما استعمل فيه المؤلف من عبارات الهجاء للنبهاني .

هذا وينبغى ملاحظة أن ما كتب من ردود على الشيخ النبهانى نظما ونثرا كانت دفاعا عن محمود شكرى الألوسى والوهابية وليس فيها رد واحد للدفاع عن الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا بشكل رئيس .

أثر ردود كل طرف على الطرف الآخر :

اثر الردود على الشيخ النبهانى :

لقد أثر كتاب " غاية الأمانى " على الشيخ النبهانى تأثيرا بالغا كما يظهر فى القسم الخامس من قصيدة عند ذكر السيد الألوسى والوهابية حيث يقول :

الى أن رمى مجنونهم برجيمه	**	على الناس فى تأليفه ذلك السفرا
وما وصلت أرجاسه غير قومه	**	به وبهم أرجاسه حصرت حصرا
ومهما أبانوا عذرهم بجنونه	**	نصدقهم فيه ولا نقبل العذرا
فكان عليهم قيده بسلاسل	**	وأن يحجروه عن فظائعه حجرا
فمن أطلق الكلب العقور فانه	**	هو المخطىء الجانى الذى فعل المقرا
أتى بكتاب الشتم لا العلم داعيا	**	الى لعنه بين الورى كل من يقرا
عدو رسول الله أرضى عداته	**	ومنى ومن أحبابه أوغر الصدرا
وهلا عفا عنا لذنب بزعمه	**	لخدمتنا روح الوجود أبا الزهرا
فلو كان من نسل المجوس عذرته	**	وقلت امرؤ يبغى لاجداده ثأرا
ولكن نراه يدعى خير نسبة	**	وأم الفتى منه بنسبته أدرى
فمن ذا رأى فى الناس شخصا مواليا	**	لقوم يرون الحب فى جده كفرا
ومن ذا رأى فى الناس شخصا معاديا	**	فتى بمعالى جده أنفق العمرا
اذن نحن فى شك من النسب الذى	**	تقول وفيه الشك نحصره حصرا
كتاب عليه اللعن من كل سامع	**	وصاحبه أيضا غدا ما طرا مطرا (١)

أما القصائد التى ردت على الرائية الصغرى فيبدو أنه لم يطلع عليها مطلقا لأنى لم أجد لها ذكرا أو اشارة فى كتبه ، والذى أرجحه أنها بقيت مخطوطة واذا طبعت فعلى نطاق ضيق لغلبة أفكار النبهانى على ثقافة الناس خصوصا فى بلاد الشام ومصر .

---

(١) الديوان ص ٣٨٨ ـ ٣٩٢ .

أثر الرائية الصغرى على مدرسة الأفغاني :

لقد كان لرائية النبهاني الصغرى صدى واسع اذ سرعان ما طبعت في المدينة المنورة وتونس ومصر وفى عصر المؤلف طبعت أربع طبعات ، وهذا يدل على اقبال الناس على كتب الشيخ النبهاني لموافقة أحوال عصره الثقافية لأفكاره (١) خصوصا أن السلطان عبد الحميد كان يشجع هذا الاتجاه اذ أنه صوفى شاذلى - كما أن الخديويين توفيقا وعباسا اللذين عاش فى حياتيهما الشيخ النبهاني كانا ضد مدرسة الأفغاني خصوصا الخديوى عباس حلمى الثانى الذى كافأ النبهاني بعد عزله من وظيفته بأن رتب له معاشا شهريا قدره ألف قرش وقد كانت أفكار الشيخ النبهاني منتشرة خارج البلاد العربية خصوصا فى الهند (٢) وجنوب شرق آسية كما يظهر من المكاتبات التى ترده تطلب منه الاجازة ببعض العلوم أو ارسال كتبه بالثمن . فمن يطلع على هذه الرسائل ويقرأ الأسلوب الذى كان يُخاطَب به النبهاني يجد المنزلة الرفيعة التى كان يحظى بها فى قلوب المسلمين خصوصا المغرب العربي والمشرق الاسلامى (٣) . ومثال ذلك ما رواه الأستاذ محمود شكرى الألوسي فى مقدمة كتابه عن الشيخ بدر الدين الحلبي عن كتابه (الارشاد والتعليم) عند ذكره مقالات الأمم

---

(١) فقد كانت بعض كتبه تطبع على نفقة بعض المحسنين وتوزع مجانا كما فى كتاب "صلوات الثناء على سيد الأنبياء" يقول الشيخ النبهاني " وقد طبع من هذا الكتاب عشرة آلاف نسخة على نفقة العالم الفاضل صاحب المكرمة حضرة الشيخ محمد سعيد بك ایاس البيروني الأكرم ليوزع مجانا بحيث لا يعطى الواحد أكثر من نسخة له فيها تصرف الملاك كيفما شاء جزاه الله خير الجزاء " . صلوات الثناء على سيد الأنبياء للشيخ النبهاني ص٢ راجع أيضا الدلالات الواضحات ص ٢ للنبهاني . ويقول صاحب معجم الشيوخ (جـ٢ ص ٦٤) "المترجم ممن رزق الاعانة على التأليف كما رزق التيسير فى طبعها وقبولها فلا ينشر منها كتاب الا ويتهافت الناس على شرائه فى مشارق الأرض ومغاربها " .

(٢) راجع مراسلات النبهاني فى كتابه أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٣ .

(٣) راجع مجلة المنار جـ ٣٠ ص ١٤١ - ١٤٤ بعنوان "شكوى المنار من أحد علماء المليبار " يذكر فى شكواه تأثير كتب النبهاني فى قومه حتى انهم أخذوا يستخفون به لاقتنائه مجلة المنار فما كان من صاحب المنار الا أن أخذ يرسل له أعدادها مجانا .

" ... ومن شنيع مقالاتهم فى الاسلام : أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان يريدون بذلك أنه ما من زمان الا وهو فيه موجود ولا من مكان الا وهو فيه موجود — قال حفظه الله — وهذه المقالة الشنيعة لم نرها لأحد المتكلمين المتقدمين منهم والمتأخرين ولا رأيناها فى كتب العقائد ولا كنا نظن أحدا يقول هذه المقالة الشنيعة ، وانما ذكرها الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى البيروتى صاحب الكتب الكثيرة فى الأدعية والصلوات فى منظومة له سماها " طيبة الغراء " ناقلا لها عن البرهان الحلبى قال :

ذكر يوسف النبهانى أنه اطلع على رسالة ألفها البرهان الحلبى فى هذا الموضوع فطالعها وانتفع بها " ثم ذكر مناقشة شيخ هندى له وبعد أن أفحمه ولم يستطع الشيخ الهندى أن يستمر فى المناظرة قال : " ان هذا الشيخ الهندى ما زال بعد أن فارقنى يذكر من فساد عقيدتى بين العامة وتطاولى على الدين واحتقارى للشرع ما وسوس له به شيطانه وسولت له نفسه الخبيثة حتى ألهب قلوبهم حقدا على وغيظا منى ، وتحركت نفوسهم الشريرة لايذائى على حق أذعته فيهم ونشرته بينهم وبدع أنكرتها عليهم وبينت لهم فسادها وأنها ليست من الدين .ثم ذكر قصة جرت له بسبب ذلك فى أحد مساجد الجامعة [1] فى الهند ، ثم قال :

هكذا بذر علماء السوء بذور الخرافات والبدع والعقائد الفاسدة فى قلوب العامة فتمكنت فى قلوبهم حتى تعذر على احذق الناس بأمراض القلوب علاجها واختيار دواء نافع لها "[2] .

لقد كان للمحاربة والاضطهاد اللذين يلاقيهما مؤيدو مدرسة الأفغانى من المسلمين فى أى مكان يتجهون اليه أثر بالغ عمق فى قلوبهم روح الحقد والانتقام من الشيخ النبهانى مما جعلهم لا يتورعون عن هجائه بأقذع العبارات وأنكرها فى تسعمئة بيت . ان لم تكن هناك قصائد أخرى مخطوطة فى احدى المكتبات النائية .

---

(١) جامعة عليكرة .

(٢) غاية الامانى فى الرد على النبهانى ج ١ ص ٤٧—٥٠ .

أقول: ان النبهانى لم يبدأ المعركة بشكلها السافر بل كان فى أول حاله يكتب ما يؤيد أفكاره ويدافع عن زيارة القبور والاستغاثة والاجتهاد المطلق وغيرها من المسائل التى كانت من مواطن الخلاف بين العلماء منذ القديم وقد كتبت فيها المجلدات فكان الشيخ النبهانى بصفته صوفيا مقلدا لعلماء السلف مع الثقة المطلقة فى علمهم كان يؤيد رأيه بالنقول التى تؤيد رأيهم ثم يناقش القضية من الناحية العقلية مبينا أن الأمر يسير جدا لولا أن الله يوفق من يشاء الى الصواب وأن الذين لا يؤمنون بهذه المسائل الواضحة الصحة ـ حسب رأيه ـ لم يوفقهم الله لصوابها وكثيرا ما كان يرثى لحالهم داعيا لهم بالهداية .

وأفكار النبهانى هذه نجدها متفرقة فى جميع كتبه فقد كان رحمه الله لا يهتم بالترتيب الموضوعى ، فكثيرا ما كان يقطع الكلام ليذكر فكرة أو رؤيا منامية الا أنه لما كتب كتابه " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق " ضمن فيه جميع آرائه فى المسائل ناقلا من كتب العلماء الذين يؤيدونه وليس له الا الترتيب والتبويب كما يقول . ومن حسن نيته أنه كتب عدة تنبيهات فى مقدمة الكتاب ضمنها خلاصة آراءه فيمن يعتقدون الرأى المخالف لرأيه ، وكثيرا جدا ما يمدح ويعظم الامام ابن تيمية والامام ابن حزم والامام ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادى ، والامام ابن تيمية هو السند الذى يتخذه علماء الوهابية أو مدرسة الأفغانى لاثبات صحة آرائهم فى هذه المسائل ، وقد وجدته فى مواضع لا تحد يمدح الامام ابن تيمية مختلقا له الأعذار بأنه بشر يجوز منه أن يقع فى الخطأ مادحا أتباعه واصفا لهم بالعلم والتقوى ، منبها الى فضلهم فى خدمة الاسلام مشيرا الى مؤلفاتهم التى خدموا بها الاسلام مشيرا الى أنه كثيرا ما ينقل منها فى مؤلفاته .. الى أن ظهر كتاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " تأليف أبى المعالى السلامى " وعلم الشيخ النبهانى أن مؤلفه هو محمود شكرى الألوسى الذى سفه أفكار النبهانى بعبارات مقذعة بالاضافة الى السيد رشيد رضا الذى كان لا يأبه أن ينعت الشيخ النبهانى بأحط النعوت [1] حتى انه فى فهرس الأعلام لكتاب تاريخ الأستاذ الامام الجزء الأول كتب يوسف النبهانى الدجال " وهذا فى الفهرس !! ! فما بالك فى داخل الكتاب ؟ ! !! .

---

(1) راجع المنار ج ١١ ص ٧٤ وراجع ايضا ج ٣٠ ص ١٤٠ــ ١٤١ .

عند ها ظهرت قصيدة النبهاني ــ الرائية الصغرى ــ في هجاء جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والوهابية والألوسي • ثم قامت الردود على قصيدة النبهاني ... التي بقيت مخطوطة للآن •

هذه لمحة عابرة عن صدام النبهاني بمدرسة الأفغاني •

ويبدو لي أن النبهاني لم يظهر هوادة في محاربته للأفغاني ومدرسته ومحمود شكري الألوسي بعد أن ظهر كتابه " غاية الأماني في الرد على النبهاني •

أما موقفه من الوهابية فقد كان أقل حدة ، وهو يعترف لهم بتشرعهم بالاسلام واقامتهم لشعائره من صلاة وصوم وحج وغيرها وانما يأخذ عليهم قولهم في زيارة القبور والاستغاثة وهي مسائل خلافية قديمة كما قلنا •

أقول واذا كان الشيخ النبهاني قد جوز لنفسه أن يمدح عصره الأول مع اعتقاده فساده اذا ما وازنه بعصره اللاحق لما حدث فيه كما في قوله :

مضى عصرنا شر العصور وانه	**	بنسبة هذا العصر أكرم به عصرا
أرى ذمه فرضا اذا ما ذكرته	**	فان قسته باليوم أوليته شكرا
تبدلت الأحوال من كل وجهة	**	وأصبح عرف الدين بين الورى نكرا (1)

ألا يجوز لنا اليوم وقد تغيرت الأحوال عما كانت عليه ــ كما تغيرت في عصر الشيخ النبهاني ــ أن نغير نظرتنا في الوهابية ــ كما غير النبهاني نظرته عن عصره الأول ــ وهم المتشرعون الوحيدون بالاسلام رسميا من بين سائر بلاد المسلمين •

ولو أن النبهاني عاش ليومنا هذا لاستشهد بهذه الأبيات أو زاد عليها ، ولاعترف لمن هجاهم من قبل بأنهم بالنسبة لأبناء عصرنا كانوا من المصطفين الأخيار •

---

(1) الديوان ص ٣٩٧ •

الباب الثالث أدبه

الفصل الأول : نشوه وفنونه :

الشيخ يوسف النبهاني الأديب :

لقد كان للمنابع الثقافية التي أستقى منها الشيخ النبهاني أكبر الأثر في تكوينه اللغوي والأدبي ، فقد تلقى بواكير ثقافته على يد والده الذي ما ان بلغ السابعة عشرة من عمره حتى حفظ القرآن الكريم وبعض المتون فتكونت لديه حصيلة أدبية ولغوية متأثرة بقوة القرآن اللغوية وجماله في التعبير والمتون التي تصاغ بعبارات جزلة مختصرة تحمل المعاني الكثير بألفاظ قليلة •

ولعل من باب التأكيد أن أكرر القول بأن شخصية والده الأزهرية تكاد تكون المؤثر الوحيد الفعال في شخصية الشيخ النبهاني وعلمه وأدبه ، فكون والده هو أستاذه جمله في درس مستمر طيلة نهاره وليله فهو يؤاكله ويجالسه ويلقنه مبادئ العلوم ويحفظه القرآن فيتمثل الشيخ بكل حواسه وعواطفه حتى تنطبع في ذهنه فيكون هو اياها •

ولا شك أن بوادر النبوغ الأدبي قد ظهرت في مراحل طفولته وصباه فاكتشفها الأستاذ الوالد فوجهها للاستقاء من المصادر العربية الأصيلة • لذلك نلاحظ أن الشيخ النبهاني كان دائما يدعو لوالديه في ختام كل كتاب وبمناسبة وبلامناسبة وفي ترجمته لنفسه في كتابه هادي المريد الى طرق الأسانيد ذكر أن الفضل الأول في تعليمه يعود لوالده الذي حفظه القرآن وبعض المتون قبل ذهابه الى الأزهر وأن والده كان مدواما على العبادة فقد كان يختم كل ثلاثة أيام ختمة من القرآن ثم أصبح يختم كل أسبوع ثلاث ختمات • لذلك نجد الشيخ النبهاني لم يترك لنا أي أثر في أي موضوع أدبي • بل كل ما بحثه كان في موضوعات دينية أستجابة لمتطلبات العصر الذي كان الناس فيه بحاجة الى من يعيدهم الى دينهم ويذكرهم به بعد ما أخذ المبشرون ودعاة الحضارة الغربية ينتقصون من الاسلام بطريقة أو بأخرى فوقف الشيخ النبهاني مسخرا علمه وقدرته على التعبير في تحبير الرسائل والمجلدات نظما وشعرا للتذكير بمجد الاسلام ورد خصومه •

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " ....

فالتأليف في هذه الأبواب ـ تنبيه المسلمين والدفاع عن الاسلام ـ لا يخطو

فى بالى حين الاقدام عليه ـ أى : التأليف ـ طلب الثواب بل أجد من نفسى داعيا لا أقدر على مخالفته للمحاماة عن هذا الدين المبين والانتصار لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والنصيحة للمسلمين وأولاد المسلمين ، ولو رأيت غيرى من العلماء ألف فى ذلك كتبا تغنى عن كتبى لما أقدمت على تأليفها وكنت اقول قد حصل المقصود على يد من شاء الله من خلقه [1] لا سيما والتأليف فى ذلك يتسبب فى كثرة الأعداء من الكفار والفجار كما وقع لى وقد قصدوا أذيتى فوقانى الله شرهم ببركة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ولم يخطر لى التأليف فى علم الأدب مع امكان ذلك نظما ونثرا لكون النفع الأخروى فيه قليل الآن ، وان كان من وسائل معرفة العلوم الدينية لأن المؤلفات الموجودة منه ليست بقدر الكفاية فقط بل هى أكثر من الكفاية بأضعاف مضاعفة فضيعوا أعمارهم فى تأليف الكتب المنطقية والنحوية وما أشبهها مما لا حاجة له اليوم لكثرة كتبها التى فى عشر معشارها كفاية ومع ذلك فهم مأجورين على حسن نياتهم ، ولذلك لا ينبغى لعلماء المسلمين الآن تضييع الاوقات فى التأليف فى ذلك وما أشبهه من العلوم الآلية ، والفنون العقلية وترك المقصود بالذات وهو الأمور الدينية ، ولا سيما التى تناسب هذا الزمن ، وما طرأ فيه على الاسلام وأهله من هجوم الكفر والأضاليل والبدع والاباطيل ، فيجب على علماء المسلمين السالمة عقائدهم من الزيغ المبادرة الى تأليف مؤلفات تحفظ عقائد العوام وتدفع عنهم الضلالات والأوهام ولا سيما مشايخنا واخواننا علماء الأزهر والمحفل الأنور فان هذه البلايا التى طرأت على الدين هى فى بلدهم مصر أكثر منها فى سائر بلاد المسلمين فبعد أن كانت معدن الرشاد ومنها يتفرع الى العباد كثر فيها فى هذه الأيام فى الدين الفساد ، وصار ينتشر منها الى سائر البلاد فبادروا أيها العلماء الأعلام حماة الاسلام وجاهدوا بسيوف الأقلام أهل الضلال والظلام فقد صار الدين كما ترونه ملعبة بأيدى الجهال يتصرفون بعقولهم السخيفة فى تحليل الحرام وتحريم الحلال ، فكثرة المفاسد فى الدين وتشوشت عقائد بعض جهال المسلمين ، فاتركوا رحمكم الله الاشتغال بما لا ضرورة له من تأليف الحواشى والتقارير وانتبهوا من غفلتكم لهذا الأمر الخطير والحكم لله العلى القدير [2] .

كان هذا من ثمرات عبادة الاستاذ الوالد ومن ثمرات عبادته أيضا أن الشيخ النبهانى حصر كل انتاجه الفكرى حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عن

---

(١) هذا الموقف يشبه موقف الشيخ بدر الدين الحسينى الدمشقى المشهور بعلمه وفضله .

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٦ .

الاسلام فقط اضافة الى أن قريته التى عاش فيها صباه حتى ذهب الى الأزهر كانت أشبه بخلوة له مما أعطاه وحدة فى التفكير وتماثلا فى التصور والنظر الى الأشياء بنظرة واحدة لا تتغير مهما تغيرت الظروف والأحوال • واذا كانت أساليب تربية الناشئين فى عصور الاسلام الزاهرة تختلف فى أساليبها فأهل المشرق أول ما يعلمونه ناشئتهم القرآن وعلومه حتى اذا بلغوا الرشد علموهم العربية وعلومها أما أهل الاندلس فانهم كانوا يعلمون (١) • العربية وعلومها أولا حتى اذا بلغ المتعلم الرشد علموه القرآن وعلومه • ولكل فلسفته فى منهجه • ويبدو أن الشيخ النبهانى قد تلقى علمه على طريقة أهل المشرق لانه قال : ان والده قد حفظه القرآن وبعض المتون قبل أن يذهب الى الازهر " وهذا يلقى لنا الأضواء على أدبه الذى يتمثل القرآن أسلوبا ومعنى •

مقدرة النبهانى الأدبية :

ان كل من قرأ للشيخ النبهانى يشهد له بالبراعة وقوة الأسلوب ويدرك أنه قد طوع اللغة لمختلف الاغراض التى طرقها • يقول البدوى الملثم " •••••••••• كان النبهانى الكبير عالما مشاركا فى كثير من الفنون وشاعرا مجيدا وزاده ملكة واقتدارا على الكتابة والانشاء بعبارة فصيحة عالية خالية من الركاكة اشتغاله مدة فى تحرير جريدة الجوائب ••••• ولو زاول الأدب مع تبحره فيه وتمكنه منه نظما ونثرا لكانت لأدبنا المعاصر ثروة ضخمة ••••• " (٢) •

والشيخ عبد الله الملا يلى عاش زمن الشيخ النبهانى وحادثه وجرت له عدة محاورات علمية معه فى مختلف القضايا الحادثة كالتأمين وغيرها — : وقد سألته عن القدرة الأدبية للشيخ النبهانى قال : " عظمته من الناحية الأدبية تجلت فى كونه قمة من قمم الادب الرفيع الذى عرفه القرن التاسع عشر لأن الصياغة الأسلوبية لم يأخذها من عصر التخلف وانما من المنابع الأصلية " (٣) •

---

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٥٣٧ — ٥٤٠ فصل فى تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية فى طرقه تكلم عن مناهج التعليم فى مختلف البلاد الاسلامية •

(٢) مجلة الاديب — بيروت — عدد يناير ١٩٦٥ ص ١٢ الجزء الاول سنة ٢٤ •

(٣) قابلته فى بيته فى ١٩٧٥/١/٦ بحضور الشيخ محمد نمر الخطيب •

ويقول الأمير شكيب ارسلان عن الشيخ يوسف النبهاني " كان من رؤس الأدباء ومن الشعراء المفلقين " (١) ويقول صاحب معجم الشيوخ " .... ولم يشتغل بالتأليف في العلوم الأدبية مع تبحره فيها وتمكنه منها نظما ونثرا بل أقتصر على المدائح النبوية والموضوعات الدينية التي أختصرها وهذب كثيرا من مؤلفات من قبله وجمع فيها ما كان متفرقا (٢) " .

وقد بين لنا الشيخ النبهاني شيئا من جوانب ملكته الأدبية فقال :-

" .... ثم توجهت الى القسطنطينية مرتين واشتغلت فيها عدة سنوات بتحرير جريدة الجوائب التي ألغيت بعد ذلك وتصحيح ما يطبع في مطبعتها من الكتب العربية وبسبب ذلك مع قابليتي القوية ومعرفتي بشئ من الفنون العربية والأدبية تدربت على الكتابة حتى صار ابراز المقصود بعبارة فصيحة خالية عن الركاكة والغرابة يتيسر لي بفضل الله تعالى " (٣) .

وفي مكان آخر ذكر النبهاني أن الاستاذ احمد فارس الشدياق كان يعد عمل الشيخ النبهاني في جريدة الجوائب الى جانبه من أكبر النعم عليه وقد عرض عليه أن يزيده في معاشه أو يشاركه في الجريدة مقابل بقائه في عمله وعدم الذهاب الى وظيفته في القضاء .

وفي هذا الموقف من جانب الأستاذ الشدياق دلالة على تقديره له ، وهو اللغوي الكبير الذى قيل عنه انه قاموس متحرك وأن من يطالع ردوده على الأستاذ رزق الله حسون التي نشر بعضها على صفحات جريدة " ثمرات الفنون " التي كانت تصدر في بيروت يعلم مقدار منزلته اللغوية والعلمية ، وفي عرضه على الشيخ النبهاني مشاركته في الجوائب أفضل شهادة علمية لمنزلة النبهاني الأدبية .

ويقول الشيخ النبهاني " ..... وقد رزقني الله -وله الحمد والمنة- ملكة قوية في العربية بعد قراءتي في الجامع الأزهر على مشايخي الذين ذكرتهم في ثبتي " هادى المريد الى طرق الأسانيد " جميع الكتب التي أعتادوا قراءتها في علم النحو في نحو سبع سنوات من الاجرومية الى الاشموني بالشروح والحواشي مع حفظ الاجرومية والألفية ومطالعتي العوامل والاظهار وكافية ابن الحاجب بنفسي

---

(١) " السيد رشيد رضا أو اخاء أربعين عاما " للأمير شكيب ارسلان ص ٧٥ .

(٢) معجم الشيوخ للفاسي ج٢ ص ١٦١ .

(٣) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٢ .

ولبعض الطلبة ومع ذلك نسيت الآن أكثر قواعد النحو لكن ملكتي التي تعصم قلمي من اللحن غالبا قوية والحمد لله وقد طالعت من كتب الأدب والتاريخ شيئا كثيرا ولا أخلو دائما من المراجعة في كتب اللغة وغريب الحديث " (١) .

ويقول أيضا " وقد رزقني الله وله الحمد والمنة الفهم الصحيح والذوق السليم في كل ما ألفت فيه وهذا الوصف ليس مختصا بأكابر العلماء بل قد يكون في أذكياء العوام فضلا عن طلبة العلم وكثير ممن يقضون أعمارهم في الاشتغال بالعلم لم يرزقهم الله الفهم الصحيح والذوق السليم . وقد رزقني الله وله الحمد والمنة حسن التعبير عما أريد أن أعبر عنه بعبارتي وحسن الترتيب لما أريد أن أنقله من كتب العلماء مع معرفتي المعتمدين منهم وغير المعتمدين المقبولين عند الأمة وغير المقبولين لكثرة ما طالعته في كتبهم ." (٢) .

النشو الفني في عصره :

بدأ الشيخ النبهاني حياته الأدبية بعد أن أمضى سبع سنوات في الأزهر دارسا على أئمة شيوخه ، وقد كان الشعور الاسلامي ظاهرا على أئمة العلم والأدب خصوصا في مصر وبلاد الشام حيث كانوا يدينون للسلطان عبد الحميد الذي دعا للجامعة الاسلامية ـ بالولاء وكان الأدباء في هذا العصر ينظرون الى التراث نظرة اكبار واعزاز محاولين تقليده والسير على خطاه شعرا ونثرا .

ولو نظرنا الى نماذج من كتابات هذا العصر لوجدناها لا تختلف في أسلوبها وبنائها عن أسلوب أئمة الأدباء في عصور الأدب الزاهرة .

يقول الشيخ محمود شكري الألوسي : " ...... ونرفع اليه جل شأنه أكف التضرع والابتهال ونبسط له ـ تعالى سلطانه ـ أيدي التذلل والسؤال أن يديم ديم صلاته وسلامه هاطلة على أجل من نشر رايات التوحيد وعقد خنصر قلبه على تقديس ربه المجيد وتمسك بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد سيدنا ومولانا محمد أمينك على وحيك ونجيك من خلقك وصفيك من عبادك امام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة الذي نصب لأمرك نفسه وعرض فيك للبلاء بدنه ، وكاشف اليك في الدعاء خاصته ، وحارب في رضاك أسرته وقطع في

---

(١) المصدر السابق ص٤٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٥ .

احياء دينك رحمه ٠٠٠٠٠ الخ " (١) ٠

تلاحظ السجع والمزاوجة بينى الجمل واضحا ٠

وكتب شوقى الى صديقه شكيب أرسلان سنة ١٩٠٧ يقول " أميرى الحبيب الكريم " سلام الله العلى العظيم ، على ذلك الجانب الكريم وبعد فان " بيومى بـك " الذى يتقدم اليك برسالتى هذه هو رجل كله أدب وان لم يكن من رجال الأدب ٠ وقد عزم على أن يقيم ببيروت أياما معدودة وأبى الا أن أدله على علمها ومنارها والأثر الضخم الجليل من آثارها وهو أنت ، وها قد دللته ، واليك أرسلته ، وأنا أغبطه بهذه الوفادة وأحسده على تلك السعادة " (٢) ٠

وكتب محمود سامى البارودى الى صديقه شكيب سنة ١٩٢٥ قال :

" سيدى الأمير لولا حنين النفس وهو علاقة الحب لصبرت على المكاتبة هنيهة مخافة الاملال ، ولكن راجعت النفس فأبت على زاعمة أن الاغباب يكون فى الزيارة لا فى الكتابة ، وبعد فقد تلقيت اليوم ما تفضلتم به على بيد ترعد فرحا وفؤاد يهتز مرحا ٠ وما عساى أن أقول فى نظم لو وصفته لقلت سحر أو نثر لو وردت شرعته لكان بحرا ٠ انها وأيم الله منة لا يقوم بها الشكر ، ولا يتدرج الى معروفها النكر كيف لا وقد أضاءت على غيابة الوحشة وسرت على ضبابة الحرة ٠ فالحمد لله الذى صدق ظنى وحقق أملى ٠ فانى منذ طالعت آثار قلمكم فى جريدة الأهرام شعرت بميل من النفس اليكم ونزاع منها الى التعارف بكم ٠ ثم لم ألبث أن رأيت بها تعريضا خفيا سمعت منه هاتفا روحيا يدعونى اليكم فحدثت نفسى بمد أسلاك المراسلة لتبادل كهرباء المودة معكم ولكنى راعيت الحال فأمسكت على مضض حتى سمعت هاتفا آخر يدعونى باسمى صراحة فلم أتمالك أن لبيت دعوته فتم الأمل بتعارف الأرواح قبل تعارف الأشباح ٠

هذا ما كنت أجده فى نفسى أذكره لكم على سبيل الغرابة وسأكتب بعد هذا ان شاء الله فاقبلوا تحية فؤادى وخالص ودادى ودمتم " (٣) ٠

---

(١) غاية الامانى فى الرد على النبهانى ج ١ ص ١٣ ٠

(٢) شوقى أو صداقة أربعين سنة ص ٣٤ ٠

(٣) شوقى أو صداقة أربعين سنة ص ١٠٦ ٠

وكتب احمد فارس الشدياق فى صدر كتابه عن مالطة قال : " أما بعد فان الأسفار طالما ذكرها الذاكرون وبالغ فى وصفها الواصفون فمدحها من علت مروءته وسمت همته وذمها من قصر عنها ولم يجن منها فمنهم من شبه صاحبها بدرا ان لم ينقل لم يكن فى التبجان منضودا ، وبهلال ان لم يسر لم يصر بدرا مشهودا ، ومنهم من زعم أنها الحاملة على الذل المضيعة لحسب المرء والموقعة له فى الضَّلل والخمول وعدم الشكل وان الشىء انما يَزِيْنُ اذا كان فى مستقره حتى عرفوا الظلم بأنه وضع الشىء فى غير مقره ومعروف أن محل العرب مباين لمحل العجم فكأن احد الفريقين اذا جاوز محله فقد ظلم " (١) .

وكتب الشيخ محمد عبده يصف نهج البلاغة " أوفى لى حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة صدفة (٢) بلا تعمل . اصبته على تغير حال وتبلبل بال وتزاحم أشغال وعطلة أعمال ، فحسبته تسلية وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته وتأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفات ومواضيع متفرقات وكان يخيل لى فى كل مقام أن حروباً شبت وغارات شنت وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة " .

وكتب محمود سامي البارودى يصف طريقة الى البحر وما علناه من البحر وآلام الفرقة والغربة " انى لما أفضت بى غوائل الزمن الى مفارقة الأهل والوطن وحقت كلمة الوداع وأنصت كل مجيب وداع سارت بأشباحنا الفُلْكُ بتقدير من له الملك فلما توسطنا لجة اليم وغشيتنا ضبابةُ الهم أخذ البحر يهدر ويموج والريح تعصف وتروج والدجن يبرق ويرعد ، والموت يقرب ويبعد ، والفلك بين صعود وهبوط ، والناس بين رجاء وقنوط . فشخصت الأبصار ، وغابت الأنصار ، وأقبل الفزع ، واستولى الجزع وشَغَلَتْ الدموع المحاجر ، وبلغت القلوب الحناجر ، هنالك دعا ربهم الغافلون وكَفَّتْ أذيالهم الرافلون " (٣) .

هؤلاء من مشاهير أدباء العصر وقد كان همهم أن يلحقوا بأساطين الكتابة وبلغاء المترسلين وأن يتشبهوا بهم فى المزاوجة بين الجمل ، وفى السجع وفى اختيار الألفاظ والتراكيب العريقة ، وقبلتهم ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب وابن العميد

---

(١) الواسطة فى معرفة أحوال مالطة ص٢ ، طبعة الاستانة .

(٢) المعروف فى اللغة مصادفة . د . عبد السلام سرحان .

(٣) محاضرات عن أمير البيان شكيب أرسلان ص ٨٩ ــ ٩٠ .

وسهيل بن هارون والصابي ومن اهتدى بنجمهم وأخذ بأدبهم .

وكانت الفحولة في أن تكون الجملة قصيرة جامعة شاملة من جوامع الكلم كما كانت من قبل في القرون السالفة وان الاخذ بأسلوب السجع في الكتابة ليتعمق عند الشعراء أكثر من غيرهم من الأدباء لأن السجعات تأتيهم عفو الخاطر لأن فيها صورة القافية ، والقوافي ملك يدى الشاعر وطوع بنانه يستطيع أن يمد يده اليها فيصطادها في يسر وسهولة .

يقول الدكتور الدهان : أما الأول ـ أحمد فارس الشدياق ـ فقد ملك ناصية اللغة العربية مفرداتها وتراكيبها وعجم عود القدماء وسلك سبل البلغاء وسافر وارتحل فتنقل الشدياق في أرجاء الغرب وسكن باريس برهة غير قليلة وتبصر في آداب الأوربيين وسافر الى مالطة والاستانه وتونس ومكث معززا مكرما بين الملوك والأمراء يجتمع بالفحول والأعلام ، وعاد مع ذلك بهذا النثر الذى قرأناه والأسلوب الذى رأيناه [1] .

وعن مقدرة الشيخ محمد عبده الأدبية يقول الاستاذ احمد حسن الزيات :
((وللأستاذ في الترسل أسلوب خاص كأنه قطع الرياض تقرؤه في الردود والمقالات وقد ينحو في رسائله نحو ابن العميد فيتكلف السجع بالصنعة ويقصد قصد الجاحظ في تأليفه ، فتتساوق أغراضه وتتراصف فقره)) [2] .

أما محمود سامي البارودي فهو معروف بمنزلته الأدبية السامية في عصر النهضة الحديثة فقد عرف المناصب العالية وأتصل بأعلام السياسة والوطنية والأدب ورزئ بالنفي والابعاد وظل وفيا للغته صادقا في حب القدماء .

وهذا عبدالله باشا فكرى يكتب الى الأستاذ أحمد فارس الشدياق فيقول :
((سلام أبهى من عذار الظل على وجنة النهر وأشهى من لآلئ الطل في مباسم الزهر وأزهى من شموس الطلا [3] اذا موهت أشعتها فضة الكأس بالطلا [4] وثناء أظرف من وجنات الورد قبلتها ثغور الشقائق ، وألطف من عيون النرجس اذا حدقت لحسن الحدائق .

---

(١) محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان ص ٩٠
(٢) تاريخ الادب العربي ص ٣٨٢ .
(٣) الطلا بالضم بياض الصبح .
(٤) الطلا بالكسر الندى

وبعد فبينما أنا مشغول الفؤاد بانتظام مراسلات الوداد .. ورد علينا عزيز المكاتبة المشتملة على لذيذ المعاتبة فلما فككت ختامها ورمقت بعين الأشواق أرقامها فاذا هي قد جلت من صفاء المودة مدامها وان راشت بالملامة سهامها ، وجعلت عدم عرض الأشعار المكتسبة من حلل البلاغة بأبهى شعار ناشئا من مقالة حاسد ساعده الزمان المعاند ، مع أنا لو سلمنا وجود الوشاة فصاحبك لا تؤثر في مودته أقوال المداة فكيف ولا واش وشى ، ولا حاسد بيننا مشى)) [1] .

وعبد الله باشا فكرى لم ينس الاسلوب العربى القديم من السجع ومزاوجة الجمل على الرغم من ترقيه فى أعلى الرتب فى البلاط الخديوى وحضوره المؤتمرات العلمية فى أوروبة .

يقول الاستاذ احمد فارس الشدياق فى كتابه " سر الليالى " : ((وممن برع فى هذا العصر وحق لنا به الفخر فى الانشاءات الديوانية وهى عندى أوعر مسلكا من المقامات الحريرية : الأديب الفاضل العبقرى عبد الله بك فكرى المصرى ، فلو أدركه صاحب المثل السائر لقال كم ترك الأول للاخر ، فسبحان المنعم بما شاء على من شاء ومن أجل تلك النعم الانشاء)) .

ويقول صاحب الوسيلة الأدبية الشيخ حسين المرصفى :

((اذا قرأت متأملا حق التأمل ما نقلناه لك من انشاء ذوى العصور المتتالية عرفت كيف أختلاف مذاهب الناس فى الانشاء ، وكيف يسلك بك التوفيق الى اختيار طريقة تناسب أحوال بنى وقتك وتوافق افهامهم اذا دعتك داعية للانشاء المصنوع .

هذا وأنفع ما أراه ينبغى لك أن تتخذه دليلا يرشدك الى كل وجه جميل من وجوه الفنون التى تحاول فيها أن تكتب الكتابة الصناعية المناسبة لوقتك الذى تأمل أن تعيش فى رضا أهله عنك واعترافهم بظهور ما يعود منك عليهم نفعه ، انشاآت الامير الجليل صاحب الوقت الذى لو تقدم به الزمان لكان له بديعا ان ولم ينفرد بهذا اللقب الا علامة همذان عبد الله فكرى بيك أطال الله ايامه وأعلى كما نرجو منه تعالى حيث كان مقامه ــ و .... الى آخر ما قاله)) [2] .

---

(١) الاثار الفكرية لعبد الله باشا فكرى ص ٢١٩ .

(٢) الوسيلة الادبية جـ ٢ ص ٦٧٢ .

وفى هذا دلالة واضحة على أن أسلوب الأدب الموفق فى ذلك العصر كان هو الأسلوب القديم الذى يشتمل على أنواع النكات البلاغية علما بأن أسلوب عبدالله فكرى باشا يشبه ما أستشهدنا له به من استعمال جميع أنواع المحسنات البلاغية التى تطابق بديع الهمذانى والحريرى (١) •

أقول : اذا كان هذا هو حال الأدباء الذين يخالفون الشيخ النبهانى فى أتجاهه الفكرى الذى يرى كل الخير فى القديم ولا خير فى الجديد فكيف الحال ممن شاكلوه فى فكره لا شك أن الاسلوب القديم فى الصياغة الادبية كان أعمق لديهم وأبعد أثرا وأكثر وضوحا فى أساليبهم •

جاء فى أجازة الشيخ ابراهيم السقا الشافعى (٢) ما يلى :

بعد ذكر المقدمة وما فيها من حمد وتسبيح وثناء •

أما بعد : فلما كان الاسناد مزية عالية وخصوصية لهذه الأمة غالبة دون الامم الخالية أعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر اذ الدعى غير المنسوب والقصى غير المحسوب وسليم البصيرة غير أغشى الفكر •

ولما كان منهم الامام الفاضل والهمام الكامل والجهبذ الابر واللوذعى الأريب والألمعى الأديب ولدنا الشيخ يوسف بن الشيخ اسماعيل النبهانى الشافعى أيده الله بالمعارف ونصره : طلب منى اجازة ليتصل بسند سادتى سنده ، ولا ينفصل عن مددهم مدده ، وينتظم فى سلك قد فاق فيه غيره وبهر ، فأجبته وان لم أكن لذلك أهلا ، رجاء أن يغشو العلم وأنال من الله فضلا ، وأنجو فى يوم القيامه مما للكاتمين من الضير فقلت : أجزت ولدى المذكور بما تجوز لى روايته أو تصح عنى درايته من كل حديث أو أثر من فروع وأصول ومنقول ومعقول وفنون اللطائف والعبر كما أخذته من الأفاضل السادة والأكابر القادة ....

وقد سمع منى المجاز كتبا عديدة مهمة مفيدة كالتحرير والمنهج وفقه الله لمحاسن ما به أمر آمين بجاه طه الامين فى ١٨ رجب ١٢٨٩ هـ •

الفقير اليه سبحانه

ابراهيم السقا الشافعى بالأزهر

عفى عنه

---

(١) راجع كتاب الاثار الفكرية •

(٢) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق ص ٥-٦ •

وقرظ الشيخ عبد الرحمن الشربيني – شيخ الازهر وأستاذ النبهاني كتاب " شواهد الحق " للنبهاني •

قال :

" بسم الله الرحمن الرحيم "

((الحمد لله الذى هدانا بكتابه العزيز الحكيم الى القسطاس القويم والصراط المستقيم ، وأنقذنا بنبيه الكريم الأمين من عماية العمين وغواية الغاوين وضلالة الضالين واضلال المضلين ، والصلاه والسلام على النور المبين والصراط المستقيم المستبين بابه الذى منه عليه يدخل والوسيلة اليه الذى بغيره اليه لا يتوسل وعلى آله وصحبه قدوة المقتدين وصفوة المهتدين ما سلك سالك مسلك الصواب ونطق ناطق بالحكمة وفصل الخطاب •

أما بعد : فقد وقفت على كتاب ((شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق)) لمؤلفه العالم العامل الفيصل الكامل الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى رئيس محكمة الحقوق ببيروت بلغه الله الأمانى فاذا هو شاهد عدل آت بالقول الحق والكلام الفصل جدير بأن يوسم كما وسمه مؤلفه بشواهد الحق حجة قائمة على طائفة الضالين المضلين صارم فى نحر المبتدعة الملحدين تحيا به السنة وتموت به البدعة جزى الله مؤلفه جزيل الجزاء وجميل الثناء وأحسن اليه والينا يوم يقوم الناس لرب العالمين لفصل القضاء آمين آمين [1] •

الامضاء

عبد الرحمن الشربينى

وقرظه الشيخ عبد القادر الرافعى شيخ مشايخ الحنفية ومفتى الديار المصرية سابقا •• فقال :

" بسم الله الرحمن الرحيم "

((حمدا لملهم الصواب ، والصلاة والسلام على من أوتى الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله والأصحاب والتابعين لهم الى يوم المآب ••

أما بعد : فقد أطلعت على الكتاب المسمى " بشواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم لمؤلفه العلامة الهمام الشيخ يوسف

---

(١) شواهد الحق ص١٢ – ١٣

النبهانى فاذا هو عين الصواب مؤيدا بالسنة والكتاب دلائله معضدة وبراهينه مشيدة فيجب الاستظلال بظله الظليل ويكون حقا عليه التعويل لأنه الحق الذى يرجع اليه فجزى الله مؤلفه أحسن الجزاء ووفقه لما يحب ويرضاه بجاه من هو للأنبياء ختام عليه الصلاة والسلام •

الامضاء
الفقير الى الله تعالى
عبدالقادر الرافعى بالأزهر

فى يوم ١٠ شعبان ١٣٢٣ هـ

وهناك أربعة عشر تقريظا للكتاب من كبار علماء العصر اتخذت هذا الاسلوب ولا شك أن السجع فيها واضح وبين ولو تركنا هذه التقاريظ الى الرسائل المتداولة بين الأصدقاء فى ذلك العصر لظهرت لنا الأساليب العربية القديمة واضحة وكأنها قطع من مقامات الحريرى أو الهمذانى اذ السجع فيها واضح كل الوضوح والمزاوجة بين الجمل والتراكيب ظاهرة بينة فقد جرت مراسلة بين الشيخ عبدالهادى بن السيد رضوان نجا الأبيارى (١) وبين الشيخ ابراهيم الأحدب (٢) جمعت رسائلهما فى كتاب " الوسائل الأدبية فى الرسائل الأحدبية " وقد جاء فى مقدمة الكتاب :

" الحمد لله الذى أنزل علينا كتابا نقرؤه وبشرنا بأنه تعالى على مر الأيام يكلؤه والصلاة والسلام على من حثّت رسالته على اتباع ملة ابراهيم وأوتى من البلاغة والفصاحة مالم يبلغ أحد من العالمين مبلغه العظيم وعلى آله الأجِلّة وصحبه الذين حازوا من الفضل جُلّه وبعد •

فيقول الباشر الفقير الى هبوب نسيم لطف الله البارى عبدالهادى بن السيد رضوان نجا الأبيارى : لما كان من أجل ما حثّت اليه نفائس النفوس وأجمل ما حلت به عقود السطور أجياد عرائس الطروس وأزهى ما اقتطفته من رياض الادب الاديب وأبهى ما ورّد به خد الكتابة والخطابة الاريب : ما دار بينه وبين نادرة العصر الذى تفعل آدابه البديعة بالعقول مالا تفعله بلاغة القصر حضرة المولى الأجل أديب الشام السيد ابراهيم الأحدب بلّغه الله من الحظوظ كل مطلب ومنحه كل مأرب من المراسلات التى تهز أعطاف الأدباء طربا وتؤازر كل من مد عنقه لمعارضتها طلبا —

---

(١) ذكره الشيخ النبهانى من جملة أساتذته راجع شواهد الحق ص ٦

(٢) وهو أحد علماء وشعراء الشام وقد قرأت له قصائد كثيرة فى جريدة الجوائب =

أردت أن أدوِّن ، ما بقى عندى بعدما افترسته منها ضباع الضياع متبعا كل رسالة له بما أرسلته لحضرته فى ردهما وان كان مما تمجه الاسماع ليرى المطلعون على الرسائل كيف يكون النظم والنثر وأن مثلى من متأدبى الوقت لم يؤت فى جنب بلاغة منشئها الا النزر ولينظروا كيف تتبرج (١) المعانى البديعة فى حلل من الالفاظ أرق من النسيم وتتأرج المعانى الفصيحة فى أندية الأدب الزاهرة تأرج المسك الشميم وأنه هكذا تكون الخطب والرسائل ، ألا وان مَنْ لم ينسج على هذا المنوال لم يراع للأدب ذمة ولم يرقب الا فاليكها عرائس مجلوة ، مَنْ كشف لثامها ورشف من رضابها استكمل الظروف والفتوة موسومة بالوسائل الادبية فى الرسائل الاحدبية واستطردت فى خلالها ببعض ما كتب لى من أبناء العصر أوكتبته لبعض مما رأيت أن تركه قيده عبث محض وربما فسوت فى خلال بعض الرسائل ما أودعته فيها من الاشارات لبعض المسائل الحكمية وأوضحت ما أومأت اليه من الفوائد التاريخية والفرائد الأدبية اذ قلما أخليت رسالة من عرائس يرى مغرب الأدب وصلها من أغرض الغرض ونفائس يرمى بها خاطب الخطابة معارضة بشرور من القصص حتى يكون فى شغل الوقت بها أىّ فائدة وتعود علىّ من بركة دعوة مطالعها أى عائدة والى الله أعتصم مما يصم ويعم .... الخ)) (٢) .

كانت هذه هى المقدمة التى قدم بها الشيخ نجا الابيارى كتابه .

والان أذكر شواهد من رسائل كل منهما للاخر ليتبين للقارئ مدى تمكن السجع والمزاوجه بين الجمل من أدبهما مع أظهار كل منهما مقدرته اللغوية والبيانية لدرجة الاستعراض .

١) ((رسالة الشيخ عبدالهادى نجا الأبيارى)) بعد أن قدمها بقصيدة بلغت خمسة وثلاثين بيتا مليئة بالنكات البلاغية والجزالة اللفظية قال :

((بعد اهداء ثناء تطير به أجنحة المحبة حتى تتجزعلى المجرّة أرادنه ، وابدأ ولا أسس على الصداقة بنيانه وقامت على قواعد الوفاء أركانه فانى أهزأ بنسيم

= التى تصدر فى الاستانه وفى جريدة ثمرات الفنون التى كان يصدرها الشيخ عبدالقادر المغربى قصائد فى مناسبات مختلفة من تهنئة السلطان عبدالحميد بالعيد الاضحى أو الفطر الى عيد الجلوس ورأس السنة أو النصر وغيرها وقد سألت الاستاذ خير الدين الزركلى عن شعره فقال أنه شاعر مجيد ولكن الشيخ يوسف النبهانى كان أقوى منه " .

(١) تتبرج : تظهر وتبدو .

(٢) الوسائل الادبية فى الرسائل الاحدبية ص ٢ ـ ٣ وقد ذكر الشيخ نجا الابيارى مناسبة لقائهما عام ١٢٨٠ وكيف نشأت بينهما الصداقة .

السَحَر أن يكون رسولي اليك وأعبث بعبير الزَهَر ان رأى أن يشتمل بثنائي بين يديك ، كيف لا وفي النسيم اعتلال وغرامي صحيح ، وبالعبير عجمة وثنائي على شمائلك مطبوع فصيح ... وأبي الله الا أن يجعله في الصناعة الادبية رئيسا وما سواه مرؤوسا فأصبح ونهايات المساعي لحضرته الشريفة بداية ، وأمسى وآمال الرغائب لها الى ساحته الوريفة نهاية حتى صار له في جيد المكارم تقصار وفي كل جند من الأجناد البشرية تذكار ....الخ .

٢) فأرسل اليه الشيخ ابراهيم الأحدب بالجواب الاتي بعد أن قدم له بقصيدة بلغت واحدا وثلاثين بيتا مليئة بالنكات البلاغية والالفاظ الجزلة . وقد جاء في الرسالة :

((بم يجري جواد يرعى في أول شوط من مضماره ، وبأى شيء يعرب ما بنته الافكار من مضمرات استاره ، أينشر لواء الثناء لأمير الأدب الذي طوينا به ذكر الوزير الصاحب عراية فضل العرب عالم مصر الذي وضحت به للعالم معالم واستنارات به شهب آفاقها وتنعمت بأشراق محياه النعائم ، وعُرِفَتْ له في أنديتها عوارف معارف ، ورفعت به لطائف بيت المآثر قواعد ، لطائف ، واهتدى بارشاده الساري اذ كان عبد الهادي وبدا بحضرته كل شرف عم الحاضر والبادي ....الخ)) [1] .

هذا هو الأسلوب الأدبي الشائع في عصره ويتعمق هذا الأسلوب أكثر عند العلماء والفقهاء ممن يعودون بثقافتهم الى الأصول الثقافية العربية الأصيلة .

أما العلماء الذين جرت له معهم رسائل متبادلة فهم أقرب له وأكثر تأثيرا فيه . وهذه رسالة وردته من السيد الشريف أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي العطاس العلوي الحسني في اليمن .

٣) ((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فتح لأرباب المودات أبواب المواصلات فأرواحهم في وريف ظله قائلات وان كانت أشباحهم متنائيات والصلاة والسلام على نقطة بيكار الموجودات الشمل من شراب المشاهدات . هادى النفوس المائلات ومغنى الايدى السائلات بالعطايا السنيات ، وعلى اله وأصحابه وتابعيه في جميع الحالات الى حضرة الشيخ الفاضل المتحلي بالفواضل محب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته يوسف بن اسماعيل النبهاني أجزل الله عطاءه وكشف عن قلبه غطاءه ،

---

(١) الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية ص ١٥ .

ويلغه ما يتمناه في دنياه وأخراه .

السلام عليكم ورحمة الله ومن والاكم في الله .... الخ)) [1] .

والحقيقة أن النبهاني رحمه الله كان أبلغ تأثرا من أرباب مدرسة الصوفية وأسلوبهم ، في الكتابة والقارئ الكريم يلاحظ في هذا النص كيف أن عبارته جاءت سهلة ميسرة بعيدة عن التعقيد والتصنع الذي قرأته لعبدالله باشا فكري مثلا بل يأتي سجعهم عفو الخاطر ميسرا لأنه لا يهمهم الاتيان بالسجع القوى المحكم بمقدار ما يهمهم اخراج المعنى الواضح ، والسجع في كلامهم يأتي لتزيين الكلام فقط لذلك تراه سجعا عفويا لا متكلفا .

ولم يسلم هذا الأسلوب من النقد فقد وجه الأستاذ اسعاف النشاشيبي سهام نقده الى الامير شكيب أرسلان الذي يستعمل هذا الاسلوب في كتاباته ورد عليه الامير شكيب أرسلان مدافعا عن هذا الاسلوب وانتصر لكل منهما مؤيدوه وقد ظهرت ثمار مناظرتهما على صفحات جريدة السياسة المصرية وقد جمعها الاستاذ النشاشيبي في كتاب أسماه " مطالعات في اللغة والادب " نشر في القدس سنة ١٩٢٥ .

يقول الأستاذ النشاشيبي : مما أولع به أصحاب المذهب القديم الى يومنا هذا تكرار الكلام في غير مواطن التكرار والاسراف في استعمال المترادفات على غير حاجة اليها ولا فائدة منها فهم لا يأتون بكلمة الا أتبعوها بمرادفاتها فاذا قالوا تمادى الرجل في ضلاله قالوا : ولج في غوايته وعمه في طغيانه ومضى على غلوائه واذا قالوا أحزنني هذا الامر قالوا : وشجاني وأمضني وأرمضني وأقلقني وأقض مضجعي

وسبب ذلك اما قلة البضاعة ونزارة المادة الفكرية ، وأصحاب هذا المذهب يحسبون أن اللغة هي كل شئ فاذا حمل أحدهم على ظهر قلبه مقامات الحريري وديوان الحماسة والمعلقات والمفضليات فقد صار كاتبا نحريرا ، ..أو أن يكون ذلك متابعة لما ورد في محفوظ أقوال العرب من الترادف لضرورة كقول الشاعر " فالفى قولها كذبا ومينا " أو تقليدا لأحمد فارس الشدياق في كتابه " الساق على الساق " .

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٥ .

ومهما يكن السبب فان هذا النوع من الكتابة غير طبيعى [١] أو غير عربى أو على الاقل لا يستمرئه ذوق هذا العصر [٢] .

وقد رد عليه الأمير شكيب أرسلان فى جريدة السياسة أيضا وجاء فى رده .

((ولكننى قبل الشروع فى موضوعى أحب أن أسأله عن قوله : " وأما الأساليب فهناك مذهبان مذهب قديم ومذهب جديد " فاننى لا أعلم مذاهب جديدة الا فى العلم والفن وأما فى الأدب واللغة فلا أعرف الا مذهبا واحدا هو مذهب العرب وهو الذى يويد أن يسميه بالمذهب القديم وهو الذى يجتهد كل كاتب فى العربية أن يحتذى مثاله ويقرب منه ما استطاع لانه هو المثل الأعلى والغاية القصوى . واذا اراد الكاتب المصرى أن يجول فى المواضيع الحديثة والمعانى المستجدة استنفد جميع فنه فى الباس هذه المعانى الجديدة حلل الأساليب العربية القديمة التى هى أصل اللغة والطراز المنسوج على منواله . وقصارى الادب العربى اليوم أن يتمكن افراغ الموضوع المصرى فى قالب عربى بحت لا يخرج باللغة عن أسلوبها ولا يهجن لهجتها ولا يجعلها لغة ثانية . اذ كان التباعد عن الفصاحة والبلاغة والحرمان من حظها هما على مقدار التجانف عن أسلوب العرب عندما كانوا عربا لم تخامر لغتهم العجمة . ولم تفسد منهم السليقة . وأن القمة العليا من ذلك هى لغة الجاهلية وصدر الاسلام ثم ما يليه نوعا ما عندما كانت العربية فى عنجهيتها والفصاحة فى ابان سورتها فأما المذهب الجديد الذى أشار اليه فى الأدب والانشاء العربى فلا نعلمه فى المذاهب ولا وصل الينا خبره)) [٣] .

ثم رد النشاشيبى على الامير شكيب ذاكرا أن مما يعيبه على هذا الاسلوب هو ذكر المترادفات لحاجة ولغير حاجة فأعاد أمير البيان الرد عليه وأعاد الأستاذ الرد أيضا . ورأى أن أصحاب المذهب القديم لا يستوحون عقلهم أو قلبهم ولكنهم يستوحون القدماء ويستعيرون ألفاظهم ومعانيهم ولا يضمنون أقوالهم شيئا من الماضى

---

(١) الصواب: غير طبيعى كما توجب كتب النحو . وواضح أن ذوق هذا العصر فشا ونبا فى ظل الجهالة باللغة .. بل فى ظل عداوتها وكراهيتها للجهل بها . ولحملات اعداء الاسلام عليها . فلا يمكن أن يكون ذوق الجاهلين حجة فى هذا الشأن . وقديما قيل : الناس اعداء ما جهلوا .. د / عبد السلام سرحان .

(٢) مطالعات فى اللغة والادب ص ٩٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٤ .

ويقول : ((ومن أحب أن يرى كيف تكون الكتابة حديثا على سوقة الطبيعى [1] فليقرأ ما كتبه الدكتور منصور فهمى والدكتور طه حسين والأستاذ مصطفى عبدالرازق والأستاذ سلامة موسى فاذا قرأهم فكأنه سمعهم يتحدثون)) [2] .

ويقول الدكتور سامى الدهان ... فالنثر الذى ظهر فى أوائل هذا القرن رجع الى الأساليب المتأخرة على أيدى الكثيرين من أرباب المدرسة التقليدية الذين نظروا اليها نظرتهم الى الحفاظ على النثر القديم ، كأنه يوشك أن ينزل لهجوم المثقفين على اللغات العربية فخافوا وارتعدوا وبالغوا وأسرفوا ، وعقدوا العزم على أن يستعيدوه كما كان لعصوره الأولى من غير أن يمسوه بتغيير أو تبديل فكتبوا أحيانا بصور القدماء ومعانيهم وتراكيبهم وعباراتهم وكتبوا أحيانا أخرى في معان مستحدثة وأغراض جديدة بعبارات الأقدمين وألفاظهم ووقف لهم أرباب المدرسة الجديدة يريدون أن يجاروا روح العصر فى الكتابة العربية بأساليب عربية بعيدة عن التكلف والسجع لعلها تتسع للاغراض الفكرية الجديدة وتسير مع المعانى الواسعة من غير قيد أو حد ، ولكن خرج بعضهم على قواعد الجمال فى الكتابة ونحر اللفظ على مذبح المعنى فخانته اللغة ووقفت دون عونه وانحط الأسلوب حتى بلغ الركاكة واضطرب النحو حتى ارتفع ما كان حقه الخفض وأصبح كل دعى أديبا وكل محرر كاتبا وسادت الفوضى وهنا توسع الشق بين الفريقين ورى كل منهما صاحبه بنعوت خرجت عن النقد الرصين الهادئ فى غالب الأحيان ، وظلم الأدباء الناشئون فما رأوا أى السبيلين يتيمون)) [3] .

وقد أثار الدكتور طه حسين المعركة نفسها مع مدرسة مصطفى صادق الرافعى فقال " أن هذا الأسلوب الذى ربما راق أهل القرن الخامس أو السادس للهجرة لا يستطيع أن يروقنا فى هذا العصر الحديث الذى تغير فيه الذوق الأدبى ولاسيما فى مصر تغيرا شديدا)) [4] .

فأجابه الرافعى ((لقد علم الكاتب أننا لا نزعم أن هذا الأسلوب هو الوجه

---

(١) أشرنا قريبا الى أن الصواب : طبيعى ، وأن طبيعى خطأ .

(٢) مطالعاتى فى الادب واللغة ص ١٢٧ .

(٣) محاضرات عن الامير شكيب أرسلان ص ١٠٦ ، وهذا كلام ليس فيه حجة الاعجز كتاب العرب عن الكتابة بأسلوب العرب

(٤) حديث الاربعاء ، ج ٣ ، ص ٨ — ١٠ .

فى كل فنـون الانشاء ومناحى التعبير • بل قلنا : انه شئ من الزخرف وفن من التنسيق • ونقول الان ان اكثر كتاب العصر ومنهم الاستاذ طه لا يجيدونه ولا يستطيعونه مهما تكلفوا له وبالغوا فى هذا التكلف وتحروا فى هذه المبالغة وهذا عندنا وجه من وجوه التأويل فى معنى تغيير الذوق الأدبى • وهب أن الذوق تغير وأتى على كل شئ فى اللغة وأساليبها فأين معنى الطرفة والنادرة والملحة فى مثل هذه الآثار الدقيقة وقد قامت الدنيا وركعت وسجدت ..... لدقائق توت عنخ آمون ، مع أن الذوق الفنى مات وبعث ثم مات وبعث فى أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وننبه الاستاذ الى أننا نشترط فى هذا الاسلوب أن يصيب موضعه وألا يجاوز مقداره وأن ينزل كمنزلة الزخرف لا منزلة البناء (١) •

ويرى شكيب أرسلان أن السجع والجناس فى الفاتحة والمقدمة كقاعدة الاستقبال وأن السجع رسمى فى المقدمات (٢) • حيث أنها تحتاج الى التخير فى اللفظ والتأنق فى العبارة فالخيال عامل كبير فى هذا الأسلوب شأنه فى ذلك شأن الشعر حين خص بموضوعات الأدب والخيال ، فلن يصلح للتعليم والتربية والقواعد المنطقية ، والأسلوب الذى لحمته الخيال وسداه العاطفة يتجاوب مع الروح والنفس والقلب ويصلح للترنم والغناء ، وهذان يتطلبان ألفاظا مختارة موسيقية لا بد فيها من حلو الكلام وجميل العبارة وغناء القافية فهو شعر نثرى ان صح التعبير بل هو أقرب الى الشعر منه الى النثر ، والأدباء الشعراء يحسنونه أكثر من غيرهم لأنهم يعيشون مع القوافى يمدون اليها أيديهم فى النظم على يسر وسهولة ويمدونها لذلك مع النثر على يسر وسهولة فاذا وقع هذا فليس ذلك من التصنع وليس من الأدب القديم فحسب لان هذا الشعر النثرى يصلح لكل زمان اذا توفرت (٣) فيه أسباب القول ولم

---

(١) محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان ص ١٠٧ ـ ١٠٨ •

(٢) راجع ما دار من حديث بين الأستاذ محمد كرد على وأمير البيان على صفحات المقتبس سنة ١٣٢٤ هـ ص ١٦٨ •

(٣) هذا تعبير خطأ شائع ..لأن توفر : بمعنى أقبل وجد .. يقال : توفر على الدرس اذا أقبل عليه وجد فيه ، والأحسن هنا أن يقال : اذا اجتمعت له أسباب القول أو نحو ذلك ، د/ عبد السلام سرحان •

يخرج عن الأغراض التي يقال فيها ، والجمال في الفن لا عصر ولا زمان يقف عنده فهو يصلح للقرن الرابع والخامس والسادس والقرن الرابع عشر ويبقى جمالا موفور التقدير (١) .

وقد كانت المعركة بين القديم والجديد في حقيقتها معركة بين التمسك بالدين وعدم التمسك به وقد اتخذت من الأدب والفكر ميادين لبحوثها لا أكثر ، والمقصود بالذات هو الدين الاسلامي الذي يرتبط به الأدب العربي ارتباطا مصيريا .

يقول سلامة موسى في مقدمة كتاب (اليوم والغد) ، كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراض في الأدب كما أزاوله . فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسية وأن نلتحق بأوروبة (٢) . فاني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني . وكلما زادت معرفتي بأوروبة زاد حبي لها وتعلقي بها ، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها .

هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرة فأنا كافر بالشرق ، مؤمن بالغرب " (٣) .

ويقول أيضا : ((ونحن في حاجة الى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان ولا بأس من أن تعتمد على الترجمة الى حد بعيد حتى تتمصر ألفاظه ، وعندئذ نسير فيه بالتأليف (٤) .

وعن الشيوخ وتعليم العربية يقول : " ولكن تعليم العربية في مصر لا يزال في أيدي الشيوخ الذين ينقصون أدمغتهم نقصا في الثقافة العربية : أي : ثقافة القرون المظلمة ، فلا رجاء لنا في اصلاح التعليم حتى ننزع هؤلاء الشيوخ منه ونسلمه للأفندية الذين ساروا شوطا بعيدا في الثقافة (٥) .

---

(١) محاضرات عن الامير شكيب أرسلان ص ١٠٩ .

(٢) يعلق الدكتور محمد محمد حسين يقول : " مصر ليست جزءا من آسية والمؤلف يقصد بالخروج من آسية الخروج من التفكير الأسيوي أو بعبارة أخرى من الدين الذي جاءنا من آسية وهو الاسلام . (الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ج٢ ص ٢٢٢) . وفي الاصل : آسيا وأوروبا ، وهما خطآن .

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢٧ .

ويقول أيضا " اذا كانت الرابطة الشرقية سخافة لانها تقوم على أصل كاذب فان الرابطة الدينية وقاحة .. فاننا أبناء القرن العشرين أكثر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا (١) " .

ومن دعاة التجديد الذين نادوا بالأخذ عن الحضارة الغربية بدون تمييز الدكتور طه حسين وسوف نكتفي بنقل فقرة واحدة من كتابه فهو يرى أن سبل النهضة " واضحة بينه مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهي أن نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها وما يحبمنها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب " (٢) .

أما الاستاذ مصطفى صادق الرافعي ففي نظره أن المعركة بين القديم والجديد في حقيقتها معركة بين الذين يحافظون على دينهم ولغتهم وتقاليدهم ، وبين الذين عادوا من أوربة وقد فتنهم بريقها فأستخفوا بكل تراثها وراحوا ينفرون الناس منه فهو يقول : " فئة من شبابنا قد أخذوا بغير أخلاق هذا الدين ، ونشئوا في غير قومه ، وعلى غير مبادئه فرأوا فيه بظنونهم ، وقالوا برأيهم ، ورضوا له مالا يرضاه أحد له ، فهؤلاء مهما كثروا لا يستطيعون أن يحدثوا حدثا بل يفنون والجماعة باقية وينقصون والأمة نامية . ويذهبون الى رحمة الله ومن رحمة الله أنهم لا يعودون ثانية " (٣) .

ويقول أيضا " ولن تجد دخلة خبيثة لهذا الدين الا وجدت مثلها في اللغة " (٤) ولقد كان دعاة الجديد يكاثرون المحافظين بما عرفوا من آداب الغرب

---

(١) اليوم والغد سلامة موسى ص ٩١ .

(٢) مستقبل الثقافة في مصر ص ٤١ وهو شبيه بقول (آغا أوغلى احمد) احد غلاة الكماليين من الترك في احد كتبه " انا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رآتهم والنجاسات التي في أمعائهم " موقف العقل والعلم والعالم مصطفى صبري حـ ١ ص ٣٦٩ .

(٣) المعركة بين القديم والجديد ص ٦٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٣ .

ومن فنونه الأدبية المستحدثة ويسخرون من جهلهم بها ويرمونهم بالجمود والكسل — وكان المحافظون فى الوقت نفسه يتهمونهم بأنهم يغضون من قدر التراث الذى خلفه أجدادهم لأنهم يجهلونه ويشيدون بمذاهب الأدب الغربى وفنونه لأنهم لا يعرفون سواه ، وهم بين خبيث مأجور على قومه يريد أن يهدم كيانهم ويمحو طابعهم ومغفل يحكى ما أملى عليه من غير وعى ، وكلا هما معين للغربى على قومه .

يقول الرافعى : والخطر الخفى الذى يكمن وراء هذه الدعوة هو فى تنشئة جيل جديد من أبناء العرب لا يستطيع أن يتذوق أساليب البيان العرفى الأصيلة ولا يحلو فى أذنه وفى ذوقه الا أساليب البيان الغربى وموضوعاته ، واذا نفر الشباب من شعر المتنبى وأبى تمام بل من أسلوب القرآن وانصرف عنه ثم عجز عن تذوقه وفهمه فقد حكمنا على تراث الأدب العربى بالكساد ثم بالموت وقد انقطعت صلة الأجيال المقبلة من أبناء العرب بقديمهم ، واذا انقطعت صلتنا بقديمنا أمكن أن نقاد الى حيث يراد بنا والى حيث لا تجمعنا بعد ذلك جامعة تجعل منا قوة تخيف الكائدين وتأبى على الطامعين [1] .

كما سخر الدكتور طه حسين فى مقاله عن (ديكارت) — نشره فى السياسة الاسبوعية — من شيوخ المحافظين [2] .

ويعد جبران خليل جبران خير من يمثل (المذاهب الجديدة) بمقاله (لكم لغتكم ولى لغتى) [3] .

يقول الدكتور محمد محمد حسين " وهذا المقال يعتبر مثلا عمليا تطبيقيا لمذهب كاتبه بما فيه من خروج على أساليب اللغة وقواعدها الصرفية خاصة ، وكلاهما لا يحمل الا على العجز الذى يريد أن يغض من شأن القدرة والجهل الذى يريد أن يهون من أمر العلم [4] .

وقد هاجم [5] الاديب السورى سامى الكيالى هذا الأدب ووصف أدباء المهجر

---

(١) الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٢) السياسة الاسبوعية عدد ٢٥ شوال ١٣٤٤ — ٨ مايو ١٩٢٦ .

(٣) بلاغة العرب فى القرن العشرين ص ٥١ — ٥٦ .

(٤) الاتجاهات الوطنية فى الادب العربى المعاصر ج ٢ ص ٢٧٥ ، وكلمة " يعتبر " خطأ شائع فى موقعها هنا ، والصواب " يعد " .

(٥) هاجم خطأ شائع ، والصواب : هجمه أو هجم عليه — متعد ولا زم ، د /عبد السلام محمد .

بأنهم يعملون على ((صفع اللغة العربية التى يريدونها بلا قواعد ثابتة ، وأن يكونوا أحرارا فى أن ينحتوا لها من ملكاتهم قواعد متحركة))(١) .

ويصف الاستاذ مصطفى لطفى المنفلوطى هذا النفر من المجددين فيقول : " أعجمى يظن أن اللغة العربية حروف وكلمات وهو لا يعرف منها غيرها . فينطق بشىء هو أشبه الأشياء بما يترجمه المترجمون من اللغات الأعجمية ترجمة حرفية فان نعيت عليه غرابة أسلوبه واستعجامه والتواءه على الفهم كان مبلغ ما ينضح به عن نفسه أن المعانى العصرية والخيالات الحديثة لا يستطاع الباسها الأكسية اليدوية والأردية العربية ، كأنما هو يظن أن المعانى والخواطر خطط وأقسام وأنصبة وسهام ، هذا للشرق وهذا للغرب وهذا للعرب وهذا للعجم . أما الحقيقة التى لا ريب فيها فهى أن الرجل لا ينتزع تلك المعانى من قرارة نفسه ، ولا يصور فيها صورة عقله . وانما هو مترجم قد عرف المعانى الموجودة فى اللغة الأعجمية التى يعرفها ، لاصقة بأثوابها الأصلية فلما أراد أن يفضى بها الى العرب وكان غير مضطلع بلغتهم ولا متمكن من أساليبهم عجز عن أن ينزع عنها أثوابها اللاصقة بها فنقلها اليهم كما هى الا ما كان من تبديل حرف بحرف أو لفظ بآخر من حيث يظن أنه يهتف بشىء قام فى نفسه أو يقضى بخاطر من خواطر قلبه "(٢) .

هذه هى حالة الأدب فى عصره حيث يوجد تيار يطالب بالتجديد نتيجة لثقافته الغربية وتيار يطالب بالمحافظة على التراث وعدم الجرى وراء كل جديد مما لا يتناسب مع تراثنا وقد يحدث فيه تغيير وتصدع .

وقد أتسم التيار الاول بالتحرر من القواعد الدينية واتسم التيار الثانى بالمحافظة على قواعد الدين . ولا شك أن الشيخ النبهانى فى أدبه يمثل التيار المحافظ ، ويبدو ان المحافظة عند رجالها كانت تتفاوت بينهم بمقدار التزامهم بقواعد الدين فأكثرهم التزاما بالدين أكثرهم حرصا على التراث .

السجع عند النبهانى :

لقد أندفع الشيخ النبهانى الى السجع بعدة دوافع منها :

---

(١) السياسة الاسبوعية عدد ٦ صفر ١٣٤٥ ـ ١٤ أغسطس ١٩٢٦ .
(٢) النظرات جـ ١ ص ١٢ .

١) أن عصره كان يشيع فيه السجع وكان أعلام الأدب والعلم يسجعون .

٢) ومنها أنه شاعر فاذا انتقل من الشعر الى النثر لم ينس موسيقى الشعر واتحاد القافية فى الأبيات .

٣) ومنها كثرة مطالعته فى كتب التراث التى يتبع فيها السجع فى أمهات كتب الأدب .

ولكن الشيخ النبهانى لم يذكر لنا أنه تأثر بأديب ما فقلده أو تمثل أدبه أو حفظه ثم خرج بطريقة نبهانية جديدة لأنه لم يرسم لنفسه أن يكون أديبا أو شاعرا محترفا . ولعلها نفسه الطموح للمعالى ثم صوفيته المفرقة فى العبادة والعمل لما فوه الأجر والثواب فقط . هى التى أوحت له بهذا .

كل هذا جعله لا يحتذى أو يقلد أى أديب أو شاعر ما - بل جاء أدبه " نسيج وحده " أى : نابعا من ملكته الأدبية ومطالعاته الدائمة فى كتب التراث التى كانت تصاغ بأقوى العبارات وأجزلها .

ولم يكن غرض الشيخ النبهانى اظهار مقدرته الأدبية أو العلمية لأجل المقدرة نفسها بمقدار ما كان لخدمة الفكرة واظهارها بأوضح صورها لتؤدى معناها وتزين العبارة بلا لبس أو غموض .

والسجع فى أسلوب النبهانى شائع فى كتابته خصوصا فى مقدمات كتبه وخواتيمها اذ نراه يركز على جزالة العبارة وقوة السجعة حتى تأتى محكمة وكأنها شعر منثور مقفى . أما فى أثناء كلامه فيأتى السجع عفوا بدون جهد خصوصا عندما يتكلم عن شعور وجدانى عاطفى . وأما عندما يناقش فكرة ليثبتها أو لينفيها فاننا نجد أن السجع يختفى من أسلوبه تماما كأن جهده ينصب على قوة الدليل والحجة بدلا من زخرف الكلام .

وأقدم عمل أدبى للشيخ النبهانى كان مقدمة كتابه " الشرف المؤبد لآل محمد" صلى الله عليه وسلم - الذى انتهى من مسودته عام ١٢٨٨ هـ حيث يقول فيه " ...

اما بعد فيقول الفقير يوسف بن اسماعيل النبهانى - عفا الله عنه - : ان من أهم الأمور الدينية وآكد العقائد الاسلامية اعتقادنا أن سيدنا محمدا صلى الله

علية وسلم أفضل من كل ملك ورسول ، وأصوله وفروعه أشرف فروع وأصول ، كيف لا وقد اتصلت بنسبه أنسابهم وارتبطت بحسبه أحسابهم ، فهم منه واليه وأقرب الناس لديه ، ولا ريب فى أن محبته صلى الله عليه وسلم فرض على كل موحد مجتهد ومقلد ، وبحسب زيادتها ونقصانها تكون زيادة الايمان ونقصانه ، ومن ادّعى الايمان بدونها فقد عظم نفاقه وبهتانه • ومن محبته عليه الصلاة والسلام محبة من اتصلوا به ورجعت أنسابهم ـ كآبائه وأبنائه ـ الى نسبه • أما آباؤه فقد انقضت أعصارهم وبقيت أخبارهم فمن ادعى محبتهم لأجله فلا تثريب عليه وتسلم دعواه اليه اذ لا دليل على بطلان دعواه ويوكل أمر باطنه الى الله وأما أبناؤه فهم بركة هذه الأمة ، الكاشفون عنها من غياهب الكون كل غمة ، فلا بد أن يوجد فى كل عصر طائفة منهم يدفع الله بها عن الناس البلاء فانهم أمان لأهل الارض كما أن النجوم أمان لأهل السماء .... فمن عاصرهم (١) وادعى محبتهم بزخارف أقواله ولم يقم على دعواه البراهين من محاسن أفعاله فدعواه فاسدة باطلة ، ومن حلى الصحة عاطلة ، هذا اذا لم يؤذهم بقلم ولا لسان ، ولم يشر الى تنقيصهم بعين ولا بنان ، أما من فعل ذلك وادعى محبتهم فلا أحسبه الا مجنونا وبدينه مفتونا " (٢) •

ويبدو فى هذا النص أن الشيخ النبهانى يلتزم بالسجع ولكن دون جهد أو تصنع بل تأتى السجعة سهلة عفو الخاطر كما أن اليسارة والوضوح ظاهران •

والنصف الثانى الذى يليه هو ما كتبه مقدمة لديوان الشيخ أبى الهدى الصيادى وكان من المقربين للسلطان عبد الحميد ، وصاحب علم وأدب وتقوى وشيخ الطريقة الرفاعية فى الاستانة •

والشيخ النبهانى هو الذى جمع هذه القصائد ورتبها ثم كتب مقدمتها وقدم لكل قصيدة فى الديوان بعبارة أدبية تناسب موضوع القصيدة •

وقد كان الشيخ النبهانى وقتها مصححا فى جريدة الجوائب ومطبعتها حيث طبع الديوان فيها سنة ١٢٩٨ باسم " الفيض المحمدى والمدد الأحمدى " جاء فى مقدمة الديوان " •

يا من خص ديوان أوليائه بالتصرف فى جميع الأنام وأوضح لهم طريقة هداه فكانت

---

(١) ليس فى اللغة عاصر ، ولم يستعملها الا العماد الاصفهانى فى مقدمة الخريدة ، وابن شرف القيروانى فى مقدمة " الاعلام " ، د / عبد السلام سرحان •
(٢) الشرف المؤبد لآل محمد صلى الله عليه وسلم ص ٥ •

مجازهم الى حقيقة الكلام أحمد لحمدا ينظمنى فى سلك أحبابك وأحبابهم ، ويجعلنى شاعرا بحقوقك وحقوقهم آمنا من حروبك وحرابهم ، ويامن جعل سيدنا محمدا صفوة الخلق وخلاصة العالم ، وأصطفاه من العرب الذين أختارهم من بنى آدم ، وجعله أفضلهم حسبا ونسبا ، وأكرمهم أما وأبا ، وأعظمهم خلقا وأحسنهم خلقا وأرقهم طبعا وأفضل الناس جمعا ، اللهم كما أنزلت عليه القرآن ، وعلمته البيان ، وآتيته جوامع الكلم ، ونوابع الحكم ، وأقررت عينه بجعلك أمته خير الامم ، وأدبته فأحسنت تأديبه ، وقربته فأزلفت تقريبه ، أفض عليه من بحر رحمتك البسيط الزاخر والمديد الوافر سجال صلاة وسلام طويل . مددهما كامل عددهما ، وعلى آله بحور السماحة وأصحابه بدور الفصاحة (١) *

أما بعد فيقول الراجى من مولاه بلوغ الأمانى الفقير اليه سبحانه يوسف بن اسماعيل النبهانى ، ان الشعر قطب الأدب الذى تدور عليه رحاه وكنزه الذى لا يعثر عليه الا من وفقه الله لاستخراج خباياه ، وسره الذى لا يدركه الا صاحب الذوق السليم ، ولا يطلع عليه الا من ظفر بأكرم آلاته وهو الطبع الكريم وبدره الذى تشرق به سماؤه ويظهر به سناه وسناؤه ، وعماده الذى عليه قيامه بل روحه التى بها قوامه ، وهو روض السمع ورياضة الطبع وعنوان الفضل وبرهان العقل ، وترجمان الجنان ، وصيقل الأذهان ، وخليل الأدب ، ودليل الغريب ، ومنهاج الأفاضل وسراج المحافل ، وهو لغم الحاجات لسان ، ولعين الامهات انسان ، وللغنى جمال وللفقير كمال .

وجملة القول فيه أنه ديوان العرب وجماع الفضل والادب ، لم تزل الجهابذة فى اتقانه ، يتنافسون بالانشاء والانشاد ويتسابقون فى ميدانه ، وأفكارهم هى الصافنات الجياد ، غير أن لكل فريق من محاسنه وجها كشف لثامه وغرضا من مقاصده سدد نحوه سهامة ، وطريقا من قوافيه سلكه ، ورقيقا من معانيه ملكه ، فمنهم قوم شببوا بسعدى وسعاد ، وهاموا من وصف الحسان فى كل واد ، وتحمسوا بطعانهم وجلادهم ، وافتخروا بشرف نفوسهم وأجدادهم ، وحنوا الى المعاهد والاوطان وتمدحوا بحفظ الجوار وقرى الضيفان ووصفوا الابل وسراها ، والصحارى ومهامها ،

---

(١) الفيض الاحمدى والمدد المحمدى — المقدمة —

وذكروا الكواكب وأنواءها والبروق ولألاءها ونعتوا الرسوم والطلول ، والحزون والسهول ، والسحاب والسراب ، والنديم والشراب ، والزهور والرياض ، والنهور والحياض ، وكانوا يقدحون ويمدحون ، فيفسدون ويصلحون .

ومنهم قوم عارفون أنفوا من أن يسكنوا بمحض هذه المعانى فى بيوتهم العامرة ويشتغلوا بتجارة هى غير رابحة ان لم تكن خاسرة ، فصرفوا أنق اشعارهم فى توسلات الهية ، ومدائح نبوية ، وذكروا وقائع آنهم [1] ، ومشارع قدسهم ، ونعتوا الأحوال والمقامات ، وضمنوا العبارات اشارات ، ورمزوا فى قصيدهم رموزا أبوابها الا عنهم مسدودة ، وكنزوا فيها كنوزا هى عن غيرهم — بطلاسم الاسرار — مرصودة ، فكم سلكوا سبيلا وما هو لهم بسبيل ، وذكروا بثينة ولم يقصد واغير جميل ، ووصفوا هندا ولا هند ، ونادوا سعدا وما فارقهم سعد ، ومدحوا الخمرة والخان ، والكئوس والدنان ولا وأبيك .. لم يذوقوا لابنة العنب طعما ، ولا عرفوا من رسومها رسما ، وانما هى أسرار اطلعوا عليها ، وكمية أنوار حجبوا اليها ، وعلى هذا لم تخل أشعارهم من حكم تنتفع بها الامم ، ونسيب يستحسنه الأديب ، ولطائف نوادر توافق أهل الظاهر ، وهؤلاء هم الذين أحرزوا القدح المعلى ، وفازوا بالمقام الاعلى [2] .

ويقول أيضا فى المقدمة نفسها : ... وقد أنعم الله وله الحمد على هذا العصر بحبر من أحبارهم [3] وذمر [4] من ذمارهم ، وصل من طريقهم الى المقاصد التى وصلوا اليها واطلع على حقيقة السر التى أطلعوا عليها ، فجدد دوارس رسومهم وأحيا رفات علومهم ، وارتقى الى مقاماتهم ، بعد معرفة احوالهم ، فنسج ديباجة شعره على منوالهم ، وهو شيخنا العالم العامل المرشد الكامل فتح الشريعة ونصرها وشمس الحقيقة وبدرها وشرف الطريقة وفخرها ودیمة العلوم وبحرها صاحب السيادة والسماحة الحائز رتبة قضاء العسكر بالاستحقاق والرجاحة ، حضرة مولانا السيد الشريف الشيخ محمد أبو الهدى أفندى الصيادى الرفاعى ، أمد الله فى حياته ونفعنا ببركاته وقد اطلعت له على غرائد قصائد ، هن للبة الدهر قلائد ، وبدائع أشعار هن لزند الأدب سوار ، اشتملت على معان جزلة ضربت فيها البلاغة

---

(١) آنهم : زمانهم .

(٢) ديوان أبى الهدى الصيادى ص المقدمة .

(٣) يقصد شعراء المدائح الالهية .

(٤) الذمر : الشجاع .

خيامها والفاظ سهلة ركزت فيها الفصاحة أعلامها ولطائف انسية تكاد تحيى بنسيم وقتها الرمسم ، ومعارف قدسية تفجرت منها ينابيع الاسرار والحكم ، بها عرفنا أن المرء قد يتقدم بالفضل وان تأخر به العصر " (١) .

وقد جاء السجع فى النص الأول الذى قدم به أول مؤلفاته " الشرف المؤبد لآل محمد " صلى الله عليه وسلم " يسيرا (٢) غير متكلف ولا تظهر فيه روح المعاناة فى تخير اللفظ وانتقاء المعنى .

وفى هذا النص تظهر عقيدته فى آل البيت .

أما النص الذى يقدم به ديوان أبى الهدى الصيادى فالجزالة فى ألفاظه ظاهرة وتداخل المعانى التى تظهر الكاتب بأنه غنى فى فكره وثقافته ثم كثرة استعمال النكات البلاغية والمزاوجة بين الجمل واستعمال رموز القوم واصطلاحاتهم لان ديوان أبى الهدى الصيادى كله فى التصرف .

وفى هذا النص تظهر قدرة النبهانى الأدبية فتراه يتصرف فى الألفاظ مجازا وحقيقة بكل قوة وتمكن ، فلم يكن عبدا للسجع على حساب المعنى بل كلاهما عنده قوى ، ولا شك أن المنزلة العالية التى كان يتمتع بها ابو الهدى الصيادى فى الدولة العثمانية وعمل الشيخ النبهانى فى الجوائب — وهو لم يزل فى أول الطريق يعمل مصححا فى الجوائب — كل هذا وغيره كان دافعا للشيخ النبهانى كى يشحذ قريحته ويظهر مقدرته فجاء تقديمه مناسبا لموضوع الديوان معنى ومبنى .

والنبهانى يكثر من الاقتباس والتضمين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهذه ظاهرة شائعة فى كل ما يكتبه ، وهذا يدل على أنه دائم الاستحضار لمعانى القرآن وألفاظه — خصوصا وهو يتخذ القرآن والحديث قدوته ومناره فى معناه ومبناه

ومن الأمثلة التى يظهر السجع فيها عفوا دون قصد قوله فى مؤلفاته :

وهذه هى الكتب النافعة التى تفضل الله بها على وله الحمد والمنة وأسال الله تعالى أن يعفو عما خالطنى فيها أو فى شئ منها من الأوصاف التى لا يرضيها

---

(١) الفيض المحمدى والمدد الاحمدى — المقدمة .

(٢) فى الاصل " بسيطا غير متكلف " ، وهو أسلوب شائع غير صحيح ، والصواب يسيرا أو سهلا . د . سرحان .

كالعجب والرياء ، فان العمل بلا اخلاص كالأشباح بلا أرواح ، ومن أين لى ذلك ونفس بلا شك تحب الثناء الجميل وبقاء الذكر الحسن والسمعة بين الناس ، والله انى اذا لم يسامحنى الله تعالى ويغفر بفضله ذنوبى ويستر عيوبى ويتجاوز عما يخالط اعمالى من النيات المدخولة والمقاصد المملولسة – استحق بأعمالى الصالحة هذه فضلا عن غيرها العقاب لا الثواب لأنها اذا دُقِّقَتْ خفاياها وَفُتِّشَتْ زواياها يُعْلَمُ يقينا أنها للسيئات اقرب منها للحسنات ، لكن أملى فى كرمه تعالى أن يعاملنى بمحض فضله معاملة أصحاب الأعمال الصالحات ويتجاوز عما أنا متصف به من العلل ، وفساد النيات وأعوذ بكلمات الله التامات كلها وبجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا متوسلا بحبيبه الأعظم ونبيه الأكرم صلى الله عليه وسلم من ألا يقبل بفضله هذه المؤلفات فلا أجد لها يوم القيامة نفعا أو أن أكون "من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " كما أعوذ بجميع ما عذت به من أسمائه الالهية وأوصافه الربانية وعفوه وغفرانه وكرمه واحسانه من أن تحسن الناس ظنونهم بى وينتفعوا فى حياتى وبعد مماتى بكتبى ..... اللهم كما تكرمت على من فضلك الصرف الخالص – الذى لا تشوبه العلل ولا يقتضيه منى حسن نية ولا عمل – بأظهار هذه الكتب النافعة لمن عمل وقابلها بالقبول فأتمم نعمتك على وعليهم بقبولنا على علا تنا والتجاوز عن سيئاتنا ..... الخ " (١) .

ترسل النبهانى :

غلب السجع فى أدب النبهانى وهو كثير يأتى عفو البديهة وبلا معاناة فتأتى السجعة فصيحة خالية من الإغراب ، وكأن شاعريته المتدفقة تصبغ كلامه المنثور بصبغة شعرية دون أن يكون له فى ذلك هدف فيأتى هذا السجع جميلا سهلا لتزيين الكلام ، فالنبهانى يترك السجع عندما يكون مقصده توضيح فكرة معينة أو مناقشة فكرة ما ويتعمق هذا الأسلوب فى أدبه عندما تكون الفكرة عميقة تحتاج الى جهد أكثر وعندها لا يتطرق السجع لأسلوبه .

يقول الشيخ النبهانى : " قال بعض العلماء ان سبب عدم مدح البعض من مشاهير الشعراء كالمتنبى وأبى تمام والبحترى للنبى صلى الله عليه وسلم انما هو علمهم أنهم عاجزون عما يليق به صلى الله عليه وسلم من المدح فتركوا مدحه أدبا معه عليه الصلاة والسلام آهـ .

---

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٨٥ – ٣٨٦ .

أقول لا شك في عجزهم عما يليق بمدحه صلى الله عليه وسلم من المدح وعجز الناس كافة عن ذلك بل عجز الخلق أجمعين عن معرفة حقيقة فضائل سيد المرسلين ، وأنه كمالات حبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ، ولا يعلم ذلك حقيقة الا الله تعالى فلا يقدر على وصف هذا العبد الكريم الا سيده العظيم عز وجل ، ولكن ذلك لا يمنع الشعراء من مدحه للتقرب الى رضاه ورضا مولاه سبحانه وتعالى .. بقدر استطاعتهم فان الله تعالى شرع لنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن نحمده تعالى ونشكره ونثني عليه مع عجزنا كمال العجز عما يجب له ويليق به سبحانه وتعالى .. كما قال صلى الله عليه وسلم ـ وهو سيد الحامدين والشاكرين والمثنين على الله تعالى ـ " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " ، وكم مدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم نظما ونثرا من أئمة أمته من الصحابة فمن بعدهم ـ سادات أجلاء .. الواحد منهم أكثر أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة " بما يليق به من ملء الارض من المتنبي وأمثاله .

ولكن السبب الصحيح الذي آراه لعدم مدحهم له عليه الصلاة والسلام أن مدحه من جملة الطاعات والعبادات فيحتاج للتوفيق من الله تعالى للعبد حتى يتيسر له فعله وهؤلاء وأشباههم لم يوفقوا لهذه الطاعة العظيمة لعدم تأهلهم لها بسبب ما أتصفوا به من أخلاق الشعراء من نحو توغلهم في الكذب بأبلغ العبارات في المدح ان رضوا والذم ان غضبوا .. فضلا عن تعديهم على أعراض الناس وقذفهم المحصنات والتشبيب بمعين من النساء والغلمان ونحو ذلك من السفاهات وكفى بذلك مانعا لهم من مدح النبي صلى الله عليه وسلم مالم يتوبوا اذ الظلام والنور ضدان ففي آن واحد لا يجتمعان ، وكونهم من أكابر الشعراء لا يقتضي تأهلهم لعبادة الله بمدح عبده ونبيه وحبيبه الأكرم صلى الله عليه وسلم ، فانا نرى كثيرا من الفقراء ، كما نرى كثيرا من الأقوياء لا يصلون ولا يصومون ولا يقومون الليل ونرى بعكسهم كثيرا من الضعفاء ، وما ذلك الا بسبب توفيق الله تعالى لكثير من الفقراء والضعفاء ، وعدم توفيقه لكثير من الأغنياء والأقوياء ، فكذلك يقال هنا : يحرم المتنبي وأمثاله من الشعراء من هذا الخير العظيم في مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ويرزقه كثيرا من العلماء والصلحاء ممن بضاعتهم في الشعر قليلة بتوفيق الله تعالى لهم " (1) .

---

(1) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ج ١ ص ١٧ ـ ١٩ .

ففي هذا النص جاء السجع محدودا وعفو الخاطر وهو ما يزين الكلام ويكسبه عذوبة موسيقيـــــة .

ومن أمثلة ترسله أيضا قوله " لو أنصف صاحب (جلاء العينين في محاكمـــة الأحمدين) [1] لما تحامل على ابن حجر ومن يوافقه كالسبكي وابنه الامامين مع أنهـــم مع جمهور الأمة في جانب تعظيم سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، وتهور مع ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادي مع مخالفتهم جمهور المسلمين وأئمة الاسلام وكـــان يحمل كلام كل منهم على محامل حسنة لأنهم جميعهم من أئمة الدين وخلاصة العلماء العاملين ونيات من أخطأ منهـم فيما أخطأ به صالحات " انما الأعمال بالنيات " .

أما ابن تيمية ومن كان على شاكلته فلا شك أنهـم لم يقصدوا ـ بهذه المقالة التي شذوا بها .. من منع الاستغاثة والسفر للزيارة كما ذكروا في كتبهم ـ الا الغيرة على جانب الله تعالى ، من أن يشاركه في التعظيم احد من خلقه ، وفيها تعظـيم عظيم للمزور والمستغاث به وشفقة على المسلمين من أن يضلوا بذلك كما ضلت الأمم السابقة بعبادة الاصنام ، فان أصل عبادتهم أنهم صوروا بعض من مات من أكابرهـم لأجل التذكار ، ثم على تطاول الأيام عندهم نشأت عبادة الأصنام على ما قيل .

وأما طعنهم في الصوفية فهم لم يطعنوا في جميع الصوفية ، وانما طعنوا فيمن

---

(١) مؤلف هذا الكتاب هو نعمان أفندي الألوسي والأحمدان هما الامام احمد بن تيمية والامام احمد بن حجر العسقلاني ، وقد اختلفا في زيارة قبر الرســول صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به والقول في الجهة لذات الله ، وقد انتصر الامام تقي الدين السبكي للامام ابن حجر وألف كتاب (شفاء السقام في زيارة خير الانام)، فكتب الحافظ شمس الدين بن عبد الهادي " الصارم المنكـــي في الرد على الامام تقي الدين السبكي " انتصر فيه للامام ابن تيمية كما كتب الامام ابن القيم (اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان) انتصارا لمذهب ابن تيميه أيضا فكان كتاب (جلاء العينين) للآلوسي اشمالا للمعركة من جديد فرد عليه الشيخ النبهاني في كتابه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صلـــى الله عليه وسلم) فرد شكري الآلوسي على النبهاني في كتابه (غاية الأماني في الرد على النبهاني) .

ظهر منهم كلمات لا تنطبق على أحكام الشرع الشريف فحكموا عليهم بحسب ما ظهر منهم ، فكفروا من كفروا بمقتضى ما صدر منه مما يقتضى ظاهرة الكفر • ولم يجنحوا الى تأويل كلامهم رضى الله عنهم كما جنح غيرهم من العلماء ، وهذا أيضا وقع منهم غيرة على الدين ومحافظة على عقائد المسلمين •

وأما مسألة القول بالجهة فى جانب الله تعالى فهى ليست مذهب ابن تيمية وحده بل هى مذهب كثير من الحنابلة ، وانما قالوا بذلك لظواهر كثير من الايات والأحاديث التى وقع فيها التعبير بالفوقية والتى تفيد بظاهرها جهة العلو فهم لشدة تمسكهم بظاهر الكتاب والسنة لم يذهبوا الى تأويل تلك الظواهر •

هذا ما يحمل عليه كلام ابن تيمية وجماعته وهى محامل حسنة صحيحة موافقة لقصدهم ونياتهم فلم يخالفوا بذلك جمهور الأمة وأكثر علمائها وهم السواد الاعظم لمجرد الهوى وحب الظهور والشهرة أو غير ذلك من الأغراض المذمومة فان كثرة علمهم وصلاحهم وما كانوا عليه من حسن الحال والتقوى والتمسك بالدين ونصرة الشريعة بحسب ما يظهر لهم من الحق •• جميع ذلك يأبى أن تكون مخالفتهم لكبار الائمة وجمهور الأمة فى تلك المسائل المتعلقة بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم فضلا عن مسألة القول بالجهة لمجرد الهوى وحب الاشتهار حاشاهم من ذلك" (1) •

وفى هذا لم يستعمل السجع الا مرتين فى قوله : " أئمة الدين العلماء العاملين " وقوله : كبار الأئمة ـ جمهور الأمة " وفى هذا النص تظهر أخلاق النبهانى ونزاهته العلمية •

الجملة القرآنية :

لاحظت فى كتابات الشيخ يوسف النبهانى أنه يكثر الاقتباس من القرآن الكريم ، والاقتباس هو أن يضمن الكاتب كلامه شيئا من القرآن لا على أن ذلك الشئ جزء من القرآن والا لكان استشهادا •

ومن أمثلة ذلك قوله فى مقدمة كتابه " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين "

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ـ العظيم •• بقدرته أنشأ

---

(1) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ •

المخلوقات ، وبحكمته ابدع الأرضين والسموات ، وخلق الجبال والبحار ، والليل والنهار ، والظلمات والأنوار ، والكواكب والافلاك ، والارواح والأملاك ، وما يرى وما لايرى ، من سائر الجهات والاقطار ، بكل تقدير وكل أعتبار ، وهو الصانع سبحانه لكل ما سفل [1] وعلا ، من تحت أطباق الثرى ..... على عليم لا يعزب عن علمه كل جليل وحقير ، وكبير وصغير ، وكل ما هجس به الخاطر أو أجنه الضمير ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ " .... هذا هو الرب الملك الكبير ، المنفرد فى ملكه بالخلق والتدبير ، من دون شريك ولا وزير ، ولا معين ولا مشير ، ولا شبيه ولا نظير ، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " ، هذا هو الرب الواحد القهار ، الذى لو أراد أن يتصرف فى شئ من جميع هذه الأكوان بجميع وجوه التصرفات لا يجد الا سامعا مطيعا ، قل : فمن يملك من الله شيئا ان اراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ؟ " .... الخ [2] " .

والشواهد فى كتب الشيخ النبهانى كثيرة خصوصا فى المقدمات ، فهو يكثر من الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وقد دفعه الى ذلك عدة دوافع ، منها : حفظه القرآن الكريم وهو صبى ، ومنها : اتجاهه الاسلامى ونزعته الدينية حيث يعتز بالقرآن وبيانه وبجملته الالهية ، لذلك نرى الشيخ النبهانى يستشهد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية فى مختلف المناسبات مدللا على صحة كلامه بما يوافق الكتاب والسنة ، والشيخ النبهانى يختم كلامه بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم والدعاء له ولوالديه ولجميع المسلمين وقلما يختمه بآيات من القرآن مثل قوله فى نهاية كتابه " الأساليب البديعة " [3] ...... وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" [4] . ومن أمثلة ما يختم به النبهانى كلامه قوله " .... فنسأل الله تعالى كمال اليقين والثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين ، انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين [5] " .

---

(١) سفل من باب كرم ، ونصر وعلم سفالا وسفولا . د . سرحان .

(٢) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ١ ــ ٤ .

(٣) الاساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة ص ٥٦٦ .

(٤) سورة الصافات آيات ١٨٠ ــ ١٨٢ .

(٥) الدلالات الواضحات حاشية على دلائل الخيرات ص ١٦٦ .

وقد كان الشيخ النبهانى رحمه الله يحفظ القرآن جيدا فلم أجد له أى خطأ فى آية ويبدو أنه قد أتقن القرآن حفظا وفهما كما حدثنا عن حرص والده على تحفيظه القرآن وهو ابن عشر سنوات ، أما فهمه للقرآن فيظهر من رغبة الشيخ مصطفى البابى الحلبى القاضى الى الشيخ النبهانى أن يفسر القرآن كما جاء فى أسلوب تفسيره للقرآن بعد أن كان يعارض فيه لأنه قد فُرِغَ من تفسيره منذ أزمان .

يقول الشيخ النبهانى " ....أما بعد فيقول الفقير يوسف بن اسماعيل النبهانى: ـ غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة ـ قد حملنى الفاضل الكبير الشيخ مصطفى أفندى البابى الحلبى الكتبى الشهير على جمع مختصر فى تفسير غريب القرآن ليطبعه على هامش المصحف كى يأخذ القارىء حاجته منه فى وقت قصير ويستغنى به لفهم ذلك اللفظ عن مراجعة التفاسير فاستحسنت ذلك غاية الاستحسان وإن لم أكن من فرسان ذلك الميدان ، وأجبته الى ما سأل من تفسير الالفاظ الغريبات ، ولم اقتصر عليها بل زدت تفسير المبهمات ، وتوضيح ما اشكل من الآيات الكريمات ، فجاء والحمد لله مع اختصاره يغنى اللبيب عن مراجعة المطولات ....الخ "(١) .

وفى كلام الشيخ النبهانى يظهر لنا أنه قد فهم القرآن جيدا لذلك ليس عجبا لو وجدنا كتابته ذات صبغة قرآنية واضحة . ويبدو لى أنه حرص على الجملة القرآنية فى كتاباته اندفاعا من عاطفته الدينية من جهة ومن جهة أخرى رأى كثيرا من أبناء العربية قد اتصلوا بالثقافات الاجنبية وصاروا لا يعطون العربية الفصحى حقها من العناية والرعاية ، فهم لا يأبون استعمال الكلمات غير العربية فى كلامهم العربى فحرص الشيخ على استعمال الأساليب العربية القديمة فى كتاباته للمحافظة على أصالة العربية ونقائها ، وليس أدعى لهذا من أستعمال الجملة القرآنية .

وممن كانوا يوافقون النبهانى فى اتجاهه الأمير شكيب أرسلان ومصطفى صادق الرافعى .

ومن أقوال الاستاذ الرافعى : " لا فصاحة ولا لغة الا بالحرص على القرآن والحديث وكتب السلف وآدابهم "(٢) .

---

(١) قرة العين من البيضاوى والجلالين للشيخ النبهانى ص٢ .

(٢) تحت راية القرآن الرافعى ص١٨ .

ويقول الامير شكيب أرسلان : " ٠٠٠٠٠٠٠٠ وهذه الدسيسة التي ظهر لكم مكنونها من جملة واحدة يقصد نبذ الجملة القرآنية ـ ان هي الا حلقة لغوية من سلسلة دسائس مقصود منها الاسلام لا القرآن من حيث كونه قرآنا ولا الفصاحة من حيث كونها فصاحة "(١) .

ويبدو أن الهجوم على القرآن اتخذ اتجاهين ٠٠ اتجاها أدبيا واتجاها دينيا فالاتجاه الادبي هو الذي بدأ بدعوة مجلة المقتطف المسيحية " الى كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة " ثم وضع القاضي ولمور ـ أحد قضاه محكمة الاستئناف بمصر من الانجليز ـ كتابا سماه لغة القاهرة ٠ في ذلك الوقت وبسبب ذلك كتب حافظ ابراهيم قصيدته المشهورة التي يقول فيها :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ** وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ** عقمت فلم أجزع لقول عداتي(٢)
وسعت كتاب الله لفظا وغاية ** وماضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ** وتنسيق أسماء لمخترعات
وأسمع للكتاب في مصر ضجة ** فأعلم أن الصائحين نعاتي(٣)

وكان من أشهر دعاة العامية السير وليم ولكوكس الذي دعا الى هجر اللغة العربية الى اللغة المصرية وأيده سلامة موسى وقد أستهوت هذه الدعوة نفرا من دعاة التجديد فأتخذوا من القومية والشعبية ستارا لهم ، فظهرت الدعوة " الفرعونية " وظهرت فرقة " رمسيس " وظهرت رواية " زينب " لهيكل التي كان حوارها باللهجة السوقية وكان من دعاة العامية الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف أحد أعضاء مجمع اللغة العربية وكان من دعاة نبذ اللغة الفصحى ايضا قاسم أمين .

يقول سلامة موسى " والتأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثا اذ يرجع الى ما قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم أمين على اللغة الفصحى صعوبتها وقال كلمته المشهورة " ان الأوروبي يقرأ لكي يفهم أما نحن فنفهم لكي نقرأ "(٤) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٢) عقم ٠٠ كفرح ونصر وكرم وعني عقما وعقما وعقما ، د / سرحان .

(٣) ديوان حافظ ابراهيم حـ ١ ص ٢٥٣ .

(٤) الهلال عدد يوليو ١٩٢٦ حـ ٣٤ ص ١٠٧٣ ـ ١٠٧٧ .

وجاء منشئ الوطنية الحديثة أحمد لطفي السيد فأشار باستعمال العامية أيضا .

ولم تعدم العربية الفصحى ــ لغة القرآن أنصارا ومؤيدين كان منهم خليل اليازجي الذي رد على اقتراح " المقتطف المسيحية عام ١٨٨١ بالدعوة الى العامية[1] بالاضافة الى الأمير شكيب أرسلان والاستاذ مصطفى صادق الرافعي .

وأما الاتجاه الديني . فقد كان يتخذ عدة أساليب منها رفض الايمان بالغيب عن طريق وضع الانبياء في مرتبة المصلحين والدعوة الى الحرية المطلقة في التفكير باسم البحث العلمي [2] ووضع الكتب السماوية موضع النقد والمناقشة كما فعل الدكتور طه حسين في كتابه على هامش السيرة " حين قرر أنه لا يرى ما يرويه الا على أنه أساطير جميلة فيها غذاء للعواطف ومتعة للخيال .. اذ يقول على سبيل التهكم :

" وأنا أعلم أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ولا يثقون الا به ولا يطمئنون الا اليه وهم لذلك يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث التي لا يسيغها العقل ولا يرضاها ، وهم يشكون ويلحون في الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار وجده في طلبها وحرصه على قراءتها والاستماع لها . وهم يجاهدون في صرف الشعب عن هذه الأخبار والأحاديث واستنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول . هؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشيء لأنهم سيقرأون فيه طائفة من هذه الأخبار والأحاديث التي تصبوا أنفسهم لحربها ومحوها من نفوس الناس " [3] .

وفي كتابه " في الشعر الجاهلي " الذي ظهر سنة ١٩٢٦ اذ يقول فيه " للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة

---

(١) المقتطف ح ٦ ص ٤٠٤ ــ ٤٠٥ .

(٢) راجع ما كتبه الدكتور طه حسين في مقال بعنوان (العلم والدين) في السياسة الاسبوعية عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦ ومقال سلامة موسى عن " الدين والتطور وحرية الفكر فيها " الهلال عدد اكتوبر ١٩٢٥ وكتاب وثبة الشرق لاسماعيل مظهر ص ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٢٠ .

(٣) كتاب على هامش السيرة جـ ١ ص ى .

فيها ، ونحن مضطرون الى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين العرب واليهود من جهة وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى ٠٠٠٠٠٠٠الخ " (١) ٠

وقد توالت الردود المفحمة على الدكتور طه حسين وكان منها : " تحت راية القرآن " أو " المعركة بين القديم والجديد " لمصطفى صادق الرافعى " و " نقد كتاب الشعر الجاهلى " لمحمد فريد وجدى و " نقض كتاب فى الشعر الجاهلى " للشيخ محمد الخضر حسين " و " النقد التحليلى لكتاب فى الشعر الجاهلى " لمحمد أحمد الغمراوى " و " الشهاب الراصد " لمحمد لطفى جمعه " و " محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى " للشيخ محمد الخضرى ٠

وممن تولى الدفاع عن القرآن فى هذا الاتجاه الشيخ مصطفى صبرى رحمه الله فى كتابه " موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين " ٠

أما فى بلاد الشام فقد كان يظهر هذا الاتجاه بمظهره السافر فى الهجوم على الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم والتشكيك فى رسالته اذ أن بلاد الشام كانت مطمع المبشرين من كل الطوائف يفدون اليها من مختلف أنحاء العالم يسندهم الاستعمار الذى اتخذ منهم دعاة وعملاء له ، ومن هنا كانت مسؤلية الشيخ النبهانى صعبة وشاقة ولكنه وقف لهم بالمرصاد ، واتخذ من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم السلاح القوى لمواجهتهم عن طريق تذكير المسلمين برسولهم الكامل صلى الله عليه وسلم وقرآنهم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مذكرا بالاعجازه بالاضافة الى مناقشة اليهود والنصارى فى دينهم وبيان فساد معتقدهم ٠

وقد ترك لنا الشيخ النبهانى كتابا ضخما فى هذا سماه " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين " وقد كتبه فى الرد على كتاب " الهداية " الذى ظهر فى الاسواق بلا مؤلف وفيه تهجم سافر على الاسلام والقرآن والرسول وموازنة له بالمسيحية وتفضيلها عليه ٠

---

(١) فى الشعر الجاهلى ص ٢٦ ٠

أغـراض نشـــــره :

وقف الشيخ يوسف النبهاني قلمه على نصرة الاسلام والدفاع عنه ، وقد نهـالــــى ألا يؤثــر عنه شيء غير ذلك ، ولهذا جاءت أغراض أدبه محدودة جلها يدور حول موضوع واحد هو نصرة الاسلام وتمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم •

ومن هنا يمكن تقسيم أغراضه الى دينية وغير دينية •

الأغـراض الدينيــــــة :

ويدخل فيها جميع مؤلفاته ومن هذه الأغراض :

(١) توضيح معنى آية أو حديث شريف ففى مؤلفه الأول " الشرف المؤبد لآل محمد " صلى الله عليه وسلم ، يقول الشيخ النبهاني فى أسباب تأليف هـــــذا الكتاب : •••• " ما وقع فى عصرنا فى القسطنطينية سنة سبع وتسعـــين ومائتين وألف هجرية من قوم جهال غرقوا من أحوال البغضاء لآل محمد فى أوحال ، فأخذوا يتأولون بجهلهم ما ورد من الآيات والأخبار فى فضل أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحى ومنبع الحكمة ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة وآرائهم الذميمة ، ومع ذلك زعموا أنهم لأهل البيت من أهـــــل المحبة والوداد ، ولم يعلموا أنهم هائمون من الخذلان فى كل واد ، ولمـــا أراد الله سبحانه تمام غوايتهم قدر لهم الاطلاع على كتاب " نوادر الأصول " للحكيم الترمذى ، وقد أتى فيه رضى الله عنه بتفسير قوله تعالى " انما يريـــد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " وقوله عليه الصـــلاة والسلام : " انى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وأهل بيتى عترتى " ، وقولـــه صلى الله عليه وسلم "النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهـــــل الأرض بأقاويل ظاهرها مخالف لما عليه جمهور العلماء أن الآية الكريمـــــة خاصة بالزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين وشنع على من ذهـــــب الى غير ذلك من المفسرين • وأغرب من هذا دعواه فى الحديث الأول حديث الثقلين أن المراد من أهل البيت فيه الأئمة وفقهاء الأمة • ومثله غرابـــــة أو أغرب زعمه فى الحديث الثانى أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم فيـــــه هم الأبدال الا الذرية ومنع ان تكون فى العنصر الطاهر هذه المزية •

وانى لعلى يقين من أنه رحمه الله على تقدير ثبوت ذلك عنه وتحقق صدوره منه – مع استبعاد صحة نسبته اليه وقرب احتمال دسه عليه – لم يقصد به الا احقاق الحق على وجه السداد بحسب ما أداه اليه الاجتهاد ، وأرجو الا يلحقه بذلك عتاب وألا يفوته على نيته الثواب فانه نفعنا الله به من مشاهير الأئمة ، ومصابيح هذه الأمة ولعله كان فيما أتى به معذورا ، وقد كان ذلك فى الكتاب مسطورا ..... فأخذ أولئك المخذ ولون عباراته وصاروا يروجون بها بضاعتهم الكاسدة ، ويصلحون بها عقائدهم الفاسدة ، ويتمشدقون بها فى مجالس اخوانهم العوام ويفهمونهم ألا فرق بين العترة الطاهرة وأى واحد من أهل الاسلام ، فلما شاع أمرهم المذموم ، وفشا سر ضلالتهم المكتوم حملنى على تزييف مدعاهم الباطل الفاسد ، وهدم ما استندوا اليه من واهيات القواعد : أمر شريف صدر من أحد أجلاء العصابة المصطفوية وافق منى بواعث قلبية " (1).

من هذا نلاحظ أن الغرض من تأليف الكتاب هو توضيح آية أو حديث أو سيىء فهمهما .

(٢) الرد على الكتب التى تهجم الاسلام ببيان زيفها وما حوته من أباطيل وافتراءات ، وقد كان هذا هو سبب تأليف كتاب " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين " .

يقول الشيخ يوسف بعد مقدمة طويلة من الحمد والثناء على الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم :

أما بعد :كنت سمعت بكتاب ضلال وبهتان وسفر كفر وعدوان ، سماه صاحبه "الهداية " أى هداية الشيطان الى سبيل النيران ، لأنه هو الذى هداه اليه وأملاه عليه ، فهو كتاب ابليس أوحاه الى هذا الخاسر الخسيس ..... فلم تطلب نفسى النظر اليه ، ولو للرد عليه ، لشدة كراهتى للكفر وأسبابه ، وبغضى للسفيه وسبابه ، وقلت : كثير من علماء المسلمين وجهابذة الايمان من هو أوسع منى علما وأصح منى فهما وأكثر منى فضلا ، وأقل منى شغلا ، وأمهر منى باقامة الحجج وترتيب

---

(1) الشرف المؤبد لآل محمد ص ٦–٨.

الدلائل وان كانت صحة دين الاسلام وبطلان غيره من الأديان اثبت من أن يفتقر كل منهما الى الاثبات بقلم أو لسان ، وأظهر من أن يحتاج الى المهارة في اقامة الدليل والبرهان ، ثم بعد أن مضى على ذلك نحو سنتين قدر الله اطلاعي عليه فوجدته صحيفة بهتان وافك ، وحقيبة عدوان وشرك ، وقد كتم مؤلفه اسمه وشهر كفره وظلمه ..... ولو اشتغل برد ما قالوه في تزيين معتقده فقط من دون أن يتعدى الى الاعتراض على الدين المبين دين الاسلام ويرميه من كنانة افكه وكفره بسهام الأوهام ، لكان ذلك أخف الشرين ، ولكنه ضم الى المكابرة في تزيين القبيح وتقبيح الزين ، وقد تجاوز بالسفاهة حده ، وجعل كل عاقل حتى من قومه ضده ... فحملني ذلك على تأليف هذا الكتاب لدحض الباطل بالحق ومقابلة الكذب بالصدق وسميته " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين " (1)

(٣) تنبيه المسلمين الى أنهم متهاونون في أمور الدين مثل الصلاة مما دعاه لتأليف كتاب الرحمة المهداة في فضل الصلاة .

يقول الشيخ يوسف النبهاني في أول الكتاب " ...... اني رأيت كثيرا من الناس في هذا الزمان يتهاونون بترك الصلوات وبعضهم يصلي ولكنه يتهاون ويترك الجمعة والجماعات فحملني ذلك على جمع هذه الرسالة المختصرة المهذبة المحررة وسميتها : " الرحمة المهداة في فضل الصلاة " (2).

(٤) تنبيههم الى الأضرار الناجمة عن تعليم أولاد المسلمين في مدارس النصارى فألف كتابا سماه " ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى " ولم يدع مناسبة لتنبيه المسلمين الى أضرار المدارس التبشيرية الا ونبه عليه كما فعل في آخر كتابه " أفضل الصلوات على سيد السادات " (3) .

---

(1) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ٤ــ٨.

(2) الرحمة المهداة في فضل الصلاة ص ٢٦.

(3) أفضل الصلوات على سيد السادات ص ٢٦٥.

(٥) بيان حكم المسائل الفقهية كحكم صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة فقد كتب رسالة سماها " حسن الشرعة فى حكم صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة "

يقول الشيخ يوسف النبهانى بعد أن بين حكم صلاة الظهر جماعة اذا تعددت الجمعة على المذاهب الأربعة وأنها ليست بدعة .

يقول الشيخ النبهانى : " ومن أراد بسط هذه المسألة فليراجع كتب الفقه وشروح الحديث والمقصود أن المرء اذا صلى الفرض مرتين لسبب مشروع لا يقال ان ذلك بدعة وانه صلى ست فرائض كما يزعمه بعض الطلبة الجهال الذين استهوتهم الشياطين مثل هؤلاء المجتهدين الفاسقين الذين جعلوا دأبهم وديدنهم الاعتراض على علماء الدين وأئمة المسلمين ، مع أن هذه المسألة مسألة تعدد الجمعة وصلاة الظهر بعدها مسألة اجتهادية ، وقد علمت ما ورد فيها عن أئمة المذاهب الأربعة الهداة المهديين لا يضلل بعضهم بعضا ، ولا تخرج مذاهبهم عن كون صلاة الظهر بعد الجمعة اذا تعددت ولم يعلم السابق يقينا سنة أو فرضا فهذا هو سبيل المؤمنين ومن سلكه فقد اطاع الله واقتدى فى ذلك بائمة دينه المهديين رضى الله عنه أجمعين " (١).

(٦) تحذير المسلمين مما يحدث فى عصره من الدعاوى الباطلة شرعا كدعوى الاجتهاد المطلق فقد كتب الشيخ النبهانى رسالة يرد بها على من يدعون الاجتهاد فى عصره جاء فى مقدمتها " ....

قد حدث فى هذا الزمان الذى قل فيه العلم وذل وكثر فيه الجهل وجل ، جماعة حمقى من طلبة العلم لعب بهم الشيطان فحملهم على دعوى الاجتهاد المطلق ، حتى زعموا أنهم كالشافعى ومالك وأحمد والنعمان عليهم الرحمة والرضوان ، مع أن أكثرهم من ضعاف الطلبة الملحقين بالعوام ، ولا يجوز أن يقال انهم من علماء الاسلام ، وقد نشأ من دعواهم هذه السقيمة وأوصافهم الأخرى الذميمة مضار عليهم وعلى بعض جهلة المسلمين عظيمة فكتبت هذه الرسالة القويمة لأنبه الناس على دعاويهم الباطلة ومساويهم العاطلة نصيحة لهم وللمسلمين

---

(١) حسن الشرعة فى مشروعية صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة ص ٨٦.

وخدمة لهذا الدين المبين وسميتها " السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة " [١].

وجاء في المقدمة أيضا " ..... وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس الى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن وصحيح البخارى فانظر هذا الجهل العظيم والضلال المبين ، فاياك يا أخى ثم اياك من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى والزم مذهبك وقلد أى امام شئت من الأئمة الأربعة بدون تتبع للأئمة والتلفيق فى الأحكام بحيث يحصل من ذلك هيئة لا يقول بها امام منهم فان ذلك ممنوع [٢].

(٧) ومنها تحذيره المسلمين من دعاة التجديد موضحا موقف الاسلام من دعواهم حيث يقول : " ...... ومن هؤلاء المجانين قسم يمتاز عن غيره بالرقاعة والسماجة وفساد الذوق وقلة العقل والدين ، وهم الذين يلهجون دائما بألسنتهم وأقلامهم ـ بحسن أحوال هذا العصر وأنه عصر العلم والمعرفة والفضل والأدب والتهذيب وكل خير ، فتراهم يقولون قد مضى عصر الجهل والتوحش والان نحن فى عصر العلم والتمدن وينسبون كل شئ يستحسنونه ويريدون مدحه الى هذا العصر السعيد بزعمهم فيقولون : العلوم العصرية والأفكار العصرية والأخلاق العصرية والتمدنات العصرية وتارة يقولون : ان الناس قد تمدنوا وتنوروا وتفتحت عيونهم وزالت تلك الهمجية والتوحش وما أشبه ذلك من العبارات الباردة الكاذبة التى هى من أعظم الأدلة على أن الناطق بها ، ـ ولا سيما اذا كان من المسلمين ـ من أثقل الثقلاء وأجهل الجهلاء وليس له ذوق سليم ولا فكر مستقيم ولا يفهم الفرق بين الباطل والحق.

ووجه ذلك أن الحسن عندنا معاشر المسلمين ما وافق الشرع ، والقبيح ما خالف الشرع والعصر الذى يستحسنه الشرع هو ما تجرى فيه أحكامه ويغلب على الناس فيه الدين واطاعة أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه " [٣].

وكذلك فى رده على مذهب الامام ابن تيمية والوهابية فى منع زيارة قبر الرسول والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم فى كتابه " شواهد الحق فى الاستغاثه

---

(١) السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ـ٣٣.

(٣) المصدر السابق ص ٣٨.

بسيد الخلق " وكذلك فى رد ، على من يشتمون الصحابة كمعاوية وعمرو بن العاص ، ولذلك ألف كتابه " الأساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة " ، وقد جاء فى مقدمة الكتاب : " والحامل لى على تأليفه أن الشيطان قد قاد فى هذا الزمان بعض الجهال من أهل السنة بوسيلة حب آل البيت الكرام والتعصب لهم بمجرد الهوى والأوهام ــ الى بغض بعض الصحابة الكرام لاسيما معاوية وعمرو بن العاص لخروجهما عن طاعة الامام وصار هؤلاء الجهلة يتبجحون بذمهما معتقدين بجهلهم أن ذلك من القُرَبْ التى ترضى الرب ومن الحسنات التى تنفعهم فى الحياة وبعد الممات ، وسول لهم أبو مرة أن أئمة الأمة من أهل السنة ما أنصفوا فى الجواب عنهما وعن كل من كان على شاكلتهما من الصحابة المحاربين لعلى رضى الله عنه وربما تجاوز بهم الحال الى الاعتراض على الخلفاء الراشدين . ولاسيما عثمان . وقد يفضلون عليه بل عليهم عليا بمجرد الهوى والعصبية والحمية الجاهلية ، ويرون أن ذلك من الانصاف الذى يزعمونه فى أنفسهم مدعين أنه لا تأخذهم فى الله لومة لائم مع أنهم فى أمر الدين مثل البهائم ، ويظنون من شدة جهلهم وعمى قلوبهم أن جميع الأمة ــ من عهد الصحابة رضى الله عنهم الى الآن ــ هى غير مصيبة فى ذلك وأنهم هم ومن كان على شاكلتهم ــ من جاهل فدم [(١)] تابع لهواه من غير علم ولا فهم ــ على هدى وصواب فى بغض بعض الأصحاب .

فسوء حال هؤلاء الجهلة من أهل السنة هو الذى حملنى على تأليف هذا الكتاب ليعرف من قرأ فيه أنه على خطأ عظيم وخطل ذميم وأنه فى ذلك ليس على هدى من الله بل هو على شفا جرف من الهلاك ان لم يتداركه باللطف مولاه " [(٢)]

---

(١) الفدم : العيى عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم والغليظ الأحمق الجافى ــ القاموس المحيط .

(٢) الأساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة ص ٤٥٦ ــ ٤٥٧ ــ ملحق بكتاب شواهد الحق .

(٦) تمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم :

(١) وقد ألف كتابه " حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين " ليتكلم فيه عن معجزات الرسول صلى الله عليه وقد جاء فى مقدمته : " أما بعد فانه لا يخفى على من له أدنى اطلاع على أخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام أن سيدهم وسيد جميع خلق الله محمدا صلى الله عليه وسلم : هو أكثرهم معجزات ودلائل ، وأظهرهم فضائل ، وأبهرهم محاسن وشمائل ، وأشهرهم فى الكتب السماوية علامات وبشائر ، وأصدقهم شواهد وردت عن الأوائل والأواخر ، وأقواهم براهين وأوضحهم آيات بينات وأرفعهم مقامات وأشرفهم حالات."[1]

(٢) وفى تمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ألف كتابه: "الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " وقد جاء فى مقدمة الكتاب : " .... لا يخفى أن سيدنا ومولانا ونبينا أبا القاسم محمدا صلى الله عليه وسلم هو فى كل وصف جميل أفضل الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وجميع عباد الله الصالحين وكافة الخلق أجمعين ، .... واذا علمت ذلك تعلم أنه لا سبيل الى معرفة فضائله صلى الله عليه وسلم ومزاياه معرفة تحيط بها من كل الوجوه ولو اجتمع لذلك كل من عداه ، اذ لا يعرف حقيقته ولا يحيط بفضائله عليه الصلاة والسلام الا الله ، ومازال مهرة العلماء يخوضون فى لجج بحورها الزواخر ، فيستخرجون منها روائع اللآلئ وبدائع الجواهر ، فمنهم من نظمها عقودا زين بها جيد الزمان ، ومنهم من نثرها على بساط البسيطة فاستغنى بها أهل المعرفة والايمان وألفوا فيها الكتب ودونوا الدواوين ، ورووا أخبارها عن كل صادق أمين ، فمنهم من اختصر فى تأليفه فأجاد ومنهم من أطال فأطاب وأفاد ..... ومن المتوسطين الامام العلامة الشيخ أحمد شهاب الدين القسطلانى فى كتابه "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" .... الخ "[2] .

---

(١) حجة الله على العالمين ص ٦ .

(٢) الانوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٢-٤ .

٣ـ وفى مقدمة كتابه " وسائل الوصول الى شمائل الرسول " صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ يوسف النبهانى " أما بعد : فقد خطر لى أن أجمع كتابا أجعله وسيلة لبلوغى من رضا الله ورسوله المرام ، وذريعة للانتظام فى سلك خدامه عليه الصلاة والسلام ، ثم نظرت الى قلة علمى وضعف فهمى وكثرة ذنوبى ووفرة عيوبى ، فأحجمت احجام من عرف حده ، فوقف عنده ، ثم تخطرت سعة الكرم وكونى من أمة هذا النبى الكريم ، فأقدمت اقدام الطفل على الأب الشفيق الحليم ، بعد أن سمعت قول الله تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " فكم من عربى قدم لا أدب له ولا فهم ، ولا عقل ولا علم ، ولا كرم ولا حلم ، قابل جنابه الشريف بما غضب له المكان والزمان ، وخاطبه بما عبس له وجه السيف واحتد له لسان السنان ، فكان جوابه الاغضاء والعفو عن اساءة ، بل أدناه وقربه ، وما لامه وما أنبه ، بل أفرغته أخلاقه المحمدية فى قالب كيمياء السعادة بأيادى الاحسان حتى اضمحلت حدة ذلك الوحش وانقلبت حديدته جوهرة انسان فتبدل بغضه بالحب ، وبعده بالقرب ، وحربة بالسلم ، وجهله بالعلم ، واستحال انسانا بعد ان كان ثعبانا وصار حبيبا بعد أن كان ذيبا ، فهذا وأمثاله من شواهد مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أطمعنى فى امكان قبولى فى جملة خدمه ودخولى فى عداد حشمه ، ولا يبعد عن سعة كرم الله تعالى أن يهب لى ـ اكراما لرسوله ـ فوق ما أملته من الرضا والقبول ، وها أنا ذا قد توكلت عليه سبحانه وقبضت قبضة من أثر الرسول ، فجمعت هذا الكتاب من آثاره فى شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم ... الخ " (١).

(٤) كما كتب الشيخ النبهانى شرحا على " دلائل الخيرات " للامام الجزولى سماه : " الدلالات الواضحات " وقد جاء شرحه تفسيرا وتوضيحا لبعض المفردات أو العبارات وكتاب " دلائل الخيرات " كله دعاء واستغفار وصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم واستغاثة به وتوسل .

---

(١) وسائل الوصول الى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢ـ٣ .

(٥) وله كتاب آخر هو " مفرج الكروب ومفرح القلوب " جمع فيه الكثير من الأدعية والصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم المنصوص عليها فى كتب الحديث لتفريج الكروب .

يقول الشيخ النبهانى رحمه الله فى مقدمة كتابه" ...... وهو ما بين آيات قرآنية وأذكار وأدعية نبوية وغير نبوية مما فيها الاسم الأعظم ، أو المعروفة باستجابة الدعاء بها أو المجربة لقضاء الحاجات ودفع البلاء ، جمعتها من كتب العلماء والمحدثين والأولياء العارفين كقوت القلوب " لأبى طالب المكى " واحياء العلوم " للامام الغزالى و " الترغيب والترهيب " للحافظ المنذرى والأذكار " للامام النووى ومشكاة المصابيح " لولى الدين التبريزى " والأرج فى الفرج " للحافظ السيوطى "والجامع الكبير" له ـ أيضا ـ وغيرها من الكتب التى يأتى التصريح بأسماء مؤلفيها عند النقل (١) .

(٦) وقد ألف كتابا سماه " حزب الاستغاثات بسيد السادات " يقول فى مقدمته : فهذا حزب جمعت فيه استغاثات أربعين وليا لله تعالى بنبيه الاكرم وحبيبه الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقدمت عليه الاستغاثة بأسماء الله الحسنى واتبعتها بما ورد فى الاحاديث النبوية من الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم " (٢) .

(٧) وألف الشيخ النبهانى كتابا سماه " الأسمى فيما لسيدنا محمد من الأسماء " ويقول فى مقدمته : هذا مختصر صغير علمه كثير جمعت فيه الأسماء المحمدية مع شرح مالابد من شرحه منها ورتبتها فيه على حروف المعجم بحسب أوائلها كما فعل الحافظ السخاوى فى " القول البديع " والامام القسطلانى فى "المواهب " (٣) .

---

(١) مفرج الكروب ومفرح القلوب ص ٢ .

(٢) حزب الاستغاثات بسيد السادات ص ٢ .

(٣) الاسمى فيما لسيدنا محمد من الاسما ص ٢ .

(٨) وحول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ألف الشيخ النبهاني رحمه الله كتاب " سعادة الدارين فى الصلاة على سيد الكونين " وهو أجمع وأشمل كتاب فى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم كتبه الشيخ النبهاني أو من هو فى عصره وقد جمع فيه كل ما يتعلق بها من شرح وجمع لصيغ الصلاة على الرسول عليه السلام وهو سفينة جامعة ، وقد جاء فى مقدمة الكتاب " أما بعد فقد أجمعت الامة استنادا لكتاب الله وأحاديث رسول الله وأقوال العلماء وأخبار الصلحاء على أن الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أفضل الطاعات وأنفع العبادات ، ولذلك اعتنى العلماء بشأنها فألفوا فيها الكتب والرسائل وبينوا مالها من الفوائد والفضائل " (١). ثم شرع فى ذكر الكتب التى ألفت فى موضوع الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٩) وفى تمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ألف الشيخ النبهاني كتابه "أفضل الصلوات على سيد السادات" وجاء فى مقدمته: " أما بعد فيقول الفقير المذنب يوسف بن اسماعيل النبهاني : انى تفكرت فى كثرة ذنوبى وقلة أعمالى الصالحة فعظم بذلك بلائى ، وغلب خوفى على رجائى ، ثم ألهمنى الله سبحانه ، أن لا دواء لهذا الداء أنفع من صدق الالتجاء الى جنابه الكريم صلى الله عليه وسلم وخدمته بهذا المجموع الذى جمعته فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وسميته " أفضل الصلوات على سيد السادات " (٢).

(١٠) وفى تمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ألف الشيخ النبهاني كتابه " جواهر البحار فى فضائل النبى المختار" وجاء فى مقدمته " أما بعد فهذا مجموع بديع فى فضائل النبى الشفيع وعلو قدره الرفيع صلى الله عليه وسلم جمعت فيه كثيرا مما ورد فى الكتاب والسنة وكلام أئمة الأمة من أهل الشريعة والحقيقة فى أوصاف سيد الخليقة صلى الله عليه وسلم ولم أكثر فيضان معجزاته مع كثرتها الى غاية لاترام لأنى بسطت عليها فى غير هذا الكتاب الكلام وانما لم اخله منها لما فيه من النفع العام بنشر دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام وقد نقلت ما فيه من الفرائد المهمة والفوائد الجمة عن اكابر العارفين وأئمة الدين وسميته "جواهر البحار فى فضائل النبى المختار" (٣).

---

(١) سعادة الدارين فى الصلاة على سيد الكونيين ص ٣.

(٢) افضل الصلوات على سيد السادات ص ٢ ، ٣.

(٣) جواهر البحار فى فضائل النبى المختار " جـ١ ص ٢.

والحقيقة أن الشيخ النبهاني لم يدع فرصة تفوته دون أن يكيل للرسول صلى الله عليه وسلم الثناء والصلاة مظهرا أنه صلى الله عليه وسلم الانسان الكامل الذى لا يملوه سوى الذى خلقه وقد ذكر لنفسه صيغا للصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم كسائر العارفين الذين ذكر صيغ صلاتهم فى كتابه "سعادة الدارين" .

تحت عنوان " الصلاة التاسعة والعشرون بعد المائة " للمؤلف ذكر سبع صيغ للصلاة أولها " اللهم صل على سيدنا محمد صلاة كاملة دائمة يشارك فيها الأزل الأبد ولا يشاركه فيها من خالف اللهَ أحدٌ صلاةً لا تُحْبَرُ فتُحَدّ ، ولا تُحْصَرُ فتُعَد صلاة نهاية أعلى درجات المقربين لا تصل الى بدايتها فى الأزل ولا بداية ، ولم تزل دائمة الترقى فى كل لمحة ولن تزال كذلك فليس لها نهاية — على آله الأقربين وأمهات المؤمنين وصحبه نجوم المهتدين ورجوم المعتدين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين " وقال فى نهايتها " وكلها كما تراها من أكمل الصلوات المشتملة على أبلغ العبارات " .

وتحت عنوان الصلاة الثلاثون بعد المائة يقول " عليك يا رسول الله من صلوات الله وتسليماته وتحياته وبركاته فى كل لحظة ما يماثل فضلك العظيم ويعادل قدرك الفخيم ويجمع لك فضائل جميع أنواع الصلاة والتسليم " ثم قال : وقد قرأتها وحدها فى بعض الأحيان فوجدت لها تأثيرا حسنا وهى من أجمع صيغ الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم " ولا شك أن هذه الصيغ وغيرها تدل على مدى تثبت النبهانى من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واستغراق قلبه وعقله فيه حتى استطاع أن يكوّن له صيغة خاصة للصلاة عليه " [1] وهذا يدل بلا شك على اقتداره الأدبى وتمكنه من البيان العربى — الى مدى بعيد .

أغراض شخصية :

لابد أن يكون للشيخ النبهانى مراسلات شخصية مع الآخرين خصوصا أنه كان يحتل مكانة اجتماعية مرموقة على الصعيدين الرسمى والشعبى ، والذى يدرس شخصية النبهانى يجد أنه شخصية اجتماعية لا تعرف الحياد ، ومن هنا كان لابد أن يكون

---

(١) سعادة الدارين ص ٣٦٠ـ٣٦٣ .

له مشاركة وجدانية وعاطفية واجتماعية تنعكس على أدبه وهو صاحب القلم السيال ومع هذا لم أعثر له على أى قطعة نثرية فى هذا الفرض فى كتبه وهى المصدر الوحيد لأخباره وكأنه حرص أيضا على الا يؤثر عنه أى أثر فى غير موضوعاته الاسلامية التى طرقها وهذه ظاهرة بارزة فى شخصيته لا أعلم لها وجودا فى مثله . غير أنى وجدت فى جريدة الجوائب العثمانية أثناء بحثى عن أخبار الشيخ يوسف فيها ما يلى : "الرسالة الآتية رأيتها فى " ثمرات الفنون كتبها الأديب الفاضل العالم الكامل الشيخ يوسف أفندى النبهانى كان سابقا من مصححى مطبعة الجوائب فاستنسبنا نشرها هنا لما نعلمه من أخلاقه الحميدة وأوصافه الجميله وهى :

(ومن المعلوم أن العدلية لفظ منسوب الى العدل وهو ضد الجور وقد سميت به دوائر الحكومة التى نبحث فيها عن الدعاوى حقوقية كانت أو جنائية من قبيل الفأل الحسن عسى الله أن يرشد مأموريها الى جادة العدل والانصاف ويجنبهم طريق الظلم والاعتساف .... وليس قصدنا الآن أن نشرح هذا المعنى لأن شرحه يطول انما القصد أن نشرح قضية جزئية تتعلق بحال الأسد المذكور وحال الآهالى معه ليقاس عليها غيرها وتكون نموذجا لسائر الأحوال وهى أن خمسة أشخاص من قرية أجزم [1] فى قضاء حيفا ثبتت عليهم جنايات فى محكمة عكة من مدة طويله وصار الحكم عليهم مددا مختلفة على حسب جناياتهم فلم تمض الا أيام قلائل حتى خرجوا من الحبس وأشيع أنهم هربوا .. ، نعم هربوا ، نعم هربوا ثم بعد أيام خرجت الأوامر السنية العدلية بطلب اختيارية قريتهم المذكورة ووجوهها المبرئين من الجنايات فحضروا الى محل الحكومة طوعا أو كرها للسؤال عن خمسة الأشخاص وبعد اقامتهم مدة وتعطيلهم عن أشغالهم ـ ولا أقول غير ذلك ساروا بعد اعطاء الرخصة لهم ثم صار طلبهم مرة أخرى للتحقيق وأعطيت لهم الرخصة كذلك على الوجه المشروح ثم انه فى هذه الظروف شرف الأسد المومأ اليه الى حيفا لبعض الأشغال فأرسل من طرفه ملازما من "الجندرمة " اسمه محمد أغا ـ لا أدرى أهو أرنؤوطى أم كردى وانما أدرى أنه جبار من الجبابرة ـ مصحوبا بعشرة من الخيالة بوسيلة طلب الخمسة المحكوم عليهم ومعه أمر شديد مصرح فيه بأسماء وجوه القرية أو اختياريتها ويذكر أنهم مكلفون باحضار الخمسة الأشخاص [2] مع أنهم غير موجودين فى القرية فان أكثرهم رحلوا

---

(١) مسقط رأس الشيخ يوسف النبهانى .

(٢) فى الأصل : الخمسة أشخاص ، وهو خطأ شائع وقع فيه الكبار والصغار من الكتاب والأدباء ، والصواب : الخمسة الاشخاص ـ كما فعلنا ـ أو خمسة الأشخاص . د . سرحان .

الى بلاد أخرى بعد اخراجهم أو فرارهم من الحبس ففرق الملازم خيالته على بيوت الوجوه المذكورين الذين لا جناية لهم ولا ذنب يقتضى أن يعاملوا بهذا الظلم وأشغل [١] عليهم العصا والسياط وكلفهم مالا يطاق من مأكل ومشرف وغيرها ، وقد اعتمدوا أن يذهبوا الى الأسد المشار اليه ليجيرهم من هذه المظالم غير أنهم لكثرة أشغالهم وهيبتهم اياه وخوفهم من الحبس أو ما يقوم مقامه تحملوا أضرار الملازم والخيالة ولم يذهبوا الى معاون المدعى العمومى فلما بلغ هذا الخبر حضرة العلامة الفريد حضره فضيلتلو الشيخ عبد الغنى أفندى الرفاعى رئيس دائرة الجزاء فى عكة أرسل تحريرا الى الأسد المومأ اليه ترجاه فيه أن يرسل أمرا الى ملازمه ليرتفع عن الجماعة المذكورين فانهم لا جناية لهم ولا مدعى عليهم حتى يعاملوا بهذه المعاملة السيئة فلا والله لم يكن لتحرير الأفندى جواب سوى الاهمال وعدم الالتفات وبقى الحال على ماكان الى الآن ولا أدرى ماذا سيكون فى المستقبل ؟ نسأل الله الحماية .

أرجوكم أن تدرجوا مقالتى هذه فى جريدتكم الغراء بحروفها عسى أن يكون بها غيرة لمن يقرأ أو يسمع أو ربما مرت على مسمع رجل أو نظرة من أرباب الغيرة والحمية والاقتدار فيأخذ من الأسباب لمنع هذه الأمور قبل هلاك العباد وخراب الديار والله الموفق فى ١٤ رجب سنة ١٢٩٧ ــ توقيع يوسف النبهانى " [٢].

---

(١) قال فى القاموس ــ أشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة ، وعلق شارحه فى تاج العروس قائلا : قوله : "جيدة" : لا يعرف نقله عن أحد من أئمة اللغة " ومعنى هذا أن " أشغل " لغة قليلة أو رديئة .

(٢) الجوائب ص ٥ ، ٢٨ شعبان ١٢٩٧ .

الفصل الثاني

شعره وفنونه

النبهاني الشاعر : لم أعثر على أول قصيدة قالها الشيخ يوسف النبهاني لأنه حرص على اتلاف كل ماقاله في غير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كما أنه لم يسترع انتباه الباحثين في الأدب منذ وقت مبكر لبعده عن مجرى الحياة السياسي الذي به ، يشتهر الرجال ومما زاد في خفاء النبهاني المبكر أن الاتجاه الديني الذي سار عليه في أدبه وشعره لم تكن له الغلبة فيما بعد لذلك ضاع شعره ونسي ولم يبق لنا منه الا مدائحه النبوية التي جمعها في ديوان سماه (العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية) وفي غير هذا الغرض عثرت على قصائد قليلة لم تكن بواكير شعره اذ قالها بعد أن أشتهر وذاع صيته

ولو حاولنا تعليل موهبته الشعرية والوقوف على ينابيعها لوجدنا أمامنا عدة روافد منها :—

اولا — اسرته : فالشيخ النبهاني من بني نبهان احدى قبائل طي التي منها ظهر الشاعران العظيمان أبو تمام والبحتري ولم استطع البت فيما اذا كانت أسرة النبهاني تقول الشعر أم لا ... خصوصا وهي أسرة علم فوالده الشيخ النبهاني أزهري والكثير من أقاربه واصل تعليمه في الازهر وفي ذلك الوقت لم يكن أحد يستطيع أن يواصل تعليمه في الأزهر الا اذا كان على درجة كافية من الذكاء والنباهة لقوة الدراسة وصعوبتها ومن هذا أرجح أن يكون والده أو أفراد اسرته المتعلمون قد قالوا الشعر ولو في المناسبات — ولكنه ضاع كما ضاع الكثير من شعر الشيخ النبهاني نفسه .

ثانيا — بلده : فالشيخ النبهاني ولد في قرية (اجزم) احدى قرى قضاء حيفا وهي تقع على ربوة مرتفعة تحيط بها يتلوها سلاسل من الجبال التي تكسوها الاشجار الحرجية[1] وفيها نبع من الماء يسمى (ماقورة) يستعمل لزراعة الخضروات والأشجار المثمرة التي كانت تصدّر الى حيفا والقرى المجاورة ، خصوصا (الملوخية) التي كان يضرب بها المثل وكان يقال (ملوخية ماقورة) أي القمة في الجودة . وفي الوقت الذي قضى النبهاني طفولته في اجزم كان

---

(١) الحرجية نسبة الى الحرج وهو مجتمع الشجر د . سرحان

فيها غابات (١) تعيش فيها بعض الحيوانات المفترسة كالنمر .

فالشيخ النبهاني الذي تفتحت عقليته في هذه القرية الجميلة ولم يخرج منها الا الى الازهر يعد دليلا حاسما على أن طبيعة اجزم الجغرافية قد ساهمت في انماء موهبته الشعرية وقد استطاعت اجزم أن تتغلغل في قلب النبهاني فتجذبه لاستضافتها في كل صيف .

ثالثا :- القران والمتون والأزهر وهي التي كونت له ملكه عربية فصيحة فيها جزالة القرآن وفصاحته وسمو بيانه وفيها قوة المتون(٢) وتركيزها ولذلك جاء شعره قويا جزلا متمكنا من ناحية اللغة ولعلنا نذكر قصة الفرزدق مع الامام على كرم الله وجهه عندما سمع شيئا من شعره وهو في صباه فأوصى والده أن يحفّظه القرآن فقيد الفرزدق نفسه وأبى ان يفكه احد عنه حتى يحفظ القرآن . كما ان دراسته الازهرية عمقت فهمه وحفظه للقرآن وبالتالي تمثل أسلوبه فظهر في شعره .

يقول النبهاني "قد رزقني الله وله الحمد والمنه ملكة قوية في العربية بعد قراءتي في الجامع الأزهر على مشايخي الذين ذكرتهم في ثبتي " هادى المريد الى طرق الاسانيد " جميع الكتب التي اعتادوا قراءتها في علم النحو في نحو سبع سنوات من الاجرومية الى الاشموني بالشروح والحواشي مع حفظ الاجرومية ومتن العوامل والاظهار وكافية ابن الحاجب بنفسي ولبعض الطلبة ومع ذلك فقد نسيت الآن اكثر قواعد النحو ولكن ملكتي التي تعصم قلمي من اللحن غالبا قوية والحمد لله وقد طالعت من كتب الأدب والتاريخ شيئا كثيرا ولا أخلو دائما من المراجعة في كتب اللغة وغريب الحديث (٣) . ولا يظهر لي أن يكون النبهاني قد تأثر بالنهضة الشعرية التي عاش عصرها فان مولده في اجزم وعزلته فيها واحتواء والده له بما يحفظه من القرآن والمتون ثم يتلقفه الأزهر ليعمق هذه العلوم في عقله حفظا وفهما كل هذا جعله يعيش في عالم منفصل فلا يعرف

---

(١) وقد قطع معظمها لصنع الفحم وقد شجع الانجليز ذلك للقضاء على هذه الثروة الحرجية وبعد نكبة ١٩٤٨ هدم اليهود بيوت اجزم القديمة وبنو مستعمرة اسمها كارم مهرال وزرعوا السهول بالورد وهي الآن تصدر الورد الى معظم مدن الساحل الفلسطيني .

(٢) قالوا من حفظ المتون حاز الفنون .

(٣) اسباب التأليف العاجز الضعيف للنبهاني ص ٣٣٤-٣٣٥

من الأدب شعره ونثره الا مايدرس لفحول الشعراء والأدباء فى العربية

لذلك رأينا الشيخ النبهانى استقى ثقافته من أمهات المصادر العربية وأنى لأجزم بأن النبهانى لم يقرأ فى حياته كتابا مترجما ، ولذلك كلمه لا أجد لفحول شعراء عصره ذكرا فى كتبه كالبارودى وشوقى معوفرة شعرهما الاسلامى ومع ان لهما مدائح نبوية مشهورة ولا أحسب ذلك لقصور فى فنيه شعرهما الاسلامى أو مدائحهما النبوية بل لأنهما لم يكونا من عداد الصوفية والزاهدين • وكان النبهانى يقوِّمُ المدائح النبوية والشعر الاسلامى بمقدار تقوى وزهد الشاعر لأنها ستكون أقرب الى الصدق الفنى وقوة العاطفة بدل جزالة الألفاظ وقوة التراكيب وجمال الصور فالعمل الأدبى الناجح عند النبهانى هو الذى يكون صاحبه ــ فيه أيه ــ اكثر قربهـا الى الله •

كل هذا كان بتأثير قريته ووالده والأزهر •

أطواره فى شعره : ليست لدينا تفصيلات وافية عن أطوار الشعر عند النبهانى ولكن يظهر لنا مما وصلنا من معلومات أن الشيخ النبهانى بدأ حياته الشعرية فى مدح وجهاء الناس للحصول على بعض المناصب ذلك أن أسرة •••• النبهانى ـ وان كانت معروفة بالعلم والتقوى ـ كانت مغمورة بالنسبة لغيرها ونفسية الشيخ يوسف الطموح لم ترض بما رضى به أقاربه ممن تعلموا فى الأزهر اذ كان يرنو الى المناصب العالية لذلك لم يرض أن يبقى خطيبا وواعظا فى مسجد اجزم وعكة اذ سرعان ماغادرهما الى الاستانة حيث الآمال والطموح الى مالايستطيع مثله أن يصل اليه دون أن يجد الوساطة التى توصله لذلك •

قال يمدح بعض ذوى المناصب ، ولندع الشيخ النبهانى يحدثنا عن حالة هذه حيث يقول ((اعلم أنه قد سبق منى قصائد مدحت بها بعض الأكابر من أهل العصر ولم أدونها لأنى ان لم أكن أثما بها فلا أحسبها من أعمال البر وكان الحامل عليها الدنيا لا الدين فى استعطاف بعض أكابر المسلمين لقضاء حاجاتى ومساعدتهم فى مهماتى ، ولم آخذ من أحد منهم جائزه على شئ من ذلك ولست بحمد الله ممن يتخذ الشعر صنعة ويأخذ عليها الجوائز ، وقد أغنانى الله بفضله عن استجداء الناس بالشعر وغيره فقد

سهل لى تعالى الرزق منذ نشأتى ولم يحوجنى الى شىء من ذلك ، اذ قام والدى حفظه الله وجزاه عنى خير الجزاء بكفايتى فى صغرى ومدة مجاورتى فى الجامع الأزهر ثم توجهت الى القسطنطينية مرتين أقمت فيها كل مرة أكثر من سنتين فيسر الله لى مطبعة جريدة "الجوائب" فكنت آخذ منها فى كل شهر عشر ليرات أجرة التحرير والتصحيح ولا أشتغل فى ذلك الا نحو ساعتين أو ثلاث غالبا وكان ذلك بطلب صاحبها أحمد أفندى فارس والحاجة بحيث كان يعدنى من أكبر النعم عليه وأظهر الاسف الشديد لخروجى حينما توظفت فى الحكومة . وقد عرض على أن أشاركه فيها أو يزيد فى أجرتى فلم أقبل مع انى كنت مدة اقامتى فى القسطنطينية فى احتياج الى النفقة فيسرها الله لى بغاية الاعتزاز والاكرام الى أن سافرت منها فى المرة الأولى الى العراق للعمل بقضاء كحوى سنجق فى ولاية الموصل ثم رجعت وسافرت منها فى المرة الثانية سنة ١٣٠٠ للعمل برياسة محكمة الجزاء فى اللاذقية من سواحل الشام ثم بعد الاقامة فيها خمس سنوات نقلتنى الدولة نصرها الله بواسطة (١) من قدر الله لى الخير على أيديهم بدون طلب ولا علم منى الى رياسة محكمة الحقوق فى بيروت وذلك فى سنة ١٣٠٥ مع زيادة المعاش نحو ضعفيه اذ كان فى اللاذقية والقدس ١٤٠٠ قرش فصار فى بيروت ٣٥٠٠ قرش ولكنهم بعد نحو عشر سنوات من اقامتى فيها نقصوا معاشات الحكام عموما فجعلوا معاشى ٢٥٠٠ قرش والحمد لله على كل حال ولقلة اشغال هذه الوظيفة الهمنى الله الاشتغال بالتأليف الى الآن وقد صار لى فيها تسعة عشر عاما فى هذه السنة ١٣٢٤ وفى أثناء هذه المدة عادانى وآذانى بعض أكابر الأشرار فسعوا فى عزلى والمبالغة فى ضررى وتكرر منهم ذلك حتى فى هذه السنة فحمانى الله من شرهم بفضله وكرمه لحبيبه الاعظم صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين .

فان قال قائل قصائدك التى ذكرت أنك مدحت بها بعض الأكابر لم تلتزم فيها الصدق والحق فهى سيئات لاحسنات فى صحيفة أعمالك مرقومة ومثالب لامناقب فى جملة آثارك موسومة .

قلت نعم . لو كان القصد منها وصف الممدوحين بحقيقة تلك الأوصاف

---

(١) هذه الكلمة خطأ شائع وقع فيه كبار الادباء والكتاب والصواب بوساطة أما الواسطة فهى حبة العقد المتوسطة بين حباته تماما . د . سرحان .

لكان الامر كما ذكرت ولكن الشعر صنعه من أدق الصنائع والماهر فيه يجتهد فيه بقدر حذقه في بهرجه الفاظه والمبالغة في معانيه وقدر استطاعته يجتهد في تحسين صنعته ليظاهر المهارة والحذق لا ليخبر بالحق والصدق ، ومثل هذا يعفى عنه ان شاء الله تعالى ومع ذلك فأنا أقر وأعترف بأني كنت لا ورع عندي يحجزني من المحارم والشبهات ولو كان لما نظمت تلك القصائد فاني لو تحريت فيها الصدق فيما أصف به الممدوحين لكانت من أبرد الشعر وأركه اذ الشعر صنعة لايحسّنها الا الكذب والمبالغات فقد قيل أكذبه أعذبه اللهم الا أن يكون في مدح الانبياء والأولياء والصالحين ولا سيما اذا كان في مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانه مهما بالغ الشعراء لايصلون الى مايجب له عليه الصلاة والسلام فضلا عن أن يكذبوا أما المدائح في غيرهم فلا يحسنها الا المبالغة في الكذب ولخوفي من تبعة تلك القصائد لم أجمعها في ديوان كعادة الشعراء ولم أذكر شيئا منها في كتاب من هذه المؤلفات ... الدينية التي أعدها أن تقبلها الله بفضله من الأعمال الصالحات غير أني أرجو أن تكون من المباحات لا من الحسنات ولا من السيئات وهي لاتتجاوز خمس عشرة قصيدة سوى المقاطيع وكلها أو جلها طبعت كل واحدة منها وحدها ولم يكن شيء منها في مدح أحد من الكفرة ولم أهج أحدا معينا من المسلمين ولا غير المسلمين الا أن يكون ذلك في القصائد النبوية في ذم أعدائه صلى الله عليه وسلم وما كان فيها من وصف الخمر فهو جار على عادة الشعراء والا فوالله الذي لا اله الا هو لم يدخل في فمي ولا جوفي شيء منها ولا من غيرها من جميع أنواع المسكرات وقد كنت في صغري أنظر الى من يقال عنه أنه يشرب الخمر كنظري الى الكفار أو قريبا منهم والحماية حماية الله والحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده وقد ذكرت هذا البحث هنا لئلا يسيء الظن بي من اطلع على شيء من تلك القصائد المطبوعة وبالغاتي فيها فيحسبها من الاباطيل التي لاتقال والعثرات التي لاتقال فيقل اقباله على كتبي النافعة فيحرم خيرا كثيرا وأحرم أنا الاجر الذي يترتب لي على انتفاعه بها[1] .

من هذا يتبين لنا الاهداف التي قصدها النبهاني في مدحه لبعض الشخصيات حيث انه قاد حملة — في عصره — لمحاربة التبشير

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف للنبهاني ص ٣٩٠ـ٣٩٣

المسيحى فى بيروت عاصمة التبشير المسيحى ثم لم يتوان عن هجوم من يعتقد أنهم يضرون بالاسلام بأفكارهم أمثال محمد عبده والافغانى ورشيد ، وقد كان هؤلاء لهم أنصارهم ومؤيدوهم فى الدولة وهم قادرون على ايقاع الأذى به بل حاولوا ذلك كما يذكر النبهانى .

لذلك كان لابد له أن يمدح بعض الشخصيات حتى يكونوا له حماية ووقاية من أعدائه فمما وصل الينا مدحه لهم : السلطان عبد الحميد والشيخ أبو الهدى الصيادى وأحمد عزت باشا العابد وأحمد فارس الشدياق فالأول كان شيخ السلطان عبد الحميد وصفيه والثانى كان الكتاب الثانى لدى السلطان عبد الحميد وهو الذى قام بمد الخط الحديدى الحجازى وخط يربط برلين بالخليج العربى ، والأخير كان نصرانيا ثم أسلم وهو من كبار علماء وشعراء عصره .

من هذا نعلم أن ممدوحيه كانوا من علية الناس أما غير هؤلاء فلم أعثر لهم على القصائد التى أشار اليها النبهانى سابقا وسوف استشهد بما عثر عليه منها عند الكلام على أغراض شعره .

كما أن للنبهانى أشعارا أخرى فى أغراض شتى ولكنه لم يذكر فى كتبه شيئا منها وقد أخبرنى الشيخ محمد نمر الخطيب الذى اجتمعت به فى بيروت فى ١٩٧٥/١/٥ ان للشيخ النبهانى قصائد فى وصف الطبيعة ووصف القطار ، ولكنه لايحفظ شيئا منها .

أما الطور الآخر فى شعره فهو مدائحه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى هذا قال الكثير بل قصر أدبه المنثور والمنظوم على تمجيد شخصيته صلى الله عليه وسلم . وهو فى هذا يكون أمير شعراء المدائح النبوية ورائدهم وقد خلف لنا ديوانا سماه " العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية" .

كما أنه جمع موسوعتى شعر المدائح النبوية من زمن أبى طالب الى عصره سماها " المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية " وعن مدائحه النبوية أفردنا بابا كاملا فى بحثنا هذا وهو الباب الرابع .

شاعريتـــــه :

للشيخ النبهانى شاعرية متدفقة غنيـــة بألفاظها وتعابيرها وصورهـــا وأهم ماتمتاز به طول النفس وتلمس الشخصية •

أما غنى الألفاظ : فهو يظهر واضحا فى القصيدة التى سماها سعادة المعاد فى موازنة بانت سعادة يقول الشيخ النبهانى " وفى اعتقادى أنها تفوق جميع ماأشتملت عليه المجموعة النبهانية من موازنات " بانت سعاد " التــى نظمها مشاهير البلغاء سوى قصيدة اما منا الأبوصيرى رضى الله عنه[1].

يقول الشيخ النبهانى فى قصيدته " سعادة المعاد " •

هواى طيبة لابيضاء عطبـــــول	**	ومنيتى عينها الزرقاء لا النيـــل[1]
عذراء جلت عن التشبيب اذ جليت	**	هامت بها الخلق جيلا بعد مجيل[2]
كل المحاسن جزء من محاسنهــــا	**	اجمالها بجمال الكـون تفصيـــل
فما سعاد اذا قيست ببهجتهـــا	**	وكل أمثالها الاتماثيـــــــل

ماكنت اسأل لولاها الركائب عن سلع ولا كان لى بالجـــن مسئول[4]

وفيها يقول أيضـــا :

يابرق واسر الى سَلْـع بجاريـــــة	**	منها على الرأس حلو القطر محمول[5]
وأسق الحمى نهلا من بعده علل	**	قد كنت اسقيه لولا الدمع معلـــول[6]
الحمد لله عينى فى غنى ولهـــا	**	كنزان من دمعها الياقوت واللـــول

---

(١) ذكر النبهانى اثنتين وعشرين قصيدة فى موازنة بانت سعاد •

(٢) هواى أى محبوبى والعطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلـــة العنق وفى كل من عينــها الزرقاء والنيل : توريه •

(٣) عذراء من أسماء المدينة المنورة والعذراء البكر ففيها تورية والتشبيـــب الغزل بالمرأة •

(٤) سلع جبل بالمدينة والجزع موضع بها ، وأصله منعطف الوادى ومسئول : سؤال

(٥) جارية فيه تورية أما بمعنى السحابه أو المملوكة وفى القطر أيضا توريه•

(٦) النهل الشرب الأول والعلل الشرب بالثانى •

يابرق أشبهت ثغر الحب مبتسما ** هل منك يابرق للأعتاب تقبيل ؟
يابرق وأشرح لساداتى وان علموا ** معنى المعنّى وما بالشرح تطويل
قل نازح فى بلاد الشام حاجته ** منكم قَبُولٌ فقولوا أنت مقبول
صبٌّ سرى الحب فى أجزاء طينته ** مذ كان وهو عليه الحبُ مجبول
فى قلبه جمرة لولا العيون بها ** جفت لكان جرى فى شأنها النيل (١)
ترنيه رَضْوى ويحلو بالعُذيب له ** نحو المدينة ارقالٌ وترسيل (٢)
ان يجعلوا شخصها بالبعد محتجبا ** عنه فتمثالُها فى القلب مجعول (٣)

بلغت أبيات هذه القصيدة أربعة وأربعين ومائة بيت وفى الأبيات التى استشهدنا بها نلاحظ أن الالفاظ غنية بمعناها فهى تؤدى المعنى الذى وضعت له بتمامه كما أن بعضها فيه توريه مما يدل على أنها لها معان أخر غير ما وضعت له كما نلاحظ ان الالفاظ موسيقية متناسقة بدون أى تنافر بين أصوات الاحرف أو المفردات ٠

ومما نلاحظه فى شعر النبهانى أن قصائده غنية بمعانيها ولنأخذ مثلا قصيدته المساه "طيبة الغراء فى مدح سيد الانبياء" والتى بلغت الف بيت ٠ يقول فى مطلعها ٠

نورك الكل والورى أجزاء ** يانبيا من جنده الأنبياء (٤)
علة الكون أنت ولولا ** ك لدامت فى غيها الاشياء (٥)
منتهى الفضل فى العوالم جمعا ** فوقه من كمالك الابتداء
لم تزل فوق كل فوق مجدا (٦) ** بالترقى ماللترقى انتهاء

---

(١) الشأن واحد شئون العين التى تجرى منها الدمع والشأن الحال ففيه تورية ٠
(٢) جبل فى طريق المدينة والعُذيب مكان هناك والارقال السير السريع والترسيل كالترسيل عدم العجلة فى المشى والكلام ٠
(٣) العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية ٠ ص ٩٠ــ ٩١
(٤) فى جنده أى من انصاره
(٥) قوله علة الكون أى سبب تكوين الخلائق فقد خلقت جميعها لاجله صلى الله عليه وسلم كما ورد فى عدة احاديث
(٦) مجدا مجتهدا ٠

جُزْتَ قدرا فما أمامك خَلْقٌ ** فوقك الله والبريـــا وراء (١)
خيرُ أرض ثويت فيها سمـــاءٌ ** باء طالت ماطاولتها سماء (٢)
يا رعى الله طيبة من رياض ** طاب فيها الهوى وطاب الهواء
شاقنى فى ربوعها خير حــى ** حل لا زينب ولا اسمـــاء (٣)
وعدتنى نفسى الدنو ولكـن ** اين منى وأين منها الوفاء
غادرتها الذنوب عرجاء والقفـ ** ـر بعيدٌ ماتصنع العرجاء
وبحار مابيننا وقفـــارٌ ** ثم صحراءُ بعدها صحراء
فمتى أقطع البحار بفلــك ** ذى بخار كأنه هوجاء
ومتى أقطع القفار بحـــر ** من سرابٍ تخوض بى وجناء (٤)
فى رفاق من المحبين كلٌّ ** فوقه من غرامه سيماء
جسدٌ ناحلٌ وطرفٌ قريـــحٌ ** ظل يهمى وهامةٌ شعثاء (٥)
أضرم الوجدُ نارهَ بحشاهـم ** ولثقل الغرام ناحوا وناؤا (٦)
شربوا دمعهم فزاد أواما ** مابدا للعاشق ارواء ... (٧)
لاتسل وصف حبهم فهو سِرٌّ ** بسوى الذوق ماله افشاء (٨)
ساقهم للحجاز أى حنيـــن ** ضمه من ضلوعهم أحناء (٩)
احدٌ شاقهم وأكناف سلـــع ** لاروابى نجد ولا الدهناء (١٠)

---

(١) اى جاوز قدرك الخلائق
(٢) ثويت أقمت
(٣) شاقنى هاجنى
(٤) السراب ماتراه نصف النهار فى البرارى وقت الحر كأنه الماء
(٥) الطرف العين القريح الجريح من كثرة البكاء يهمى يسيل الهامة الشعثاء المتغيرة المتلبدة لقلة تعاهدها بالدهن .
(٦) ناؤا يقال ناء بالجمل اذ قام مثقلا بجهد ومشقه
(٧) او أما عطشا
(٨) السر يكتم ضد الاعلان والسر فى عرف الصوفية صار حقيقة عرفية على الولاية التى لاتعرف الابالذوق ففيه تورية .
(٩) الحنين الشوق والاحناء جمع حنو وهوكل مافيه اعوجاج من البدن كالضلع .
(١٠) الاكناف الجوانب والروابى جمع رابية وهى ماارتفع من الارض والدهناء موضع لتميم بنجد .

نسمات القبول هبت عليهم ** رنحتهم كأنها صهباء (١)
هى كانت أرواحهم وبهاكا ** ن لهم بعد موتهم أحياء (٢)
قبض القبض منهم بسط البسط ** لهم حين بادت البيداء (٣)

فى هذه القصيدة نلاحظ فى كل بيت معنى جديدا وهو كثيرا مايستعمل المعانى الصوفية العميقة بأسلوب ميسر سهل كقوله " قبض القبض وبسط البسط .

وقوله لاتسل وصف حبهم فهو .... الخ " ومع هذا لم تفقد القصيدة طابعها الغنائى وتمتاز شاعرية النبهانى بأنها ذات خيال مجنح . وصور متعددة تكاد الصورة فيها تكون ملموسة لشدة اتقانها ونضجها وهذا أكثر مانجده فى غير شعره الدينى حيث أن جمال التصوير والتشبيه أرحب واكثر حرية منه فى الموضوعات ذوات الطابع الدينى فقصيدته "عنوان التهانى ببلوغ الامانى " التى مدح بها أحمد عزت باشا العابد الكاتب الثانى للسلطان عبد الحميد . حيث يقول النبهانى فيها .

١ـ بشرى فقد سرت الدنيا ومن فيها ** وعم داعى التهانى كل أهليها
٢ـ وأنجزت وعدها الايام محسنةً ** لنا عفاالله عن ماضى مساويها
٣ـ فقم نبادر الى بكر معتقة ** من كف نشوان ساهى العين ساجيها (٤)
٤ـ قد أشبهت خده القانى بحمرتها ** وطرفه فيه معنى من معانيها (٥)
٥ـ فى روضة ضحكت أزهارها وجرت ** انهارها وغدت تبكى غواديها (٦)
٦ـ تلاعب الريحُ فيها الغصنَ معتدلاً ** لعب الاحبة تثنيه ويثنيها
٧ـ والطير تشدو على الاعواد مطربة ** والدوح يهتز من توقيع شاديها

---

(١) القبول ريح الصبا والقبول ايضا الرضا ففيه تورية ونحتهم امالتهم والصهباء الخمرة .

(٢) ارواح جمع روح وجمع ريح ففيه توريه

(٣) قبض امسك والقبض ضد البسط وبسط البسط انتشر السرور وبادت هلكت اى انقطعت بالسير والبيداء المفازة وموضع مخصوص قدام ذى الحليفه قرب المدينة المنورة ففيه تورية . الديوان ص ١٢ ـ ١٣ .

(٤) ساجيها ساكنها ونشوان سكران .

(٥) القانى شديد الاحمرار . وسكون باء الكلمة للضرورة لان اعرابها النصب

(٦) غدن الغدوة البكرة أو مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس والغواد جمع غادية وهى السحابة الممطرة . والاغيد النبات الناعم المتثنى .

٨ــ ياصاح دعنى ودع صحوا بليت به ** فليس يحمد فى اللذات صاحيها
٩ــ وعاطنى قهوة من فوقها حبب ** كالغادة الخود زانتها لآليها (١)
١٠ــ كالنار تجرى على احشاء شاربها ** فتحرق الهم منه فى مجاريها
١١ــ نفاحة يحسب الحاظى بنهلتها ** ان قد سقاه مذاب المسك ساقيها (٢)
١٢ــ قديمة العهد تروى كل حادثة ** قبل الزمان وعنها الدهر يرويها
١٣ــ بكر مضى الدهر لم تُفْضَضْ بكارتُها ** ولا لها فى البرايا من يكافيها
١٤ــ قد أسكر الخلق طرا قرب حانتها ** ولم تزل فى حجاب من قنانيها
١٥ــ لو أسفرت فى الدياجى عن محاسنها ** لزال فى الحال بالانوار داجيها
١٦ــ فلا تدع ذكرها ان كنت ذا ولع ** فيها ففى حال ذكراها توافيها
١٧ــ ولا تخل اننى بالوصف أحصرُها ** جلّت عن الوصف تمثيلا وتشبيها
١٨ــ لكن جعلتُ لها هذا النسيب حِلىً ** ومدح احمدَ عقداً فى تراقيها (٣)

بلغت أبيات هذه القصيدة خمسة أبيات ومائة بيت وفيها يصور لنا النبهانى الروضة التى جلس فيها هو وصاحبه لتعاطى الشراب . حيث تبدأ الصورة بالحركة فى البيت الثالث وهو ــ أى النبهانى ــ يُنْهِضُ زميله لشرب الخمر من ساق شرب حتى سكر ويصف هذا الساقى بأنه احمر الخد قانيه وفى طرفه جاذبية وجمال كما فى الخمرة . وهنا ترك الشاعر المعنى بغير تحديد ليفسره القارئ كما يشاء ثم يصف الروضة ــ هى مكان الشرب ــ بأن الأزهار متفتحة مما يدل على أن الفصل كان ربيعا جميلا والانهار جارية والنبات الطرى اليانع المبلل بالندى كالدمع فى الوجنه ثم يصور لنا الريح وهى تتمايل بالأغصان المعتدلة يمينا وشمالا كتمايل العاشقين أثناء الرقص . اذ يثنى الحبيب جبيته الى اليمين فتتثنى معه ثم تبادل الحبيبه جبيها وتثنيه الى اليمين وهكذا ثم يصور لنا الطير تشدو على الاغصان مطربة كل من يسمعها فقد كان هذا الشدو مطربا ونفاذا حتى كان الدوح أى الشجر الكبير يتمايل ويهتز من غروة هذا الغناء وفى البيت الثامن يصور لنا صاحبه يكتفى من الجلوس والشرب ويطلب من الشاعر الانصراف ولكن الشاعر يجيبه "ياصاح دعنى ودع صحوا بليت به . أى ان صاحبه الذى شرب وأفاق وهم بالشاعر لينصرفا مبتلى بهذا الصحو

---

(١) الغادة المرأة الناعمة اللينه البينه والخود : الحسنة الخلق الشابه اوالناعمة
(٢) النهل أول الشرب
(٣) قصيدة عنوان التهانى ببلوغ الامانى المطبعة الادبية فى بيروت ١٣٢٢ .

أى مصاب بمصيبه وأن الافضل ان يبقى الشارب ثملاً لان أصحاب اللــذات — فى عرفهم — لايحمدون من يصحو ٠

وفى هذا البيت يظهر لنا النبهانى ، وكأنه مدمن على الخمر لايكـاد يصحو حتى يعود الى سكره ٠ ثم يطلب الشاعر من صاحبه الذى يهيــم به لينصرفا أن يستزيدا من الشرب ويخاطبه اسقنى خمرة وزدنى سكرا و٠٠٠٠٠ بفقاعاتها التى تشبه فى كأسها الفتاة اللينة الناعمة الممشوقة الممتلئة القوام وهــى مزدانه بحليها وجواهرها — أى ان الخمرة كانت فى كأسها صافية وذات منظـر جميل كهذه الفتاة ٠

ولعل النبهانى حرص على ذكر الفقاعات فوق الخمر ليدلل على أنــه يشربها فور انسكابها فى الكأس لانه لايصبر عليها شيئا من الوقت اذ سرعــان مايشربها بفقاعاتها لشدة شوقه اليها وولوعه بها ٠ والخمر التى يكون لهـــا فقاعات كثيرة تكون جيدة ومعتقه ٠

ثم يسترسل النبهانى فى وصف حالته وخمرته وهو لايدعها بنزولها الــى جوفه بل يتتبعها ولكنه لايراها فيصف لنا مفعولها وأثرها فهى تلذع شاربها وتكويه كالنار — لأنها معتقه ومركّزه — ولكن سرعان ماتحرق هموم شاربهـــا بمجرد سريانها فى مجاريها وهنا يبلغ النبهانى القمة فى التعبير والقدرة علــى التصوير اذ انه يصور الهموم وقد تراكمت وتجمعت فى البلعوم والمعدة — مجرى الخمرة — أو أن الشارب أرسلها هناك لتحترق ويتخلص منها بالنار التى شربها لذلك سرعان ماتذهب همومه بمجرد شربه للخمرة لأنه قد أحرقها ٠

ثم يصف الخمرة بأنها نفاحــة أى ذات رائحة زكية حادة وهى قديمة معتقة زامنت الحوادث والعصور الماضية وعنها يروى ماجرى فى الماضــــى وأن الخمر التى شربوا منها كانت مغلقة فى دنانها وقنانيها ولم تفتح الا لهم وهى مضيئة تبدد الظلام بحسنها وسنائها ٠

فى هذه الأبيات استطاع الشيخ النبهانى أن يصف الروضة التى يجلس فيها للشرب ويصف الخمرة نفسها حتى أنه وصف الشارب وهو فى حالة السكــــر وصفا لايقدر عليه الا من يشربها وله القدرة على وصف أحاسيسه ومواجيده فــى

حال سكره ولو اقتطعت هذه الابيات وكتب في عنوانها قال أبو نواس يصف أحد مجالس شربه لكانت قصيدة نواسيه بلا مفارقة .

هذا الخيال المجنح الذى استطاع أن يرسم ويصف لنا روضة يُتعاطى فيها الشراب بما فيها من أنهار جارية وطيور شادية وساقٍ جميل خدُّه ُ وشبهه بلون الخمر ثم استطاع بخياله ان يتغلغل الى نفسية شاربيها فيعبر عما يجول في خاطرهم من أفكار وتصورات وهم في سكرهم ثم هذه الاوصاف الجميلة الجذابة التى وصف بها الخمر بأنها كالغادة الخود وهى قديمة العهد تروى كل حادثه وهى بكر لم تفض بكارتها ، وهى منيرة وضاءة تبدد الظلام بنورها كل هذه الاوصاف الجذابه التى حببت الخمر الى نفوسنا فجعلتها اكسير الحياة استطاع النبهانى بها ان يعبر ويصور ويرسم مع انه هو الذى يقول معتذرا عما في قصائده من وصف للخمر " وما كان فيها من وصف الخمر فهو جار على عادة الشعراء الى آخر ماسبق ذكره (١) .

وللشيخ النبهانى قصيدة يمدح بها الشيخ أبا الهدى الصيادى شيخ السلطان عبدالحميد وتظهر في مقدمتها قوة الخيال والتصوير عند الشيخ الشاعر وهذا يدل على أفق واسع وعقلية ناضجة تستطيع أن تطوف بهذا الافق لتصوغ للنبهانى حصيلة احاسيسه ومشاعره في قوالب رائعة .

يقول في هذه القصيدة :

١ـ تذكر دهرا بالعقيق تصرما ** فواصل سفح الدمع في خده دما

٢ـ وهبت عليه من ربا الشام نسمة ** فكاد يفيض النفس لما تنسما

٣ـ وبان له من جانب الحى بارق ** تألق في جو السما فتألما

٤ـ وأبكاه قوس السحب لما بدا له ** فأذكر من ليلى سوارا ومعصما

٥ـ كأن الهوى منه عليه بصارم ** سطا ورمى عن ذلك القوس أسهما

٦ـ كأن احمرارا فيه محنى أضلع ** طوت من غرامى مارجا متضرما

٧ـ يقولون طبع النار تقويم ما انحنى ** ولم أر ضلعا من ضلوعى تقوما (٢)

---

(٢) مخطوط بخط يد الشيخ عبدالهادى عبدالهادى راوية شعر الشيخ يوسف النبهانى حصلت عليه من الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن في بيروت ١٢/١١/١٩٧٤م .

فهو فى هذه الابيات يحلق بخياله عاليا وفى البيتين الرابع والخامس يزداد علوا عندما رأى قوس السحب فى السماء فأذكره جبينه لانه يشبه سوارها الذى فى معصمها • وفى البيت الخامس يحلق عاليا حتى لاتكاد ترى الصورة التى يعنيها الا بعد جهد ومعاناه فهو يصور الهوى مستوليا على المحبوب ومسلطا فوقه كالسيف ويقرر ان قوس السحب هذا كان أثره فى قلبه قاتلا كما لو انه تحول الى أسهم قاتله نشبت فيه •

ولا شك ان هذه صورة بعيدة الغور وتدل على قوة خيال صاحبها وسعة أفقه •

النفس الطويل : يمتاز النبهانى الشاعر بنفسه الطويل فى قصائد •

١ـ وله قصيدة بلغت الفبيت سماها " الهمزية الالفية المسماه طيبة الغراء فى مدح سيد الانبياء "

يقول فى مطلعها :

نورك الكل والورى أجزاء ** يانبيا من جنده الانبياء

وهى فى معارضة قصيدة البوصيرى رحمه الله التى مطلعها •

كيف ترقى رقيك الأنبياء ** ياسماء ماطاولتها سماء

والى هذا يشير النبهانى حيث يقول :ـ

سرت فيها خلف شهم امام ** قد أقرت بسبقه الشعراء

وحسبى انى المصلى وان المتنشد بها كأنهم قراء

والقصيدة تعد ملحمة شعرية لحياة الرسول حتى مماته • ولما اطلعت عليها الاستاذ خيرى الدين الزركلى (١) أشاد بها وأطرى هذه المقدرة الشعرية وقال " هذه القصيدة سدت نقصا فى شعر الملاحم فى الأدب العربى وهى تعتبر (٢) ملحمة اسلامية " وقد طبعت فى المطبعة الادبية فى بيروت سنة ١٣١٤ هـ فى كتاب وحدها (٣) وهى ايضا موجودة فى ديوانه العقود اللوءلوءية فى المدائح النبوية " وقد جعل لها مقدمه طويلة بلغت مئة

---

(١) قابلته فى بيروت ١٤/١٢/١٩٧٤ وهو من رواد النهضة الشعرية

(٢) كلمة "تعتبر" فى مثل هذه المواطن خطأ شائع وقع فيه الجميع والصواب تعدا وتحسب دعوهما اما الاعتبار فمعناه الاتعاظ "فاعتبروا ياأولى الابصار صدق الله العظيم • د / عبد السلام سرحان •

(٣) فى الاصل : لوحدها وهو تعبير عامى •

وسبعة عشر بيتا ضمنها وجده وأحاسيسه وتشوقه لزيارة الرسول ناسيا البعد بينهما لتقصيره في ذنوبه لانه غير أهل لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال :

لو أرادوا لواصلوني ولكن ** أحسنوا في قطيعتي ما أساءوا
لست أهلا لوصلهم فظلامي ** حائل ان يحل منهم ضياء
هجروني ولست ألكو أني ** لم أزل مذنبا وكلي خطاء

الى ان يقول :

أن أكن مذنبا فهم أهل عفو ** وعلى الكون أن رضوني العفاء
أو اكن أكدر المحبين قلبا ** فلمثلي منهم يكون الصفاء

وهكذا يستمر في هذه التساؤلات وابتداع مايسوغها من كرم الحبيب وصفاته ثم يتكلم عن مولاه صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وعن رضاعه وموت أبويه ثم احيائهما وايمانهما بولدهما صلى الله عليه وسلم ، وهكذا يتكلم عن هجرته وغزواته ويجعل لها خاتمة في اثنين وستين بيتا يقول في مطلعها :

سيد العالمين يابحر جود ** قطرة من سخائه الاسخياء
هذه طيبة بمدحك قد طا ** بت وطاب الانشاد والانشاء
كلها وهي الفبيت قصور ** عنك ضاقت وانها فيحاء
سكنتها أبكار غر المعاني ** منك فهي المدينة العذراء
كل معنى بلقيس والبيت صرح ** ومن الدر لا الزجاج البناء

ويختمها معتذرا لتقصيره في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

غير أني ادريك سمحا سخيا ** عربيا يرضيك فيك الثناء
ودواعي حب دعتني دعاوى ** هي مني ومالها شهداء
واحتياجي اليك في ما [illegible] ** [illegible] الآلاء (١)

---

(١) الآلاء النعم

وقلبى وقالبى كـــــل داء ** شف روحى وأنت انت الشفـــاء
لم أكن استطيع لو لم يعنـــى ** مناك سروسيرة حسنـــاء
فتقبل وأعطف وكن لـى شفيـا ** يوم تحتاج فضلك الشفعـاء
وأجرنى وعترتى من زمانـــى ** فدواهيه كلها دهيـــاء
عاد فيه الدين الهين كالقلـــ ** ت غريبـا وأهله غربـــاء
فتداركه قبل أن تخطر الأخـــ ** طار فاليوم مسه الاعيـاء (١)
صار للشرك فى أذاه اشـتراك ** حينما للنفاق عنه انتفـاء
كم أبو جهل استطال على الديـ ** ـن وكم ذا أزرت به الجهـلاء
ولكم فى ثيابه ابن سلـــول ** شاكـه من نفاقـه سـلاء (٢)
ما اغترارى بمن تلون منهــم ** والأفاعى أشرها الرقطـاء
مل‌ء قلبى محبـة لمحبيـــ ** ـك وان قل فى فؤادى الصفاء
وارتياحى فى بغض قوم لديهم ** للالثلاثة ياسيد الورى بغضـاء
لا أواليهم الزمان ولاهـــم ** لى ماذر شارق اوليـــاء (٣)
لايرانى الرحمن الا عـــدوا ** لاعاديك أحسنوا أم اساءوا
رضى الله من رضيت ومن لـم ** ترض عنه فالله منــه بـراء
فأرض عنى بالله وأسمح وقل لـى ** قد قبلناك أيها الخطـــاء
ومن الفوز أن أكون لديكـــم ** ثاويــا لايُمَلُّ مِنِّىَ الثـواء (٤)
أنت شمس وفى سناك ظهـــورى ** غيرُ مستغربٍ لأنى هبـــاء
قد أجزتَ المداح قبلى فكانـــت ** سنةً واقتدى بك الكرمـــاء
فأجزنى بما تطيب به نفـــ ** ـسك فعلاها يليق بك العطــاء
لست أبغى قدرى ولاقدر شعرى ** قد جود المعطى يكون العطاء
فعليك الصلاة تبقى من اللـــ ** ـه كما شاء كثرة وتشـــاء

---

(١) يقال خطرا الرمح اذا اهتز للطعن
(٢) عبد الله بن سلول رأس المنافقين والسلاء بوزن رمان شوك النخل والواحدة سلاءة .
(٣) ذر طلع الشارق الشمس
(٤) الهمزية الالفية للنبهانى (ص ١٠٠ــ١٠٤) المطبعة الادبية

وعلى الاولياء آلك والصحـــــــب ** ومن للجميع فيـــه ولاء
ماقضى الله فى الورى لك مدحـــا ** وله الحمد كلـــه والثنـــاء (١)

فنحن نلاحظ أن النبهانى بقى قويا فى نظمه منذ بدئه الى ختامه وان كان يضعف شعره قليلا فى سرد الحوادث التاريخية والغزوات •

٢ـ وله قصيدة سماها (الرائية الكبرى فى الكمالات الالهية والسيرة النبويـــة ووصف الملة الاسلامية والملل الأخرى بلغت ابياتها ٧٢٥ بيت يقول الشيـــخ النبهانى فى مقدمتها " هذه القصيدة فريدة فى بابها قد اشتملت علـــى ماتلزم معرفته من محاسن الديانة الاسلامية ومساوئ غيرها مع كمال الفصاحـــة والبلاغة وقلما يخلـو بيت منها من النكت الأدبية والمحسنات البديعيـــة وقد شرحت بعض مايلزمه الشرح من الفاظها ولم أنبه على مافيها من المحاسن البديعية مكثرتها سوى التورية لعزتها فى الكلام وقد يسرها الله فيها فـــى أكثر من ثلاثين موضعا وعدة أبياتها خمسة وعشرون وسبعمائة بيت منها نحـــو أربعمائة بيت لم تتكرر فيها القوافى وماوقع فيه التكرار • أما أن تكون احـــدى القافيتين معرفة والأخرى نكرة واما أن يكون بينهما سبعة أبيات فأكثر وذلـــك جائز فى فن العروض ونصيحتى للمسلمين ان يعلموها اولادهم ويحفظوهم أياها فقد اشتملت على مالابد منه من أحكام القصيدة الاسلامية وختمتها بالتغـــزل بمحاسن دياتنا الاسلامية • (٢)

ومطلع الرائية الكبرى هو :

بربـــك ذكرهم عسى تنفع الذكـــرى ** فكم نعم اجدى وكم منن أجـــرى
وأعظمها دين النبى محمـــــد ** هو النعمـــة العظمى هو المنة الكبرى

وقد تكلم عن الفضائل المحمدية والسيرة النبوية وفى فصل آخر تكلم عن الخلفاء الراشدين والصحابة وتكلم عن غزواته صلى الله عليه وسلم وفيها فصل بعنوان الكلام مع أهل الكتاب فى اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بالبشائر والدلائل وبيان مافى ديانتهم من الغواية والغوائل وفصل آخر فى الكلام مع اليهود فى شأنه صلى اللـــه عليه وسلم ووصف دينهم الذميم ومافيه من اعتقاد التجسيم ثم فى الكلام مع النصارى

(١) الهمزية الالفية للنبهانى (ص١٠٠ـ١٠٤) المطبعة الادبية
(٢) الديوان ص ٢٩١ الهامش

فى اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بالدلائل الباهرات ووصف دينهم وما فيه من الغوائل والآفات ثم ناقش النصارى فى عقيدة التثليث وصلب المسيح عليه السلام ، وفصل فى رد زعمهم أن حكمه الصلب تخليص بنى آدم من خطيئته عليه السلام وفصل فى وصف الصليب وعبادتهم له وفصل فى وصف الرهبان وفصل فى عجائب دينهم كالقربان وهو بزعمهم استحالة الخبز والخمر الى لحم عيسى ودمه عليه السلام وفصل فى ذكر المشح وهو دهن القسيس المريض عند اليأس من شفائه وفصل فى الكلام على الاعتراف وفصل فى وصف فرقة البروتستانت التى ضللت كل فرق النصارى وضللوها وفصل فى الكلام على قولهم الدين فوق العقل والفرق بين دينهم ودين الاسلام المؤيد بالعقل والنقل ، وهكذا يستمر النبهانى فى مناقشة النصارى فى شؤون دينهم مفصلا عليه مايقابله فى الاسلام .

والقصيدة كما ترى عبارة عن كتاب فى العقائد وقد جعل لها خاتمة من واحد وثمانين بيتا بعنوان "الخاتمة فى التغزل بمحاسن حبيبتنا ملة الاسلام وهو لهذه القصيدة مسك الختام ولا أعلم أحدا سبقنى الى هذا الاسلوب البديع من شعراء الاسلام وقد جاء فى خاتمتها :

فكم مع قصورى صغت فيه قصيدة ** بها كل بيت فاق من جوهر قصرا
وكم من كتاب لو أتى بنظيره ** امام كبير كان منقبه كبرى
بنثر يفوق العقد حل نظامه ** فيزرى به نظما ويزرى به نثرا
جواهرها بعض كبار وبعضها ** صغار وأكرم بالكبيرة والصغرى
فلا تتعجب من كمال جمالها ** ونقصى فكم قد أخرج الصدف الدرا
وسارت بها الركبان فى كل بلدة ** فما تركت برا وماتركت بحرا
يكاد أخو الذوق السليم لسكره ** بها طربا ياصاح يحسبها خمرا
ويلقى بها الذوق السقيم مرارة ** كما ذاق حلو الشهد ذو المرة الصفرا (١)

---

(١) المرة الصفراء خلط من أخلاط البدن اذا ذاق صاحبها الشهد وهو العسل يجده مرا .

فكم من امام فى الزمان وعـــارف ** كبير أرى لى خدمتى نملة ذخرا
رآها كعقد زين العصر حسنـــه ** فيا حسنها عقدا ويا قبحة عصرا
تمتع بها ان كنت تهوى محمـــدا ** والا لاهليها فدعها فهم أدرى
بنعمة ربى اننى متحـــدث ** وما قصدت نفسى بها الفخر والكبرا
نعم انا فخرى بالنبى محمـــد ** وأنى من أبناء ملته الغـــرا

الى أن يقول :

عليه من الرحمن أسنى صلاتـــه ** وأكثرها عدا وأعظمها قـــدرا
بأعداد ذرات الوجود وعظمـــه ** تدوم دوام الله لا يقبل الحصرا
ولله كل الحمد فى كل لحظـــه ** يضاعف لا يفنى بدنيا ولا أخـــرى (1)

هذه القصيدة ــ الرائية الكبرى ــ تعد فى جملتها دفاعا عن الاســلام وبيانا لاضاليل النصرانية واليهودية وموازنتها بما فى الاسلام من حق وللشيخ النبهانى كتاب "نجوم المهتدين ورجوم المعتديـن فى دلائل نبـــوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والرد على اعدائه اخوان الشياطين وقـــد تطرق فيه الى هذه الموضوعات نفسها التى أثارها فى هذه القصيدة • وفـــى هذه القصيدة يظهر النبهانى مقدرة فائقة على الحجاج العقلى ومناقشة الخصـوم شعرا دون أن يفقد رونقه وبهاءه وكأنه قد ملك ناصية الشعر فهو يخضعـــه للمعانى التى يريدها •

الرائية الصغرى :

٣ــ وللنبهانى قصيدة مطولة اسماها الرائية الصغرى فى ذم البدعه ومدح السنة الغراء " وعدد أبياتها ٥٢٥ بيت وسميت الصغرى نسبة الى الرائية الكبـــرى التى بلغت ٧٢٥ بيت وقد جعل لها مقدمه افتتحها بقوله :

هو الله لا نحصى لا لائه شكـــرا ** له الحمد فى الاولى له الحمد فى الاخرى
وكيف نوديه بشكر حقوقهـــــا ** ونعمته بالشكر تستوجب الشكـــرا
وأشهد ان الله لا رب غيـــره ** وأن له فى خلقه النفع والضـــرا
له كل ماقد كان أو هو كائـــن ** وما لسواه فى الورى ذرة صغـــرى

---

(1) الديوان ص ٣٤٧ ــ ٣٤٨ •

ثم جعل القصيدة خمسة أقسام :

القسم الأول في مدح الكتاب والسنة والائمة الاربعة ومذهبهم " .

" والقسم الثاني في وصف الشيخ جمال الدين الافغاني وأهل بدعتـــه الجهلة اللئام .... الخ) .

" والقسم الثالث " وفي وصف شيخهم الثاني الشيخ محمد عبده تلميـــذ الافغاني وقد سبق شيخه في طاعة الشيطان .... الخ " .

والقسم الرابع " في وصف رشيد رضا صاحب جريدة المنار التي تطبـــع في مصر وتنشر بدعهم في سائر الاقطار " .

" القسم الخامس في وصف الوهابية اتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي وجعل لرائيته الصغرى خاتمة من اربعة وستين بيتا مطلعها .

خليلي لا والله ما أنا واجـــــد ** لمن خذل الاسلام من أهله عـذرا
وكيف وهم في كل أرض فخارهـــا ** وأفضل أهليها وأشرفهم نجـــرا (١)
وأبطالهم لو حاربوا أسد السمـــا ** لفروا خلاها ومن برجه خـــرا
ففي كل قطر كـــل أروع وارث ** لاباء صدق قبله فتحوا القطـــرا

الى ان يقول :

ونحن بنوهم كيف كنا فمالنـــا ** نحيد ولا نقفوا لابائنا اثـــرا
وما الفرق الا الدين قد كان عندهم ** قويا فنالوا منه من قوة شطـــرا
فلما بدا من بعدهم ضعف ديننـــا ** ضعفنا فلم يشدد بنا ديننا أزرا
فياعيني انهلي وياقلبي اتقـــد ** ويانفسي أزفر من سعير الحشا زفـرا
فقد أصبح الاسلام مابين أهلـــه ** غريبا وفي اوطانه لم يجد نصـــرا
وصال عليه الشرك صولة كاســـر ** اذا هي لم تقتل فقد أوجبت كسرا
الى الله كم أمسي وأصبح داعيـــا ** فآونة نظما وآونة نثـــرا
أنادي بأعلى الصوت في الناس صارخا ** لشدة وجد أججت في الحشا الجمرا
أحذر قومي من عداة تألبـــوا ** علينا وساموا ديننا الخسف والخسرا

---

(١) نجرا اصلا .

ويختمها بقولـــــه :

فتوحيدك اللهم خير ذخائـــــرى ** وحسبى بجاه المصطفى بعد ذخرا
عليه صلاة منك مسك ختامهـــــــا ** يضمخ كل المؤمنين بعطـــــــرا (١)

٤ـ وله قصيدة سماها " البائية فى نصرة الامام السبكى وعقيدته السنية والـرد على ابن تيمية ومن انتصر له من طائفته الحشوية أئمة الوهابية . بلغت هـذه القصيدة ثلاثة وخمسين ومائة بيت وضمنتها تسعة عشر بيتا من قصيدة محمـد بن يوسف اليمنى اليافعى التى يرد فيها على قصيدة الامام تقى الدين السبكى وقصيدته التى مدح بها كتاب منهاج السنة لابن تيمية واعترض عليه فى مسائـل حسبها بدعا والقصيدة مطلعها :ـ

الحمد لله حمدا أستعد بـــــه ** لنصرة الحق كى أحظى بمطلبـه
بك استعنت الهى عاجزا فأعـن ** أبغى رضاك فاسعفنى بأطيبـه (٢)

وسوف ترد شواهد من القصيدة عند الكلام على أغراض الشعر عنـــد الشيخ النبهانى .

٥ـ وللنبهانى قصيدة اسمها " القول الحق فى مدح سيد الخلق صلى الله عليه وسلم " بلغت ابياتها ثلاثة عشر بيتا ومائة بيتا ومطلعها .

لمن ربع باكناف المصلـــــــى ** على السبع العلا شرفا وفضـلا
رعاه الله منية كل نفـــــس ** وحيا الله تربتـــه وأعلـــى
وطخ من غوادى السحب عنـــى ** قباب قبا بسيل القطر ســولا (٣)

٦ـ وللنبهانى قصيدة اسمها " السابقات الجياد فى مدح سيد العبــاد صلى الله عليه وسلم وقد جعل قوافيها حسب حروف المعجم لكل حرف عشرة أبيات فبلغت ابياتها تسعين ومائتى بيت .

وله قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم عارض بها الموشحـات الاندلسية يقول فى مطلعها :

---

(١) الديوان ص ٣٩٥ـ ٤٠٠
(٢) الديوان ص ٤٠٥
(٣) قبا اسم مكان فى المدينة المنورة . الديوان ص ٩٩

حى ياسعد قبابا بالحمـــى ** تحتها ربع المنى لم يـــدرس

جاده الغيث اذا الغيث همـــى ** لازمان الوصل بالاندلـــس (١)

ان يكن مابل شوقى قربـــه ** فلسانى دائمـــا يذكـــره

وقلبـــى مُسْتَقِـــرٌّ حُبُّـــهُ ** بهواه لما ازل أعمـــره

٨ـ ومن مطولات الشيخ النبهانى قصيدة "أحسن الوسائل فى نظام أسمـــاء النبى الكامل" نظامها على شكل مخمسات يقول فى المخمس الاول .

الحمد لله الغنـــى الأحـــد ** الواحد الفرد العلى الصمـــد

السيد المطلق خير سيـــد ** مولى أسامى عبده محمـــد

خير الورى ذاتا ووصفا وسما (٢)

وقد بلغت هذه القصيدة اثنى عشر ومائة مخمس أى ستين وخمسمائة بيـــت مشطور .

ومن مطولات الشيخ النبهانى ايضا "النظام البديع فى مولد الشفيـــع" صلى الله عليه وسلم وقد نظمه على شكل مخمسات ايضا ـ وأولها :

الحمد لله على آلائـــــه ** حمد امرئ أخلص فى أدائـــه

احمده والحمد من نعمائـــه ** ان خصنا بخيـــر انبيائـــه (٣)

محمد سيد كل عبـد

وقد بلغت مخمساتها اثنين وعشرين ومائة ومخمس . أى عشرة وستمائـــة بيت مشطور .

وله أيضا سبعة تخاميس مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كـرر الشطر الخامس فى كل تخميس وهو غيره فى التخميس الاخر .

افتتح التخميس الأول بقوله :

عج بالمدينة تلق ثم كريمـــا ** خير الورى نسبا وأكرم خيمـــا

هو من غدا بالمؤمنين رحيمـــا ** هو خيرة الله القديم قديمـــا

---

(١) جاد أتى بالجود وهو المطر الغزير وهذا البيت من موشح لسان الدين الخطيب مع تغيير قليل فيه الديوان ص ٢٧٣ .

(٢) سمـا لغة فى اسم .

(٣) الالاء النعم واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء كمعى وامعـــاء كما فى المختار الديوان ص ١٦٧ .

صلوا عليه وسلموا تسليما [1]

١١ـ وأفتتح التخميس الثانى وهو مختصر السيرة النبوية مرتباً بقوله :ـ

سيد الرسل قدره معلـــوم ** أين منه المسيح اين الكليـــم
أين نوح اين ابراهيـــــم ** كلهم عن مقامه مفطـــوم

فعليه الصلاة والتسليم [2]

١٢ـ التخميس الثالث وما اشتمل عليه فضائل الحرمين الشريفين افتتحه بقوله :

أمو المدينــه حيث جل المغتنم ** حيث الهدي حيث النبى الاكـــرم
ومتى قصد تم عينها فتيممـــوا ** بمديحه وتنعموا وترنمـــوا

بحياته صلوا عليه وسلموا [3]

١٣ـ والتخميس الرابع وهو فى الترغيب فى دينه الحق ومدح أمته وأوله :ـ

مقام أجل الرسل أعلى وأعظـــم ** فماذا يقول المادحون ومن هـم ؟؟
نعم جئت أحكى بعض مانحن نفهم ** لكيما يصلى سامع ويسلـــم

عليه عباد الله صلوا وسلموا [4]

١٤ـ والتخميس الخامس ، وفيه كثير من فضائله ومعجزاته صلى الله عليه وسلـــم وأولـــه .

رأى مدح خير الخلق صعبا فأحجما ** وقادته انوار المعانى فاقدمــــا
بدا بدره والكون يعبس مظلمـــا ** فبث به نور الهدى فتبسمـــا

على ذاته الرحمن صلى وسلما [5]

١٥ـ والتخميس السادس وما اشتمل عليه ذكر غزوة بدر وفتح مكه واوله :

أهل على مدح النبى مفخمـــا ** ومنصصا ومخصصا ومعممـــا
ومبجلا ومفضلا ومعظمـــا ** ومحيا ومصليـا ومسلمـــا

---

(١) الديوان ص ١٩٢
(٢) الديوان ص ٢٠٠
(٣) الديوان ص ٢١٠ـ٢١١
(٤) والديوان ص ٢٢٩
(٥) الديوان ص ٢٣٠

الله قد صلى عليه وسلما (١)

١٦ـ والتخميس السابع ومما اشتمل عليه المعراج وبعض شمائله ومدح أصحابه صلى الله عليه وسلم يفتتحه بقوله :

الآم وحتام هذا المقـــــام ** فقم أرخ لليعملات الزمـــام (٢)

وسر نحو طيبة دار الكـــرام ** ففيها المشفع خيــر الانــام

عليه الصلاة عليه السلام (٣)

١٧ـ وللنبهانى موشحة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فـــى تقديمها "وقلت أمدحه صلى الله عليه وسلم معارضا الموشحات السبع لعلماء دمشق وقد شببوا* بمنتزهات الشام وشببت بمعالم الحرمين الشريفين علـــى مشرفهما الصلاة والسلام" وقد بلغت هذه الموشحة بيتين ومائة بيت يقول فى مطلعها :ــ

لست أنسى زمنا قد سلفـــا ** فيه يامكة بالعيش الهنـــى

اذ من المروة أسعى للصفـــا ** وبذات الخال وجدى عنـــى (٤)

حين أغدو طائفا من حولهـــا ** أتهادى مثل صب ثمـــل (٥)

ابتغى عارفه من نولهــــا ** وهى ترعانى تحت الحلـــل (٦)

هذا فيما يخص اشعاره ذوات الطابع الدينى وهى ذوات اتجـــاه واحد ومعظمه فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عن الاســـلام والوقوف امام حركات التبشير وشرح العقائد الصوفية والانتصار لعلمائهم بشـــرح مذاهبهم ومقاصدهم والرد على خصومهـــم وفى خلال شعره الدينى كـــان النبهانى يضمّنه ملاحظات اجتماعية عن طريق نقد المجتمع وبيان مفاسده وتغير الاحوال راجعا كل ذلك لسبب واحد هو البعد عن الاسلام الذى هو المصدر الوحيد لقوتنا .

---

(١) الديوان ص ٢٣٩

(٢) الى م الى متى وحتى م حتى متى اليعملات جمع يعمله وهى الناقـة النجيبة المعتمدة المطبوعة والجمل يعمل والزمام المقود وهو الخطام

(٣) الديوان ص ٢٤٨

(٤) ذات الخال الكعبة وخالها الحجر الاسود والوجد شدة الحب

(٥) تهادى مشى متمايلا مشيا غير قوى والصب العاشق . والثمل السكران

(٦) العارفه العطيه . النوال العطاء الحلل جمع حِلّه واصلها ثوبان ازار ورداء .

(*) استعمال المنتزه بمعنى الروضة استعمال عامى وهو خطأ شائـع وقع فيه الكبار الصغار مع ان صاحب القاموس نبه الى خطئه .

أما اشعاره ذوات الطابع غير الديني فما وصلنا منها قليل جدا لانهـــا قصائد كانت تطبع منفردة ولم يعد طبعها ولذلك ضاع معظمها غير انى عثرت له على احدى هذه القصائد لدى الشيخ زهير الشاويش في مكتبته العامرة فى الحازمية ببيروت وقد سماها "عنوان التهانى ببلوغ الأمانى".

وقد سبق حديث عنها وذكر لبعض ابياتها كذلك وجدت له قصيدة فى كتاب "كنز الرغائب فى منتخبات الجوانب" يمدح فيها الاستاذ احمد فارس... الشدياق بعنوان "من نظم من تتحلى الطروس بنظمه وتتجلى الدروس بعلمه الشيخ يوسف النبهاني الجزماوى فى لواء عكه" بلغت اثنين وأربعين بيتا لم يبدأها بالنسيب كعادته بل دخل الى الموضوع مباشرة حيث يقول .

الفضل ماتفقت عليه الحســـد ** ودنا لرفعته السها والفرقـد

وتكفلت بعلاة نفس حـــــــرة ** طارالفخار بها وطاب السودد[1]

وعثرت أيضا على قصيدة أخرى للغرض نفسه بعنوان "من نظم من حل من ذروة البلاغة اعلاها وأبرز من القوافى أحلاها وأغلاها ذى القريحة العتيدة والبديهة السديدة المتدفق كلامه بالبيان والمعانى الشيخ يوسف افنـدى النبهاني بدأها بالغزل والنسيب كعادته فقال :ـ

أيخفى على العذال معنى غراميـــا ** وعيني بلفظ الدمع تشرح حاليـــا

وهيهات ان تخفى عليهم صبابتـــى ** وقد ظهرت آياتها من مآقيـــا

بدر الثنايا البيض أو ومض بـــارق ** فصار عقيق الدمع أحمر قانيـــا

وكانت عيونى لاتجود بقطـــــرة ** فأصبحن فى سبى الغرام جواريا

وحر دموعى رق من حر زفرتـــــى ** وفى الخد أضحى بالكتابة ساعيا[2]

وقد بلغت هذه القصيدة سبعة وسبعين بيتا .

والشاعر ذو النفس الطويل يمتاز بنظرته الشاملة الخلاقة لموضوع شعره ففى قوى التصوير والخيال قادر على خلق الصور العديدة التى يجعل منها مادة شعره اذ كلما رسم صورة استطاع ان يرسم غيرها حتى يوفى القصيدة حقها دون ان تشعر فيها بركاكه لضعف قدرة الشاعر فى تثبيت معالم صورته أو تعبه لطول معاناته فى استجلاب الصور التى لاتواتيه الا بعد كد للذهن واتعاب للفكـــر

---

(١) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب جمعها سليم فارس الشدياق جـ٤ ص١٣١ــ ١٣٢.

(٢) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب سليم فارس الشدياق جـ٤ص١٣٧ــ١٤٠

مما ينعكس على شعره فالنفس الطويل للشاعر لايتأتى الا للشاعر المطبوع الـذى خلق شاعرا فهو اذا قال الشعر انما يقوله بفطرته دون معاناه . له .. وهذا لايمنع ان يشحذ الشاعر ذهنه أو يجتهد للاتيان بصور جميلة وتشبيهات رائعة ومعان عميقة ولكنك مع هذا تشعر بأصالة موهبته الشعرية .

والنبهانى من هذا القبيل فهو قادر على الاتيان بالصور الخيالية والمعانى العميقة دون أن يشعرك بتعبه واجهاده كقوله فى مدح ابى الهدى الصيادى

تذكر دهرا بالعقيق تصرمـــــا ** فواصل سفح الدمع فى خده دما

فى الأبيات التى استشهدت بها على خياله المجنح فهو قادر علـــى الاتيان بالصور الخيالية البعيدة دون أن تشعر بتاتا بالصورة أو تشعر بها فـــى زخرفتها .

كذلك قصيدته فى مدح أحمد عزت باشا العابد التى مطلعها :

بشرى فقد سرت الدنيا ومن فيهـــا ** وعم داعى التهانى كل أهليهـــا

فهو يصورلنا الجنة انهارا تجرى وطيورا تغرد وأشجارا ملتفه تتراقـــص طربا ثم يصور مجلس الشراب ومحمد المسرف فيه وهو فى كل هذا لايشعرك بضعف الصياغة أو بكدره الرؤية بل تراها قريبة منك .

وفى قصيدته " طيبة الغراء فى مدح سيد الانبياء " التى بلغت الف بيـت نراه بعد أن يكمل أبوابها ومعانيها التى استعرض بها حياة الرسول مـــن مولده لوفاته يجعل لها خاتمة بلغت ثلاثة وستين بيتا وفى الابيات الاخيره منها يقـول :ـ

١ـ ليت شعرى هل يقبل الله شعرى؟ ** وجميعى عجب وكلى ريـــاه ،
٢ـ بك أرجو قبوله وقبولـــــى ** محض فضل ولن يخيب الرجـــاء
٣ـ انت شمس وفى سناك ظهورى ** غير مستغرب لانى هبـــــاء
٤ـ كم فقير بلحظة منك أضحـــى ** عن جميع الورى له استغنـــاء
٥ـ قد أجزت المداح قبلى فكانـت ** سنة واقتدى بك الكرمـــاء
٦ـ فأجزنى بما تطيب به نفــــ ** ـسك فضلا يا سمح يا معطـــاء

٧ــ لست ابغى قدرى ولا قدر شعرى ** قدد جود المعطى يكون العطاء
٨ــ وبحسبى صلاح دينى ودنيـــا ** ى وحسن الختام فيه اكتفــاء
٩ــ فعليك الصلاة تبقى من اللـــــــه كما شاء كثـــرة وتشـــاء
١٠ــ وعليك السلام منه على قـــد ** رك قدر لايعتريـــه فنـــاء
١١ــ وعلى الاولياء آلك والصحـــ ** ـب ومن للجميع فيـــه ولاء
١٢ــ ماقضى الله فى الورى لك مدحا ** وله الحمد كله والثنـــاء (١)

وهذه قصيدته "سعادة المعاد فى موازنة بانت سعاد" التــى بلغت اربعة واربعين ومائة بيت تدل ــ بجزالة الفاظها وقوة تراكيبها واحكام ــ أوزانها وقوافيها وطابعها الجاهلى الاسلامى ــ على أن النبهانى استطاع ان يعود الى ذلك العصر بحكم ثقافته القرآنية على الرغم من أنه عاش فى مطلع النهضة الحديثه •

وانه يقول فى خاتمتها :

أتاك كعب وقد جلت جنايتـــه ** وكاد يغتاله من ذنبه غـــول
وقام ينشد لم تملل مدائحـــه ** غير الكريم لديه المدح مملـــول
فآب بالبردة الحسناء مشتمــلا ** وعاد وهو ببرد العفو مشمـــول
ولست مثلا له لكن حالتـــه ** لها بحالة هذا العبد تمثيـل
ان كان متبول قلب يوم انشدكـم ** بانت سعاد فقلبى اليوم متبـول
ورب سباق فضل عارضوه بهـــا ** انا الاخير وهم غـــر ذهاليل
خاضوا بمدحك هذا البحر مابلغوا ** كعبا فعادوا لهم بالعجز تخجيل
ان وازنتها وما وازت قصائدهـم ** فربما وازن الدر المثاقيـــل
وللقريض تفاعيل توازنـــه ** هى القريض وماتيك التفاعيـل
استغفر الله كل قد اجاد وهـم ** كل رؤوس لهم بالفوز تكليـــل
لكن كعبك ياخير الانام علـــى ** رؤوسنا ثابت فضل وتفضيـــل (٢)
عليك ازكى صلاة الله وهى لنـا ** مسك الختام بها للخير تكميـل

---

(١) الديوان ص ٨٩
(٢) الديوان ص ٩٨ •

فأنت تلاحظ أن في كل بيت من ابياته معنى جديدا وانه يستحلب المعاني بعضها من بعض متطاوعه الصياغة الشعرية لانه مالك لنا صيتها ما يدل على قريحة فنية لاتنضب .

تلمس الشخصية :-

من يطّلع على حياة الشيخ يوسف النبهاني وخروج هذا الفتى من قرية "اجزم" وقد بلغ سبع عشرة سنة ثم دراسته في الازهر سبع سنوات ثم عودته للعمل واعظا في مسجدى اجزم وعكة ثم سفره الى الاستانه عاصمة الخلافة ومحط الآمال والطموح وليس له فيها معين سوى عزيمته حيث تراه يتلمس فيها المساعدة من وجهاء الناس فيها واشتغاله في جريدة الجوائب محررا ومصححا الى أن وجد ضالّته حيث وضع رجله على اولى درجات المستقبل ولذلك لم يوافق على بقائه في الجوانب على الرغم من اغراء الاستاذ احمد فارس الشدياق له بزيادة راتبه أو مشاركته في الجريدة ولكنه رفض وذهب قاضيا الى كوى سنجق "في شمال العراق وبقى يتدرج في سلم القضاء الى أن أصبح رئيسا لمحكمة الحقوق في بيروت وهي أعلى سلطة قضائية في ولاية بيروت ، وفي منصبه هذا غاية مايتمناه قاض قانع بمنصبه ولكن الشيخ النبهاني لم يكن من هذا الصنف من القضاة لانه لم يكن من طلاب الوظائف ، فوظيفته هذه كانت وسيلة يستعين بها على كسب اللقمة التي تقيته ، فلما عزل من وظيفته لم يكن راتب التقاعد يكفيه مما يدل على أنه لم يكن يدخر من يومه لغده فهو معتمد على الله الذى لايخيب من رجاه الى هذا أشار النبهاني حيث قال :

وشرحت له[1] بأمره قصتي وأسباب غصتي وأني بسبب عدم حكمي بالربا عزلت من وظيفتي ولولا قلة المعاش الذى رتبوه لى الآن لمددت ذلك من النعم الحسان فقد كفاني حكم نحو ثلاثين سنة في مثل هذا الزمان وان كانت وظيفتي في الظاهر كانت رياسة محكمة الحقوق في بيروت وفي الباطن نشر فضائله صلى الله عليه وسلم بين الانام والرد على اعدائه من الكفره والمبتدعه اللئام[2] .

من هذا تعلم ان الشيخ النبهاني بمدحه وجهاء الدولة وتقربه منهم لم يكن من طلاب الوظائف الذين يتقربون ليحصلوا على الوظيفة التي ترد لهم كرامتهم

---

(١) الخديوي عباس حلمي باشا

(٢) الديوان ص ٥

ولو عند أنفسهم فقد مات رحمه الله ولم يترك لاولاده شيئا تركهم عالـه ليس لهم الا هذه المؤلفات الكثيرة التى كان حق طبعها لجميع المسلمين •

وقد كان اقارب الشيخ يوسف من آل النبهانى ينفقون على أولاده وقد حاول الشيخ مصطفى نجا مفتى بيروت وقتئذ ان يشارك فى الانفاق عليهم لولا ان — الشيخ تقى الدين رفض ذلك قائلا ان آل النبهانى موسرون •

بهذا نفسر الحاج النبهانى على مدوحيه فى مساعدته وهو يلفت نظرهم اليه تلميحا وتصريحا مثل قوله فى مدح أحمد عزت باشا العابد فى قصيدتـــه (عنوان التنهانى ببلوغ الامانى) •

يابهجة العصر يا زين الزمان ويـــا ** بحر المكارم لاتنفك توليهـــا
أتعبتنى فائتد لاتولـمنى نعمـــا ** جديدة قد كفانى منك ماضيهـــا
عجزت والله عن شكرى لسالفهـــا ** فكيف امكان شكرانى لآتيهـــا
هذى مكارمك الاولى وفت وكفـــت ** والان نفسى التفات منك يكفيهـا (١)

وفى مدحه لاحمد فارس الشدياق يقول :—

نعتاك فاعطف بالقبول مؤكــــدا ** ليبدلنى دهرى المنايا أمانيــا
ودونك منى غادة عربيـــــــة ** أتتك عجبا بالمديح تهاديــا
درت أننى مهديكها فتبسمـــت ** فقالت : بخ ماللملوك وماليــا
فغفرا حماك الله ماأنا واصـــل ** علاك ولو صفت النجوم قوافيــا
وحسبك أنى فى اغترابى لم أجــد ** سواك امرأ مما جنى الدهر واقيا
فدم لابسا ثوبا جديدا من العـــلا ** وعد تكسب العيد الجديد التهانيا
تكامل فيك الفضل لازلت حائـــزا ** كما لاعلى كرا لجديدين باقيــا (٢)

وفى قصيدة أخرى يقول مادحا الاستاذ احمد فارس الشدياق :

لك من صفاتك روضة وحدائـــق ** ورق عليها بالثناء تغـــرد

---

(١) عنوان التهانى ببلوغ الامانى " الشيخ يوسف النبهانى
(٢) بخ : كلمة اطراء وثناء
(٢) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ج ٤ ص ١٤٠

خذها اليك من الغريب غريبة ** لولاك ليس لها مَعينٌ مُسْعِدُ
رقّت محاسنها فقلت رقيقة ** تُهدَى اليك وانت نعم السيد
وأعذ رفتي درست معالم أنسه ** ومشى عليها الدهر وهو مقيد
جمع الاسى جملا لديه وشمله ** عِقْد بايدى الحادثات مبدد
أوطانه بعدت عليه وانما ** أوطاره وهى المعالى أبعد
يبغى اجتماعهما ويعلم أنه ** شيء بحكم زمانه لايوجد
ولعل هذا الحكم ينقضه فتى ** انت المراد به كريم أمجد
فاسلم ودم سندا لمثلى والعلا ** عن فضلك العالى حديث مسند (1)

فالشيخ النبهانى بمدائحه للغير لم يكن يقصد الا ايجاد النصير الذى يأخذ بيده الى مايسمو اليه طموحه حيث أنه ولد فى اسرة معروفة بعلمها وتدينها ولكن ليس لها وجاهة اجتماعية تهيىء المكانة المرموقة لولدها .

فالنبهانى ماكاد ينهى تعليمه الاول فى أجزم على والده الذى حفظه القرآن وبعض المتون حتى انطلق الى الازهر وهذه هى الحلقة الثانية وتخرج من الازهر وعمل واعظا فى مسجدى أجزم وعكة وهذه هى الحلقة الثالثة ثم انطلق الى الاستانه عاصمة الخلافة وعمل محررا ومصححا فى جريدة "الجوانب" وهذه هى الحلقة الرابعة ثم صعد على سلم القضاء وعين قاضيا حتى أصبح رئيس محكمة الحقوق وهذه هى الحلقة الخامسة .

ولقد كان فى كل حلقة يتلمس شخصيته فيجدها أعلى مما وصل اليه فيتجاوزها الى الحلقة التى تليها وهكذا حتى استطاع ان يصبح رئيسا لمحكمة الحقوق فى ولاية بيروت ولعل العناد والاصرار كان أهم مااتصفت به شخصيته فهو وان كانت مؤهلاته الاسرية المحكومة بظروف عصره لاتمكنه من تحقيق طموحه لم يربدا من مسايرة العصر بمدح الوجهاء ليصل الى أهدافه ولم تكن هذه الاهداف شخصية أودنيوية بل كانت مبدئية عقديّة تعلمها وحفظها فى قريته اجزم وتلقاها عن معلمه الاول - والده - وفى ذهابه الى الازهر زاد تثباتا وقوة فى نفسه بما تعلمه فيه وبما لاقى من مشايخه الذين تلقى العلم عنهم أمثال الشيخين الشربينى والانبابى وغيرهم . ولم يستطيع جمال الدين الافغانى بقوة

(1) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ج ٤ ص ١٣٣

سحره ونفاذ كلمته ان يؤثر فيه مع انهما قد التقيا اذ ان النبهاني سرعان ما ابتعد عنه وكرهه عندما سمع منه ما ينافي ما تعلمه في قريته وعلى والده ٠

الى هذا أشار النبهاني بقوله عن الافغاني :

أتى مصر مطرودا فماث بقطرهـــا ** فياقبحــه شيخا وياحسنه قطـــرا
وكنت بذاك الحين فيها مجـــاورا ** بازهرها صاحبت أنجمه الزهـــرا
بتاريخ ست والثمانين قد تلـــت ** مع المائتين الالف في الهجرة الغرا
حضرت بفقه الشافعي خطيبـــه ** على شيخ شربين فالغيته بحـــرا
وجاء جمال الدين يوما لدرســـه ** فالقى على الاستاذ اسئلة تترى
ففاضت عليه من معارف شيخنـــا ** سيول أرته علمه عنده قطـــرا
واذ شم منه الشيخ ريح ضلالـــه ** والحاده أولاه مطرده زجـــرا
وذاكرته يوما فأخبر انـــــه ** كأستاذ ثالم يلف في مصره حيـــرا (١)

ان المبدأ الذي تعلمه الشيخ النبهاني في قريته اجزم هو الايمان الصافي النقي بالاسلام والدفاع عنه بلا هوادة وليس الشيخ النبهاني وحده ولا قريته وحدها هم الذين يؤمنان بالاسلام نقيا ولكن الصفات السيكولوجية الموجودة في القرية من العناد وعدم اللين وظهور المبادئ التي يعتنقونها كما هو متعارف عن أهل هذه القرية بين القرى المجاورة لها فمن مشهور المعتقدات ان في "اجزم" بئرا من شرب منه يصبح عنيدا ولا يقبل التفاهم ولا يتنازل عن رأيه وهذا البئر اسمه " البئر الغربي " ٠

وهو يطلق على أهل القرية كناية عن عنادهم وتمسكهم برأيهم ٠

ومن امثلة عنادهم انه عندما دخلت جنود ابراهيم باشا فلسطين ووصلت حيفا وقف سكان اجزم وحدهم يقاومون هذا الجيش وقتلوا منه عددا كبيرا حتى وجه الجيش لهم قوة كبيرة بقيت تلاحقهم حتى اجزم نفسها وذبح ابراهيم باشا شيخ القرية مسعودا الماضي امام مسجدها بعد ان هدم وشرد وسلب من أهلها الشئ الكثير ٠

---

(١) الديوان ص ٣٥٥ ٠ وقد تقدمت هذه الابيات مع سائر القصيدة في ص ٤٠٥ و ٤٠٦ ٠

كل هذا لتمسكهم بالخلافة العثمانية مع ان اهالي القرى المحيطة بها مثل جبع وعين غزال والطيرة وغيرها سلمت بدون مقاومة ولذلك كافأ السلطان عبد الحميد القرية بأن جعلها عاصمة قضاء حيفا كله بدلا من حيفا نفسها [1] كما ان ابناء القرية " اجزم " — معروفون بطموحهم وبعد آمالهم وتسليمهم للمناصب القيادية في فلسطين خصوصا في القرن الثامن عشر فهذا الشيخ مسعود الماضي كان ينعت بشيخ مشايخ جبل نابلس وكان نفوذه في القرن الثامن عشر يشمل نواحي الناصرة — وقراها والمرج — مرج ابن عامر — وحيفا والطنطورة [2] وكان الشيخ عيسى الماضي متسلم يافه [3] وقد ظهر لنا من شعر الشيخ النبهاني الخاص — على قلة ما وصلنا منه — طموحه واصراره على السير قدما نحو المعالي على الرغم من معاكسة الايام له .

وقد ذكر هذا في اثناء مدحه لابي الهدى الصيادي حيث يقول :—

واني على وجدي بليلى وأرضها	**	أرى وصلها قبل المعالي محرما
وما انا ممن يرتضي موطنا به	**	يجوز عليه ان يهان ويظلما
ورب نصوح قال لي وهو همتي	**	لك الله سائر تلق في الارض مغنما
فطالبت عزمي بالرحيل ولم اكن	**	لارجع عن عزم سوى ان اتمما
وودعت اوطاني وأهلي قائلا	**	الا بعد بعدي ياحبيبي فاسلما
وقالت لي اللوام اياك والنوى	**	فما هي الا ان تسير فتندما
فقلت لهم كفوا فلست بمحجم	**	عن السير الا ان أرى الدهر احجما
دعوني فلن انفك اركب ادهما	**	من العمر بعدوبي وآخر ادهما
الى حين ادراك الاماني فأنثني	**	حميدا وقد ابدلت عيشي المذمما
وان كانت الاخرى التي عبأوا لها	**	فسوف تراني ضاحكا متبسما
وقالوا اغتراب المرء هون وذلة	**	نعم والقصارى ان يعز ويكرما
فلولا فراق الخلد هو .... وآدم	**	لما جاءت الرسل الاكارم منهما
وأحمد خير الخلق لولا فراقه	**	لمكة يظفر بما كان صمما
وموسى كليم الله لولا رحيله	**	لمدين لم يرجع رسولا مكرما

---

(١) راجع ماكتبه الاستاذ محمد عزت دروزه في كتابه تاريخ العرب والعروبة ج٢ ص ٣٣٥ ـ ٣٤٣

(٢) تاريخ الشيخ ظاهر العمر ص ٢٥

(٣) الاصول العربية لتاريخ سوريه في عهد محمد علي باشا الدكتور اسد رستم ج ١ ص٢٧ ــ ٢٨ راجع ايضا المحفوظات الملكية المصرية الدكتور اسد رستم ج ١ ص٣٠ ١ــ ١٣١/ ٩٤٠ اراجع ايضا بلادنا فلسطين مصطفى مراد الدباغ ج٤ ق ٢ ص٣ ١٨

وفى غربة الصديق يوسف عمـــره ** اما صار فى مصر العزيز المعظمـــا
وماضـــرنى لوم اذا كنت سالكـــا ** طريقا اتاه الرسل فيما تقدمـــا
فقالوا : دعوه انه غير سامـــع ** فقلت وان عدتم فلن اتكلمـــا
ويممت دار الملك احسب انهـــا ** الى الآن لم تبرح الى المجد سلما
فالفيتها قد اقفرت من ربوعهـــا ** ولم يبق فيها الفضل الا توهمـــا
حوت قوم سوء اسلموا أى نفوسهـــم ** الى الكفر الا من له الله سلمـــا
والفيت فيها امة عربيـــــة ** يرى القوم منها أمة الزنج أكرمـــا
ومانقموا منا بنى العرب خصلـــة ** سوى ان خير الخلق لم يك اعجمـــا
بنى اللوم انى ماتكلمت هاجيـــا ** ولكن قلبى من جفاكم تكلمـــا (١)

فى هذه القصيدة يظهر الشيخ النبهانى ذلك العنيد الذى لايلتفت الى العذال فى تحذيراتهم له وانما يمضى قدما نحو هدفه بكل اصرار ، وهـــو بهذا اشبه مايكون بالمتنبى .. صياغة ومعنى ، فكلاهما كانت ظروفــــه تقعده عن الوصول الى امنيته فاتخذ من عزيمته مطية للوصول ، وقد وصـل النبهانى وأصبح رئيس محكمة الحقوق لبيروت اما المتنبى فقد مات دون أن يصل الى ماكان يتمناه من ولاية حيث قتله بنضوبه لشعر هجاهم به .

ومن أثر القرية فى عقلية النبهانى الاصرار فى الخصومة مع من يخالفونه فى الرأى والمعتقد كخلافه مع اتباع مدرسة الافغانى . حيث يعتقد أن خصومته معهم لن تنتهى حتى بعد موته حيث يقول :

"ولا تائب منهم وهل ثم توبـــة ** وهم لايرون الوزر فى نفسه وزرا
فقد ملك الشيطان ملكا مؤيدا .. ** نواصيهم واللحم والعظم والشعرا (٢)
أجاهدهم مادمت حيا فان أمـــت ** تركت لهم جيشين نظمى والنثرا
ولست أبالى ان افز بجهادهـــم ** اذا فاتنى فتح لرومية الكبرى (٣)

وشعره فى خصوماته مع الافغانى ومدرسته طافح بهذا مثل قوله :

مضى اثنان للاخرى بأسوا عبـــرة ** ومقلة ابليس لموتها عبـــرى (٤)

---

(١) قصيدة مخطوطة للشيخ النبهانى كتبها الشيخ عبد الهادى راوية شعـــر النبهانى

(٢) النواصى : جمع ناصية وهى شعر مقدم الرأس

(٣) ورد فى الحديث ان المهدى فى اخر الزمان يفتح رومية الكبرى الديوان ص ٣٦٥

(٤) العبرة فى الاعتبار اى يعتبر بسوء حالتهما الناس فان كل واحد منهمـــا جمال الدين ومحمد عبده فلج بلسانه فقطع قبل الموت والمقلة شحمة العين التى تجمع البياض والسواد والعين العبرى التى سالت عبرتها وهى تحلـــب الدمع جريانه .

وثالثهم مازال معشر عصبـــة ** على ملة الاسلام الاتهم تــــترى (١)

فمن مات منهم مات اقبح ميتـــة ** فلا رحم الرحمن سحنته الغبـــرا

ومن عاش منهم عاش نحو جهنـــم ** يحث على آثار أشياخه السيـــرا

فيارب اصلحهم فان لم ترد لهـــم ** صالحا فلا تنجح الهى لهم أمـــرا

وهذه الطباع نجدها عند العلماء الذين يمتلئون اقتناعا بمبادئهم وأفكارهم بحيث لايكون هناك متسع لغيرها ولذلك يقفون مواقف صلبه فى الدفاع عما اقتنعوا به . ومثل هذا المنطق نفسر مواقف خصوم النبهانى منه ممن دافعوا عن الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وقد كانوا أعنف من النبهانى فى هجومهم .

وما خلافات العلماء الاوائل أمثال ابن تيمية ومن أيده وتقى الدين السبكى ومن ايده الا من هذا القبيل .

وله قصيدة فى مدح الاستاذ احمد فارس الشدياق تظهر فيها روحه وعزيمته الماضية التى لاتلتفت الى العذال فى شئ حيث يقول : فى مقدمة غزلية رائعة :

أيخفى على العذال معنى غراميا ** وعينى بالفظ الدمع تشرح حاليا

وهيهات أن تخفى عليهم صبابتى ** وقد ظهرت أياتها من مآقيا

بدر الثنايا البيض أو مس بـــارق ** فصار عقيق الدمع أحمر قانيــا

وكانت عيونى لاتجود بقطـــرة ** فأصبحن فى سبى الغرام جواريــا

وحر دموعى رق من حر زفرتـــى ** وفى الخد اضحى بالكتابة ساعيــا

فمن لى بكتمان الهوى عن عواذلـــى ** فقد كثرت اقوالهم فى ملاميــا

يقولون حب المرء جالب حتفـــه ** اناشدهم الاّ يردوا حياتيـــا

ولاموا على سلب الفؤاد وعنفـــوا ** فهل منهم كنت استعرت فؤاديـــا

وقالوا صديق الصب من يسخط الهوى ** وأعدى العدا من كان بالحب راضيا

فياليته لم يبق لى ذو صداقـــة ** وياليت كل الناس كانوا عداتيـــا

فيامن رأى شهدا به الداء كامـــن ** ويامن رأى سم الاراقم شافيـــا

---

(١) ثالثهم صاحب المنار رشيد رضا .

نعم من شعور الغيد دبت لمهجتي ** أراقم فيها قد وجدت شفائيا[1]

فالشيخ النبهاني لم يهمل شخصيته في شعره اذ كثيرا مايتكلم بضمير المتكلم مثبتا لها وهو صورة من صور الاعتداء بالشخصية .

يقول الاستاذ الدكتور عبد الرحمن ياغي معلقا على قصيدة النبهاني التي يمدح بها احمد فارس الشدياق وهي :ـ

الفضل ماتفقت عليه الحسد ** ودنا لرفعته السها والفرقد[2]

" ..... ولكنها على كل حال نفس جديد ورصانة تشعرك بشيء من رصانة المتنبي وتماسك في الصور ومتانة في التعبير تكاد تبعد بنا عن مطلع النهضة وتعود الى العصر العباسي دون أن نحس تقليدا فاضحا وطول نفس لاتسمع فيه لهاثا .

ولم يختم النبهاني قصيدته بالحمد التقليدي وانما انتقل الى حياته الخاصة وحنينه الى وطنه الصغير وبعد آماله وطموحه وهذه طريقة لانعهدها عند غيره من روادنا في مطلع هذه المرحلة من حياة الشعر في هذا القطر[3] .

وهو لون من الوان تلمس الشخصية نكاد نفتقده في الشعر الذي سبق[4]"

ولم ينس النبهاني حتى في مدائحه النبوية نفسه بل كثيرا كان مايتفقدها طالبا لها المغفرة والرحمة والشفاعة أو ناسبا لها القصور وكثرة الذنوب .

خذ على ذلك مثلا قصيدته الهمزية الالفية المسماه "طيبة الغرا في مدح سيد الانبياء والتي مطلعها .

نورك الكل والورى أجزاء ** يانبيا من جنده الانبياء

علة الكون انت ولولاك لدامت في غيها الاشياء

فقد جعل لها مقدمة بلغت اربعة عشر ومائة بيت ذكر فيها نفسه في ستة وخمسون بيتا .

وفي قصيدته "سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد " التي مطلعها :

هواي طيبة لابيضاء عطبول ** ومنيتي عينها الزرقاء لا النيل

غراء جلت عن التشبيب اذ جليت ** هامت بها الخلق جيلا بعده جيل

والتي بلغت اربعة واربعين ومائة بيت ذكر فيها نفسه في اثنين واربعين بيتا

---

(١) راجع ص (٦٠١) حيث ذكر فيها سبعة ابيات

(٢) فلسطين .

(٣) حياة الادب الفلسطيني ص ١٤٥ ـ ١٤٦

وفى قصيدته عنوان التهانى ببلوغ الامانى التى مطلعها :

بشرى فقد سرت الدنيا ومن فيهـــا ** وعم داعى التهانى كل اهليهـــا
وأنجزت وعدها الايام محسنـــة ** لنا عفا الله عن ماضى مساويهـــا

والتى مدح بها احمد عزت باشا العابد وبلغت ابياتها اربعة ومائة بيت فقد ذكر نفسه فيها فى خمسة وعشرين بيتا وذكر الممدوح فى ثلاثة وأربعين بيتا

وفى قصيدته التى مدح بها أبا الهدى الصيادى والتى مطلعها :

تذكر دهرا بالعتيق تصرمـــا ** فواصل سفح الدمع فى خده دمـــا
وهبت عليه من ربا الشام نسمـــة ** فكاد يفيض النفس لما تنسمـــا

وقد بلغت اربعين بيتا ذكر نفسه فيها فى ثمانية وعشرين بيتا • وذكر الممدوح فى تسعة ابيات فقط •

وفى قصيدته التى مدح بها احمد فارس الشدياق التى مطلعها •

أيخفى على العذال معنى غراميـــا ** وعينى بلفظ الدمع تشرح حاليـــا
وهيهات ان تخفى عليهم صبابتـــى ** فقد ظهرت آياتها من مآقيـــا

والتى بلغت ثلاثة وخمسين بيتا ذكر نفسه فى اثنين واربعين منها وذكر الممدوح فى سبعة عشر بيتا •

وهذا ان دل على شئ فانما يدل على صدق النبهانى الوجدانـــى فى شعره فهو قبل ان يذكر الممدوح وصفاته الجميلة انما يعبر عن نفسه وحبه تجاه الممدوح اولا ولذلك كان يذكر نفسه غالبا فى مطلع القصيدة وفى ختامهـــا وفى اثناء ذكره لاوصاف الممدوح فكل قصيدة صاغها النبهانى تجدها تعبر عنـــه أصدق تعبير فهـــو يخلص لشعره حتى يذوب فيه فالباحث اذا افتقد النبهانـــى فى بعض صفاته أو جوانب شخصيته سرعان مايجدها فى شعره •

أغراض شعره :

قال الشيخ النبهانى الشعر لاغراض محدودة ولم يستوف جميع أغراضـــه المعروفة وليس للنبهانى الا غرض واحد هو غرض المديح سواء أكان مديـــح الرسول صلى الله عليه وسلم او مديح السلطان عبد الحميد ورجال الدولة ووجهاء المجتمـــع •

ففى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم خلف لنا ديوانا عامرا بالقصائد المطولة التى بلغ بعضها الف بيت وبعضها خمسة وعشرون وسبعمائـــة بيـــت وبعضهـــا خمسة وعشرين وخمسمائـــة بيـــت ولم أجد لـــه

قصيدة مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم أقل من اربعين بيتا ٠
ونستطيع ان نقسم أغراض شعره الى قسمين ٠

الاغراض الدينية ومنها :

أ ــ محامد الهية مثل المزدوجة الغرا في الاستعانة بأسماء الله الحسنى يفتتحها بقوله :

" باسم الاله وبه بدينا ** ولو عبدنا غيره شقينا "
" ياحبذا ربا وحب دينا ** وحبذا محمد هادينا "
لولاه ماكنا ولا بقينا
" اللهم لولا انت مااهتدينا ** ولا تصدقنا ولا صلينا "
" فأنزلن سكينة علينا ** وثبت الاقدام ان لاقينا "
نحن الاولى جاءوك مسلمينا
" والمشركون قد بغوا علينا ** اذا أرادوا فتنة ابينا "
" وقد تداعى جمعهم علينا ** طبق الاحاديث التى روينا "
فاردد عم اللهم خاسرينا
" الله يارحمن يارحيم ** الله ياحى وياقيوم "
" الله ياقوى ياقدير ** الله ياعلى ياعظيم "
لاينبغى للقوم ان يعلونا
الله ياوارث أنت الابد ** الله ياباعث انت الاحد
يامالك الملك الاله الصمد ** لاكفوء لا والد لا ولد (١)
كف العدا عنا فقد اوذينا

ب ــ المدائح النبوية :

وقد تفنن رحمه الله في مدائحه النبوية فعارض الموشحات الاندلسية ولنذكر الان مثالا لمدائحه النبوية التى صاغها صياغة الموشحات والتى يقدمها بقوله:
وقلت امدحه صلى الله عليه وسلم معارضا الموشحات السبع لعلماء دمشق فقد شببوا بمتنزهات الشام وشببت بمعالم الحرمين الشريفين على مشرفهما الصلاة والسلام ، يقول النبهانى رحمه الله ٠

---

(١) الديوان ص١٣٨ ــ ١٤١ ٠

لست أنسى زمنا قد سلفا ** فيك يامكة بالعيش الهنى
اذ من المروة اسعى للصفا ** وبذات الخال وجدى عنى
حين اغدو طائفا من حولها ** اتهادى مثل صب ثمل
أبتغى عارفه من نولها ** وهى ترعانى تحت الحلل
ومتى تمت مساعى طولها ** بلغتنى من رضاها أملى
أدخلتنى فى مقام شرفا ** كل من يدخله فى مأمن
واصلتنى ولكم قبل هفا ** نحوها قلبى وزادت شجنى
اجلستنى كرما فى حجرها ** بعد تقبيل فمى منها اليمين
ولقد منت بأوفى برها ** اذ دعتنى ادخل البيت الامين
فلسانى عاجز عن شكرها ** واليها لم يزل منى حنين
قربتنى بعد ماطال الجفا ** وبدت تزهو بوجه حسن (١)
فمضى همى وجاءانى الصفا ** وأتى انسى وولى حزنى
أشرب الخمرة شرب النهم ** دون أثم غير سكران ملوم
انما أعنى سلاف زمزم ** صانها الرحمن لابنت الكروم
فأرانى كالمليك الاعظم ** من سرورى وتجافينى الهموم
قد أزالت وهى طعم وشفا ** سقمى عنى وزادت سمنى
من رمى الدنيا ومنها رشفا ** مرة فى عمره لم يغبن
والمنى تمت لدينا فى منى ** حين نرمى من هوانا الجمرات
واجتمعنا بسرور وهنا ** عند جمع وعرفنا عرفات
ذاك يوم كل ماالدهر جنى ** قد محاه بالايادى الطائلات

الى ان يقول :

ياترى أحظى ولو من بعد حين ** بحماها وأرى فيها القرار
ثاويا ثمة فى الحرز الامين ** فى جوار المصطفى اكرم جار
خيرة الاخيار اوفى من وفى ** الكريم ابن الكرام المحسن
كل خلق من نداه اغترفا ** وهو بالله عن الخلق غنى
آدم شيث ونوح ابراهيم ** رسل الله وهم خير الجدود

---

(١) تزهو : لغة ضعيفة ، والاقوى – تزهى – بصيغة المبنى للمجهول .
د / عبد السلام سرحان

وجميع الرسل عيسى والكليـــــم ** وسواهم وشاهيـــر الوجــود

وختمها بقوله :

سيدى يا أيها المولى المــــلاذ ** ياحبيب الله ياخير رســـول

كل جاه فى البرايـا ذى نفــاذ ** فعليه جاهك الضافى يطـول

ليس لى غيرك فى الخلق معـــاذ ** ولحالى سيدى شرح يطـول

ادرك ادركنى صبرى قد غـــا ** وغدا ربع الصفا كالدمـــن

عدك الدهر بحقـــى أجحفــا ** ونفى عنى لذيـــذ الوسن

ولكم من حاجة فى خلــــدى ** أنت تدريها وماعنك استتــار

انا فى الدارين أبغى رشـــدى ** منك فى الدنيا وفى دار القرار

لاتخصصنى بخير سيــــــدى ** عُمَّ اهلى وأحينا منك الجــوار

وأبحنا من حماكم كنفــــــا ** واقيا من شــر كل الفتـــن

حسبنا الله الهنا وكفـــــى ** بك للمحسوب اقوى رُكْـــن (١)

والقصيدة بلغت بيتين بعد المائة من الابيات

وللنبهانى رحمـــه الله موشحـــة أخرى عارض فيها الموشحات الاندلسيـــة السينيات يقول فيها

حى ياسعد قِبابـاً بالحمـــــى ** تحتها ربع المنى لم يـدرس

جاده الغيث اذا الغيث همـــى ** لا زمان الوصل بالاندلـــس

ان يكن مابل شوقى قربـــــه ** فلسانى دائما يذكـــره

وبقلبى مستقـــر حبـــــه ** بهواه لـــم أزل أعمــره

أعظم النعمة أنى صبـــــه ** دائما احمَدُه أشكُــره

---

(١) الديوان ص ٢٨٠ ـ ٢٨٨

سعد ان جئت اليه فانمــا ** واستغى من نوره واقتبــس
واذا بحر اياديــه طمــا ** فانتبه من فيضــه واحتــرس
وأفض ياسعد مندمــع الهنـا ** مايروى الارض ان شح الغمــام
كنت حال البعد تبكى حزنــا ** ان رأيت البرق أوغنى الحمــام
وبهذا اليوم قد نلت المنــى ** فابك واستبك فما ثم مــلام
آه من لى بالحمى ان الثمــا ** تربه لو نهزة المختلــس
لم يحن بعد اللقا فابكى دمـا ** واهجسى يانفس اولا تهجــس

الى ان يقول :

أى شوق فى فؤادى أضطرمــا ** جفف الدمــع فلم ينجــس
ولكم فاضت عيونى ديمــا ** بشواظ الوجد لم تنبجــس
كيف ياسعد ثنيات اللــوى ** أتراها بنداها تبســم
زاد فى قلبى للقياها الجوى ** فمتى ارشفها او الثــم
طاب لى فى حبها شرح الهوى ** فيه ان عز وصل أنعــم
واذا ليل غرامى أظلمــا ** ولنفسى لم أجد من مؤنــس
أجد الراحة فى شعــرى فما ** نفس الكربــة الا نفســى
انا ذا أشد وبسلع والنقــا ** وروابى حاجر والمنحنــى
لا أرى الورقاء منى اخلقــا ** اننى اعظم منها حزنــا
خير أرض الله فيها مشرقــا ** انا اهوى وهى تهوى الدمنــا
فارحمى طيبة صبــا مغرمــا ** بك ان يرج اللقا أو يبــأس
هو لاينفك عدا قيســا ** شددى فى هجره أو نفســى
لست والله بذا الخلق خليــق ** انما ذلك تمويه الكــلام
ان اكن حقا بما قلت حقيــق ** فعلام ولمه هذا المقــام
ولماذا ان يجئ ذكر العقيــق ** لست اجريه بدمع كالغمــام

الى ان يقول :

قال ماأملت حتى تغنمــا ** ومتى تمت امانى مفلــس
قلت املت النبى الاكرمــا ** احتسى من جوده ماأحتســى
سيد الخلق له الكل عبيــد ** وهو عبد الواحد الفرد الصمــد
فائق فى فضله فذ وحيــد ** مُفرَدٌ فى قرب مولاه الاحــد

كل آى الرسل من آياتـــه ** قد رأى ذلك أرباب العقـــول
قل لمن يزعم مثلا : هاتـــه ** ليس بين الخلق مثل للرســـول

الى أن يختمها بقوله :

يا أبا الزهراء كن لى مسعـــدا ** فلقد أوهى زمانى جلـــدى
لست أبغى من سواك المـــددا ** أنت من بين الورى معتمـــدى
وعلى ضعفى اذا صال العـــدا ** جاهك الاعظم أقوى عـــددى
أنا ان أسلمتنى لم أسلمـــا ** فعدانى كل ذئب أطلـــس (١)
أدرك ادركنى مادام الذمـــا ** لا تدعنى مضغة المفـــترس (٢)
أنا والله ضعيف وفقـــير ** باحتياج زائـــد للمـــدد
أنا والله ذليـــل وحقـــير ** انما عزى أنـــى مـــن سيـــدى
ليس لى غيرك فى الناس مجـــير ** أنت بعد الله أقوى سنـــد
لا تدعنى سيدى مهتضمـــا ** ليس عندى من سهام أوقـــى (٣)
كل من حاربنى أو ظلمـــا ** ما وفى حق الجناب الأقـــدس (٤)
يا عمادى أنت أدرى بالزمـــان ** مالأهليـه وفـاء وعهـــود
كلما اخترت فتى للصـــدق مـــان ** قابلوا المعروف منى بالجحـــود
ضعف الايمان فيهم والأمـــان ** ودهم مذق وجدواهم وعـــود (٥)
ليس يجدينى جداهـم انمـــا ** أجتدى من جودك المنبجـــس
فأجبنى وأجرنـى كرمـــا ** يا ملاذ البائس المبتئـــس (٦)

والقصيدة بلغت بيتين ومائة بيت وسنفصل الدراسة عن المدائح النبويـــة النبهانية فى الباب الأخير ان شاء اللـــه .

---

(١) أطلس اغبر وهولون الذئب .
(٢) الذماء : مقصور " الذماء " وهو الحركة ، وبقية النفس ، وقوة القلب .
(٣) اهتضمه : ظلمه وسلب حقه .
(٤) الجناب الجانب والأقدس الاطهر والمراد : جانب النبى صلى الله عليه وسلم .
(٥) مذق مختلط .
(٦) الديوان ص ٢٧٣ـ٢٨٠ .

(جـ) التغزل بالديانة الاسلامية :

وذلك فى قصيدة رائية تغزل فيها بالدين الاسلامى وفضله على جميع الاديان ، وقد جعل هذه القصيدة خاتمة لقصيدته الرائية الكبرى التى بلغت خمسة وعشرين وسبعمائه بيت ويقول النبهانى ــ رحمه الله ــ ولا أعلم أحدا سبقنى الى هذا الأسلوب البديع من الشعر الاسلامى وقد بلغت هذه القصيدة واحدا وثمانين بيتا .

يقول النبهانى منها :

لعمرى لئن فضلت دين محمد ** وملته لم آت بدعا ولا نكرا
وان هام قلبى فى محبتها فكم ** بها من كرام الناس من مغرم مغرى
وانى لم أخدع بظاهر حسنها ** وما دون تحقيق فؤادى بها اغترا
ولكن على علم بسر جمالها ** تعشقتها قدما وكنت بها أدرى
ففى كل معنى قد حوت حسن يوسف ** وقد زهرت أزهارها بأبى الزهرا
وكل فتى منا غدا فى غرامها ** زليخا وكل الأرض قد أصبحت مصرا
وقد أشرقت بين البرايا شموسها ** كما أطلعت فى كل أفق لها بدرا
ومذ نشأت طاب الزمان كأنما ** به نشرت فى كل ناحية عطرا
ومن عجب أنى أحن لقربها ** ولم أخل من قلبى وقولى لها ذكرا
وما فارقتنى لحظة منذ نشأتى ** وما ذقت فى عمرى بوقت لها هجرا
ومن لطفها تدنو ذراعا لعاشق ** اذا ما دنا بالحب من حيها شبرا
ومن جاءها يمشى لها متقربا ** فمن فضلها تأتيه هرولة طفرا
فلله من محبوبة كل وصفها ** جميل فدع فى الحب عمرة أو عمرا
حب لمحبيها المكارم كلها ** بكل ارتياح وهى تبدى لهم شكرا

الى أن يقول :

اذا قلت : أخت الروح أنت فصادق سوى أنك الكبرى وروحى هى الصغرى

فدتك نفوس العالمين مليكة ** وأسأل ربى أن يديم لك الأمرا
ولست كهاتيك الغوانى كلها ** عواهر بين الناس أسست العهرا (١)
وعنها انتهى فى العاشقين أولو النهى ** ولم تغرر اللخناء الا امرا أغرا (٢)
وكل جمال أنت فى الكون أصله ** وأصل جميع القبح ضراتك الأخرى

ويقول أيضا :

فهاك أيا خير الحسان قصيدة ** تجدد من حسان فى عصرنا ذكرا
تنافح عن خير الأنام ودينه ** وتكشف عن أديان أعدائه السترا
حقائق حق لا خيالات شاعر ** ولكنها سحر وتسموا السحرا
عروس المعانى فى بديع بيانها ** تزف على أسماع أهل النهى بكرا
تكاد لحسن السبك لوفاه منشد ** بشطر أتم السامعون له الشطرا
اذا ما رواها راهب صار راغبا ** بحسنك يا حسناء مهما غدا غرًّا
تحلى بها جيد الزمان لأننى ** نظمت بها بالدر أوصافك الغرا
وعفوا أيا ذات المحاسن إننى ** حَصِرتُ ولم أبلغ بمدحى لك الحَصْرا (٣)
وقصر شعرى عن محاسنك العلا ** وان عبر البحر الطويل الى الشعرى (٤)
ولست على الأقران مفتخرا به ** ولكن لى فى خدمة المصطفى الفخرا
أنافح عن خير الأنام ودينه ** وأمته والناس قد رهبوا الكفرا
وليس لخير الخلق حسان واحد ** يدافع عنه الإفك والشِّرك والشرا
ولكن له فى كل عصر جماعة ** وانى بهذا العصر منهم ولا فخرا

---

(١) فى القاموس : عهر يعهر : من باب منع يمنع ، وفى الصحاح : عَهَرَ من باب تعب وقعد .. تقول : عَهَرَ يعهَرُ ، وعهر يعهُر . د . سرحان .

(٢) لخن السقاء وغيره : أنتن والامة اللخناء : التى لم تختتن .

(٣) حصرت عييت وعجزت مقولة لم ابلغ بمدحى لك الحصرا من حصر الشئ يحصره حصرا استوعبه واحاط به .

(٤) البحر الطويل هو بحر هذه القصيدة وفيه توريه والشعرى كوكب .

ويختمها بقوله :

ولله كل الحمد فى كل لحظة ** يضاعف لا يحصى بدنيا ولا آخرى (١)

وقد بلغت هذه القصيدة واحدا وثمانين بيتا وقد بدأها بالتغزل ليدل على مدى ايمانه وتمسكه بها — اى الملة الاسلامية — ثم أخذ يعدد صفاتها الجميلة ثم تعرض للملل الأخرى ووصفها بأنها " عواهر " ثم يذكر أنه يشبه حسان ابن ثابت رضى الله عنه وأن قصيدته هذه التى يدافع بها عن الرسول صلى الله عليه وسلم هى حقائق لا خيالات شاعر ، وفى كل عصر يبعث الله من يدافع عن الاسلام والرسول كحسان بن ثابت رضى الله عنه وان الله يمدهم بروح القدس حين يدافعون عن الاسلام كما مد حسان بن ثابت ثم يفتخر بآثاره المنظوم منها والمنثور والتى يدافع فيها عن الاسلام ، وقصائده هذه يفرح بها صاحب الذوق السليم ويذوق مرارتها صاحب الذوق السقيم ، ثم يفتخر بالرسول مباشرة ويقول لولا أن الرسول قبله لما استطاع أن يمدحه ثم يختم قصيدته بالصلاة والسلام على الرسول وبالحمد والتسبيح لله تعالى ، والحقيقة أن قصيدته "الرائية الكبرى فى الكمالات الالهية والسيرة النبوية ووصف الملة الاسلامية والملل الأخرى " هى مجموعة أغراض دينية متعددة لذلك سأفرد كل غرض بحديث وحده ،

(د) الفضائل المحمدية والسيرة النبوية :

قد بلغت القصيدة ثمانية وسبعين بيتا ، وفيها يقول الشيخ النبهانى :

قد اختار من كل الخلائق رسله ** لتعريفهم ما كف عن علمه الفكرا
ومنهم قد اختار الحبيب محمدا ** نبى الهدى روح الوجود أبا الزهرا
نبى جميع الأنبياء مليكهم ** وفى قومهم عن حكمه نفذوا الأمرا
ولو جاء فى أعصارهم آمنوا به ** وكانوا له من خير أجناده نصرا

---

(١) الديوان ص ٣٤٢ — ٣٤٨ .

الى أن يقول :

أتى داعيا فى الأرض لله وحــــده ** وقد ملئت شركا وقد طفحت شـــبرا
فأيده بالنصر مع كثرة العــــدا ** وقد سجروا نيران بغضائهم سجـرا (١)
وعارضه فى الحق كفار قومــــه ** وحثوا الى تدمير دعوته السـيرا
وصاحوا به وهو الهزبر فما انثـــنى ** وهم بقر من خوفهم جأروا جـأرا
وقد عرفوه صادقا غير أنهــــم ** أصروا على أديان آبائهم كبــرا
ولم يبرحوا فى ظلمهم وظلامهــــم ** الى أن رأوا منه بأفق الوغا بـدرا (٢)

(هـ) الثناء على الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة السابقين للاسلام وما وقع من التعذيب والتشريد والآلام رضى الله عنهم :

والقصيدة بلغت واحدا وثلاثين بيتا ..

يقول النبهانى رحمه الله :

وآمن منهم سادة سبقوا الـــورى ** بصحبته أكرم بهم سادة غــرا (٣)
أجل بنى الاسلام كانوا وانمــــا ** أبو بكر الصديق كان ابنه البكـرا
ففى حلبة الايمان جاء مجليــا ** وعثمان صلى خلفه مع ذوى البُشرى (٤)
بنوريه ذو النورين ضاء شؤونـــه ** وحاز على كل الورى بهما الفخـرا
ولما دعا الهادى لاعزاز دينـــه ** أتى عمر يسعى لحضرته حُضْـرا (٥)

---

(١) سجروا اوقدوا

(٢) الديوان ص ٢٩٦ـ٣٠٢.

(٣) الاغر الصبيح وسيد القوم .

(٤) الحلبة خيل تجمع للسباق والمجلى السابق فى الحلبة والمصلى الفرس الذى تبع المجلى ففى قوله صلى خلفه تورية لان عثمان اقتدى بأبى بكر فى الاسلام والصلاة قال فى السيرة النبوية أسلم على يد أبى بكر من العشرة المبشرين فى الجنة خمسة وهم عثمان وطلحة بن عبيدالله والزبير ابن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن ابن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة رضى الله عنهم .

(٥) قال صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو

وأما على فهو عند ابن عمــــه ** تربى صغير السن لم يعرف الكفــرا

فلا عجب أن كان بابــا لعلمــه ** وفى الحرب ذمرا لم نجد مثله ذمرا[1]

وأحرز خصل السبق منهم عتيقهــم ** ولا عجب أن يسبق القارح المهرا[2]

وقد سبقت كل الجيــاد خديجــة ** وألحق بها أولاده السادة الغــرا

ومهما علت كل النساء بفضلهــا ** فقد فضلتها فى العلا بنتها الزهرا[3]

و ـ ذكر الهجرة ومشروعية الجهاد للكفار ومدح المجاهدين والمهاجرين والأنصار ٠

والقصيدة بلغت اثنين وأربعين بيتا يقول فيها :

ولما أراد الله نصــرة دينــه ** أتاح له من نحو انصاره نصــرا

فهاجر من أم القرى نحو طيبــة ** نبى الهدى والصحب قد هجروا الهجرا[4]

وفى قرية الأنصار حتى نساؤهــم ** وصبيانهم فى مدحه أنشدوا الشعــرا

الى أن يقــول :

فكم جاهدوا فى نصرة الدين كافــرا ** وخاضوا اليه الحرب والحر والقــرا

ربيع خريف صيفهــم كشتائهــم ** فلم يرهبوا بردا ولم يرهبوا حــرا

وكم رمضان جاءهــم ما تسحــروا ** وقد أطعموا سمر القنا النحر والسحــرا[5]

= بن هشام وهو أبو جهل فاستجابها الله فى عمر وحضرة الرجل قريته وفناؤه والحضر معناه فى الاصل ارتفاع الفرس فى عدوه يعنى أنه جاء مسرعــا ٠

(١) الذمــر الشجــاع ٠

(٢) أحرز خصل السبق غلب وسبق وخصله فضله والعتيق الفرس السابق الكريم والشىء القديم والجميل والمعتوق من نحو الرق وهو اسم أبى بكر الصديــق رضى الله عنه لجماله ولعتقه من النار ففيه تورية والقارح الفرس الذى انتهت أسنانه وانما تنتهى فى خمس سنين والمهر : الفرس أول ما ينتج ٠

(٣) الديوان ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ٠

(٤) الهجر : الفحش ٠

(٥) السحر الرئة وقيل ما لصق بالحلقوم والمرىء من أعلى البطن ٠

وصاموا وما صاموا عن الطعن فى العدا ** ولكن على أرواحهم جعلوا الفطرا(١)

وأصبح فطر الشرك عيدا لفطرهم ** سعيدا ونحر المشركين غدا نحرا(٢)

وقد زهدوا فى مالهم وجمالهم ** فما عشقوا بيضا ولا عشقوا صفرا(٣)

أحب اليهم لثم سيف مورد ** بحمر الدما من لثم وجنتها الحمرا

سل البيض والسمر العوالى عنهم ** وسل عنهم الحمر المذاكى والشُقرا(٤)

فكم خفضوا بالكسر رأسا لمشرك ** وكم للعدا جروا كتائبهم جرا

وكم رفعوا رمحا وضموا مهندا ** وكم نصبوا حربا وكم فتحوا ثغرا(٥)

ز ـ نظم أسماء النبى صلى الله عليه وسلم ، وللشيخ النبهانى قصيدة مزدوجة " أحسن الوسائل الى نظم أسماء النبى الكامل " افتتحها بقوله :

الحمد لله الغنى الاحد ** الواحد الفرد العلى الصمد

السيد المطلق خير سيد ** مولى أساسى عبده محمد

خير الورى ذاتا ووصفا وسما

محمد أحمد طه الملجأُ ** السيد المقدس المبرأُ(٦)

---

(١) الصوم فى اللغة مطلق الامساك عن الشىء .

(٢) الفطر الشق .

(٣) البيضاء الصفراء يطلقان على الفضة والذهب أو النساء ففيها تورية .

(٤) البيض السيوف والسمر العوالى الرماح والمذاكى من الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان فتكون فى كمال قوتها من ذكاء النار وهو شدة لهيبها .

(٥) الديوان ص ٣٠٥ ـ ٣٠٨ .

(٦) الملجأ الذى يلتجىء الناس اليه والمقدس المطهر من كل عيب والمبرأ المنزه عن كل وصف ذميم

وهو الضوء والضياء المقرىء ** النور نور الله ليس يطفأ

في نور مولاه بدا مجسما

محمد العاقب والمعقب ** الغالب الراغب والمرغب[1]

الشهم ذو المدينة المشذب ** وصاحب المدينة المنتخب

قد فاخرت به السماك والسما

محمد النقي والنقيب ** المضرى المنتقى اللبيب[2]

القرشي المرتضى النسيب ** الهاشمي المجتبى الحسيب

أشرف كل العالمين منتمى

محمد المهيب والمهاب ** شمس وبدر وقمر شهاب

النجم نجم ثاقب رهاب ** فجر منير كوكب وهاب[3]

ونوره أزال عنا الظلما[4]

كما نظم الشيخ النبهاني موشحا في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم سماه " النظم البديع في مولد الشفيع " افتتحه بقول تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم " .

---

(١) العاقب هو الذى جاء عقب الانبياء فليس بعده نبى وكذلك المعقب .

(٢) الشهم الذكى القلب وقال الزرقانى السيد النافذ الحكم ذو المدينة أى صاحب المدينة المنورة والمشذب الطويل المعتدل القامة والمنتخب المختار .

(٣) رهاب كثير الخوف من الله تعالى .

(٤) الديوان ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله على آلائه ** حمد امرئ أخلص فى أدائه[1]
أحمده والحمد من نعمائه ** أن خصنا بخير أنبيائه
محمد سيد كل عبد

أشهد أن الله فرد يعبد ** وأن خير خلقه محمد
رسوله المتمم المجدد ** وكل من صدقه مخلد[2]
بغير شك فى جنان الخلد

صلى عليه ربه وسلما ** وآله ومن اليهم انتمى
وصحبه الهداة أنجم السما ** وتابعيهم وجميع العلما
وكل هاد فى الورى ومهدى

وبعد فاسمع أيها السعيد ** ومن أنار قلبه التوحيد
عقد بيان دره نضيد ** أسلوبه فى نظمه فريد[3]
بذكر طه جاء خير عقد

نظمته بأنمل الأفكار ** من در بحر المصطفى المختار[4]
خير البرايا صفوة الأخيار ** وسيد العبيد والأحرار[5]

---

(١) الآلاء النعم واحدها آلى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء كمعى وامعاء كما فى المختار .

(٢) المتمم قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

(٣) نضيد منظوم .

(٤) الانمل رؤوس الاصابع .

(٥) الديوان ١٦٧ ـ ١٦٨ .

ح ـ هجاء مدرسة الافغانى :ـ

للشيخ النبهانى قصيدة مطولة اسمها " الرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغرا " بلغت أبياتها خمسة وعشرين وخمسمائة هجا فيها كلا من جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا ومحمود شكرى الألوسى والوهابية ، وقد وضعت هذه الأغراض ضمن الأغراض الدينية لشعر الشيخ يوسف لان خلافه معهم كان خلافا دينيا فى أساسه ، فهو يعدهم أصحاب بدعة لتركهم الأخذ من المذاهب الاربعة واجتهادهم فى الدين عن طريق تلقى الأحكام من القرآن والسنة مباشرة ، فلم يوافقهم الشيخ النبهانى على هذا ، وهو الذى يدعو الى التمسك بآراء الأئمة الأربعة دون الخروج عنهم ولذلك كتب الشيخ النبهانى هذه القصيدة وسماها " الرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغرا " علما بأن الشيخ النبهانى كانت له صداقة مع كل من الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا خصوصا الشيخ محمد عبده الذى كان يزور الشيخ النبهانى فى بيته فيتناول معه الطعام بدعوة وبدون دعوة حتى ان الشيخ محمد عبده استعار من الشيخ النبهانى كتاب " الكامل " للمبرد ولم يرده له .

يقول الشيخ النبهانى " .... وأعلم أيها الواقف على كلامى فى هؤلاء الخاسرين أعداء الدين أنى لا عداوة دنيوية بينى وبين أحد منهم تدفعنى الى الحملة عليهم والتنديد بهم بل كانت بينى وبين بعضهم صحبة ومودة قبل اشتهارهم بهذا الضلال ، وكذلك شيخهم وأصل ضلالهم جمال الدين الأفغانى فانى كنت عرفته فى مصر وكنت أزوره وأرى منه القبول والاقبال الى أن ظهر لى أمره فهجرته مرة واحدة لفساد عقيدته وسوء سيرته ثم انى بعد أن توظفت فى رياسة محكمة حقوق بيروت سنة ١٣٠٥ هـ كان الشيخ محمد عبده مقيما فيها وصار يزورنى فى أكثر الايام وأكرمه واحترمه ويتناول معى الطعام بدعوة وبدون دعوة

لما صار بيننا من المودة حتى انه استعار منى كتاب الكامل للمبرد " ولم يرده والظاهر أنه استحل ذلك باجتهاده فبئس المجتهد وبئس الامام "(١) .

أما عن علاقته بالشيخ رشيد رضا فيبدو أنه كان يجتمع بالشيخ النبهاني وتجرى بينهم محاورات سجل لنا الشيخ النبهاني بعضها اذ يقول " لما اجتمعت بالشيخ رشيد رضا ذاكرته فى شأن شيخه الشيخ محمد عبده فقلت له فى شأنه : انكم تتخذونه قدوة فى دينكم وتدعون الناس الى ذلك وهذا غير صواب فانه لم يكن محافظا على الفرائض الدينية فلا يصح أن يكون قدوة فى الدين فمن المعلوم المسلم أنه كان يترك كثيرا من الصلوات بلا عذر وأنا نفسى رافقته من وقت الضحى الى قبيل المغرب عند رجل كان دعانا فى جبل لبنان فلم يصلى الظهر ولا العصر ولم يكن له عذر بل كان بكمال الصحة ورآنى صليت الظهر والعصر ولم يصلهما " ، وبعد أن ذكر الشيخ النبهاني القصة قال فى خاتمة حواره مع الشيخ رشيد رضا " .... فانظر رحمك الله لهذا الضلال وهذه المكابرة فانه — رشيد رضا — يعلم أنه كان تاركا للصلاة والحج وأنه كان ماسونيا ويقول انه مثل الغزالى وفى الحقيقة كل واحد من هذه الفرقة الضالة يعتقد أن نفسه أجل من الغزالى لأنهم يدعون الاجتهاد المطلق صغيرهم وكبيرهم والامام الغزالى لم يدع الاجتهاد المطلق ، بل صرح فى الاحياء بعدم وجود المجتهد المطلق فى عصره بقوله : كما هو حكم جميع أهل العصر وكذلك صرح الفخر الرازى بذلك ، وغيرهم من الأئمة الأعلام (٣) .

لهذا عددت فن الهجاء عند النبهاني من الأغراض الدينية .

---

(١) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ٣٦ — ٣٧ .

(٢) ذكرنا القصة كاملة عند الكلام عن خصومة النبهاني مع مدرسة الافغاني الفصل الخامس من الباب الثاني .

(٣) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية للنبهاني ص ٣٤ — ٣٥ .

هجاء جمال الدين الأفغانى :

من المآخذ التى أخذها على جمال الدين الأفغانى دعوته الى الاجتهاد أى أن يأخذ المسلمون أحكامهم الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة دون التقييد بأقوال الأئمة المجتهدين التى تناسب عصرهم فقط يقول الشيخ النبهانى :

يقول هذا المصلح الأكبر الذى ** به صار حكم الدين فى عصرنا يسرا
مذاهب أهل العلم ممن تقدموا ** توافق أحوال الزمان الذى مرا
وأبدع هذا الشيخ للناس مذهبا ** يوافق فى تيسير أحكامه العصرا

ثم تحدث النبهانى عن طرد الشيخ الشربينى للشيخ الأفغانى من الأزهر حيث تبين للشيخ الشربينى أن الأفغانى يسأله من واقع الحاد فحيث يقول :

واذ شم منه الشيخ ريح ضلاله ** والحاده أولاه مع طرده زجرا

ودعوة الأفغانى كما يراها النبهانى هى لمحو المذاهب الأربعة حيث يقول :

أسر لهم محو المذاهب كلها ** ليرجع هذا الدين فى زعمه بكرا[1]

ويناقش النبهانى دعوة الأفغانى الاصلاحية للدين بأنه لم تأت فرقة اسلامية تدعى لنفسها اصلاح الدين الاسلامى الا هذه الفرقة لذلك تبين أنهم المعنيون بقوله تعالى :

" واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون "[2] يقول الشيخ النبهانى :

---

(١) أى تلاميذه مثل محمد عبده وغيره .

(٢) سورة البقرة آية ١١ ـ ١٢ .

قد اختصروا بالجهل دين محمـد ** وما تركوا من عشر أحكامه العشـرا

لقد زعموا اصلاحه بفسادهـم ** وكم حملوه من ضلالاتهم اصـرا

وقد جاء فى القرآن ذكر فسادهـم ** وزعمهم الاصلاح فى السورة الزهـرا

يقول النبهانى فى تعليقه على هذا البيت بعد أن أورد الآية السابقـة " ... قلت لا شك أن المنافقين المذكورين فى هذه الآيات السابقة واللاحقـة والخوارج الذين خرجوا على سيدنا على رضى الله عنه وغيره من أئمة الاسلام متصفون بهذه الاوصاف الذميمة الا أنهم لم يدعوا أنهم مصلحون لدين الاسلام ويلقبـوا أنفسهم بهذا اللقب مثل هذه الفرقة الضالة فرقة جمال الدين الأفغانى ومحمـد عبده المصرى فى مطابقة الآية لهذه الفرقة أكثر من مطابقتها للمنافقين والخوارج وان شملتهم جميعا احكامها وتسمية هؤلاء أنفسهم المصلحين تبعوا فيها فرقـة البروتستانت النصرانية فانهم سموا أنفسهم المصلحين لدين النصارى بتركهـم العمل بما زاد على التوراة والانجيل ورفضهم كلام أئمة النصارى الأقدمين أصحـاب المجامع وغيرهم[1] فتبعهم من المسلمين هؤلاء الضالون فرفضوا مذاهب أئمـة الاسلام وادعوا الاجتهاد المطلق وأنهم قادرون على أخذ الاحكام من الكتـاب والسنة مع أنهم من أجهل الجهال فى دين الله وأفسق الفساق ولكنهم كانـوا مظهرا لمعنى هذه الآية القرآنية بعد أربعة عشر قرنا من نزولها ، كما أنهم كانـوا مظهرا لتصديق قوله صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبـر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا اليهود والنصـارى قال صلى الله عليه وسلم فمن ؟ فهذا الحديث الصحيح ينطبق على هـذه الفرقة الضالة تمام الانطباق[2] والى هذا أشار النبهانى بقولـه :

---

(١) يقول جرجى زيدان فى ترجمته تحت عنوان " محمد عبده الاصلاحى "

((..... فجعل همه رفع منار الاسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب وتقريبهم من أسباب المدنية الحديثه ليستطيعوا مجاراة الامم الراقية فى هذا العصر ورأى ذلك لا يتأتى الا بتنقية الدين مما أعتوره من الشوائب التى طرأت عليـه بتوالى العصور وتغالب الدول واختلاف أغراض اصحابها وائمتها كما أصاب النصرانية فى القرون المتوسطة اذ تمسكوا بالعرض وتركوا الجوهر واستغرقوا فـى الاوهام ونبذ الحقائق والسبيل الوحيد لمغالبة الاوهام والخرافات انما هو العلم الصحيح على ما بلغ اليه فى هذا العهد)) تراجم مشاهير الشرق ح١ ص ٣٠٥

(٢) الديوان ـ هامش ـ ص ٣٥٦

وها هم أتونا مثل ما قال ربنـــا ** بأوصافهم فأعجب لها آية كبـرى[1]

خوارج لكن شيخهم غير نافـــع ** ولكنه قد كان أزرق مقبـــرا

بفصل البرستنت اقتدوا باجتهادهم ** لقول رسول الله لو دخلوا جحـرا

أولئك قد الغوا زوائــد دينهم ** وقد ضللوا فى ذلك القس والحبـرا

ومع كونهم مثل البروستانت فارقـوا ** أئمتهم كل غدا عالما حبـــرا

فقد قلدوا أهل المجامـع منهـم ** بمؤتمر للبحث فى الدين فى مصـرا

يشير النبهانى الى انشاء جمعية باسم المؤتمر الدينى فى مصر ١٣٢٧ هـ وقد خدعوا شيخ الازهر الشيخ سليم البشرى وكما يقول النبهانى جعلوه رئيسـا للجمعية ووظيفة المؤتمر هى البحث فى دين الاسلام لتحسينه من الزيادة والنقص ، ولم تزاول هذه الجمعية أى نشاط ولم يحصل أى اجتماع كما أسسوا جمعيـة للدعوة والارشاد ــ أهم أركانها رشيد رضا وغرضها تخريج دعاة لتعليم النـاس عدم الاقتداء بالأئمة السابقين وهم بهذا يشبهون البروتستانت ، وبذلك تتـم المشاكلة والمشابهة بينهما لمطابقة الحديث الذى قاله الرسول صلى الله عليـه وسلم " لتتبعن سنن من قبلكم " .

ويقول الشيخ النبهانى فى نهاية تعليقه " وقد سهل على هؤلاء المبتدعين تقليد البروتستانت ولم يسهل عليهم تقليد أئمة المذاهب الاربعة ، كما أنهـم سهل عليهم تقليد اخوان الشياطين مثل محمد عبده وجمال الدين الأفغانـى ولم يسهل عليهم تقليد أئمة الأمـة المحمدية بأسرها منذ أكثر من ألف سنة[2] .

---

(١) **الفصيح** : وها هم أولاء أتونا ، ولكن الناس يخطئون كثيرا فيتركون اسـم الاشارة ، والمثل فى ذلك قوله تعالى " ها أنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم "

د . سرحـان .

(٢) الديـوان ص ٣٥٨ ــ ٣٨٩ الهامش .

ويقول النبهانى شارحا دعوتهم :

أمن بعد قول الله أكملت دينكم ** يريدون فى الاسلام أن يحدثوا أمرا

يقولون لا نومى كتابا وسنة ** ونتبع زيدا فى الديانة أو عمرا

وذلك حق قصدهم فيه باطل ** وخير كلام قد أرادوا به شرا

ويقول أيضا :

وما يدعيه اليوم غير حثالة ** بأسفل حوض العلم كدرت المجرى

قد اجتهدوا فى خذل دين محمد ** وان زعموا بالاجتهاد له نصرا

قد اجتهدوا أن لا تكاليف عندهم ** فصاروا اباحيين لا نهى لا أمرا

وفى العلم شرط الاجتهاد هو التقى ** لديهم ولكن كل عبد غدا حرا

فيفعل فى الأحكام فعل دوابه ** اذا أطلقت من دون قيد الى الصحرا

وأقوى شروط الاجتهاد لديهم ** وقاحة وجه حده يفلق الصخرا

وكم ذا رأينا فى الأولى يدعونه ** تيوسا وكم ذا قد رأينا بهم حمرا

نعم جهلها جهل بسيط وجهلهم ** بتركيبه قد صار أقواهما ضُرا[1]

فما قط شاهدناه حمارا مسابقا ** جوادا وتيسا صارع الليث والنمرا

يقولون انا كالائمة كلنا ** رجال وما زادوا على أحد ظفرا

ولو ثم مرآة يرون نفوسهم ** بها لرأوها بين أهل النهى ذرا[2]

ويبين النبهانى شيئا مما يأخذه عليهم فيقول :

وأخبرنى من لا أشك بصدقه ** بأن قد رأى من بال منهم بلا استبرا

---

(١) الجهل البسيط أن يجهل الانسان شيئا والجهل المركب أن يجهل انه جاهل بذلك الشىء فيكون جهله مركبا من جهلين •

(٢) الذر صغار النمل •

ولازمه حتى أتى بحد مسجدا ** فصلى ولم يحدث من الحدث الطهرا
وآخر منهم قد أقام صلاته ** بدون اغتسال من جنابته الكبرى
بهم غربة الدين استبانت بعصرنا ** فيا قبحهم قوما وياقبحه عصرا

ويركز النبهانى فى هجاءه وغضبه فى هذه الابيات حيث يقول :

معادن سوء يتقى المرء شرهم ** يجاملهم جهرا ويلعنهم سرا
ويجلب مغناطيس العداه هم لهم ** من الناس لعنات وان لعنوا الغيرا
ذئاب على الاسلام صالوا وما اكتفوا ** بأنيابهم حتى به أنشبوا الظفرا
مقاريض أعراض بألسنة لهم ** حداد بها قد أشبهوا الجرذ والفأرا
لهم أوجه كالصخر مثل قلوبهم ** ولكن بها ماء الحيا ماله مجرى

ونحن نلاحظ أن النبهانى ينتزع صور هجائه من الظواهر الكونية المجسمة التى هى أبلغ فى الهجاء ويقول أيضا :

وانى وان أحكم لظاهر حالهم ** باسلامهم بالقول لا أكفل السرا
ففى وجه كل قد بدا من ظلامه ** دخان يرينا أن فى قلبه جمرا
ولم أجتمع والله منهم بواحد ** وذاكرته الا وددت له القبرا
ولم استمع دعواه الا مقته ** والا قرأت الحمق فى وجهه سطرا
ولم أر الا ناقص الدين والحجا ** بهم فاسد الأفكار من أدب صفرا
وأعداؤهم من بيننا كل عالم ** ولا سيما ان كان فى فقهه بحرا
وان كان مشهور الولاية ضمنت ** جوانحهم من بغضه الحصة الكبرى
وأحبابهم أهل الغواية مثلهم ** ومهما يكن أغوى يكن عندهم أحرى
جبلاتهم بالسوء قد جبلت وهم ** على خلق الاشرار قد فطروا فطرا
فاياك ان تغتر منهم بفاجر ** وان أنت قد شاهدت من فعله خيرا
فذلك شىء جاء ضد طباعهم ** وقد فعلوا أضعاف أضعافه شرا
وكم أيد الاسلام ربى بفاجر ** فنهدى له لا الفاجر الحمد والشكرا
على ديننا ساقوا كتائب كتبهم ** وفى حربه جاءت جرائدهم تترى
بها فتحوا للناس باب ضلالهم ** بها رفعوا الدنيا بها خفضوا الأخرى
لقد أخرجوا فى صورة النصح كذبهم ** ببهرجة غروا بها الجاهل الغرا

وفى الخاتمة يوجه نداء وتحذيرا للمسلمين من هذه العصبة ليأخذوا حذرهم حيث يقـــول :

فيا أمة الاسلام يا خيـر أمـــة ** بسبل الهدى تقفو أئمتها الغـرا
عليكم بكتب الدين من كـل مذهـب ** ومنهم ومن أقوالهم فالزموا الحذرا
سفينة دين الله فيهـا نجاتكـم ** اذا فار تنور الفساد لكم فـورا
ألا فاحذروا الأسد الضوارى مرة ** ومن هؤلاء المارقين احذروا الشرا
مجاذيم من داء الضلالة كلهـم ** فما أحد من دائه أبدا يبـرا
تجارت بهم أهواؤهم كالذى جرى ** به كلب يعدى اذا نهش الغيـرا
وهم كل يوم فى ازدياد كأنهـم ** أبالسة بالحك قد ولدت أخـرى
وكلهم رجس ولكـن دعاتهـم ** نجاستهم جاءت مغلظة كبـرى
فلو غسلوا فى البحر والبحر طافح ** لما أثر البحر المحيط بهم طهـرا
كأسنان مشط كلهم فى ضلالهـم ** فلا أحد يبدى على أحد فخـرا
فقد ملك الشيطان ملكا مؤبـدا ** نواصيهم واللحم والعظم والشعرا
أجاهدهم ما دمت حيا فان أمت ** تركت لهم جيشين نظمى والنثرا
ولست أبالى ان افز بجهادهـم ** اذا فاتنى فتح لرومية الكبـرى(١)

من هذه القصيدة نلاحظ أن العداء بين النبهانى وجمال الدين الأفغانـى كان دينيا بعيدا عن الأطماع الدنيوية ، فهو يتهمه بأنه يدعو الى الاجتهـاد المطلق ، ومحو المذاهب ، ويتهمه بفساد عقيدته وأنه أراد تقليد البروتستانـت الذين دعوا الى اصلاح المسيحية عن طريق الالتزام بالانجيل دون الأخذ بـآراء الرهبان والقساوسة ، كذلك الأفغانى يدعو الى الالتزام بالقرآن والسنـة دون

---

(١) ورد فى الحديث فى آخر الزمـان بفتح رومية الكبرى الديوان ص ٣٥٤ ـ ٣٦٥ .

الأخذ برأى العلماء ويحسب[1] النبهانى أن هذه الدعوة كلمة حق يراد بها باطل ٠

وقد استطاع النبهانى ان يوازن بينهم وبين المقصود من قوله تعالى " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون " ٠

ومن أوجه الموازنة أيضا أن تكون جمعية " تسمى الموئتمر الدينى لتحسين دين الاسلام بالزيادة والنقص وأخيرا تكون "جمعية الدعوة والارشاد " التى أحد أركانها رشيد رضا ووظيفتها تخريج مرشدين ومبشرين بمبادىء الجمعية ، والنبهانى فى كل هذا يجعلهم مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :ـ

" لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه .. قالوا اليهود والنصارى ؟ قال : فمن "[2] ٠

ثم تكلم عن تقصير هذه الجماعة عن الفرائض الدينية ، فهم لا يصلون أو يصلون بلا طهارة صغرى كانت أو كبرى أحيانا ، وأخيرا يحذر الناس منهم ومن أن يغتروا بكلامهم المعسول ، ثم يألو على نفسه أن يجاهدهم ما دام حيا وبعد موته ستجاهدهم آثاره المنظومة والمنثورة ٠

هجاء محمد عبده :

يبدو أن النبهانى كانت تربطه صله قوية بمحمد عبده اكثر من الأفغانى .. ذلك أن محمد عبده عاش فى بيروت أثناء نفيه من مصر وكان بينهما مجاملات فهذا محمد عبده يستعير كتاب الكامل للمبرد من الشيخ النبهانى ولا يرده اليه ، وهو

---

(١) فى الاصل : ويعتبر .. وهى خطأ شائع فى أسلوب الكتاب .. د .سرحان

(٢) منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين ص ٣١٠ للنبهانى ٠

يتناول الطعام فى بيت الشيخ النبهانى بدعوة وبدون دعوة أيضا ، ومع ذلك كان موقفه منه مثل موقفه مع أستاذه . فهو يفتتح هجاءه بقوله :

لهم شيخ سوء من بنى القبط أصله ** بسحنته الشوهاء نسبته تقرا
على قلبه ساد الهوى فهو عبده ** وقد سكن الشيطان من رأسه وكرا

ثم يصفه بأنه فى مصر كأبى مرة ــ كنية ابليس ــ وأنه فى هذا العصر كأبى جهل ونمرود ، ويتكلم عن جرأته على الفتوى مع جهله بأحكام الفقه وأنه تعلم من أستاذه الأفغانى بعض علوم الفلسفة فأخذ يدّعى الاجتهاد ، وهو قد ضلل أهل العلم لاتباعهم أئمة الاسلام ، ومما قاله النبهانى فى محمد عبده

لسان له كالثور لف نباته ** ولكنه بالجهل قد غلب الثورا
فلم نر ثورا زاحم الأسد قبله ** ولا حدأة من قبله زاحمت نسرا[1]
تولع بالدنيا وصير دينه ** اليها على ما فيه من خفة جسرا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن ** يسارا سعى بعدو اليها من اليسرى
يذم خيار المسلمين وعدما ** يرى حاجة للكفر يستحسن الكفرا
لكيما يقال: الشيخ حر ضميره ** فيبلغ عند القوم مرتبة كبرى

ثم تكلم عن زيارته لبلاد الشام وتكوين جماعة تؤيده ثم عودته لمصر وتأييده للانجليز داعيا الناس لاعتقاد الخير فيهم ، وهو يلتمس لهم الأعذار مسوغا[2] منكراتهم واليه أرجع ما حدث بين المسلمين من الجرأة على الفتوى وعدم التقيد بأقوال أئمة المذاهب الاربعة وعزا المنزلة التى وصلها الى الانجليز الذين كافأوه على افساده عقيدة المسلمين وهجم[3] الدروس التى كان يعلمها فى الازهر

---

(١) حِدْأَة ــ فى اللغة : بوزن عِنَبَة ، ولكن الدال سكنت لضرورة الوزن د . سرحان

(٢) فى الاصل : مبررا ، وهو خطأ شائع يقع فيه الجميع د . سرحان

(٣) فى الاصل : وهاجم ، وهو خطأ شائع منتشر . د . سرحان

وكذلك هاجم تفسيره ومؤلفاته ، وتشتعل نار الكراهية في قلب النبهاني فيقول :

احذر كل الناس من كتب دينه ** وبالرد والاعراض تفسيره أحرى
وساوس أوحتها اليه أبالس ** بها يجد المراق ان عذلوا عذرا
عقيدته في قبحها مثل وجهه ** تشاهد في مرآة ملتنا الغمرا
محاسن ألفاظ له قد تزخرفت ** تغر امرأ لا يعرف الخير والشرا
به برزت حسناء في شر منبت ** كما نبتت في الدمنة البقلة الخضرا

ويأخذ عليه النبهاني تقليده لابن تيمية في بدعه دون زهده وورعه ويقول فيه أيضا :ـ

يعاشر نسوان النصارى ولا يرى ** بذلك من بأس وان كشف السترا
ويأكل معهم كل ما يأكلونه ** ويشربها حمراء ان شاء أو صفرا
ويفتي بحل المسكرات جميعها ** اذا هي بالأسماء خالفت الخمرا
ويأكل مخنوقا ويفتي بحله ** لئلا يقولوا : انه ارتكب الوزرا

وفي الهامش علق الشيخ النبهاني على هذه الأبيات فقال : الذي أعلمه عن حال الشيخ محمد عبده وكل من عرفه يعلمه كذلك : أنه حينما كان في بيروت منفيا كان كثير المخالطة للنصارى والزيارة لهم في بيوتهم والاختلاط مع نسائهم بدون تستر ، وهذا مما يعلمه كل من عرف حاله في هذه البلاد فضلا عن أسفاره المشهورة الى بلاد أوروبة واختلاطه بنساء الافرنج وارتكابه المنكرات من شرب الخمر وأكل المخنقة وترك الصلوات ولم يدع هو نفسه الصلاح ولا أحد توهمه فيه فكيف يكون قدوة اماما في دين الاسلام ، نعم هو امام للفساق والمراق مثله ، ولذلك تراهم على شاكلته لا حج ، ولا صلاة ولا صيام ولا غيرها من شرائع الاسلام (١) .

---

(١) الديوان ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

ثم يستعرض حكم المذاهب الاربعة فى تارك الصلاة ويذكر لقاءه معه فى لبنان وتركه لصلاة الظهر والعصر دون عذر ثم يقول النبهانى متهكما :

ومع كل هذا فهو أستاذ عصره ** فأف له شيخا وأف له عصرا

ثم يذكر الأفغانى وأنه أيضا كان تاركا للصلاة لذلك قاطعه ولم يعد زيارته يقول الشيخ النبهانى :

وقبل غروب الشمس صاحبت شيخه ** لقرب العشا أيام جاورت فى مصرا

ولم أره ادى فريضة مغرب ** فقاطعت شيخ السوء من أجلها الدهرا

يقول الشيخ النبهانى تعقيبا على هذين البيتين فى الهامش .

" اجتمعت فى مصر سنة ألف ومائتين وسبعة وثمانين هجرية[1] بالشيخ جمال الدين الأفغانى وأنا مجاور ولازمته من قبل الغروب الى قرب العشا فلم يصل المغرب وتحققت انه كان تارك صلاة فى بعض الاحيان والغالب عليه الترك كتلميذه الشيخ محمد عبده وفرقته كلهم تاركون الصلاة ولا أظن أنه يوجد منهم واحد مداوم على الصلاة وقليل منهم يصلى تارة ويتركها أخرى"[2] .

ويقول النبهانى :

رمى الله كلا منهما بلسانه ** بداء فذاقا الموت فى قطعه مرا

---

(١) هذا الوضع الاسلوبى خطأ شائع ، وصحته : سنة سبع وثمانين ومائتين وألف من الهجرة ، ويلاحظ أن النبهانى قال : "وسبعة" وهو خطأ ، صوابه : سبع . د . سرحان

(٢) الديوان ص ٣٧٢ الهامش .

ويقـول فـى الهامـش شارحـا :

مات جمال الدين الأفغانى فى القسطنطينية مفلوجا بلسانه وكذلك مات بعده بسنوات محمد عبده فى الاسكندرية مفلوجا بلسانه وعظم الداء فيهما حتى قطع لسان كل منهما ولم يحصل فائدة حتى ماتا شر ميتة على أسوأ الأحوال نسأل الله العافية ومع ذلك لم يعتبر بهما هؤلاء الجهال الذين تبعوهما على الضلال والإضلال (١) .

ثم يشبه محمد عبده فى اضلاله لغيره بالسامرى الذى صنع لهم عجلا يعبدونه أما هؤلاء ــ جماعة محمد عبده ــ فقد عبدوا الثور .. أى محمد عبده .

والشيخ النبهانى يشبه محمد عبده وجماعته بالدجال لاغوائه الناس .. حيث يقـول :

فقد أشبهوه فى معـان كثيـرة ** من الدجل والالحاد والبدع الأخرى

وما الفرق الا أنهم فـى قلوبهـم ** عما هم ودجال الورى عينه عـورا

مقدمة للجيش عنـه تقدمـوا ** وجند له من قبله مهدوا الأمـرا

تقدم فيهم نائبا عنـه عبـده ** فأغوى الذى أغوى وأغرى الذى أغـرى

فويل له ويل لمـن يتبعونـه ** ومن كان من أعدائهم فلـه البشرى (٢)

بعد كل هذا نلاحظ أن النبهانى سلك فى هجائه لمحمد عبده الأسلـوب نفسه الذى سلكه مع أستاذه الأفغانى ، فهو يذكر الموقف المعادى لكل منهـم من الدين ثم يبين الموقف السليم ويحذر المسلمين من الاغترار بمعسول كلامهـم ثم ينهال على المهجو بالشتائم وهى منتزعة من صفات مجسمة لاصقة به كأنه يصنـع من لونه أو شكله صورا لهجائه ، كذلك كان يخترع من أفعاله صورة لمثالبه ومعايبـه ثم يهجوه بها .

---

(١) المصـدر السابـق .

(٢) الديوان ص ٣٦٥ ــ ٣٧٤ .

كذلك لاحظنا أن الخلاف بين النبهانى ومحمد عبده كان دينيا بعيدا عن أى مطمع دنيوى علما بأن محمد عبده كان على صلة وثيقة بالنبهانى .

هجاء رشيد رضا صاحب المنار :

ويفتتح النبهانى قصيدته بقوله :

وأما رشيد ذو المنار فانه ** أقلهم عقلا واكثرهم شرا
أتانى ببيروت بشرخ شبابه ** بمقلته السودا ووجنته الحمرا[1]

ثم أخذ النبهانى يعدد ما يعده من مساوئ رشيد رضا التى منها : أنه كان ذا لحية مقصوصة من جذورها وأن والى بيروت نصوحى بك قد وبخه على ذلك ، ثم رأى النبهانى رشيد رضا بعد خمس عشرة سنة فكانت لحيته كما هى ووصفه بأن وجهه مغبر وفعاله تدل على أنه يستر الحاده ويذكر النبهانى عن رشيد رضا أنه حاول النصب والاحتيال فانكشف أمره وضرب وطرد حيث يقول فى الهامش معلقا على قوله :

فكم ذا أراد النصب فى درس جامع ** فأولاه أرباب التقى الخفض والجرا

يقول الشيخ النبهانى : هجم عليه المسلمون فى جامع سيدنا الحسين فى مصر حينما سمعوا منه ألفاظا شنيعة فى حقه رضى الله عنه وكادوا يفتكون به لولا هروبه ، وكذلك وقع له فى الجامع الأموى مثل ذلك وكادوا يفتكون به لولا أن خلصه منهم بعض الحاضرين وأخرجه من دمشق الشام ليلا فذهب الى قريته واختفى فيها ، ثم هرب الى مصر من البلاد الشامية لما حصل له فى طرابلس من الضرب والجرح وفى دمشق الشام من الهيجان العظيم والطرد الأليم[2] .

---

(١) المقلة شحمة العين التى تجمع البياض والسواد .

(٢) الديوان ص ٢٧٥ الهامش .

ويقول الشيخ النبهانى أيضـــا :

وكم قام يتلو فى الكنسية خطبـــــه ** بها ناب عن قس وطنقـه جهـــرا

وقد علق على هذا البيت فى الهامش حيث قال " خطب فى كنيسة مـــن كنائس مصر وصارت المسلمون تلعنه فى هذه الخطبة وهو لا يبالى .

" اذا قل دين المرء قل حياؤه " ولم تر فرقة من أهل البدع أقل حيـــاء من هذه الفرقة وهو ممتاز بينهم بذلك .

ثم يذكر مجىء رشيد رضا الى مصر بعد أن بلغ أعلى درجات الفقـر فـــى بلاده فآواه محمد عبده ولقنه فلسفته وأنشأ له مجلة "المنار" ثم يذكر رؤيـــاه لرشيد رضا فى المنام أسود اللون فى حين أن بشرته حمراء ففسرها على أنهـــا أعماله قد جعلته أسود ، ثم أخذ عليه قوله فى " المنار " فى العدد الصـــادر فى آخر رمضان سنة ١٣٢٧ هـ " من أن الأنبياء غير معصومين من الاخبار عـــن الشىء بخلاف حقيقته " قال هذا تعقيبا على قوله صلى الله عليه وسلم لأبـــى ذر حينما غربت الشمس اتدرى أين تذهب ؟ قال أبو ذر : قلت : الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشـك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها .. يقال لها : ارجعـــى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى " والشمس تجرى لمستقر لهـا ذلك تقدير العزيز العليم " وهو حديث متفق على صحته رواه البخارى فى ثلاثـة مواضع من صحيحه فى بدء الخلق والتفسير والتوحيد ، ومسلم فى الايمان عـــن أبى ذر .

ثم نقل النبهانى ما قاله الامام العينى فى شرح هذا الحديث فى صحيفـــة ٢٢٣ من الجزء السابع بعد أن ذكر أقوالا فى تفسير معنـــاه .

وقيل المراد من قوله تحت العرش أى تحت القهر والسلطان قال بعده قلـت لماذا الهروب من ظاهر الكلام وحقيقته على أنا نقول السماوات والارضون وغيرهمـا من جميع العالم تحت العرش فاذا سجدت الشمس فى أى موضع قدره الله تعالـــى

يصح أن يقال سجدت تحت العرش وقال ابن العربى : وقد أنكر قوم سجـــود الشمس وهو صحيح ممكن ، قال العينى :

قلت هؤلاء قوم من الملاحدة لانهم انكروا ما أخبر به النبى صلى الله عليـــه وسلم وثبت عنه بوجه صحيح ولا مانع من قدرة الله تعالى أن يمكن كل شئ مـــن الحيوان والجمادات أن يسجد له " .

انتهت عبارة الامام العينى وهو مصرح بكفر من أنكر سجود الشمس الـــذى أخبرنا به صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث وثبت عنه بوجه صحيح ، كما فصـــل رشيد رضا صاحب المنار التى تطبع فى مصر فى الجزء المؤرخ فى آخر رمضـــان ١٣٢٧ هـ ويصدق عليه قوله تعالى فى سورة النساء " ومن يشاقق الرسول مـــن بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " ، اللهم الا أن يتوب ويجدد ايمانه ويؤمن بصدقه صلى الله عليـــه وسلم بكل ما جاء به كما هو الواقع .. لا أنه مخالف للواقع المشاهد .. كمـــا افتراه بجهله وضلاله وليس كما قال .. من أن الأنبياء غير معصومين من الاخبـــار عن الشئ بخلاف حقيقته قاتله الله ما أجهله وأجرأه والجهول جسور وأى وصـــف فى الأنبياء أفضل من وصف الصدق فيهم وعصمتهم من الاخبار عن الشئ بخـــلاف حقيقته ، واذا لم يكونوا معصومين من ذلك فمن أين تعلم صحة ما جاؤا به عـــن الله تعالى[1] .

ويأخذ النبهانى على رشيد رضا سماحه لاولاد المسلمين أن يدخلوا مـــدارس النصارى ويتعبدوا فيها مثل النصارى حيث يقـــول :

وفى جزء شعبان من العام نفســـه ** ببيروت للاسلام قد جوز الكفـــرا

أباح لهم أن يعبدوا بكنيســـة ** عادة أهليهما بمدرسة كبـــرى

يقول الشيخ النبهانى تعليقا على البيت الأول " جوز لهم الكفر باباحته

---

(١) الديوان ص ٣٧٧ ــ ٣٧٨ الهامش .

لهم أن يدخلوا الكنيسة الكلية الاميركانية ويحيدوا فى الكنيسة العبادة النصرانية مع أولاد النصارى [١] .

ثم يأخذ عليه فى فتاويه التى يخرجها بدون علم التقلب فى الأحكام بين الحل والحرمة بلا ضابط وأخيرا يهيب بأهل مصر أن يطردوه كما فعل أهل الشام حيث يقول :

فيا أمة الهادى لقد طال صبركم ** على فاجر بالدين والمصطفى أزرى

ويا أهل مصر كيف صار عدوه ** يكذبه ما بين أظهركم جهرا

وعهدى بكم للدين أسدا فما الذى ** لكم قد جرى حتى تهيبتم الهرا

ألا غيرة كالشام أشكركم بها ** فلست أؤدى ما حييت لهم شكرا

أتاها وقد عم الورى نار فتنة ** على ملة الاسلام قد زفرت زفرا

طرابلس من غيظها بعثت له ** كما أظهر الضرغام من غيظه البشرا

وقد برقت كالسيف أرجاؤها له ** فجاءته بعد البرق صاعقة كبرى

وساق له الفاروق من نسل بنته ** مقدم قوم كاد يسكنه القبرا [٢]

على رأسه انصبت عصاه كأنها ** قناة له شقت واجرت به نهرا

عليه سطا كالليث شتت جمعه ** ففروا جميعا عنه اذ سمعوا الزأرا

وأدماه منه فتكة عربية ** أراد بها ذاك الهزبر له زجرا

اراد بها ارغامه لا حمامه ** كما أرغم الليث الغضنفر سنورا

أراد بها تحذيره من ضلاله ** فكانت له من عظم شقوته اغرى [٣]

---

(١) الديوان ص ٣٧٨ الهامش .

(٢) الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن نسله ابن المقدم من أعيان طرابلس الشام وهو سبط الولى الشهير العارف بالله شيخنا الشيخ على العمرى رحمه الله وقد نسيت الان اسمه جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

(٣) الديوان ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

ويستمر الشيخ النبهانى فى وصف مالاقاه رشيد رضا من طرد فى حمص وتوعدته حماة اذا قدم اليها فتوجه الى بلده قلمون ثم عاد الى مصر ويذكر المناقشة التى دارت بينه وبين رشيد رضا حول اعتقاد الأخير بأن محمد عبده كالامام الغزالى مع تصديقه على كلام النبهانى بترك الشيخ محمد عبده للصلاة فى بعض الأوقات وكأنه لم يحج الى بيت الله الحرام وأنه دخل الماسونية التى لا تعترف بالاديان وأقره رشيد رضا على كل ذلك وأخيرا يدعو النبهانى رشيد رضا وجماعته الى حكم الله تعالى حيث يقول :

رضينا بحكم الله فينا وفيكم ** وحكم رسول الله والشرعة الغرا

تعالوا نباهلكم فتلعن من غدا ** بناويكم أولى بلعنته أخرى

فيا ربنا العن شرنا وأضرنا ** بتحكيمه فى الدين مع جهله الفكرا

وخص رشيدا ذا المنار وشيخه ** وشيخهما ان شئت بالحصص الكبرى

ثلاث أثاف تحتها نار فتنة ** ومن فوقها الالحاد صار لها قدرا[1]

وقد دخلوا حزب الصون بهمة ** بها حل كل من محافله الصدرا

ومذهبهم حكم الديانات واحد ** تساوى به الاسلام والملل الأخرى

مضى اثنان للأخرى بأسوا عبرة ** ومقلة ابليس لموتهما عبرى

وثالثهم مازال مع شر عصبة ** على ملة الاسلام آفاتهم تترى

فمن مات منهم مات أقبح ميتة ** فلا رحم الرحمن سحنته الغبرا

ومن عاش منهم عاش نحو جهنم ** يحث على آثار أشياخه السيرا

فيا رب أصلحهم وان لم ترد لهم ** صلاحا فلا تنجح الهى لهم أمرا[2]

نلاحظ فى هجائه لرشيد رضا أنه ينتزع معالم الصور التى انتزعها فى هجاء محمد عبده وجمال الدين الافغانى وذلك لتشابه احوالهم وأنهم على خط مبدئى واحد .

---

(١) الاثافى جمع اثفية بتشديد الياء وقد تخفف الياء فى الجمع وهى الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها .

(٢) الديوان ص ٣٨٢ ـ ٣٨٥ .

هجاء الوهابية ومحمود شكرى الألوسى :

كذلك كان نزاعه مع الوهابية لاسباب دينية لانهم يحرمون زيارة القبور والتوسل بالانبياء والاولياء وقد افتتح قصيدته بقوله :

واعجب شىء مسلم فى حسابه ** غدا قلبه من حب خير الورى صفرا
أولئك وهابية ضل سعيهم ** فظنوا الردى خيرا وظنوا الهدى شرا
ضعاف النهى أعراب نجد جدودهم ** وقد أورثوهم غيهم الزور والوزرا
مسيلمه الجد الكبير وعرسه ** سجاح لكل منهم الجدة الكبرى(١)

وهكذا ينتزع النبهانى صور هجائه من الخصم سواء كان عن طريق دراسة أصوله التاريخية كما نلاحظ فى ربطه قصة مسيلمة الكذاب وظهور باطله بادعاء ربطها بالدعوة الوهابية التى ظهرت فى نجد ويقول أيضا :

فقد ورثوا الكذاب اذ كان يدعى ** بأن له شطرا وللمصطفى شطرا
أشار رسول الله للشرق ذمة ** وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا
به يطلع الشيطان ينطح قرنه ** رءوس الهدى والله يكسره كسرا(٢)

---

(١) الديوان ص ٣٨٥ .

(٢) الديوان ص ٣٨٦ .

هجاء محمود شكرى الألوسى :

كتب الشيخ يوسف النبهانى كتابه " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم " وكان موضوعه يدور حول اثبات مشروعية زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به عن طريق النقل والعقل وقد تعرض فيه لابن تيمية وقوله فى الجهة وأورد الردود عليه وانتصر للامام تقى الدين السبكى على ابن تيمية ، فألف محمود شكرى الألوسى كتاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " واستعمل فيه كثيرا من الألفاظ الجارحة وأيد الامام ابن تيمية ويبدو أن حالة العصر الثقافية كانت بجانب دعوة النبهانى ، ولذلك لم يستطيع الألوسى أن ينشر كتابه الا بتوقيع مستعار وهو " أبو المعالى السلامى " ولكن الأمر لم يخف على ذوى الشأن وعرف مؤلفه الحقيقى .

يقول الشيخ يوسف فى هامش الديوان ص ٣٨٨ معقبا على قوله :

كشكرى الألوسى تابعا اثر جده ** وأعمامه لكنهم آثروا السترا

شكرى الألوسى هو شكرى أفندى ابن عبد الله أفندى ابن محمود أفندى الألوسى البغدادى صاحب التفسير الشهير ، وحفيده هذا شكرى هو مؤلف كتاب " غاية الأمانى " فى الرد على النبهانى رد به على كتابى " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم وحيث انه جديد فى مذهب الوهابية وانما ورثه عن أبيه وجده فقط أراد بهذا الكتاب أن يثبت عندهم أنه أرسخ منهم فى مذهبهم ولذلك بالغ فى ذم أئمة المسلمين من العلماء والأولياء والعارفين وانما أخفى حاله ولم يصرح باسمه فى ظهر الكتاب بل قال : انه تأليف أبى المعالى السلامى لان دولة بعض من يخشى بأسهم كانت قائمة فلم يتجاسر على اظهار نفسه ولكن المطبعة التى طبعته فى مصر والجماعة الذين طبعوه على نفقتهم من النجديين ومن أشدهم بغضا للاسلام والمسلمين أعنى : عبد القادر التلمسانى ترجمان قنصل الانجليز فى جده كلهم مقرون ومفتخرون بأن مؤلف هذا الكتاب هو شكرى أفندى الألوسى ليعلموا الناس أن من عائلات أهل السنة والجماعة الشريفة فى بغداد من دخلوا فى مذهبهم فالحمد لله على العافية .

يقول النبهانى من قصيدته :

الى أن رمى مجنونهم برجيعـــــه ** على الناس فى تأليفه ذلك السفـــرا

ويقول معلقا على هذا البيت :

" مجنونهم شكرى أفندى ذا فان أخاه عرفا أفندى ـ وهو من خيار هـــذه العائلة الشريفة وما زال من أهل السنة والجماعة كأجداده الأقدمين ـ زارنى فى العام الماضى فى القسطنطينية بعد طبع ذلك الكتاب الخبيث واعتذر لى عن مؤلفه أخيه شكرى أفندى بأنه مجنون فصدقته لأن كتابه هذا لا يصدر من عاقل ولو كان كافرا ولأنى أسمع ممن يعرفونه أن فى عقله ودينه اختلالا بسببه تحصل منه هـذه الجراءة على الطعن فى الدين وأئمة المسلمين حتى أخبرنى العالم الفاضل الشيـخ أمين أفندى سويد الدمشقى بأنه سمعه فى بغداد يطعن فى الامام الشافعـــى فخاصمه على ذلك وسمعت من أهالى بغداد أنه غير متدين بدين مستقيم . أما قومه فقد اجتمعت بجماعة منهم كعمة المرحوم عبد الباقى أفندى وعلى أفندى ابن عمه نعمان أفندى واخوته مصطفى أفندى وعارف أفندى ورشدى أفندى فما سمعـت ولا رأيت على أحد منهم شائبة فى دينه وكلهم من خيار المسلمين نفعنا اللــه بهم اجمعين وبأسلافهم الطيبين الطاهرين "(١) .

ويقول الشيخ النبهانى فى هجائـــه :

وما وصلت أرجاسه غيــر قومـــه ** به وهم أرجاسه حصـرت حصـــرا

ومهما أبانوا عذرهم بجنونـــــه ** نصدقهم فيه ولا نقبـل العـــذرا

فكان عليهم قيـده بسلاســـل ** وأن يحجروه عن فظائعه حجـــرا

فمن أطلق الكلب العقور فانـــه ** هو المخطىء الجانى الذى فعل العقرا

---

(١) الديوان هامش ص ٣٨٩ .

أتى بكتاب الشتم لا العلم داعيـــا ** الى لعنة بين الورى كل من يقـــرا

عدو رسول اللــه أرضـى عداتـــه ** ومنى ومن أحبابه أوغــر الصـــدرا

ومن حمقه أو كفره قــال انـــه ** الهى وقد أكثرت فى مدحــه الشعـرا

يقول الشيخ النبهانى موضحا هذا البيت " قال فى كتابه المذكور عنـــى انى اعتقد ألوهيته صلى الله عليه وسلم وذلك لقصور فهمه عن ادراك منزلة النبـــى صلى الله عليه وسلم واستعظامه المعانى التى مدحته بها عليه الصلاة والســـلام وأنا أعلم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم مع كونه أشد الخلق وأعظمهم عبودية لله عز وجل لا يمكن للخلائق أجمعين أن يقفوا على كنــه حقيقتــه المحمدية وعلو منزلته عنـــد الحضرة الالهية صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فمن يعتقد ألوهيته صلى الله عليـــه وسلم يكفر بذلك فهو اذا كان يعتقد فى كذلك يكون كافرا بتكفير المسلم فلا جزاه الله عن نفسه وعنى خيرا فقد شغلنى بما لا حاجة بى للاشتغال به ولو اشتغـــل هذا الخبيث بدفع مضرات الأمير كان ونحوهم من الكفرة الهاجمين على تضليـــل أولاد المسلمين لكان خيرا له من أن يشغل نفسه ويشغلنى به بل هو يوالـــــى أولئك الكافرين ويؤلف لهم التآليف ويأخذ منهم الجوائز ولا يبعد عن لؤمـــه واستعماله الدين للدنيا أن يكون أخذ مقدارا وافرا من كتاب " غاية الامانـــى " أجرة على تضليله الناس " (١) .

ومع شحنه من نظم كــل مجــازف ** بشعر اذا حققته تلقــه بعـــرا

فمن مدح خير الخلق ما راح منشئـــا ** ولا منشدا بيتا ولا منشدا شطـــرا

باقراره كم صغت فيــه قصيـــدة ** ونوعت فى امداحه النظـم والنثـــرا

والفت فى فضل استغاثتنـــا بـــه ** أجل كتاب لم يدع للسوى عـــذرا

شواهد حق أطلعت فــى سطورهـــا ** بدور علوم كل سطر حوى بـــدرا

فكانت لارواح المحبيــن جنـــة ** وكانت على أعداء خير الورى جمــرا

---

(١) الديوان ص ٣٩٠ الهامش .

فلو خصنى بالشتم مع عظم جرمه ** لما لمته لكنه عم الشرا

فذم هداة الدين من كل مذهب ** وأعطى لكل من سفاهته قدرا

وهلا غدا هدفا لذنب يزعمه ** لخدمتنا روح الوجود أبا الزهرا

فلو كان من نسل المجوس غدرته ** وقلت امرؤ يبغى لاجداده ثأرا

ولكن تراه يدعى خير نسبة ** وأم الفتى منه بنسبته أدرى

فمن ذا رأى فى الناس شخصا مواليا ** لقوم يرون الحب فى جده كفرا

ومن ذا رأى فى الناس شخصا معاديا ** فتى بمعالى جده أنفق العمرا

اذن نحن فى شك من النسب الذى ** يقول وفيه الشك نحصره حصرا

كتاب عليه اللعن من كل سامع ** وصاحبه أيضا غدا ما طرا مطرا

ولكنه عشواء تخبط خبطها ** بليل من الأهواء قد فقد البدرا

وأعقل منه الكلب يستر رجسه ** وهذا رأى فى نشر أرجاسه فخرا

كتابى لخير الخلق قد جاء ناصرا ** وهذا لأعداء النبى أتى نصرا

فذلك من أعلى وأعلى مناقبى ** وذا له أقوى مثالبه الكبرى

وذلك فخرى فى الحياة وبعدها ** وهذا له خزى بدنياه والأخرى

وقرظ قولى عندما تم طبعه ** مشايخ اسلام الشريعة فى مصرا

وقرظ سفر السوء بالزور أهله ** ومن كان عن سبل الشريعة مزورا

يذم خيار المسلمين وينتقى ** لاشرارهم أمثاله الحمد والشكرا

فمثل الرفاعى القطب يختار ذمه ** وشيخ منار السوء يمنحه شكرا

يقول النبهانى معقبا على هذا البيت والذى قبله " هو رشيد رضا القلمونى ـ لا رضى الله عنه ولا عن كل من كان على شاكلته من أعداء الدين ـ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون **صنعا** .

وقد ذكر شكرى أفندى كثيرا من أشرارهم — وكلهم أشرار — فى كتابه هذا وأثنى عليهم الثناء الجميل وذكر كثيرا من أئمة المسلمين كالقطب الرفاعى وذريته والسبكى وابنه التاج وابن حجر الهيثمى والجلال السيوطى والامام اليافعى ونجم الدين الكبرى والشيخ البكرى وذريته والشيخ عبد القادر الجيلانى وغير هؤلاء ممن لم يخطر فى بالى الان من أئمة الهدى وأكابر الأولياء رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم

شتمهم بأقذع الشتم ووصفهم بأقبح الأوصاف مما يستحى النصارى واليهود أن يصفوا أدنياء المسلمين فضلا عن أكابرهم بشىء منها ، وذلك فضلا عن ثنائه الثناء الجميل على ابن تيمية فاذا جمعت جميع ما ذكر ودققت فيه النظر تتحقق صحة شهرته بالجنون لأن مجموع ذلك لا يصدر من عاقل وان كان كافرا ومع ذلك نؤكد انهم ان صحت نسبته الطاهرة يسامحونه كلهم فى الآخرة .

ويقول الشيخ النبهانى أيضا :

خبائث أرواح تحن لبعضها ** فسحقا لهم سحقا وخسرا لهم خسرا

يقول الشيخ النبهانى معقبا (.... ومن حنو هذه الأرواح الخبيثة لبعضها ثناء شكرى أفندى الجميل عليهم وثناء شيخ المنار فى مناره على شكرى أفندى وعلى كتابه المذكور الذى ذكره مرارا فى مناره ورغب الناس فى اقتنائه لطعنه فى أعدائه الأولياء الكرام وأئمة الاسلام ولقد بالغ فى ذمى فسرنى ذلك لأنى أحب انتشار عداوتنا الدينية ليحذرهم المسلمون وكل مسلم عاقل يرجح ذمه فى مناره على مدحه لانه يدل على سلامة دينه) (١) .

ويقول النبهانى أيضا :

هم الكل أعداء النبى فبعضهم ** عداوته كبرى وبعضهم صغرى

وخصوا محبيه بنسبة حبهم ** فأعطوا لكل من عداوتهم قدرا

وقد جعلوا لى حصة من كبارها ** لما علموا من حبه حصتى الكبرى

فيا رب زدنى فيه حبا وزده بى ** وفى طيبة اختم لى على دينه العمرا (٢)

---

(١) الديوان ص ٢٩٤ الهامش .

(٢) الديوان ص ٣٨٨ — ٣٩٥ .

ملاحظات عامة على هجاء النبهانى :

!؟

لم أجد فى شعر النبهانى غير هذه القصائد فى الهجاء وهى فى الحقيقة أقرب الى الردود الدينية منها الى الهجاء لانه لم يقصد منه هجاء الخصم بل توضيح فكرة الدينى ، والشيخ النبهانى لم يثبت فى ديوانه من شعره غير ما هو فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أو ذو الطابع الدينى منه فقط ، فوجود هذه القصائد فى ديوانه يدل على أنها من الأغراض الدينية وللدفاع عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ينكر خصومه جواز الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم أو التوسل اليه ، ولم يهج أحدا لأغراض دنيوية [1] بل لم تكن الدنيا سببا لخصومته مع أحد . والذى يقرأ هجاءه فى رائيته الصغرى يجد عدة ملاحظات .

الأولى : أن النبهانى يستمد صور الهجاء من شخصية المهجو فقط دون أن يذكر أجداده أو عرضه بسوء كما هو المعهود فى قصائد الهجاء ففى هجائه لجمال الدين الأفغانى يصنع من كلمة " جمال الدين " صورة هجائية حيث يقول :

" تسمى جمال الدين مع قبح فعله ** كما وضعوا لفظ المفازة للصحرا "

وفى هجائه لمحمد عبده يصنع من كلمة "عبده " صورة هجائية حيث يقول :

على قلبه ساد الهوى فهو عبده ** وقد سكن الشيطان من رأسه وكرا

وفى هجائه لرشيد رضا اتخذ من لحيته المهجو صورة هجائية وصورة أخرى من لون بشرته الحمراء حيث يقول :

أتانى ببيروت بشرخ شبابه ** بمقلته السودا ووجنته الحمرا

له لحية مقصوصة من جذورها ** تترجم عنه أن فى نفسه أمرا

---

(١) راجع اعلام الادب والفن الاستاذ أدهم الجندى جـ ٢ ص ٣٤٢ .

وفى هجاء الأفغانى يقـــول :

نقد كان تنورا لطوفـان غيهـــــم ** ولكن محل الماء فار لهم جمـــــرا

فقد جعل من الأفغانى طوفان الضلال على حد تعبيره كالتنور الذى حصل منه طوفان نوح عليه السلام ، أما طوفان الأفغانى فقد كان جمرا ونارا ، وطوفان التنور كان ماء . وهو يصف جماعة الأفغانى بالفساد مقابلة مع دعوتهم للاصـــلاح وفى هجائه لمحمد عبده يتخذ من لدن بشرته السمراء صورة لهجائه أيضا حيـــث يقـــول :

لهم شيخ سوء من بنى القبط أصلــه ** بسحنته الشوهاء نمبته تقــــــرا

المـلاحظة الثانيـــة :

انه يدعم رأيه بالحجة والأدلة الشرعية وكأنه يعطى لنفسه مسوغا شرعيـــــا لهجائه يتفق مع شخصيته الدينية الملتزمة فجماعة الأفغانى التى تنادى باصـــلاح الاسلام وسموا أنفسهم المصلحين . هجمهم النبهانى من واقع دينى يتضح فـى قوله تعالى " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا : انما نحن مصلحـون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون[1] ، ويفسر النبهانى هذه الآيـــة ويورد الأدلة على أنهم هم المقصودون بها ، ولذلك يرى مقاومتهم وهجاءهـم واجبا عليه وذلك حيث يقـــول :

وقد جاء فى القرآن ذكـر فسادهـم ** وزعمهم الاصلاح فى السورة الزهـرا
وفى دره المنثور سلمان قائـــــل ** هم بعد لم يأتوا فخسرا لهم خسرا
وها هم أتونا مثل ما قال ربنـــــا ** بأوصافهم فأعجب لها آية كبــرى
خوارج لكن شيخهم غيـر نافـــع ** ولكنه قد كان أزرق مغبـــــرا

---

(١) البقرة آية ١٢ ــ ١٣

يقول النبهانى موضحا هذا البيت خوارج ـ أى : مثل الخوارج الذين خرجوا على سيدنا على وغيره من أئمة الاسلام السابقين غير أن أولئك الخوارج كان من رؤسائهم نافع بن الازرق وهؤلاء شيخهم فيو نافع نفى نافع تورية وكذلك فى أزرق ، والمراد بالازرق شديد السمرة مع الغبرة ، وهكذا كان لون جمال الدين الافغانى ومحمد عبده المصرى -- يصلح أن يطلق على كل واحد منهم الأسود السالخ وهو اسم الحية [1] .

وكذلك يستند النبهانى على الحديث فى هجومه اذ يعدهم خوارج فيقول فى قصيدته :

وقد جاء فى الأخبار وصف مروقهم ** من الدين مثل السهم للجهة الأخرى

يقول النبهانى موضحا هذا البيت بعد أن أورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم " يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية " وهؤلاء خوارج هذا الزمان فانهم خرجوا على أئمة الاسلام أصحاب المذاهب الأربعة وخالفوهم فى الأحكام كما أن أولئك خرجوا أيضا على أمراء المؤمنين وخالفوا أئمة الدين وهؤلاء لم يكتفوا حتى دعوا ـ باسم الاجتهاد ـ صبيان المدارس لرفض المذاهب الأربعة والاستهانة بأئمة الدين وعلماء المسلمين أحياء وأمواتا ، فصار التلميذ يخرج من المدرسة وهو يبغض أئمة الاسلام وما ينسب اليهم من الأحكام [2] .

كما أن الشيخ النبهانى كان يتخذ من الحديث الشريف الذى يقول " لتتبعن سنن من قبلكم ..... الخ " شاهدا لاثبات وجه الشبه بين جماعة الأفغانى والبروتستانت اذ كلاهما دعا الى اصلاح دينه ، ويقول النبهانى :

بفضل البروستنت اقتدوا باجتهادهم ** لقول رسول الله : " لو دخلوا جحرا "

فهو لذلك يعد شذوذهم وخروجهم صحيحا ومطابقا لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم -- يقول النبهانى :

---

(١) الديوان ص ٣٥٧ الهامش .

(٢) الديوان ص ٣٥٧ الهامش .

فلله در المصطفى سيد الورى ** فقد طابقت أخباره كلها الخبرا

كما أنه يتخذ من تقصيرهم فى الفرائض ـ على حد تعبيره ـ وسيلة لهجائهم حيث يقول :

وأخبرنى من لا أشك بصدقه ** بأن قد رأى من بال منهم بلا استبرا
ولازمه حتى أتى بعد مسجدا ** فصلى ولم يحدث من الحدث الطهرا
وآخر منهم قد أقام صلاته ** بدون اغتسال مع جنابته الكبرى

وهو أيضا يأخذ على محمد عبده معاشرته لنساء النصارى ويتهمه بشرب الخمر وأكل المنخنقة وتحليل لبس البرانيط والربا ، وعدم الحج الى بيت الله الحرام وعدم المواظبة على الصلاة ويذكر اجتماعه به فى لبنان وعدم قيامه للصلاة بلا عذر شرعى .. يقول النبهانى :

يعاشر نسوان النصارى ولا يرى ** بذلك من بأس وان كشف السترا
ويأكل معهم كل ما يأكلونه ** ويشربها حمراء ان شاء أو صفرا
ويفتى بحل المسكرات جميعها ** اذا هى بالأسماء خالفت الخمرا
ويأكل مخنوقا ويفتى بحله ** لئلا يقولوا انه ارتكب الوزرا
وتحليله لبس البرانيط والربا ** به بعض أهل العلم قد ألحق الكفرا

ويقول أيضا :

وقد كنت فى لبنان يوما صحبته ** لقرب غروب الشمس من ضحوة كبرى
وصليت فرض الظهر والعصر بعده ** لديه وما صلى هو الظهر والعصرا
وكان صحيح الجسم لا عذر عنده ** بلى ان ضعف الدين كان له عذرا

يقول الشيخ النبهانى موضحا " قد دعانى رجل من أهل جبل لبنان سنة خمس وثلاثمائة والف من الهجرة الى بيته فتوجهت معه فوجدت هناك الشيخ محمد عبده فتصاحبنا من الصباح الى المساء لم أفارقه نهارا كاملا فصليت الظهر والعصر وهو لم يصل ظهرا ولا عصرا ولم يكن به علة ولا عذر له الا خوفه من أنه اذا صلى بحضورى يقول أولئك الحاضرون الذين كان لا يصلى أمامهم انه مراء فى هذه الصلاة لأجلى

فغلب عليه شيطانه وأصر على عدم الصلاة والا فقد بلغنى عنه أنه كان يصلى تارة ويترك تارة والترك أكثر [1] .

ويخبر أحد الناس الشيخ النبهانى بأنه رأى الشيخ محمد عبده فى النوم أعور فيفسرها النبهانى على أن محمد عبده كان دجالا فى حياته حيث يقول :

حكى حسن الأسطوانى وهو من ** بدور الهدى فى الشام اكرم به بدرا
حكى أنه من بعد ما مات عبده ** رأى عينه فى النوم مطموسة عورا
فأولت أن الشيخ دجال عصره ** ومازال دجالا وان سكن القبرا
فقد مات لكن أحيت الدجل كتبه ** وورث كلا من تلاميذه قدرا

يقول الشيخ النبهانى موضحا ذلك : " أخبرنى العالم العامل الصوفى الكامل الشيخ حسن أفندى الأسطوانى خطيب الجامع الأموى فى دمشق الشام وهو من المداومين على حج بيت الله الحرام وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم فى كل عام بأنه رأى فى منامه الشيخ محمد عبده بعد وفاته أعور العين ففسرت رؤياه بأن ذلك لكونه من أعظم الممهدين فى هذا العصر للأعور الدجال [2] .

هكذا يتبين لنا أن الشيخ النبهانى يلتمس أى سبب لادانة محمد عبده ومدرسته وفى هجائه للسيد رشيد رضا يتخذ من المظهر الدينى أساسا فى هجائه فهو يرى لحية الشيخ رشيد رضا قصيرة فيتخذها سببا للهجاء حيث يقول :

له لحية مقصوصة من جذورها ** تترجم عنه أن فى نفسه أمرا

وكذلك يذكر النبهانى أن رشيد رضا قد ضرب وطرد من جامع سيدنا الحسين فى مصر حيث يقول :

فكم ذا أراد النصب فى درس جامع ** فأولاه أرباب التقى الخفق والجرا

---

(١) الديوان ص ٣٧١ الهامش .
(٢) الديوان ص ٣٧٣ الهامش .

وكذلك فى خطبة رشيد رضا فى أحد كنائس مصر حيث يقول :

وكم قام يتلو فى الكنيسة خطبة ** بها ناب عن قس وعانقه جهرا

ويرى الشيخ النبهانى رشيد رضا فى المنام أسود اللون فيتخذ هذا أيضا وسيلة لهجائه يقول النبهانى :

ووالله انى فى المنام رأيته ** بدا حبشى اللون أسود مغبرا
رأيت سواد اللون قد عم وجهه ** وعهدى به من قبل أبيض محمرا
وأدركت فى رؤياى أن مناره ** عليه غدا نارا ونال به الخسرا
فذاك الذى من أجله أسود وجهه ** فأصبح فحما كان من قبله جمرا

يقول النبهانى معقبا : " قد رأيت فى منامى منذ سنوات الشيخ رشيد رضا هذا وهو أسود اللون بلون الحبشى وعرفت وأنا فى المنام أن هذا من الغضب الالهى عليه وأنه حصل له بسبب جريدة المنار فنصحته فى المنام أن يتركها وقلت له تقدر أن تستفيد ما تستفيده منها من الدنيا بجريدة اخبارية تنشئها عوضا عنها فلم يرد علىّ جوابا فى المنام ثم استيقظت وجاء الى بيروت بعد سنوات فى رؤياى هذه فأخبرته بها فما أثرت فيه شيئا " .

وكذلك يرتكز النبهانى فى هجائه لرشيد رضا والمنار اليه حيث يقول :

ومنه حديث الشمس بعد غروبها ** فتسجد تحت العرش تستأذن السيرا
بآخر شهر الصوم فى عام سبعة ** وعشرين قد أبدى المنار له ذكرا
رواه الامامان البخارى ومسلم ** فصحته كالشمس قد طلعت ظهرا
وما شك فى صدق الحديث وانما ** رأى خبر المختار ما طابق الخبرا(١)
وصرح فيه أنه غير واقع ** وأن رسول الله لم يعرف الأمرا
فهل بعد ذا التكذيب يحتاج كفره ** لاثباته بين الورى حجة أخرى

وكذلك من المآخذ التى أخذها على رشيد رضا سماحه لأولاد المسلمين بالتعلم فى مدارس النصارى يقول النبهانى :

---

(١) الخبر بالضم العلم بالشىء

وفى جزء شعبان من العام نفسه ** ببيروت للاسلام قد جوز الكفرا
أباح لهم أن يعبدوا فى كنيسة ** عبادة أهليها بمدرسة كبرى

كما اتخذ من طرد رشيد رضا وضربه فى الشام وطرابلس ومصر طريقا لهجائه حيث يقول مهيبا بأهل مصر ان يطردوه من بلاد هم كأهل الشام حيث يقول :

ألا غيرة كالشام أشكركم بها ** فلست أؤدى ما حييت لهم شكرا
طرابلس من غيظها بصمت له ** كما أظهر الضرغام من غيظه البشرا

ويقول أيضا :

وجاء دمشق الشام من بعد يبتغى ** دراسة شوك قد توهمه بُسرا

الى أن يقول :

جزا الله أهل الشام خير جزائه ** وتاب على من تابعوا ذلك العيرا[1]
وجاء الى حمص فخاب وأرسلت ** اليه حماة ان أتو أيضها النذرا
فعاد الى مثواه فى قلمونه ** ومن خوفه كالضب قد لزم الجُحرا

كما اتخذ النبهانى من دخول جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده الماسونية ومن تركه للصلاة وعدم حجه الى بيت الله الحرام طريقا لهجاء رشيد رضا .

يقول الشيخ النبهانى :

ولكنكم مع تركه الحج مرة ** وحج لباريز ولندرة عشرا
ومع تركه فرض الصلاة ولم يكن ** يسر بذا بل كان يتركها جهرا
ومع كونه شيخ المسون مجاهرا ** بذلك لا يخفى أخوتهم سرا
ومع غير هذا من ضلالاته التى ** بها سار مثل السهم للجهة الأخرى
تقولون استاذ امام لديننا ** فما أكذب الدعوى وما أقبح الأمرا

وفى هجائه لمحمود شكرى الألوسى لم يجد الشيخ النبهانى سببا دينيا يهجوه به فأتخذ من كون أعامه وجده وهابية سببا لهجائه حيث يقول :

---

(١) العير الحمار .

ولم ينفرد شذاذ مذهب أحمـــد ** فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخـرى
كشكرى الألوسى تابعا اثر جـده ** وأعمامه لكنهم آثـروا الستـرا(١)

كما فاضل الشيخ النبهانى بين كتابه " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيـد الخلق صلى الله عليه وسلم " وبين كتاب محمود شكرى الألوسى " غاية الأمانـى فى الرد على النبهانى " بمن قرظ كل كتاب منهما حيث يقول النبهانى :

وقرظ قولى عدما تم طبعـه ** مشايخ اسلام الشريعة فى مصـرا
وقرظ سفر السوء بالـزور أهلـه ** ومن كان عن سبل الشريعة مـزورا(١)

فقد قرظ كتاب النبهانى من شيوخ الازهر الشيخ على محمد الببلاوى والشيـخ عبد الرحمن الشربينى ومفتى الديار المصرية الشيخ عبد القادر الرافعى والشيـخ بكرى محمد عاشور الصدفى مفتى الديار المصرية أيضا وغيرهم من العلماء وقرظ كتاب محمود شكرى الألوسى كل من أبى العباس البنجابى وعبد الودود بن محسن وعبد الله السلامى ومحمد الحجازى ، واحمد الفرجى ، وغيرهم(٢) . ولكن الشيخ النبهانـى لم يعترف بهذه الأسماء وعدها وهمية للترويج للكتاب ، حيث يقول " اما كتابـه فقد قرظه هيان بن بيان والحارث بن همام وان كان لا بد من وجود أشخاص لتلـك الأسماء المجهولة فهم من أعداء دين الاسلام(٣) .

كما استطاع الشيخ النبهانى أن ينتزع صورة هجائية للألوسى لكونه من الأشـراف حيث شكك النبهانى فى صحة نسبه واتهم أمه فيه لأنه عادى النبهانى لاكثاره من مـدح جده الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول النبهانى :

وهلا غدا لذنـب بزعمـه ** لخدمتنا روح الوجود أبا الزهـرا(٤)
فلو كان من نسل المجوس عذرتـه ** وقلت امرؤ يبغى لأجداده ثـأرا

---

(١) الديوان ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

(٢) راجع غاية الامانى فى الرد على النبهانى جـ ٢ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٦ .

(٣) الديوان ص ٣٩٤ الهامش .

(٤) روح الوجود من حيث ان كل شىء العرش بما حواه وكل ما خلق الله مخلوق من نوره صلى الله عليه وسلم فنوره سار فى جميع العوالم فهو بمنزلة الروح لها عليه الصـلاة والسلام .

ولكن نراه يدعى خيـر نسبــه ** وأم الفتى منـه بنسبتـه أدرى
فمن ذا رأى فى الناس شخصا مواليا ** لقوم يرون الحب فى جده كفـرا[١]
اذن نحن فى شك من النسب الـذى ** يقول وفيه الشك نحصره حصـرا[٢]

هكذا يستمد النبهانى معانى هجائه من مواقف الخصم الدينية التى وجدهـا تثير اهتمامه وهذا ما نفهمه من قولـه :

فلو كان من نسل المجوس غدرتـه ** وقلت امرؤ يمضى لأجداده ثـأرا

الملاحظة الثالثة :

ان الشيخ النبهانى كان يستمد هجائه من صور محسوسة واضحة تكاد تلمـس مما يجعل وقعها أكثر ايلاما لسرعة فهمها مثل قوله فى هجاء جمال الدين الأفغانى :

تسمى جمال الدين مع قبح فعلـه ** كما وضعوا لفظ المفازة للصحـرا

وقولـه :

لقد كان تنورا لطوفـان غيهـم ** ولكن محل الماء فار لهم جمـرا

وقولـه :

كثيران قصر أفسدت فيه جهدهـا ** ترى نفسها قد أصلحت ذلك القصرا

وقولـه :

فما قط شاهدنا حمارا مسابقـا ** جوادا وتيسا صارع الليث والنمـرا[٣]

---

(١) من مذهب الوهابية تكفير المستغيثين بالنبى صلى الله عليه وسلم لله تعالى فـى قضاء حاجاتهم ومثله فى ذلك غيره من الانبياء وهذا المراد بقولى يرون الحب أى الافراط فيه بزعمهم • الديوان ص ٣٩٢ الهامش •

(٢) الديـوان ص ٣٩٢ •

(٣) نبهنا فى هامش ص ٤١٣ ان هذا التعبير خطأ ، والصواب : " ولا تيسا " • ولكنها ضرورة الشعر فيما يظهر •

وقولـــه :

لقد اخطأوا أين الثريا من الثـــرى ** وما لبغاث الطير أن يشبه النســـرا

وقولـــه :

معادن سوء يتقى المرء شرهـــم ** يجاملهم جهرا ويلعنهم ســـرا
ذئاب على الاسلام صالوا وما اكتفـــوا ** بأنيابهم حتى به انشبوا الظفـــرا
مقاريض اعراض بألسنـــة لهـــم ** حداد بها قد أشبهوا الجرذ والفأرا
لهم أوجه كالصخر مثل قلوبهـــم ** ولكن بها ماء الحيا ما له مجـــرى
ففى كل وجه قد بدا من ظلامـــه ** دخان يرينا أن فى وجهه جمـــرا
مجاذيم من داء الضلالة كلهـــم ** فما أحد من دائه أبدا يبـــرا
تجارت بهم أهواؤهم كالذى جـــرى ** به كلب يحدى اذا نهش الغيـــرا
كأسنان مشط كلهم فى ضلالهـــم ** فلا أحد يبدى على أحد فخـــرا

وقوله فى هجاء محمد عبده :

فنون جنون الجاهليـــن كثيـــرة ** وأقبحها قرد يرى نفســه بـــدرا
لسان له كالثور لـــف نباتـــه ** ولكنه بالجهل قد غلب الثـــورا
فلم نـــر ثورا زاحم الأسد قبلـــه ** ولا حدأة من قبله زاحمت نســـرا

وقولـــه :

بها باض بيضا كان ابليس حاضنـــا ** له فسمت أفراخه تتبع الاثـــرا

وقولـــه :

به برزت حسناء فى شـــر منبـــت ** كما نبتت فى الدمنة البقلة الخضـــرا

وقولـــه :

فمن قال كالكلب العقـــور فصـــادق ** سوى أنه فى الدين قد فصل العقـــرا
به نالهم كالسامريـــة فتنـــة ** ولكن محل العجل قد عبدوا الثورا

وقوله فى هجاء رشيد رضا :

طرابلس من غيظهـا بسمت لـه ** كما أظهر الضرغام من غيظه البشـرا
وقد برقت كالسيف أرجاؤها لـه ** فجاءته بعد البرق صاعقة كبـرى
وأدماه منه فتكـة عربيـة ** أراد بها ذاك الهزبر له زجـرا
أراد بها ارغامه لاحامـه ** كما أرغم الليث الغضنفـر سنـورا
فلما علا فى السامعين جـؤاره ** وشاهد أسد الدين هاجت به قـرا

وقولـه :

فعاد الى مثواه فى قلمونـه ** ومن خوفه كالضب قد لزم الجحـرا

وقولـه :

ومن نحو علم جاءنى فنصحتـه ** كما تنصح الثعبان أو تنصح الفـأرا

وقولـه :

ثلاث أثاف تحتها نار فتنـة ** ومن فوقها الالحاد صار له قـدرا

لم تكن الصور المحسوسة وحدها هى التى استمد النبهانى منها هجاءه بـل هناك صور معنوية كثيرة مزجها بالتعاليم الدينية المخالفة لآراء خصومـه كقولـه فى هجاء جمال الدين الأفغانى :

وكم من قرون قد توالت ولـم تجـل ** بدعوى اجتهاد مطلق عالم فكـرا
فكيف ادعاه الجاهلون بعصرنـا ** فما أقبح الدعوى وما أفظع الأمـرا
وأولهم قد كان شيخـا مشـردا ** بدملك الأفغان أجرى الذى أجـرى
أراد فسادا فى ديانـة قومـه ** على قربه منه فأبعده قهـرا

لقد صنع لنا النبهانى صورة هجاء معنوية من الجهل للذين يدعون الاجتهـاد فى عصرنا مع عدم ادعائه طيلة قرون طويلة من علماء كبار ، ووضع صورة أخرى مـن التشرد والضياع للأفغانى الذى أراد افساد قومه بالاجتهاد فيه فطردوه .

أسر لهم محو المذاهب كلهـــا ** ليرجع هذا الدين في زعمه بكـــرا
فلم يلف منهم غير خل موافـــق ** سميع له قولا مطيع له أمـــرا

وقولـــه أيضـــا :

فساق على الاسلام منهم جحافلا ** يرى فرقة سارت فيتبعها أخـــرى
شياطين بين المسلمين تفرقـــوا ** باغوائهم كم أفسدوا جاهلا غمـــرا

فقد صور اقناع الأفغاني تلاميذه بمبدئه بالشياطين-الاجتهاد المطلـــق-
وهم طائعون له ، ثم انتشارهم في البلاد وانتشار دعاتهم الذين ينتشرون بين
المسلمين لاغوائهم .

والصور المعنوية كثيرة في هجاء النبهاني وهي مع دقتها وعمقها واضحة
ومفهومـــة .

ط-مدح نعال الرسول صلى الله عليه وسلم :

مدح الشيخ يوسف النبهاني نعال الرسول صلى الله عليه وسلم فقال :

على رأس هذا الكون نعـــل محمـــد ** علت فجميع الخلـــق تحت ظلالـــه
لدى الطور موسى نودي اخلع وأحمـــد ** على العرش لم يؤذن بخلع نعالـــه[1]

وقد عقب النبهاني على البيت الأخير فقال : ذكر بعض الصوفية أن النبـــي
صلى الله عليه وسلم علا على العرش بنعله ونقله عنه سيدي على الأجهوري فـــي
معراجه ولم يثبت ذلك عند غيرهم[2] .

وقال في مدح النعال أيضـــا :

اني خدمت مثال نعـــل المصطفى ** لأعيش في الدارين تحت ظلالهـــا
سعد ابن مسعود بخدمة نعلـــه ** وأنا السعيد بخدمتي لمثالهـــا[3]

---

(١) الديوان ص ١٣٧ .
(٢) المصدر السابق الهامش .
(٣) المصدر السابق .

وقد عقب الشيخ النبهانى على البيت الأول فقال " خدمت مثال نعله الشريف صلى الله عليه وسلم بأن صورته بالنحاس على أصح مثال من الأمثلة السبعة التى ذكرها العلامة المقرى فى " فتح المتعال فى وصف النعال " وطبعت عليه أربعين ألف نسخة ووزعتها مجانا ، وذلك بعد أن ذكرت معه فوائد كثيرة تتعلق به ، ثم انى اختصرت كتاب " فتح المتعال " وقد تيسر لى منه عدة نسخ كل واحدة فيها الزيادات على الأخرى تضمنت زوائد الجميع مع الفوائد الأصلية فى مختصر أنفع من أصله وذكرته بأجمعه فى كتاب جواهر البحار فى فضائل النبى المختار صلى الله عليه وسلم [١] .

وقال أيضا :

مثال حكى نعلا لأفضل مرسل ** تمنت مقام الترب منه الفراقد[٢]
ضرائرها السبع السماوات كلها ** غيارى وتيجان الملوك حواسد[٣]

وقال أيضا :

مثال لنعل المصطفى ماله مثل ** لروحى به راح لعينى به كحل
فأكرم به تمثال نعل كريمة ** لها كل رأس ودلو أنه رجل

وقال أيضا :

ولما رأيت الدهر قد حارب الورى ** جعلت لنفسى نعل سيدنا حصنا
تحصنت منه فى بديع مثالها ** بسور منيع نلت فى ظله الأمنا[٤]

---

(١) المصدر السابق . راجع جواهر البحار ج ٣ ص ٢٤٦ .

(٢) الفراقد والنجوم .

(٣) الديوان ص ١٣٧ .

(٤) المصدر السابق .

ى ـ مدح الشيخ محى الدين بن العربى :

ذكر الشيخ النبهانى هذه القصيدة فى ديوانه مع أنه قصره على المدائح النبوية اجلالا للشيخ محيى الدين بن العربى وبهذا ذكرت هذه القصيدة من ضمن الأغراض الدينيــــة .

والقصيدة بلغت واحدا وثلاثين بيتا . يقول الشيخ النبهانى :

يا نسيما سرى الى قاسيونا ** حى حبرا بسفحه مدفونا[1]

حى عنى بالصالحية بحرا ** ملأ الكون لؤلؤا مكنونا[2]

حى عنى شمسا هنالك صينت ** طبق الشام نورها والصينا

هى تحت الثرى بجلبق غابت ** وعلى نورها لعليينا

ذلك الحاتمى مولاى محيى الديـــن أكرم به اماما أمينا

فاز من فتح ربه بعلوم ** عرّفته الأكوان والتكوينا

رب قوم لم يعرفوه فعاشوا ** عن سنا فضله المنير عمينا[3]

مثل ناموسة تريد لضوء الشمس سترا عن أعين الناظرينا

كل فرد من كتبه خير كنز ** بين أهليه لا يزال مصونا

فى فتوحاته الفتوح فمنها ** كم ولى قد نال فتحا مبينا

غير أن الأبواب فيها انغلاق ** ومفاتيحها هم العارفونا

ان تكن عارفا فبادر اليها ** تلق فيها ما شئت دنيا ودينا

واذا جئتها بغير دليل ** عدت فى شر صفقة مغبونا

ألف فن فى كل سطر وزدها ** شئت عدا فلست تحصى الفنونا

هى ليست تأليف فكر ولكن ** واردات للمتقين حبينا

أحمد الله أن حبانى حبا ** واعتقادا بسادتى العارفينا

---

(١) قاسيون جبل فى دمشق الشام فى سفحه بلدة الصالحية وفيها قبر سيدنا محى الدين ابن العربى رضى الله عنه ، وقد تقدمت القصيدة ص ٤٤٩ .

(٢) المكنون المستور .

(٣) العمى أى ابن تيمية (ومقلديه) حيث طبع رشيد رضا كتاب "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان".

رضى الله والنبى وأهل الحق عنهم ومن بهم يقتدونا

فاقصدوهم ولو بشد رحال ** وارتحال يا أيها الزائرونا

واستغيثوا بهم الى الله وادعوا ** وادعوا الفاسقين والمارقينا

فهم خير معشر عرف الله ** فكانوا لخلقه مرشدينا (١)

تصدير كتبه بالشعر :

نهج الشيخ النبهانى على تصدير معظم مؤلفاته بشىء من شعره عن موضوع الكتاب . فقد صدر كتابه " سعادة الدارين " فقال :

كتاب " سعادة الدارين " سفر ** بديع هو بين الكتب مثلا (٢)

وجدناه كتابا مستطابا ** اتى لرشادنا أهلا وسهلا (٣)

أحاديث عن المختار تروى ** وآيات عن الرحمن تتلى

وأقوال الى العلماء تعزى ** بدت كعرائس بالحسن تجلى (٤)

حوى فضل الصلاة على نبى ** عليه الله فى القرآن صلى

وبين حكمها فرضا ونفلا ** وفصل نفعها نقلا وعقلا

به خير الأمانى والأمالى ** فوائد لن تعن ولن تملا

أرانا المصطفى منا قريبا ** وسهل للوصول اليه سبلا

هو الكنز المباح لمن أتاه ** عليه لم نضع رصدا وقفلا (٥)

---

(١) الديوان ص ٤١٩ ـ ٤٢١

(٢) السفر الكتاب الكبير

(٣) أهلا وسهلا أى ذو اهلية وسهولة وفيه تورية بكلمات الترحيب

(٤) تعزى تنسب

(٥) رصدة راقبه والرصد الحافظ الديوان ص ١٣١

وصدر كتابه "حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين" فقال :

كتاب تسمى " حجة الله " من وعى ** مسماه فهما يلفه طابق الاسما

أتى جامعا من معجزات محمد ** نبى الهدى خير الورى عددا جما

نجوم بأفق الدين كم ذا اهتدى بها ** بصيروكم أودى ولم يرها أعمى (١)

ومعجزة القرآن كالشمس أشرقت ** ودامت وسارت بعت العرب والعجما

هو الحجة الكبرى على كل جاحد ** نبوة خير الخلق والآية العظمى (٢)

وورب امرىء من نوره متضرر ** يرى الشرك والخفاش تعجبه الظلما

ووالله لولا الله قاض على الورى ** قضاء بعدل وافق القدر الحتما (٣)

لما اختار ذو عقل سوى دين أحمد ** ولكن قضاء الله فى خلقه تما (٤)

وصدر كتابه "جواهر البحار فى فضائل النبى المختار" فقال :

للمصطفى نصبت للمجد رايات ** من تحتها الخلق أحياء وأموات

روح الوجود مدد الخلق قاطبة ** لو زال لحظة عين منهم ماتوا

لا تعجبن لكفار به جهلوا ** أما بأرواحهم منهم جهالات

نور الورى فى جميع الكائنات سرى ** مصباحها وهى للمصباح مشكاة (٥)

---

(١) الافق ناحية السماء .

(٢) الاية المعجزة .

(٣) قال من لسان العرب القضاء الخلق والقدر التقدير وهما امران متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر لان أحدهما بمنزلة الاساس وهو القدر الاخر بمنزلة البناء وهو القضاء .

(٤) الديوان ص ١٣٠ .

(٥) المشكاة : كوة فيها المصابيح .

سقى جميع البرايا نور فطرتهم ** فنوعه لديها القابليات[1]

لا غرو أن صار نارا بالجحود نقد ** تغير الوصف فى الشىء استحالات

مثاله الماء أنواع النبات سقى ** الحلو منها ومنها الحنظليات

صفاته فى العلا ما مثلها صفة ** وذاته فى الورى ما مثلها ذات

له المعارج فى الدنيا لها خضعت ** كل المعالى وفى الأخرى الشفاعات[2]

ماذا أقول به من بعد ماوردت ** فى مدحه من كلام الله آيات

وكل أمداحنا مهما علت وغلت ** فانما هى اخبار صحيحات

نحكى به حالة من فضله ثبتت ** بقدر ما ساعدت منه العنايات

وخير أوصافه عبد الاله وان ** تمت لديه على الخلق السيادات[3]

وهكذا فعل مع الكتب الأخرى حتى ديوان " المقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية " حيث صدره بهذه الابيات :

ذا كتاب جمع الفضل وان ** كان كالنجم بعينيك صغيرا

من مزايا المصطفى شمس الهدى ** أفقه أطلع للناس بدورا

واذا حققتها تلقاه نسى ** واحد منها على الخلق أميرا

قل به ما شئت من مدح ولا ** تخف اللوم ولا تخش النكيرا

فجميع المدح من كل الورى ** لو أتى فى حقه كان قصورا[4]

---

(١) الفطرة الخلقة وفى الحديث كل مولود يولد على الفطرة قيل معناه الفطرة الاسلامية والدين الحق وانما أبواه يهودانه وينصرانه .

(٢) عرج يقظة بجسمه وروحه مرة وتكررت المعاريج بروحه الشريفة مناما صلى الله عليه وسلم .

(٣) الديوان ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٤) الديوان ص ١١ .

الأغراض الدينية لشعره :

قال الشيخ النبهانى الشعر لأغراض غير دينية وهذا أمر طبيعى لان الشاعر الذى يعيش فى مجتمعه لابد أن يعبر عما يحسه ويجده من مجتمعه فيكون شعره معيار تأثره بالمجتمع سلبا أو ايجابا • ولكن الشيخ النبهانى اهمل هذا الجانب فى شعره ولم يصلنا منه الا النزر القليل • ذلك انه تنسك فى الشطر الاكبر من حياته ووقف علمه وأدبه على الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يكتف بهذا بل عمل على طمس كل ماقاله سابقا فى غير الاغراض الدينية •

وقد حدثنى الاستاذ أمين النبهانى فى دمشق قال :

كان الشيخ عبد الهادى عبد الهادى راوية شعر الشيخ يوسف النبهانى يداعب الشيخ يوسف بأن يذكره ببعض ماقاله فى الغزل أو الطبيعة أو الخمرة فغضب الشيخ يوسف وقال " ياشيخ عبد الهادى أنا لا أسامح كل من يروى لى شعرا بغير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم "فقال الشيخ عبد الهادى لو لم يكن لك لاقولك فى الخمرة :

وان شئت فأشدخ رأسها بابن مزنة تريك دموعا مثل در القلائد

لكنت أشعر العرب •

لم أجد لهذه الظاهرة شبيها عند شاعر أو أديب آخر فهناك من الأدباء من ضن بكتبه على أهل زمانه الذين لم يقدروه فأحرقها كأبى حيان التوحيدى الذى يقول عنه الدكتور شوقى ضيف " ...... اذ كان يعانى غربة فى أهل زمانه ولم يجد من بينهم من يعرف فضله ويقدره حق قدره ... وقد بلغ من سخطه على الناس أن احرق كتبه فى أواخر حياته وكتب اليه بعض أصحابه يعذله على صنيعه. فأجابه برسالة ومن قوله فيها •

" انى فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا وتابعا أديبا ورئيسا منيبا فشق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضى اذا نظروا فيها ... وعيانى بهم فى الحياة هو مايحقق ظنى فيهم بعد الممات وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لى من أحد وداد ولا ظهر لى من انسان منهم حفاظ ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة فى أوقات كثيرة الى أكل الخضر فى الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة

والى بيع الدين والمروءه والى تعاطى الرياء والنفاق ، والى ما لا يحسن أن يرسم بالقلم ويطرح فى قلب صاحبه الالم [1] .

ولكن ابن حيان مع هذا يختلف مع النبهانى اذ أن النبهانى لم يتلف جميع موءلفاته وشعره بل اقتصر على شعره الذى قاله فى غير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لم يتلفه لأنه لم يجد رواجا بين الناس فى وقته فقد استطاع النبهانى ان يحصل على الرتب العالية فى الدولة بمدحه لبعض الشخصيات المرموقة كمدحه لابى الهدى الصيادى وأحمد عزت باشا العابد وقصيدته التى مدح بها أحمد عزت باشا العابد "عنوان التهانى ببلوغ الامانى" والتى طبعت منفصله وحدها على طبق من الورق كبير وقد زخرفت بجوانبها وما بين الشطرين بزخارف مشجرة جميلة يبدو لى أنها كانت تعلق فى البيوت كما تعلق الان صور الملوك والروءساء مما يصدق قول شكيب أرسلان فى النبهانى اذ يقول ((كان من روءس الادباء ومن الشعراء المفلقين وله القصائد الطنانة التى يحفظ الناس كثيرا منها وله يتأتم سائره فى الافاق [2] .

اذن لم يتلف النبهانى شعره لكساده كما فعل الآخرون بل انه قد اخلص التوجه لله ونذر نفسه لخدمة دينه ومدح حبيبه صلى الله عليه وسلم مما يدل على صدقه العاطفى وخلوص نيته لخدمة الاسلام والمسلمين وقد ذكرلنا النبهانى شيئا من حاله فى كتابه أسباب التأليف من العاجز الضعيف" فقال " اعلم أنه قد سبق منى قصائد مدحت بها بعض الاكابر من أهل العصر ولم أدونها لانى ان لم أكن آثما بها فلا أحسبها من أعمال البر وكان الحامل عليها الدنيا لا الدين فى استعطاف بعض أكابر المسلمين لقضاء حاجاتى ومساعدتى فى مهماتى ولم آخذ من أحدهم جائزة على شىء من ذلك ولست بحمد الله ممن يتخذون الشعر صنعه ويأخذ عليها الجوائز ..... فان قال قائل ان قصائدك التى ذكرت أنك مدحت بها بعض الاكابر ولم تلتزم فيها الصدق والحق سيئات لا حسنات فى صحيفة أعمالك مرقومة ومثالب لا منلقب فى جملة آثارك مرسومة قلت نعم لو كان القصد منها وصف الممدوحين بحقيقة تلك الاوصاف لكان الامر كما ذكرت ولكن الشعر صنعه من أدق الصنائع والماهر فيه يجتهد بقدر حذقه

---

(١) الترجمة الشخصية للدكتور شوقى ضيف ص ٣٧ـ٣٩

(٢) كتاب السيد رشيد رضا ص ٧٧ الهامش

فى بهرجة الفاظه والمبالغة فى معانيه بقدر استطاعته يجتهد فى تحسين صنعته ليظهر المهارة والحذق لا ليخبر بالحق والصدق ومثل هذا يعفى عنه ان شاء الله ومع ذلك أقر وأعترف بأنى لا ورع عندى يحجزنى عن المحارم والشبهات ولو كان لما نظمت تلك القصائد فانى لو تحريت فيها الصدق فيما أصف به الممدوحين لكانت من أبرد الشعر وأركه اذ الشعر صنعة لايحسنها الا الكذب والمبالغات فيه فقد قيل أعذبه أكذبه الا أن يكون فى مدح الانبياء والاولياء والصالحين ولاسيما اذا كان فى مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانه مهما بالغ الشعراء لايصلون الى مايجب له عليه الصلاة والسلام ..... ولخوفى من تبعة تلك القصائد لم اجمعها فى ديوان كعادة الشعراء ولم أذكر شيئا منها فى كتاب من هذه المؤلفات الدينية التى اعدها ان تقبلها الله بفضله من الاعمال الصالحات غير أنى أرجو أن تكون من المباحات لا من الحسنات من السيآت وهى لاتتجاوز خمس عشر قصيدة سوى المقاطيع وكلها أو جلها طبعت كل واحدة منها وحدها ولم يكن شىء منها فى مدح أحد من الكفرة ولم أهج أحدا من المسلمين ولا غير المسلمين الا أن يكون ذلك من القصائد النبوية فى ذم أعدائه صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت هذا البحث لئلا يسىء الظن بى من اطلع على شىء من تلك القصائد المطبوعة ومبالغاتى فيها بسببها من الاباطيل التى لاتقال والعثرات التى لاتقال فيقل اقباله على كتبى فيحرم خيرا كثيرا وأحرم انا الاجر الذى يترتب لى على انتفاعه بها[1] .

من هنا كان ديوانه لايساعدنا فى الكتابة عن أغراض شعره الغير الدينية . وقد وجدت منها بعض القصائد فى المكتبات الخاصة مثل مكتب الشيخ زهير الشاوش فى بيروت وجدت عنده قصيدة النبهانى التى مدح بها أحمد عزت باشا العابد (عنوان التهانى لبلوغ الامانى) .

وجدت قصيدتين بخط يد راوية شعره الشيخ عبد الهادى عبد الهادى فى مكتبة الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن السابق فى بيروت ووجدت قصيدة مخطوطة فى كراسة لدى الاستاذ يحيى النبهانى فى دمشق موضوعها الحنين

---

(١) اسباب التاليف من العاجز الضعيف ص ٣٩٠ـ٣٩٣

الى الوطن ووجدت له قصيدتين فى مدح الاستاذ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب فى " كنز الرغائب فى منتجات الجوائب " ووجدت قصيدة مخطوطة لدى الاستاذ خير الدين الزركلى (صاحب الاعلام) فى بيروت موجهة الى السلطان عبد العزيز يسترق عطايا ووجدت قصيدة مع بها شكيب ارسلان معارضا قصيدته التى قالها فى مدح النبهانى ذكرها شكيب ارسلان فى كتابه السيد رشيد رضــــا .

أما القصائد الخمسة عشرة التى ذكرها النبهانى فلم أحصل منها الا على القصيدة التى وجدتها فى مكتبة الشيخ زهير الشاويش وهى " عنوان التهانى ببلوغ الامانى " فمن اهم أغراض هذا اللون من شعره .

المدح : يعد المديح فى شعر النبهانى الغرض الرئيس . سواء فــى شعره الدينى او غير الدينــى ولا ينقص من قدر الشاعر ان يقول مديحا فى أحد العظماء لتمجيد أعماله .

يقول العقاد :

والذى نعتقده ان شعر المديح من أفضل المقاييس لقياس حال الامـــة والشاعر والادب فى وقت واحد فيخطئ من يظن أن الامم المترقية لاتمدح أو لا تقبل المدح فى الشعر اذ المديح جائز فى كل أمة ومن كل شاعر فلا ضير على أعظم الشعراء ان يصوغ القصيد فى مدح عظيم يعجب به ويؤمن بمناقبـــه ولا ضير على الادب ان يشتمل على باب المديح بين أبوابه الكثيرة التى يعرفها الغربيون أو الشرقيون وانما الخلاف على نوع المديح لافى موضوعه على اطلاقه فمديح الامم المتعلمة غير مديح الامم الجاهلة والشاعر الذى يملك امره يتبــع فى مدحه اسلوبا غير الذى يتبعه شاعر مغلوب على أمره ومكانة الاديب فــى الامة تظهر أتم الظهور فى أساليب الشعراء فى هاتين الحالتين فلن يقـال ان للأدب مكانا فى الامة والشاعر مضطر فيها الى اذلال عقله وتسخير كرامته فى مديح لاتسيغه العقول ولا يليق بالرجل الحر المريد لما يقول ولن يقال ان الامة متعلمة والمبالغات الشعرية تؤخذ بمبلغ الجد والوقار وهى أقـرب الى الهزل والهجاء المستور لم يقال ان الامة حرة تشعر بوجودها وأنــت تقرأ مدائح شعرائها فلا ترى فيها ذكرا لغير الرؤساء ولا ترى فى الصفات

التى يمدحون بها صفة ترجع الى الامة وتعتمد على تقديرها أو تستفاد من خدمتها والعمل بمصلحتها (١) •

مما تقدم من كلام العقاد نفهم ان المدح فى حد ذاته لاينقص من قيمة الشعر ولا الشاعر خصوصا اذا كان فى المدح تمجيداً لاعمال البطولة من رجال الامة اما المبالغات فقد اعتذر عنها النبهانى فى مدائحه لانها جميلات لاظهار الحذق فى صناعة الشعر لا للاخبار بالحق والصدق وهذه قضية ثابته لدى النقاد وقد قيل اعذب الشعر أكذبه • والشخصيات التى مدحها النبهانى فى شعره احتلت مراكز عاليه فى الدولة وهم من العرب لذلك كانوا محط آمال الامة العربية لدى الدولة العثمانية ولم يكن بالأمر الغريب أن يلتجئ النبهانى الى وجهاء عصره فيمدحهم بقصائده لا طمعا فيها لهم بل فى وظيفة تحقق طموحه وتيسر له العيش الشريف اولا ثم لحمايته من اعدائه الذين يخالفونه فى آرائه التى لم يحد عنها على الرغم من المؤامرات التى سعت لابعاده عن بيروت اولعزله من وظيفته كما كان يشكو كثيرا •

يقول صاحب كتاب (عصر رجال) : (فما من شاعر الا وكان له قوى يلوذ به ويجرى عليه الرزق ويحميه كان شوقى شاعر القصر وكان حافظ فى حماية محمد عبده ثم الوزير حشمت ثم بيت محمود باشا وأبنائه والاباظية ثم سعد والوفد فمن لم يجد من الشعراء من ينشر شعره ويروج له بقى خاملا وان كان شعره جيدا فنسيم ومحرم لم يذع شعرهما ذيوع شعر شوقى وحافظ لانه لم يكن لهما ما لشوقى من جاه وما كان عند حافظ من موهبه الحديث الممتع والفكاهة الخلابة وذرابة اللسان والميل الى المجتمعات مما فتح له أبواب البيوت الكبيرة وأكسبه عطف أصحابها وقد انعكس هذا كله على شعر هؤلاء فأنت تقع على قصائد لهم اقتضتها الظروف العابرة وميلهم الى تملق الاقوياء وترضى ذوى السلطان وتعجب كيف لم يلمهم الرأى العام عليها ويشتد فى اللوم وكيف بقى صوتهم مسموعا واسمهم دائما وشعرهم مقروءا فقد مدح حافظ الانجليز ومدح شوقى اعوان الانجليز وعملاءهم من امثال مصطفى فهمى واضرابه (٢)

اما الذين مدحهم الشيخ النبهانى فكلهم من بيوتات عربية عريقة وقد كانوا يمثلون النفوذ العربى فى السلطنة العثمانية وكانوا الناطقين باللسان العربى

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ص ١٨–١٩

(٢) عصر ورجال ص ١٨

لدى البلاط السلطاني بالاشادة للاعمال العظيمة التي خدموا بها دولتهم وأمتهم .

فالاستاذ احمد عزت باشا العابد ينتمي الى عشيرة عربية تسكن الخيام في بادية الشام بين دير الزور وتدمر وهي تنتسب الى قبيلة بكر بن وائل الحجازية القرشية وقد ولد عام ١٨٥٥ م وقرأ مبادئ العلوم على أشهر جهابذة عصره كالشيخ عبدالرحمن الاسنوي والشيخ احمد الشطي والشيخ احمد عابدين فأخذ عنهم الصرف والنحو والفقه الحنفي وأصول الحديث وقسما من الرياضيات وتعلم مبادئ اللغات التركية والانجليزية والفرنسية في مدرسة الآباء العزيريين وعلى اساتذة متخصصين في بيت أبيه ثم انتقل الى المدرسة البطريركية في بيروت فأتقن بها اللغة الفرنسية وأخذ العلوم العربية العالية على الشيخ ناصيف اليازجي كالمنطق والبديع والمعاني والبيان وكان والده هولويك من المتقدمين في وظائف الحكومة العثمانية حيث أحرز رتبه (بيلربك) وتوصل الى ان يكون متصرفا على بعض الالوية مع انه عربي الاصل وقد عهدت الحكومة الى احمد عزت بتحرير القسمين العربي والتركي من جريدة سورية الرسمية لبراعته في فنون الانشاء فنزعت به نفسه الى خدمة المعارف بطريق الصحافة وأصدر باسمه سنة ١٨٧٨ جريدة " دمشق " ودافع فيها عن الدولة والوطن وقد نشر على صفحاتها فصولا كثيرة اشار فيها الى مآثر العرب ومفاخرهم وعلومهم وفضائلهم لايبغي من ذلك كله ربحا ماديا الى ان كثرت أشغاله فترك الجريدة وفي سنة ١٨٧٦ تعين كاتبا لمجلس ادارة ولاية سورية وبعد ثلاثة أعوام صار رئيسا لمحكمة الحقوق ثم مسيطرا على جميع المحاكم في ولايات سورية وبيروت والقدس وأخذ يتدرج في القضاء وانتقل للعمل في عدة ولايات الى أن انتدبه السلطان عبدالحميد الثاني فجعله كاتبا وقرينا له وأحرز من المجد وعلو المنزلة مالم يحرزه أحد أبناء العرب المسلمين أو غيرهم قبل هذا العهد في دولة الاتراك منذ تأسيسها حتى طرأ الانقلاب العثماني في ثلاثة وعشرين تموز ١٩٠٨ .

آثاره العلمية :

سبق القول ان المترجم تعلم اللغات العربية والتركية والفرنسية والانجليزية وأحكم اصولها تكلما وكتابة وانصرف الى خدمة الدولة بطريق السياسة ونقل

من اللغة التركية الى اللغة العربية كتاب " حقوق الدول " لحسن فهمي باشا والمجلد الاول من تاريخ جودت باشا لاحتوائه على فلسفة التاريخ وترجم كتاب (الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية من اللسان العربي الى التركي وانشأ جريدة " دمشق " وحرر جريدة " سورية " في قسميها التركي والعربي مدة من الزمن وشيد في المدينة المنورة مدرسة لمائتين من الاطفال وأنشأ لها أوقافا تضمن بقاءها .

آثاره الوطنية :

طلب نظارة التلغراف (١٣٠) الف ليره عثمانية لتنشيء خطا برقيا بين فزان وطرابلس الغرب ولدى مراجعته استكثر هذا المبلغ فأخذ على عاتقه انشاء الخط المذكور مع خط آخر يمتد من بنغازي الى طرابلس الغرب بأقل من نصف المبلغ المشار اليه ثم أحدث بين " كلموش " من اعمال ولاية أزمير وبين بنغازي خطا برقيا بلا سلك فسهل للدولة العثمانية حرية المخابرة بينها وبين أملاكها في شمال افريقية ولم يكلف الخزينة أكثر من عشرة آلاف ليره وبهذا العمل أنقذها من استغلال شركة استرن التي كانت تضمن من الدولة في كل سنة ثمانين الف ليره ماعدا اجور المخابرات غير الرسمية ثم مد خطا تلغرافيا بين دمشق والمدينة المنورة ولم يكلف الدولة اكثر من خمسة آلاف ليره لانه تبرع بأكثر أعمدة الخط من أخشاب احراشه الخاصة واستعان بالبعض الاخر مما تبرع به أهل الخير في دمشق وفي ذلك الحين طلبت الشركة التلغرافية الهندسية رخصة بمد خط مستقل بين أوربة والشرق الاقصى للمخابرات التلغرافية مع حق السيطرة عليه فأبت أريحية صاحب الترجمة اجابة هذا الطلب وعهد على نفسه مد الخط المذكور على نفقة الخزينة تخلصا من السيطرة الاجنبية فأنجز العمل في اقل من شهر ولم يكلف الخزينة بأكثر من ستة الاف ليره مع أن نظارة التلغراف كانت قد قدرت احتياج هذا التلغراف بـ ١٣٠ الف ليرة وعند اتمامه مثل أقونور سفير بريطانية العظمى في القسطنطينية لدى السلطان عبد الحميد شاكرا ومستغربا قصر مدة العمل وقلة تكاليفه ولما كانت المدينة المنورة تأتيها المياه في مجرى تتخلله جراثيم الاوبئة القتالة أراد أن يضع حدا لهذا الخلل الذي طالما ذهب بأرواح الكثيرين من السكان والحجاج وأفتتح اكتتابا جمع فيه نحوا من خمسة الاف ليره وابتاع بها قساطل حديدية وآلات بخارية

رافعة وأنابيب على الطراز الصحي ثم ذهب بها لحصر مياه الينابيع في القساطل وجرها الى المدينة المنورة سالمة من الاقذار التي تلقى في مجاريها ليستقيها للناس ماء قراحا خاليا من تلك السموم وما كاد يشرع في العمل حتى اضطر أن يفارق الوطن فتوقف الشغل ولم تزل القساطل والالات البخارية وفروعها ملقاة في محطة حيفا وسائر السكة الحجازية •

ومن مآثره تولى رئاسة لجنة المهاجرين مدة لاتتجاوز ثمانية عشر شهرا – فأنشأ في خلالها نيفا وأربعين قرية وأسكن فيها نحوا من خمسين الف مهاجر أكثرهم من ولايتي سورية وحلب ثم شيد من ماله الخاص في المدينة المنورة مستشفى لخمسين مريضا ورباطا لخمسين أسرة ومدرسة لمائتين من الاطفال وجعل لهذه المباني اوقافا مسجلة في الاستانه وفي المحكمة الشرعية في القاهرة •

السكة الحديدية الحجازية :

كان المترجم منذ حداثة سنة يستعظم الاتعاب التي تلم بالمسلمين في ذهابهم الى الحج فأخذ يتتبع مافعلته حكومة روسية بانشاء السكة الحديدية لسيبرية وبعد أن أتم بحوثه عرض على السلطان وجوب انشاء السكة الحديدية الحجازية بأيدي العساكر ثم أوضح له الاخطار التي تتولد عن بقاء الحالة على ماهي عليه وما يلحق بالدولة من الاضرار السياسية والاقتصادية وأخذ على عاتقه القيام بهذا المشروع الخطير الذي لم يقم بالدولة العثمانية مشروع آخر يضاهيه أهمية ونفعا حتى الان •

فاستحسن السلطان رأى كاتبه وأذن له بمباشرة العمل بينما لم يكن في يده دانق واحد ولا آلة ولا مورد يستند اليه فافتتح احمد عزت باشا لوائح ... الاكتتاب مقترحا على الشعوب الاسلامية وملوكها وامرائها واغنيائها وعلمائها ان يشتركوا في المساعدة فلبي جميعهم ندائه فبلغ مجموع التبرعات ٣٫٥ ملايين جنيه فأنشأ خطا طوله ١٥٠٠ كم يمتد من حيفه الى دمشق والمدينة المنورة في مدة وجيزه أدهش الاختصاصيين وكان يؤمل ان يمد خطين من المدينة المنورة احدهما الى مكة وجده وصنعاء والآخر الى البصره وأن تكون تكاليف اتمامهما من ريع خط الحجاز ومن الرسوم الطفيفة التي أحدثتها السلطنة

لهذه الغاية ولكن ابت الظروف الا ان يضطر للخروج من وطنه فذهبت تلك الآمال ادراج الرياح ولما تم خط المدينة المنورة أدخل اليها النور الكهربائي ولم يكن له حينذاك أثر في المدينة العثمانية وقد عهد بانشائه الى ضباط الجيش البحري ولم يصرف في سبيله دانقا واحدا من خزينة السلطنه . وقد حاز أحمد عزت باشا على مختلف الاوسمة ومن أعلى الدرجات اثر كل عمل انجزه .

صفاتـــــه :

كان رجل اقدام لطيف المعاشرة حسن الاخلاق شديد الاكرام للضيف محبا لبني جنسه وعندما كان في أوج مجده لدى السلطان عبد الحميد الثاني نفع كثيرا من العرب من طلاب الوظائف وما رد احدا منهم خائبا بل سعى لكل من لجأ اليه في تعيينه بوظيفة او ترقيته الى منصب أعلى بحسب كفاءته ولياقتــه فاكتسب بذلك ثناء الخاص والعام وفاز بمحبة ابناء وطنه على اختلاف النحل والملل وتدفقت عليه مدائح الشعراء والبلغاء من داني البلاد وقاصيهـــا (1)

هذه شخصية أحمد عزت باشا العابد الذي مدحه الشيخ النبهاني وهي شخصية عربية استطاعت أن تأخذ مكانها في الدولة العثمانية فكانت دعامـــة من دعائم الوطنية والعروبة في الاستانه كما كان محجة العرب لقضاء مصالحهـــم في الدولة كما ان الاعمال المجيدة التي قام بها من خطوط البرق الى الخـــط الحديدي الحجازي خير شاهد على اخلاص الرجل لقومه وعروبته وكذلك آلاف الجنيهات التي وفرها على خزانة الدولة لمباشرته الاعمال بنفسه وتعهده اياها برعايته وكل هذا دليل صادق على صفاء عقيدته واخلاصه لدولة الخلافة بالاضافة الى عنايته الخاصة بالمدينة المنورة من ايصال الخط الحديدي اليها وجلــب المياه النقية وفتح المدارس والمستشفيات فيها كل هذا يدل على قوة ايمـــان الرجل وصحة اسلامه .

فالنبهاني بمدحه للاستاذ العابد انما يعبر عن لسان الامة العربيــة بتمجيد أبنائها الاوفياء الذين وصلوا اعلى الدرجات في الدولة ولم ينســوا ابناء قومهم وأمتهم بالاضافة الى ان العابد كان يتمتع بروح اسلامية عربيـــة جعلته موطن الاحترام والتقديس لدى الشيخ النبهاني .

---

(1) تاريخ الصحافة العربية ص ٢١٨ - ٢٢١ ج ١ ولعل الشيخ النبهانـــي كان من جملة هؤلاء المهنئين .

أما القصيدة التي أشرنا اليها فهي بين يدي القارئ الكريم كما صورناها ومكانها هنا

مدح السلطان عبد الحميد :

لقد كان الشعراء يتبارون في تهنئة السلطان عبد الحميد في مختلف المناسبات من عيد ميلاد الى عيد الجلوس وعيد الاضحى وعيد الفطر وغيرها ومن يتصفح الصحف الصادرة في البلاد العثمانية يجد كثيرا من القصائد التي تستحق ان تكون موضوعا لدراسة وافية مستقلة ٠

وقد تصفحت صحيفة ثمرات الفنون التي كان الشيخ عبد القادر القباني يصدرها في بيروت وصحيفة الجوائب التي كان الاستاذ احمد فارس الشدياق يصدرها في الاستانه فوجدت القصائد الكثيرة بتهنئة السلطان في مختلف المناسبات للعديد من الشعراء وعلى رأسهم الشيخ ابراهيم الاحدب والشيخ يوسف الاسير وكلاهما مزامن للشيخ النبهاني ولكني لم أجد للشيخ النبهاني أي قصيدة ولما سألت الاستاذ خير الدين الزركلي عن السبب قال كان هناك سوء حال بين الشيخ عبد القادر القباني والنبهاني ٠ ولكن هذا غير مقنع لان النبهاني نشر فيها اعلانا عن جمعه لقصائد المجموعة النبهانية ثلاث مرات ونشرت ثمرات الفنون له صورة الاستدعاء الذي نشرته الجوائب حول ما حاق من ظلم بسكان اجزم من أحد المسئولين اذ لو أراد النبهاني ان ينشر قصائد في هذه الصحيفة لكان له ذلك ولكن الذي أراه ان الشيخ النبهاني اشتهر بالعلم والقضاء اكثر مما اشتهر بالشعر وهكذا أراد هو لنفسه فهو الذي سعى حثيثا للحصول على منصب القضاء وترك الجوائب على الرغم من حرص الاستاذ احمد فارس الشدياق على بقائه مع زيادة مرتبه أو مشاركته فيها وهو الذي لم يقل الشعر تغنيا بل لقضاء حاجة من مدح أحد الوجهاء أو تغنيا بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تكون هذه حالة يكون لرجال العلماء والقضاء اقرب منه الى الشعراء ، لذلك كان الشيخ النبهاني يعد كتابته في الصحف منقصا لمنزلته الادبية من حيث هو عالم وقاض ، وقد اوضحت هذا الموقف مما دار بين الاستاذ حسين الجسر والافغاني في الاستانه[1] لذلك كانت قصائد النبهاني في مدح السلطان عبد الحميد تطبع مستقلة وتنشر ضمن اطار جميل من الرسوم والصور كما هو

---

(١) راجع مكانة النبهاني العلمية في الفصل الثالث من الباب الثاني

واضح من قصيدة احمد عزت باشا العابد • وقد ضاعت هذه القصائد كغيرها ولكنى وجدت له عدة أبيات فى مدح السلطان عبد الحميد أثناء تقديمه لديوان أبى الهدى الصيادى" الفيض المحمدى والمدد الاحمدى "الذى جمع قصائده •

يقول " ••••• فجمعت هذا الديوان ليكون أثرا فى أعتاب الملك المجاهد الاعظم والسلطان الغازى الافخم مشيد ممالكه المحروسة ••• ظل الله الظليل فى أرضه المنوط به اجراء سنته وفرضه المتصل سببه بالخلافه العظمى الى سيد المرسلين نائبه عليه السلام فى حماية الاسلام والمسلمين مكن الله له فى البلاد وافترض طاعته على العباد وجعل مخالفة مناهيه وأوامره حجرا محجورا ••••••• الا وهو السلطان الأمجد ، الخليفة الأسعد ، المقتدر بالقدرة الربانية المعتز بالعزة الالهية ناصر الشريعة المحمدية أمين الله على البرية فرع الشجرة العثمانية التى اصلها ثابت وفرعها فى السماء حامى الملة الاسلامية التى فاقت سائر الملل سنا وسناء خادم الحرمين الشريفين المقتدى بسيرة العمرين امام المسلمين أمير المؤمنين[1] •

اجل الورى عبد الحميد مليكنا ** مجدد هذا الدين احسن تجديد
أتى وعماد الملك واه لحكمه ** فشيده بالحزم أرفع تشييد
وأذكرنا عبد المجيد وعدله ** فقلنا سليمان أتى بعد داود
شهدت ولم أشهد على الغيب أنه ** أجل ملوك الارض بالعدل والجود
وأشرفهم أصة والا فقل لهم ** ليأتوا بآباء كآبائه الصيد
فمن منهم فى الاولين كفاتح ** ومن منهم فى الاخرين كمحمود
لئن حسد الحساد مظهره فما ** رأينا شريفا غيره غير محسود
علا سرير الملك بالعدل والتقى ** وباب لامحاء[2] المظالم مورود
فلا زال فى الحفظ الالهى قائما ** يعز على هام السعادة ممدود
ولا ريب ان الله ناصر حزبه ** وأن له فى لطفه خير تأييد
فدام له من ربه خير مسعد ** وطالعه فى العز أشرف مسعود[3]

---

(١) أردت بهذه المقدمة من كلام النبهانى ان اثبت أنه كان يقدس السلطان عبد الحميد فلا يعقل الا يكون قد كتب فيه قصائد مطولة كغيره ممن مدحهم •

(٢) ليس فى اللغة أمحاه — الرباعى — والذى فيها ، محاه يمحوه ويمحاه محوا ومحاه يمحيه ويمحاه محيا •• فهو ممحو أو ممحى ، د / سرحان •

(٣) الفيض المحمدى والمدد الاحمدى ص ٦ — ٧ ومسعود : صيغة تمليئة عن اسم المفعول من اسعد فلا يقال : اسعدته فهو مسعد بل : مسعود ، وهناك باب فى اللغة اسمه "باب افعلته فهو مفعول" كأسعدته فهو مسعود وأحببته فهو محبوب ويعكر على الاخير قول عنترة : —
ولقد نزلت فلا تظنى غيره * * حتى بمنزلة المحب المكرم

والنبهانى يدعو للسلطان عبد الحميد فى كل مناسبة حيث يذكره باسمه

وفى مدحه لاحمد عزت باشا العابد كثيرا ما يمدح السلطان ناسبا له كل فضل ؟

٢ـ مدح الشيخ النبهانى أبى الهدى الصيادى شيخ السلطان عبد الحميد الثانيي وقد أورد صاحب نزهة الالباب بعض أبياتها الاولى هكذا .

((حضرة الالمعى الامجد " نبهانى زاده السيد يوسف افندى))

ومن شعره قصيدة طويلة رفعها لصاحب السماحة والسيادة الاستاذ الاكرم السيد / محمد ابى الهدى الصيادى الرفاعى المقيم فى حظوة جلالة مولانا السلطان الاعظم منها قوله :

يا سارى البرق بل ياسارى السحب * * حى المنازل بين البان فالكثب

أنخ هناك مطايا الحى مثقلة * * من كل منهمر بالقطر منسكب

وقف على الدار وسط الحى منتسبا * * لثغر ساكنها وافخر بذا النسب

ما الدار يابرق فى المعنى سوى صدف * * ودرة الخدر فيها منتهى أربى

موهت بالدار والمقصود ربتها * * كذكرنا الكأس والقصد ابنة العنب

فأذكر لها عجبا من أمر مدنفها * * دان على البعد لم يحضر ولم يغب

زفيره من أوار الوجد فى صعد * * ودمعه من مجارى الخد فى صبب

الى أن قال

لم أنس ما وجدت فى البيد اينقنا * * من الوجا ونفاء الماء والعشب

والليل ملق خياما من غياهبه * * قامت بلا عمد فيها ولا طنب

حتى اذا أحتبكت فى الارض ظلمته * * وانجم الافق فى حجب من السحب

محمد خلف الصياد صفوته * * الهاشمى الرفاعى الفتى العربى (١)

والليل ملق خياما من غياهبه * * قامت بلا عمد فيه ولا طنب

حتى اذا احتجبت فى الافق أنجمه * * وغيهب الافق فى حجب من السحب

حرنا فلما هتفنا باسم سيدنا * * أبى الهدى ضاء نور السبعة الشهب

أبو السراج أخو النور ابن حيدرة * * أجل عصبة طه وابنه العربى

الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب .

---

(١) نزهة الالباب فى تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الاحباب ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ محمد حسن افندى العامرية مطبعة الهلال بالفجالة بمصر ١٣١٤ هـ .

هادى الخليقة مهدى الحقيقـــة ** كشاف حيرته جالى ظلمة الريب
أثى ومن كل علم حزن تأكلـــة ** فما مستراح الى ان قال واطربى
ترى بصيرته الازمان حاضــرة ** ماكان مقتربا اوغير مقـــترب
وتشهد الكرة الارضية اجتمعـــت ** كأنها وضعت للهو واللعـــب
يادولة اتخذت منها لها ولـــدا ** يهنيك خيرا فى يهنيك خيـراب
يهنيك ذو الادب المطبوع والحسب المرفـــوع والنســـب
يهنيك مولى على الاعدا فكرتـه ** اشد فى حاملات الجحفل اللجب
ابا السراج وانت الصقع اللسن الشهم البليغ امام النظم والخطب
خذ نبذة من لباب الشعر لو تليت ** فى منتهى الشرق كان الغرب فى طرب
اقسمت اجى على الاعدا لو فهموا ** اشد وقعا من الهندية القضب
يرى رؤوس اليتامى او يقبلهـــا ** اشهى له من خدود الخرد العرب
اما العفاة فلو شاهدت قربهـــم ** اليه حققتهم من اقرب النســب
ارضا ان جيوش الحمد هاجمـــة ** عليه والمال من كفيه فى هـــرب
للجمع بين الدجى والصبح فى قرن ** ادنى من الجمع بين الحمد والذهب
ودونك العبد فاستبشر بمزورتـه ** اناك الله فيه منتهى الادب[1]

للاستاذ الفاضل الشيخ يوسف افندى النبهانى

تذكر دهرا بالعقيق تصرمـــا ** فواصل سفح الدمع فى خده دمـا
وهبت عليه من ربى الشام نسمة ** فكاد يفيض النفس لما تنسمـــا
وبان له من جانب الحى بـارق ** تألق فى جو السما فتألمـــا
وأبكاه قوس السحب لما بدا لـه ** فأذكر فى ليلى سوارا ومعصمـــا
كان الهوى منه عليه بصـــارم ** سطا ورمى عن ذلك القوس اسهما
كأن احمرارا فيه محنى اضلـــع ** طوت من غرامى مارجا متضرمـــا
يقولون طبع النار تقويم ما انحنى ** ولم ارضلعا فى ضلوعى تقومـــا
وانى على وجدى بليلى وارضهـــا ** ارى وصلها قبل المعالى محرمـــا
وما انا ممن يرتضى موطنا بـــه ** يجوز عليه ان يهان ويظلمـــا

(١) مخطوطة وجدتها لدى الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن فى بيروت سنة ١٩٧٤

ورب نصوح قال لى وهو مشفق ** له الله سافر تلق فى الارض مغنما

فطالبت عزمى بالرحيل ولم اكن ** لارجع عن عزم سوى ان اتمما

وودعت اوطانى وأهلى قائلا ** الابعد يعدى ياحبيب فأسلما

وقالت لى اللوام اياك والنوى ** فما هى الا ان تسير فتندما

فقلت لهم كفوا فلست بمحجم ** عن السير الا ان أرى الدهر احجما

دعونى فلن انفك اركب أدهما ** من العمر يعدو بى وآخر ادهما

الى حين ادراك الامانى فانثنى ** حميدا وقد ابدلت عيشى المذمما

وان كانت الاخرى التى عبثوا لها ** فسوف ترانى ضاحكا متبسما

وقالوا اغتراب المرء هون وذلة ** نعم والقصارى ان يعز ويكرما

فلولا فراق الخلد حوا ·· وآدم ** لما جأت الرسل الاكارم منهما

وأحمد خير الخلق لو فراقه ** لمكة لم يظفر بما كان صمما

وموسى كليم الله لولا رحيله ** لمدين لم يرجع رسولا مكرما

وفى غربة الصديق يوسف عبرة ** اما صار فى مصر العزيز المعظما

وما ضرنى لوم اذا كنت سالكا ** طريقا أتاه الرسل فيما تقدما

فقالوا دعوه انه غير سامع ** فقلت وان عدتم فلن اتكلما

ويممت دار الملك احسب انها ** الى الان لم تبرح لها المجد سلما

فالفيتها قد اقفرت من ربوعها ** ولم يبق فيها الفضل الا توهما

حوت قوم سوء اسلموا اى نفوسهم ** الى الكفر الا من له الله سلما

والفيت فيها امة عربية ** يرى القوم منها امة الزنج اكرما

وما نقموا منا بنى العرب خصلة ** سوى ان خير الخلق لم يك اعجما

ولكن حجاب الحقد اعمى قلوبهم ** فلم ينظرونا من ورا حجب العمى

بنو اللوم انى ما تكلمت هاجيا ** ولكن قلبى من جفاكم تكلما

ولو لم يكن تصدى مديح ابى الهدى ** لجرعتكم لو ذقتم والهجر علقما

فانى على رأى لزوم هجائكم ** ارى المدح فى فرع النبوة الزما

محمد المولى الذى فى جبينه ** بهاء اراناه النور كيف تجسما

اخو النسب العالى وحسبك انه ** الى صفوة الرحمان من خلقه انتمى

وبابن الرفاعى حاز اكرم نسبة ** بها فوق هامات الكواكب قد سما
وأورثه الصياد برد سيادة ** وشيا بالوان الفخار مسهما
واما كمال النفس فهو ابو الهدى ** وما كان مجهولا وما كان مبهما
فتى المجد وفاه شديد بهمه ** وقد اوشكت اركانه ان تهدما
وقوم رمح الفضل مالت كعوبه ** وما كان ظنى فيه أن يتقوما [1]

ترجمة الشيخ محمد أبى الهدى الصيادى :

هو السيد ابو الهدى محمد بن حسن وادى بن على بن خزام بن على — وينتمى نسبه الى زين العابدين بن الحسين بن على أبى طالب رضى الله عنه وكان نقيب أشراف حلب وشيخ السجادة الرفاعية ولد سنة ١٨٥٩ م فى خان شيخون من اعمال معرة النعمان وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين وأتقن فن التجويد وعلم القراءات وقرأ غالب كتب النحو ثم اشتغل بتحصيل علوم الفقه والحديث والتفسير ثم اشتغل بكتب الادب وقرأ كتب الحكمة النظرية وفن القيافة وتلقى العلم عن أشهر علماء عصره ثم تولى نقابة الاشراف فى حلب وكانت له الحظوة لدى السلطان عبد الحميد اليه يرجع فى تنصيب القضاة والمفتين ولما خلع السلطان عبد الحميد نفى الى جزيرة "رينكبو" وفيها توفى .

وكان من المشتغلين بالعلم المحبين لنشره وكان يتقن التركية وقيل كان يتكلم الفرنسية وكان بحرا زاخرا فى العربية يقول الاستاذ سامى الكيالى : كان المترجم من الرجالات الذين لعبوا دورا خطيرا فى حياة السلطان عبد الحميد — الثانى ، وكان له شأن يذكر فى سياسة الدولة العثمانية وكان قصره فى بشكطاش بغية الرواد من مختلف الاقطار والامصار وكانت كلمته فى المملكة العثمانية تجرى فى نفوس الحكام مجرى السحر ، توفى فى سنة ١٩٠٩ [2] .

وقد كان أبو الهدى الصيادى هدف سهام الحاقدين على الدولة العثمانية

---

(١) مخطوطه وجدتها لدى الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن فى بيروت سنة ١٩٧٤

(٢) الاعلام الشرفية جـ ٣ ص ١١٨ — ١٢٠ وعبارة "لعبوا دورا" تعبير خاطىء وان كان شائعا ، والصواب : ادوا دورا ، د / سرحان

وقد حاولوا ابعاده عن السلطان عبد الحميد عن طريق الوشايات كطمعه في الخلافه وعزل السلطان عبد الحميد ونقل الخلافه للعرب وغيرها وقد كانت الجمعيات المضادة للسلطان عبد الحميد هي التي تهجم الصيادى من حيث كان يمثل الدولة وأهمها جمعية الماسون التي كانت تخلق الاكاذيب للايقاع بين الخليفة والصيادى باعتراف احد كتابها وهو الاستاذ ولي الدين يكن الذى يقول "

ذهب كثير من الناس الى ان أبا الهدى كان يريد ان يجعل نفسه خليفة وان يجعل الخلافة في العرب كما كانت وهذا محض افتراء أجل كانت نفس الصيادى طامحه لكل مايعليه كما اسلفنا في الفصل المتقدم ولكن لم تحدثه نفسه بشر في ذلك وانما هجمه أعداؤه بمثل هذه الاقاويل طلبا للايقاع به واقصائه عن عبد الحميد وماغاظ أبا الهدى احد مثل كاتب هذا الكتاب وقد قلت فيه مالم يقل غيرى وزعمت أنه كان يسعى في قلب الخلافه والاستئثار بها ولكنه زعم ليس بصحيح وانما أردت ان يبعد عن عبد الحميد ويخف ضرره عن الدولة[1].

ولقد ترك من آثاره العلمية ستة وثلاثين كتابا جميعها في التصوف وديوان شعر الفيض المحمدى والمدد الاحمدى وقد شرح غريبه يوسف النبهانى وجميع آثاره مطبوعة " .

مدح الاستاذ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب التي كانت تصدر في الاستانه والاستاذ الشدياق هو :

احمد فارس الشدياق : ولد في قرية عشقوت في لبنان سنة ١٨٠٤ وكان مسيحيا مارونيا قصد القطر المصرى وكتب في الوقائع المصرية وفي ١٨٣٤ دعاه المرسلون الامريكان الى مالطة وولوه ادارة مطبعتها فاعتنق المذهب البرتستانتي وطبع في مالطة بعض مصنفاته والف كتابه " الواسطة في معرفة احوال مالطة " وتجول في أوربه وألف كتابه " الفارياق " ثم اشتغل في لندن في تعريب التوراة فزادت شهرته ودعاه باى تونس للعمل في دولته فلبى الدعوة وحرر جريدة " الرائد التونسي " وفي تونس اعتنق الدين الاسلامي وفي سنة ١٨٥٧ طلبته الصداره العظمى في الاستانه وعهدت اليه بتصحيح مطبوعاتها وفي سنة ١٨٦٠ أصدر جريدة " الجوائب " فصدرت ٢٣ سنة وتوفى في الاستانه عام ١٨٨٧ ودفن في بيروت وقد هجاه في موته أحد المسيحيين فقال :ـ

(1) مناهل الادب العربي ص ١٠٧

يامن رحلت الى الجحيم مسوكرا ** لم يبق بعدك للسفاهة بـاقى
ناداك ابليس الرجيم مؤرخـا ** هنئت بأحمد فارس الشدياق

وقد زعم الاب لويس شيخو أنه أسر الى احد الكهنة الكاثوليك ارتداده عن الاسلام وتوبته بالرجوع الى الكاثوليكية (١) ولكن زعمه هذا مردود لان الاستاذ الشدياق لم يعتنق الدين الاسلامى مكرها ولم يكن المسيحيون مستضعفين فقد كانوا يتمتعون بامتيازات فى الدولة العثمانية اكثر من باقى رعايا الدولة بفضل حماية القناصل الاجانب ولكن الاب أنيس المقدسى لمع الى سبب اعتناق الشدياق للاسلام فقال :

انه نقم على القساوسة الكاثوليك لانهم حبسوا أخاه أسعد فى أحد الاديرة حتى مات ١٨٣٠ لانه اشتغل مع الاميركان واقتنع بالمذهب البروتستانتى (٢) .

آثار الشدياق فى اللغة :

١ـ الجاسوس على القاموس ٢ـ سر الليالى فى القلب والابدال

وفى الادب :ـ

١ـ مجلة الجوائب ٢ـ الساق على الساق فيما هو الفرياق
٣ـ كشف المخبأ عن فنون أوروبه ٤ـ الواسطة فى معرفة احوال مالطة

وللنبهانى فى مدحه قصيدتان وثلاثة أبيات اما الابيات فهى :ـ

يأيها المولى الاديب هدية ** من بائس أهداكها مخجـولا (٣)
قلت وجلت بالمديح وكم غـدا ** ذو قلة عند الجليل جليـلا
فاسمح فديتك مايروق فاننـى ** بثناك قد رتلتها ترتيـلا

والقصيدة الاولى هى قوله :

الفضل مااتفقت عليه الحسـد ** ودنا لرفعته السها والفرقـد
وتكفلت بعلاه نفس حـرة ** طار الفخار بها وطاب السؤدد

(١) الاداب العربية فى القرن التاسع عشر ج ص٨٦ـ٨٧
(٢) الفنون الادبية واعلامها فى النهضة العربية الحديثه ص ١٤٢
(٣) خجل ـ كفرح ـ فعل لازم لايشتق منه اسم المفعول ـ لكن النبهانى كان متسامحا .

مافائدة سردها وهى مطبوعة ؟

نفسى كنفس ابى سليم لم تــزل ** تبنى ربوط للعلا وتشيد
بطل سرى فوق الجوائب قاصدا ** سر الليالى وهو نعم المقصد
اكرم به من فارس حمد السرى ** غد الصباح فقال انى احمد
لو حارب القمرين فى برجيهما ** وسطا وطال لعاد وهو مؤيد
وسلاحه من فكره ويراعه ** هذا ردينى وذاك مهند (١)
لولا هما لم أدر رمحا مشرعا ** لايستقر وصارما لايغمد
ماانفك شمل الفضل وهو مجمع ** بهما وعقل الحاسدين مشرد
بل لم تزل نخب الفضائل عنهما ** من غير رد فى الملا تتردد
جابت بها أقصى البلاد جوائب ** لاعزمها واه ولاهى تجهد
مثل الحمام البيض ترسل بالهنا ** شر والعدو هو الغراب الاسود
حكت السماء الارض من شرف بها ** كلتاهما لسرى الكواكب محتد
ابوابها حرست بنجم ثاقب ** برجيس بل ابليس عنها يطرد (٢)
أمنت غوايات للمين وكيف لا ** وأمامها من نور احمد مرشد
علامة الدنيا الذى فى صدره ** بحر جواهر علمه لاتنفد
رحب لقوم بالمكارم مترع ** ولآخرين نما لمكاره مزبد
ذو فكرة هى جنة لاولى الولا ** وعلى الاعادى جذوة تتوقد
كنز أباح جمانه اهل النهى ** والكنز عن أربابه لايرصد
عشق العلا طفلا فلم تستهوه ** كأس المدام ولا الحسان الخرد
من كل سافرة الجمال بديعة ** بالحسن منها يفتن المتعبد
هيفاء من الحاظها قد فوقت ** نبلا سوى المهجات ليست تقصد
ومن القوام اللدن هزت عاملا ** براع البواسل وهو غصن أملد (٣)
فتكت بالباب الفوارس وانثنت ** عن فارس علما بما يتقلد
يافكر مالك حاجة فى وصفها ** عد المديح فان ذلك احمد

---

(١) ردينى اسم

(٢) برجيس اسم صحيفة كانت تنشر ود الاستاذ رزق الله حسون على الاستاذ الشدياق.

(٣) الاملد الناعم.

الفاضل اللسن الذي ببيانه ** وبنانه عقد القريض منضد
أم القوافي حول كعبة فضله ** في الطرس اما ركع أو سجد
تلك الكواكب لا أذم شروقها ** لكن لدى اشماره لاتحمد
كلا ولست ألومها غدت ** لكلامه المنشور ممن يحسد
نظم ونثر صادران عن امرئ ** هو للفضائل والفواضل مورد
يا أيها المولى الذي من فكره ** سهم على كبد البغيض مسدد
ومن الدفاتر والمحاضر لم تزل ** بثبوت دعواه المعالي تشهد
الله قلدك المعالي والورى ** قد قلدوك بها فأنت مقلد
لك من صفاتك روضة ومدائحي ** ورق عليها بالثناء تغرد (1)
خذها اليك من الغريب غريبة ** لولاك ليس لها معين مسعد
رقت محاسنها فقلت رقيقة ** تهدى اليك فأنت نعم السيد
واغفر فتى درست معالم انسه ** ومشى عليه الدهر وهو مقيد
جمع الاسى جملا لديه وشمله ** عقد بأيدي الحادثات مبدد
أوطانه بعدت عليه وانما ** أوطاره وهي المعالي أبعد
يبغي اجتماعهما ويعلم أنه ** شيء بحكم زمانه لايوجد
ولعل هذا الحكم ينقضه فتى ** أنت المراد به كريم أمجد
فاسلم ودم سندا لمثلي والملا ** عن فضلك العالي حديث مسند (2)

والقصيدة الثانية هي قوله (3) :

ما فائدة سردها في المطبوعة؟

أيخفي على العذال معنى غراميا ** وعيني بلفظ الدمع تشرح حاليا
وهيهات أن تخفى عليهم صبابتي ** وقد ظهرت آياتها من مآقيا
بدر الثنايا البيض او مض بارق ** فصار عقيق الدمع أحمر قانيا
وكانت عيوني لاتجود بقطرة ** فأصبحن في سبل الغرام جواريا
وحرد موعي رق من حر زفرتي ** وفي الخد اضحى بالكتابة ساعيا
فمن لي بكتمان الهوى عن عواذلي ** فقد كثرت اقوالهم في ملاميا

(1) كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ج ٤ ص ١٢١ـ١٢٣
(2) تقدم منها ١٢ بيتا في ص ٦٠٧/٦٠٨ وعددها ٧٧ بيتا

يقولون حب المرء جالب حتفـــــه * * آناشدهم الايرد وا حياتيــــــا

ولا مواطى سلب الفؤاد وعفــوا * * فهل منهم كنت استعرت فؤاديا

وقالوا صديق الصب من يسخط الهوى * * وأعدى العدا من كان بالحب راضيا

فياليته لم يبق لى ذو صداقــــة * * وياليت كل الناس كانوا عداتيـــا

فيامن رأى شهدا به الداء كامـــن * * ويامن رأى سم الاراقم شافيـــا

نعم من شعور الغيد دبت لمهجتى * * أراقم فيها قد وجدت شفائيــــا

وتلسعنى اصداغهـــم بعقـــارب * * ويأبى مقامى فى المحبة راقيـــا

وأغيد منهم لا أدم طباعـــــه * * وان هو لم يحمد دلالا طباعيــــا

أوكد بالاشعار وجدى بحسنـــه * * عسى ولعل الشعر يعطفه ليـــا

اقول له خدها لالى نظمــــت * * فكانت على رخص القريض غواليـــا

فيبسم لابشرا الى وانمــــــا * * يرينى من اين استفدن اللاليــا

وكم قلت ترضانى فداك فقال لـــى * * ومن انت حتى ارتضيك فدائيــا ؟

فياليت شعرى هل أنا غير مدنـف * * بسحر الهوى ظن المنايا أمانيـا

تبدت له الاساد فى صور الظبــا * * فلما صبا عادت عليه ضواريــــا

فياضبى بل ياليث هلا وعيت لـــى * * عهودى كما أصبحت للقلب راعيــا

وهلا منت اليوم كالأمس باللمـــى * * فما زلت للسلوى بمناك ساليـــا

أتعبس فى وجهى وتضحك للعـــدا * * ألم أدع العذال فيك بواكيـــا

ويارب لاح قال رب الهوى علـــى * * شفا جرف هار فلاتك هاويـــا

فقلت له دع عنك لومى فاننـــى * * أرى كل من لم يهد بالحق غاويا

ينابيع عينى فجرتها يد النـــوى * * وزند الجوى فى القلب ماانفك واريا

وما صدنى عن جنة الحب سلـــوة * * وان كان جسمى من لظى البعد صاليا

دريت حميد الرأى فى مذهب الهوى * * وما ذم فى شرع الاخــــاء

تساوى لدى الموت والغدر فيهمـــا * * وياخجلى ان كنت أرضى التساويـــا

تعاطيهما مر المذاق وانمـــــا * * لدى الحر طعم الموت أحلى تعاطيا

لقد صيرت عندى الصبابة فى البقـــا * * على العهد سيين اللقا والتنائيـــا

وأقسم لولا الجسم تمحقه النـــوى ** لما طلبت نفس المحب التدانيـا
ولولا حسود شاكر لفراقنـــا ** لما كنت من هذا التباعد شاكيـا
لئن بعدت عن رسم شخصي أحبتـي ** فصورتهم مرسومة في خيـاليـا (١)
وان لم يكن بيني وبينهم سـرى ** فحسبي ضيف الطيف بالهيل ساريا
وان كان قد جر الزمان من الاسـى ** جيوشا أتاحت لي العنا متواليـا
فقد قبض الرحمن احمد فــارس ** وأفرس محمود وقاني زمانـا (٢)
فتى ان يكن سعى الورى لغناهـم ** تراه الى السعى المكارم ساعيـا (٣)
وان عشقوا أهل الجمال فانـه ** قد اختار معشوقا اليه المعاليا
وان هم حموا الاموال فهو أباحهـا ** وما زال للمجد المؤثل حاميـا
سرى لطلاب المكرمات ولم يـزل ** يجد وقد فاق النجوم السواريـا
عجبت له ماذا الذي هو طالـب ** وقد صار من فوق السماكين ساميا
فلو قال كيوان لعلياء فوقـه ** لمن هذه العليا لقال ليا .. ليا
ولو نظمت زهر النجوم قلائـدا ** لحلت علاه لو فرضنا تراقيـا
ولكنه شهم يرى كل قاعـد ** عن المجد عريانا وان كان كاسيا
متى قيل هذا منهل الفضل أمـة ** فأصبح ريانا وما كان صاديـا
أديب له أبكار شعر كأنهـا ** خرائد يخجلن الحسان الغوانيـا
اذا انشدت أهدت الى السمع راحـة ** يروح بها ذو اللب سكران صاحيا
تبوأ من نادى المكارم صـدره ** وخلد اهل الخافقين الاياديـا
رقى مارقى من سؤدد ومفاخـر ** ولم يتخذ الانهاء مراقيـا
وقام خطيبا فوق منبر فضلـه ** فكان له مثل الورى الدهر صاغيا
وأحرز خصل السبق في حومة العـلا ** وأفكاره كانت جيادا مذاكيـا

(١) الشاعر الداخل على جملة الجواب هنا "فصورتهم..." الخ "خطأ" لان الجملة جواب للقسم وليست جوابا للشرط ، وجواب الشرط محذوف والمغنى عنه جواب القسم غير ان الادباء والكتاب في جملتهم يخطئـون في هذا خطأ واضحا .

(٢) احمد – هنا – وصف لا علم – وهو من صور التورية . د / سرحان

(٣) كارمه فكرمه – كنصره – غالبه في الكرم فغلبه – د /سرحان

(٤) الخصل – بفتح مسكون : ان يقع السهم بلزق القرطاس .

حلاحل سمه المعالى بفـــارس * * فجر من الاقلام سمرا عواليـــا (1)

وجرد سيف الفكر راق فرنـــده * * ودام من الاسلام ليثا محاميـــا (2)

جوانبه العليا رياض معـــارف * * وأفكاره دامت عليه غواديـــا

فلا عجب أن أنبتت لاولى النهـــى * * أزاهر فضل يانعات زواهيـــا

فكاهاتها مثل الفواكه أنمـــا * * جناها من الاسمـــاع لم زال دانيا

جوائب أن حققت فيها وجدتهـــا * * بحور علوم للورى لا جوابيـــا

ذوائب فى الاقطار من جئن ربعـــه * * سرورا يقل أهلا بكن جوائبـــا

صحائف لكن الصفائح دونهـــا * * اذا هى أيدت للمفيدين التماديـــا

جميع أحاديث الزمـــان وأهلـــه * * وعتها فأدتها الانام كما هيـــا

هنيئا لشخص حائزا بعض طيبهـــا * * فقد أحرز الدنيا ولوبات طاويـــا

أتى بعدها سر الليالى منقحـــا * * فأصبح سرا فى الممالك ساريـــا

أتى كاسمه سرا خفيا لجاهـــل * * وكان بنور الفهم للحبر باديـــا

أتانا بما شاء اللبيب مهذبـــا * * فقال أيا قاموس لاتك هاذيـــا

وفاضت على كل الورى حسناتـــه * * فصار به البحر المحيط مساويـــا

أمولاى انى عائذ بك سائـــل * * وأسأل تكرارا جواب سواليـــا

عرفتك فردا فى العلوم بأسرهـــا * * ولم أر عن كسب العلا لك ثانيـــا

بحقك قل لى هل زمانك عالـــم * * بهذا فأولاك الانام مواليـــا

فان كان لم يمنحكم فهو لم يـــزل * * غبيا أو حاسدا متغابيـــا

نمتك فاعطف بالقبول مؤكـــدا * * ليبدلنى دهرى المنايا أمانيـــا

ودونك منى غادة عربيـــة * * أتت لك عجبا بالتشبيب تهاديـــا

درت أننى مهد بكها فتبسمـــت * * فقالت بخ ما للملوك وماليـــا

وغفرا حماك الله ما أنا واصـــل * * علاك ولا صفت النجوم قوافيـــا

وحسبك أنى فى أغترابى لم أجـــد * * سواك أمرأ جما جنى الدهر واقيـــا

---

(1) حلاحل السيد الشجاع أو الضخم كثير المروءة .

(2) الفرند السيف لا نظير له .

قدم لابسا ثوبا جديدا من العـــــلا * * وعش تكسب العيد الجديد التهانيا
تكامل فيك الفضل لا زلت حائـــــزا * * كما لا على كسر الجديدين باقيا (١)

على لسان الجوائب :

أورد الاستاذ سليم فارس فى كتابه "كنز الرغائب" عدة مقطوعا للشيخ النبهانى على لسان الجوائب هى :ـ

أقبل على ولا تكن لى هاجـــــرا * * او ماترانى بالمحاسن مملمـــــا
فى كل أسبوع أريك صحائفـــــا * * فى طيها اخبار من تحت السما

وقال ايضا :ـ

اجوب بلاد الله شرقا ومغربـــــا * * فلا غرو ان سميت باسم الجـوائب
وأهدى من الاخبار فى كل بلـدة * * غرائب اشهى من ورود الرغائـب

وقال ايضا :ـ

أنا الجوائب يدنو لى على شحط * * قاصى البلاد وسرى فى الورى سارى
حسن الحديث دعا لى الناس قاطبة * * أهلا واشرف دار جئتها ٠٠ دارى

وقال أيضا :ـ

هلموا فهذا المورد العذب انه // وحقكمو أهنا جميع الموارد ٠

احاديث رقت لو تجسم لفظهـــا * * لكانت عقودا فى نحور الخرائـــد

وقال ايضا :

لم لا يكون لدى الـــــــورى * * يعلو بحسن القول قـــدرى
ولوحويت تأملـــــــــــــــ * * ــــل حكمه فى كل سطـــــر

وقال ايضا :ـ

جبلت على الصدق من نشأتـــى * * وطبعى ريق الحواشى نضيـــر (٢)
وانى لأقسم أن امـــــرءا * * على يحوز أديب خبيـــــر

---

(١) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب جـ ٤ ص ١٣٧ ـ ١٤٠ فضلت ان اذكر القصيدتين بتمامهما لصعوبة الرجوع الى المصدر المذكور وليطلع القارىء على مزيد من شعره غير الدينى لقلة مالدينا منه ٠

(٢) الريق ـ اللامع ٠

وقال ايضا :ـ

عليك بقولى انما هو راحة ** يروح بها الشهم الاريب مهرسدا

ودع كل صوت غير صوتى فانني ** انا الطائر المحكى والاخر الصدى [1]

وقال ايضا :ـ

قالوا : الجوائب ذات الصدق ؟ قلت نعم ** الحق قلتم وهذا بعض أوصافي

انى لا لطف من مر النسيم على الـ ** ماء النمير شذوا كان أوصافي

وقال ايضا :ـ

عجبا لما قال الجهول بأننى ** فى القول الحن وهو غير صواب

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا ** واللحن يفهمه ذو والالباب

وقال ايضا :ـ

لله اخبار زهت ** بصحيفتى بين الانام

فى طيها النشر الذكى ** فى البدء فاح وفى الختام [2]

الحنين الى الوطن :ـ

قضى الشيخ يوسف النبهانى معظم عمره خارج قريته اجزم التى فيها أهله ووطنه حيث خرج من قريته لطلب العلم وعمره سبع عشرة سنة وتخرج من الازهر ولم يعد اليها الا لقضاء اجازة الصيف حيث عمل محررا فى الاستانة فى تحرير الجوائب وتصحيح مايطبع فى مطبعتها ثم قاضيا فى شمال العراق واللاذقية والقدس واخيرا فى بيروت التى فيها توفى بحكم نشأته غذته قريته بالوفاء والاخلاص لها ولسكانها الذين كانوا يعيشون كالاسرة الواحد مع تباين طبقاتهم وأسرهم وهم يشعرون بقرابتهم لبعضهم البعض بانتمائهم لهذه القرية فالشيخ يوسف على الرغم من انه عاش فى بيروت رئيسا لمحكمة الحقوق العليا التى ترتبط مباشرة بالاستانه وتضعه فى مرتبة رفيعه كان يعيش مع أهل قريته افراحهم ـ وآلامهم فعندما وقع الظلم عليهم من أحد ضباط الشرطة فى عكة كتب الشيخ يوسف النبهانى فى مجلة " ثمرات الفنون " التى كانت تصدر فى بيروت ونقلت عنها الجوائب فى الاستانه يستصرخ رجال الحكم والمروءة ان ينصفوا أهالى هذه القرية الابرياء من ظلم هذا الرجل وقد ذكرت نص الاستدعاء كاملا عند

(١) هذا البيت من شعر المتنبى على التضمين

(٢) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب جـ ٤ ص ١٤٤ ـ ١٤٥

الكلام عن أدبه المنثور فى الفصل الاول من الباب الثالث .

حدثنى والدى قال " حدثت فتنة بين أهالى القرية (اجزم) وكان الشيخ يوسف فيها فاتجه نحو تجمع الناس فوجدوا واحدا من احدى الفئتين يهم بحرق أحد بيوت الفئة الاخرى فوقف الشيخ يوسف فى وجوههم وطلب منهم ان يصفحوا عنه لاجله ولكن احدهم غلظ عليه أو شتمه فركب الشيخ يوسف فرسه واتجه الى عكة فخرجت قوة من شرطة الخيالة وأدبت هؤلاء المعتدين " وهكذا اسهم الشيخ فى اطفاء نار الفتنه .

والشيخ يوسف كثيرا مايضمن قصائد المديح حنينه لقريته وأهله والمه لفراقهم معتذرا عن ذلك بأنه من طلاب المعالى ولا يحصل له ذلك فى قريته وبين أهله وهو الذى يقول من قصيدته فى مدح الشدياق :ـ

أوطانه بعدت عليه وانما ** أوطاره وهى المعالى أبعد
يبغى اجتماعهما ويعلم انه ** شئ بحكم زمانه لايوجد

وفى مدحه للاستاذ احمد فارس الشدياق فى قصيدته اليائية يصطنع النبهانى حوار بينه وبين عواذله فيقول :ـ

فمن لى بكتمان الهوى عن عواذلى ** فقد كثرت أقوالهم فى ملاميا
يقولون حب المرء جالب حتفه ** اناشدهم الا يردوا حياتيا
ولاموا على سلب الفؤاد وعنفوا ** فهل منهم كنت استمرت فؤاديا
وقالوا صديق الصب من يسخط الهوى ** وأعدى العدا من كان بالحب راضيا
فياليته لم يبق لى ذو صداقه ** وياليت كل الناس كانوا عداتيا

والحقيقة انه لم يكن له عواذل بل هى عادة الشعراء ان يصمموا بالرمز وقصدهم يفهم من دراسة حياتهم الاجتماعية والثقافيه .

فعذاله هنا هو نفسه التى تنزع به للعودة الى مسقط رأسه وملاعب صباه لتعود الى ذكريات الطفولة والصبا البعيدة عن هموم الوظائف ومنافساتها التى اقل مايدفع ثمنا لها هو الغربة وألم الحنين .

ثم تراه لشدة المه وجواه يصطنع السلوى والصبر مظهرا عدم اكتراثه فيقول :

ولولا حسود شاكر لفراقنـــا ** لما كنت من هذا التباعد شاكيـا

وهو مثله كمثل من يودع حبيبه أو اهله ولشدة لوعته وألمه تراه يصطنع العبث بشيء ما أو يركز النظر بعيدا وكأنه يرقب شيئا باهتمام وهو ملتهب باحساسه وعواطفه لفراق احبته الذين لم يطق النظر اليهم فأخذ يتلهى بغيرهم وهو مع هذا لم يصطبر عن التصريح ببعض أشواقه فقال :ـ

لئن بعدت عن رسم شخص أحبتـي ** فصورتهم مرسومة فى خياليـا

وان لم يكن بينى وبينهم سـرى ** فحسبى ضيف الطيف بالليل ساريا

والنبهانى رحمه الله يلمح ببعض الرموز الى الاسباب التى دعته أن يهجر قريته مع شوقه وحبه لها •

وهذا الرمز الذى حللته فى تعريفى بأسره النبهانى حيث ذكرت عند كلامى عن أسرته انها كانت من الأسر المغمورة فى القرية أن افرادها قليلون وقد توجهوا نحو العلم فتعلم منهم الكثير ون بالازهر ولما عادوا اقتنعوا بالمكوث فى القرية فلم يشتهروا خارجها •

اما الشيخ يوسف النبهانى فقد كانت نفسه طموحة وآماله واسعـة فرأى ان البقاء فى القرية لايشبع طموحه ولا يحقق أمله فعمل خطيبا وواعظـا فى مسجد الجزار فى عكه وقرية اجزم ولكن ذلك لم يملأ الفراغ الذى كان يشعر به فتوجه نحو الاستانه العلية عاصمة الخلافة ومحط الآمال ولم يكن له سنـد يوصلـه لمن بأيديهم تصريف البلاد وتحقيق المطامع والامال فاضطـر أن يمدح بعض الشخصيات لتتحقق آماله ونظم هذا الشعر على مضض ولذلك سرعان ماتخلص من هذا اللون من الشعر وحرص على عدم حفظه فى ديوانـه فضاع ولكن هذه النفس الطموح الوثابة وجدت فى مدح شخصية الرسول والدفاع عن الاسلام فى بيروت مركز التبشير المسيحى فى العالم الاسلامى ما يملأ طموحها فركزت عليها وأفرغت فيها زخمها[1] وقوتها فى الادب المنثور والمنظوم وتحول هذا الطمـوح من طلب للمعالى الدنيوية الى طلب للمعالى الاخروية ولذلك حرص النبهانى

(١) زخمة ـ كمنعه ـ دفعه بشده •

الا يذكر اي شيء عن نفسه مما يعجل له الجزاء من شهرة وظهور في الدنيــــا ليدخره ليوم الاخر ... أعلى الدرجات في الجنه انشاء الله •

بهذا نستطيع ان نفسر تفير طموح النبهاني وجهه للمعالي الذى كـان يبوره في شعره وعن طريق حنينه • لقريته •

وقد أخبرني الاستاذ عزة دروزه الذى قابلته في بيته في دمشق بانه لـم يظهر من اسرة النبهاني الا الشيخ يوسف ولولاه لبقيت تلك الاسرة خاملة لاذكـر لها قال لي ذلك ليعللني ويصبرني على الجفاء الذى لاقيته من الشيخ تقـى الدين النبهاني في بيروت حيث لم يسمح لي بمقابلته لسؤاله عن جده الشيخ يوسف • • بل ولم يوافق أن اكتب له ماأريد على شكل اسئلة ليجيبني عليها كتابة

لذلك كان الاستاذ دروزه يشيد بأن على هذا سوف يشهر اسرة النبهاني وانه كان يجب عليهم جميعا أن يساعدوني ماديا ومعنويا •

وقد رمز الشيخ يوسف الى هذا الشوق والحنين بقوله من قصيدة يمدح بهـا أبا الهدى الصيادى :

وانى على وجدى بليلى وأرضهـــا ** أرى وصلها قبل المعالى محرمــا
وأما انا ممن يرتضى موطنا بـــه ** يجوز عليه ان يهان ويظلمــا
ورب نصوح قال لى وهو همتى ** لك الله سافر تلق فى الارض مغنما
فطالبت عزمى بالرحيل ولم أكـن ** لارجع عن عزم سوى أن اتممـا
وودعت أوطانى وأهلى قائـــلا ** الابعد بعدى ياحبيبى فاسلما

وهذا هو مانستطيع ان نلقيه من اضواء على حنين النبهاني لوطنه واختيـاره العيش بعيدا عنه •

ويذكرلنا الشيخ النبهاني المحاورة التى تدور بينه وبين اللوام او العذال حول السفر والبعد عن الاوطان وهو يشتد فى العزيمه والاصرار كلما اشتدوا فى اللـوم والعتاب وهو فى كل هذا يعبر عن دوافع نفسيه خفية فى شخصيته استطاع أن يدافع عنها ويبرزها بشكل مقبول بل ويتخذ لها مسوغا شرعيا فيقول عقب الابيات السابقة

وقالت لى اللوام اياك والنـــوى ** فما هى الا ان تسير فتندمــا
فقلت لهم كفوا فلست بمحجــم ** عن السير الا أن أري الدهر احجما
دعونى فلن أنفك اركب ادهمـــا ** من العمر يعدو بى وآخر أدهمـا

الى حين ادراك الامانى فأنثنـــى ** حميدا وقد ابدلت عيشى المذمما
وان كانت الاخرى التي عشوا لمهــا ** فسوف ترانى ضاحكا متبسمـــا

ثم يعود الشيخ النبهانى لاثارة القضية من جديد ولكن بشكل آخــر ذلك انه فيما مضى من ابياته كان سادرا فى أضراره وثباته غير ملتفت الى اقوال النصحاء والعذال وأنه احرص بكبريائه عليهم فأراد ان يسوغ موقفه بايراد الحجج على صحة عزيمته وقد كانت هذه الحجج شرعية مستمدة من أعمال الرسل والانبياء فهو يقول :ـ

وقالوا اغتراب المرء هون وذلــــه ** نعم والقصارى ان يعز ويكرمـــا
فلولا فراق الخلد حــــوا ٠٠وآدم ** لما جاءت الرسل الا كارم منهما
واحمد خير الخلق لولا فراقــــه ** لمكة لم يظفر بما كان صممـــا
وموسى كليم الله لولا رحيلـــــه ** لمدين لم يرجع رسولا مكرمـــا

وفى غربة الصديق يوسف عبـــرة ** اما صار فى مصر العزيز المعظما
وماضرنى لوم اذا كنت سالكــــا ** طريقا اتاه الرسل فيما تقدمـــا

ثم يعيد الحوار بعدها ليظهر ان اللوام قد اقتنعوا بصدق اصراره ومضائـــه وانه يعد غربته عن اوطانه هى طريق الانبياء والرسل لذلك فهو قانع بصحة ماهــو ماض فيه ومن هنا يختم هذه المحاورة بيأس العذال منه فيقول :

فقالوا دعوة انه غير سامــــع ** فقلت وان عدتم فلن اتكلمـــا

وفى هذا البيت يصور النبهانى قمة الاصرار والعناد اذ انه بالنسبة الى عذالة الذين يتناهون عن عذلة وملامه لانه مصر على ماهو عليه غير آسف لتركهم ايـــاه وان عادوا للومه مرة اخرى فلن يكلمهم ٠

وقد وجدت لدى الحاج يحيى النبهانى قصيدة للشيخ يوسف النبهانى فى كراسة مع قصائد لشعراء غيره بلغت اربعة عشر بيتا وأنا انقلها كما وجدتهـــا دون تصرف فى مبناها من حيث هى نص تاريخى لايجوز التصرف فيه كما يقول : الدكتور أسد رستم " ٠٠٠٠ علينا ان نتثبت من الاخبار كما رواها شاهدها لا ، كما يجب عليه ان يرويها وعلينا أيضا أن نتحاشى جميع الطرق التى تعرض الاصل لمثـــل

هذه المخاطر[1] يقول الشيخ النبهاني :

أى راح حادى المطى سقاهـــــا ** فانبرت تضرب البرى ببراهـــــا
يعملات كأنها فى سراب الســـدو ** سفن نجادها من حشاهـــــا[2]
تنظر الشام منجبال فـــــروق ** فتراها من بعد لحظ وراهـــــا[3]
ارم سهما مابين آذانها وانــــــ ** ـظر اليه تجده خلف خطاهـــــا
حملت فتية كراما دعاهـــــم ** لركوب القفار شوق دعاهـــــا
ايها الركب هل تقضى لديكـــم ** + حاجة للمشوق سهل قضاهـــــا
ان تمروا بالشام عن ايمن الكــر ** مل حيث الروحا وحيث رباهـــــا[4]
حيث قومى وحيث مسقط رأســـى ** لاربع النقا وسقط لواهـــــا[5]
ثم تقروا الديار سلمها اللـــــ ** ـــه سلاما من نازح ماسلاهـــــا
كم حميم ودعت فيها ولــــولا ** نوب الدهر لم أودع حماهـــــا
ياأخلاى لاتخالوا فؤادى .... ** + مقلمـــا عن هواكم وهواهـــــا
ان نفسى لم ترض بالبين لكـــن ** رب أمر ألم لاعن رضاهـــــا
ذكرت قربكم وبعد الامانـــى ** فنأت عنكم لتدنو مناهـــــا
سلكت للعلا صراطا سويـــــا ** طالما امه فضل سواهـــــا

فى الابيات الخمسة الاخيرة يصرح النبهانى بخوالج نفسه تجاه مسقط رأسه ذاكرا سبب فراقه وهو نوب الدهر " والحقيقة انه لم تكن هناك نوب مباشرة توثر على حياة النبهانى سوى أن وضعه الاجتماعى والاسرى يقصر به عن طموحه فهو بالنسبة لطموحه وآماله كان مصيبة لذلك اختار البعد عن هذا الوطن لاكراهيـــة

---

(١) الاصول العربية لتاريخ سوريا فى عهد محمد على جمعها الدكتور اسد رستم م ٤_٥

(٢) اليعملات جمع يعمله وهى الناقة / النجيبة المطبوعة _ القاموس المحيط والد والفلاة ونجادها حبالها .

(٣) فروق : بفتح الفاء _ لقب قسطنطينية وضمها مكان بديار بنى سعد

(٤) الروحا اسم مكان فى اجزم . والكرمل : موضع بجبلى طىء أو على ساحل الشام او قرية بفلسطين .

(٥) ربع النقا وسقط اللوى باسم مكانان

له وانما طلبا لمكان آخر فى الاستانه محط الآمال والطموح ويظهر تصريحه بذلك فى قوله :ـ

ذكرت قربكم بعد الامانـــى ** فنأت عنكم لتدنو مناهـــا

التكسب المالى :

فى زيارتى للاستاذ خير الدين الزركلى ـ صاحب الاعلام ـ فى بيروت لسؤاله عن شخصية الشيخ يوسف النبهانى ـ أخرج لى ورقة مخطوطه مكتوبا فيها مايأتى "بعث اليه المولى عبد الحفيظ مع الشيخ عبد الحى الكتانى خمسين لويزا ذهبا فاستقلها وكتب اليه بعد الافتتاح : الى مولاى عبد الحفيظ ملك فاس السابق حفظه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه واعطاه من كل خير مناه وكفاه شر عداه آمين :ـ

أعبد الحفيظ مليك الـــورى ** وأنت الكريم ونسل الكــرام
اتتنى خمسوك المرســـلات ** على يد ذاك الامام الهمــام
تناولتها مثل شرب الـــدواء ** بدون ابتهاج ودون ابتسـام
أخوك العزيز حبانى النهــى ** بدون سؤال مئات جســام (1)
سأبقى لاحسانه شاكــرا ** وتشكره بعد موتى العظــام
وأنت كذلك أهل الثنـــا ** ولكن عطاؤك أهل المـلام

قالها بفمه ورقمها بقلمه "يوسف النبهانى فى غرة رجب ١٣٣٢ هـ سأتوجه الى بيروت وأبقى فيها مدة الصيف ثم ارجع الى المدينة المنورة فى عيد الاضحى ان شاء الله تعالى .

ولقد أوردت عدة أدلة على بطلان نسبة هذه الابيات للشيخ يوسف النبهانى فى الفصل الرابع من الباب الثانى عند الكلام على حالته المالية واضيف الان فأقول ان روح الشيخ يوسف النبهانى الشعرية وطريقته الخاصة فى شعره لا تتمثل فى هذه القصيدة مطلقا عكس القصيدتين اللتين وجدتهما عند الحاج يحيى النبهانى بالاضافة الى أنه ليس من عادة الشيخ يوسف ان ـ يعقب على قصائده بخاتمه نثرية مثل قوله "قالها بفمه ورقمها بقلمه ..... الخ

ثم ان الشيخ النبهانى لايذكر اسمه فى كتبه مطلقا الا اذا سبقه او عقبه بعبارات التواضع والتذلل لله تعالى كأن يقول : الفقير الى رحمة ربه يوسف النبهانى او نحوها كما ان الشيخ يوسف كان يقضى فترة الصيف فى قريته اجزم

---

(1) النهى : الكساء والمقصود المال الوافر

فى بيت ابنته حيث كان ينصب له عريشه على سطح البيت ببيروت غير صالحة للاصطياف مطلقا لحرارتها ورطوبتها •

المساجلات الشعرية :ـ

حفظ لنا امير البيان شكيب أرسلان قصيدة للشيخ يوسف النبهانى رد بها على قصيدة ارسلها امير البيان للشيخ النبهانى من باب المساجلة ولولم يحفظها لنا امير البيان لضاعت كما ضاع الكثير من شعره •

يقول امير البيان "كان من[1] رؤوس الادباء ومن الشعراء المفلقين وله القصائد الطنانه التى يحفظ الناس كثيرا منها • فكان النبهانى كما تقدم مشهورا بالشعر وكنت أستحسن كثيرا من شعره ولا سيما قوله من قصيدة امتدح بها أبا الهدى الصيادى •

ويممت دار الملك أحسب أنهـــا ** الى اليوم لم تبرح الى المجد سلما

فالفيتها قد اقفرت من كرامهـا ** ولم يبق فيها الفضل الا توهما

والفيت مثلى أمة عربيـــة ** يرى القوم منها أمة الزنج اكرما

وما نقموا منا بنى العرب خلــة ** سوى ان خير الخلق لم يك اعجما

وله بتائم اقوال سائرة فى الافاق غير هذه • فأحببت انا اذ ذاك فى ريعان صباى أن أساجله فى الشعر لعلى أظفر منه بشىء يؤثر فنظمت له أبياتا لم احفظ صورتها عندى ولا بقى منها فى خاطرى الا بيت أو بيتان • فأجابنى عنها بهذه الابيات :

راقنى ياشكيب منك قصيـــد ** باتفاق هو البليغ الفصيـــح

قيل در وقيل زهر وبعـــض ** قال سحر والكل قول صحيح

نظمته افكارك الغر عقـــدا ** أى عقد لو ثم جيد مليـــح

من نسيب كصونك الماجد اسمـا ** وسموا فهو النسيب الصريـــح[2]

ومديح لو كنت أنت مـــرادا ** فيه عنى لقلت : جل المديـح

لست أجزيك حق طولك فى الشعـ ** ــر وفكرى كما علمت طليـــح[3]

وسأجزيك عن ودادك •••• ودا ** انا فيه على كثير شحيـــح[4]

---

(١) اى الشيخ يوسف النبهانى

(٢) الصنو الاخ الشقيق وهو يقصد الامير نسيب شقيق شكيب

(٣) الطول الفضل والقدرة والسعة • الطليح الضعيف المهزول

(٤) كتاب السيد رشيد رضا هامش ص ٧٦ـ٧٧

وساجل امير البيـــــان ايضـــــا ، محمود سامى البارودى (١) وعبد الله باشا فكرى (٢) وخليل مطران (٣) .

شكوى الزمان :

كثيرا ماكان النبهانى يشكو الزمان فى ثنايا كلامه منوها بالحالة السيئـــة التى وصل اليها . وفى شعره لم أجد له قصيدة منفصلة لهذا الغرض ولكنهـــا ظهرت فى خواتيم قصائده التى مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم أو دافـــع عن الاسلام ففى ختام الهمزية الالفية يقول :ـ

وآجـرنى وغيرى من زمانـــــى ** قد واعيه كلها دهيـــــاء
عاد فيه الدين المبين كما قلـــت ** غريبا وأهلـــه غربـــاء
فتداركه قبل ان تخطر الاخـــ ** ـطار فذليوم مسه الاعيـاء (٤)
وتكرم بشده فقـــــــواه ** نالها بالشدائد اسرخـــاء
صار للشرك فى أذاه اشـــتراك ** حين ماللنفاق عنه انتفـــاء
كم أبو جهل استطال على الديــ ** ـن وكم ذا ازرت به الجهلاء (٥)
ولكم فى ثيابه ابن سلـــول ** شاكه من نفاقه ســــلاء (٦)
ماغترارى بمن تلـون منهـــم ** والافاعى اشرها الرقطـاء (٧)

ويقول فى قصيدة " سعادة المعاد فى موازنة بانت سعاد "

يـا سيد الرسل يامن لايزال بـــه ** لكل صعب باذن الله تسهيـــل
أشكو اليك زمانى شاكرا نعمـــا ** ماعند مثلى لها لولاك تأهيل
الله يلهم بعصر كله فتـــن ** فيه أخ الحق مغلوب ومغلـول
عصر على الخير صال الشرفيه .. ولا ** تهوين الاعلاه فيه تهويـــل
هذا الزمان الذى بينت شدتـــه ** فكل ماقلتها فيه اليوم مفعـول

---

(١) راجع ديوان الامير ص ١٠
(٢) المصدر السابق ص ١٨
(٣) المصدر السابق ص ٤١
(٤) يقال خطر الرمح اذ اهتز للطعن
(٥) استطال عليه قهره
(٦) السلاء شوك واحده سلاءه
(٧) الديوان ص ٨٨

الدين فيه بحكم الجمر قابضه ** بنار دنياه بين الناس مشمول (١)

وفي احدى تخاميسه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :ـ

صرنا من المحنة في غمار ** من كثرة المصائب الطواري (٢)
في زمن دبر بالادبار ** الليث فيه انقاد للحمار (٣)

والخير مغلوب غدا بالشر

رمت لظى الالحاد بالشرار ** والدين ان يسلم من الكفار
توغ يه منا عصبة الاغمار ** فاحرسه ياربي من الاشرار (٤)

من اهل بدعة واهل كفر

واحفظه بالانجاد والاغوار ** كما حفظت الكنز بالجدار (٥)
فانه احيط بالاخطار ** يخشى الردى من قلة الانصار

ابدل الهي عسره باليسر (٦)

ويقول ايضا في احد موشحاته :ـ

ياأبا الزهراء كن لي مسعدا ** فلقد اوهى زماني جلدي
لست ابغي من سواك المددا ** انت من بين الورى معتمدي (٧)

وفي موضع اخرى يقول :ـ

كل جاه في البرايا ذو نفاذ ** فعليه جاهك الشافي يطول
ليس لي غيرك في الخلق معاذ ** ولحالي سيدي شرح يطول
ادرك ادركني فصبري قد عفا ** وغدا ربع الصفا كالدمن (٨)
عدك الدهر بحقي ا جحفا ** ونفى عني لذيذ الوسن (٩)

---

(١) الديوان ص ٩٧ وشمول موقد
(٢) الغمار جمع غمره ـ بالتحريك وهي الشدة
(٣) الادبار ضد الاقبال
(٤) الاغمار جمع غمر اى الجاهل
(٥) الانجاد الاماكن المرتفعة الاغوار الاماكن المنخفضة
(٦) الديوان ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩
(٧) الديوان ص ٢٨٩
(٨) الربع المنزل الدمن من اثار الديار جمع دمنة
(٩) الديوان ص ٢٨٩ .

وفي ختام رائيته الصغرى يقول :ـ

مضى عصرنا شر العصور وانـــــــه ** بنسبة هذا العصر اكرم به عصرا
أرى ذمه فرضا اذا ماذكرتــــــه ** فان قسته بالبوم أوليته شكرا
تبدلت الاحوال من كل وجهــــة ** واصبح عرف الدين بين الورى نكرا (1)
وصار تقى القوم احقر قومـــــه ** وصار شقى القوم ارفعهم قدرا
وكان الريا في ان يرى العبد صالحا ** فصار الريا في ان يرى فاسقا جهرا
فكم من تقى صار يظهر نفســـــه ** شقيا لكيما يتقى بالشقا الشرا
وكم من شقى حين يوصف بالتقـــى ** تبرأ حتى لا يهان ولا يــــزرى
وكم كان قبل اليوم فينا منافـــق ** على غيه من خوفه اسبل الستـرا
فلما غدا في سربه اليوم آمنــــا ** بكشف مخازيه غدا يظهر الفخرا (2)

هذه اهم القصائد التى اظهر فيها شكواه من الزمان بصور متميزه ظاهرة وان كانت معانى الشكوى منتشرة فى جميع شعره وتظهرها استغاثته بالرسول صلى الله عليه وسلم لينقذ الامة مما دهاها من مصائب وكرب وفى محاربته للتبشير المسيحى داعيا المسلمين الا يغتروا بمدارسهم التى تخرج اولادهم عن الاسلام وكذلك فى غيرها من مظاهر كفاحه وجهاده .

---

(1) العرف المعروف والنكر المنكر
(2) الديوان ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

الفصل الثالث

مؤلفاته وآثاره

طريقته فى التأليف :

كانت الروح الدينية مسيطرة على الشيخ النبهانى فى أفكاره وتصرفاته وغيرها انعكست هذه الروح على نتاجه الفكرى فحجبت عنا الكثير من المعلومات التى تفيدنا فى تقويم هذه الشخصية واعطائها حقها .

فالشيخ النبهانى سيطر عليه الخوف من حب الظهور والرياء فلم يتكلم عن مقدرته العلمية والأدبية الا فى النزر القليل . وهو ممزوج بالخوف والرهبة من الرياء لذلك ما ان كان يتحدث عن جانب من جوانب أدبه وفكره حتى يقطعها بالاعتذار مظهرا ضعفه وقلة علمه . مكثرا من الدعاء والاستغفار .

وللشيخ النبهانى رسالة تحدث فيها عن تأليفه سماها " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " . ومن عنوانها يظهر ما ذهبنا اليه من حرصه على ألا يداخله رياء من كثرة مؤلفاته وهو يوضح فى مقدمتها أسباب تأليف هذه الرسالة فيقول .

" الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .. أما بعد فهذا كتاب لم أقصد لنفسى التواضع ولا التفخيم ولا التحقير ولا التعظيم ولا التنصل مما لا بد أن يكون وقع فى بعض مؤلفاتى بحسب جهلى أو سهوى من الخطأ الذميم ولا الافتخار بمقام التأليف وهو مقام كريم ونفعه اذا صحبه الاخلاص نفع عظيم عميم وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم . وأنا قصدت بيان الحقيقة فى شأن هذه المؤلفات لصلحاء الناس لأدفع عنى وعنهم شر الوسواس الخناس وأعوانه الأرجاس وقانا الله من شرورهم ورد كيدهم فى نحورهم بجاه حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم وكم رأينا من أكابر المؤمنين كالامام الشعرانى رضى الله عنه فضلا عن أصاغرهم قد جمعوا تقاريظ العلماء فى أواخر كتبهم استجلابا لاقبال الناس عليها وانتفاعهم بها مع أنهم فى غنية عن ذلك بما لهم من العلم والعمل والمقامات العالية وكتبهم فى غاية الاتقان ونياتهم فى غاية الاخلاص وانما الاعمال بالنيات وقد سميته " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " (١) .

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣١ .

فالنبهانى حتى فى هذه الرسالة الصغيرة التى يشرح فيها شيئا عن حياته العلمية كأنه يعتذر عن تأليفها بأن له قدوة حسنة بغيره من العلماء فهو تابع لهم واذا كان هناك لوم مثلا فاللوم ينصب عليهم .

يقول الشيخ النبهانى " اعلم أن صدور هذه المؤلفات عن رجل مثلى قليل العلم والعمل كثير الجهل والزلل لمن أعجب الأمور الدينية فى هذا الزمن وأقسم بالله العظيم أنى لو كنت أنا ابو بعض المؤلفين الآن فى الزمان الأول لأدبونا على دعوى العلم فضلا عن التأليف .

نعم هذا الزمان أبو العجائب وأكرر القسم بالله العظيم أنى أعلم نفسى علما صحيحا يقينا لا أشك فيه بلا تواضع منى ولا اظهار لخلاف ما هو الواقع الذى أتيقنه من نفسى أنى غير متقن لعلم واحد من العلوم النقلية والعقلية فلا أعد فقيها فى الفقهاء ولا مفسرا فى المفسرين ولا محدثا فى المحدثين ولا متكلما فى المتكلمين وهكذا غيرها من سائر العلوم لست ماهرا فى علم منها مع قلة محفوظاتى فى جميعها اللهم الا أن تكون مهارتى فى جودة الشعر وذلك احسان من الله تعالى فى الجبلة مع علم ببعض الأدوات ، اللازمة من العربية والفنون الادبية والحمد لله على ذلك وعلى جميع نعمه الباطنة والظاهرة وأسأله سبحانه كما أجزل احسانه فى الأولى أن يجزله فى الآخرة .

هذه هى حقيقة حالى التى أتيقنها من نفسى ويعلمها منى كل من أطلع على ما أنطويت عليه من أهل العلم وفوق ذلك لست من الصالحين المشتغلين بالعبادات المتورعين عن المحرمات والشبهات وذلك ظاهر جلى فكونى من جملة حكام هذا الزمان ولو كان عندى أدنى صلاح وورع لما قبلت ذلك ولما رضيت أن تكون معيشتى ومعيشة عيالى من هذه الأموال فلا أسامح من يعتقد فى الصلاح أو كثرة العلم فى حياتى وبعد مماتى فان ذلك اعتقاد باطل غير صحيح وهو خلاف الحقيقة والله على ما أقول وكيل (١) .

" اذا كان الامر كذلك وهو كذلك فقد لزمنى أن أبين الأسباب التى نتجت عنها هذه المؤلفات لأكون قد أزلت من نفوس الناس ولا سيما الذين لم يعرفوا من أهل البلاد البعيدة ما يتوهمونه فى بسببها من كثرة العلم والعمل وأكون قد

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٢ .

قد أزلت بعض أسباب التعجب ممن عرفوني فتعجبوا من صدورها عن مثلي وهي قلما صدر مثلها عن كثير من أكابر العلماء في هذه الأزمنه الاخيرة فضلا عن الطلبة الضعاف أمثالي " •

ثم أخذ النبهاني يذكر شيئا عن تعلمه في الأزهر واشتغاله بتحرير جريدة الجوائب حيث تدرب على الكتابة مع معرفته بالفنون العربية والأدبية فأصبحت عنده المقدرة على ابراز المعاني المقصوده بعبارة فصيحة خالية من الركاكه والغرابة ثم يوضح النبهاني قصته مع أول مؤلف له فيقول •

" ...... ولم أزل كذلك الى أن ورد علي يوما أحد السادات الكرام من أشراف مكة المشرفة واسمه الشريف علي وهو موجود في القسطنطينية الى الآن نفعنا الله به وبأسلافه الطاهرين وأعقابهم اجمعين • وذكر لي حفظه الله تعالى أن بعض المحرومين من محبة السلالة الطاهرة النبوية طبعوا كتاب " نوادر الأصول " للحكيم الترمذي في تلك الأيام وأن الحامل لهم على طبعه وجود عبارات فيه تصرف بعض الآيات والاحاديث الواردة في فضل أهل البيت الى غيرهم كقوله تعالى " أنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " فقد حصر معناه في الزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين وشنع على من يفسر أهل البيت فيها بالحسن والحسين وذريتهما الطاهرة .... فقال لي الشريف علي المذكور : أن نشر هذا الكتاب ربما يؤدي الى استخفاف بعض الجهال بحقوق أهل بيت النبوة وألح علي في تأليف كتاب أرد فيه ذلك وأبين فيه ما هنالك فأعتذرت له بعدم أهليتي وليس ذلك من قبيل التواضع بل لم أكن أتصور في نفسي الأهلية لشيء من التأليف ولا سيما في الرد على مثل هذا الامام الشهير والولي الكبير الذي ذكره الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي في فتوحاته وأثنى عليه كثيرا وشهد له بأنه من أكابر الأولياء وأئمة الأصفياء فلم يقبل عذري وكرر الالحاح علي في ذلك حتى أجبته • واستعنت بالله على ذلك ، فصرت أكتب في أوقات فراغي ما يتيسر وأذهب الى خزائن الكتب الموقوفة فأنقل ما شئت منها حتى تم كتابي " الشرف المؤبد لآل محمد " على وجه حسن تكفل برد ما قاله صاحب نوادر الاصول " مع المحافظة على مقامه الشريف والأدب معه كما ينبغي [1] ثم خفت مع ذلك من ألا يكون عملي هذا مبرورا ومقبولا عند الله تعالى بسبب ردي على هذا الامام فأخرت طبع الكتاب ونشره عدة أعوام وكان تأليفه سنة ١٢٩٨ في القسطنطينية وبقي في مسودته الى أن استخرت الله تعالى وأقدمت

---

(١) في هذه الاسطر تظهر أخلاق النبهاني وورعه •

على طبعه فى بيروت سنة ١٣٠٩ ثم مرضت فى بيروت مرضا شديدا ويئست فيه من الحياة فحزنت لكثرة ذنوبى وقلة أعمالى الصالحة فصرت أتفكر فى تأليف شىء من الكتب النافعة السهلة ليكون من العمل الصالح الذى لا ينقطع بالموت كما ورد فى الحديث الشريف فخطر لى أن التجىء الى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بجعل ما أؤلفه فى شؤونه الشريفة صلى الله عليه وسلم فصممت فى آن واحد على جمع كتاب فى شمائله وكتاب فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واشتغلت بكتاب أفضل الصلوات " وكتاب " وسائل الوصول " وقبل أكمالهما خطر لى لزوم اختصار المواهب اللدنية " فأعان الله من فضله على اتمام هذه الكتب وطبعها ونشرها مع " الشرف المؤبد " فوقع لها كل قبول تام من سائر البلاد التى وصلتها من بلاد الاسلام ، وقبل أن أكملها خطر لى الشروع فى غيرها ولم يزل الامر كذلك الى الان كلما تم كتاب أشرع فى غيره والغالب أن يكون فى يدى عدة كتب أؤلف فيها فى آن واحد (١) .

ثم يدافع النبهانى عن تأليفه كتاب " هادى المريد الى طرق الأسانيد " الذى ذكر فيه اجازاته المختلفة وأسناده فى كثير من الصلوات والأدعية والكتب ؛

يقول الشيخ النبهانى : " فان قال قائل اذا كان الأمر كما تقول من عدم اتقانك للعلوم المذكوره فما بالك ألفت هذا الثبت الذى سميته " هادى المريد الى طرق الأسانيد " فانك بتأليفه جعلت نفسك مثل العلماء الكبار أصحاب الأثبات .

قلت " : عذرى فى ذلك أنى لما أظهر الله على يدى من فضله واحسانه هذه المؤلفات وانتشرت فى الآفاق طلب منى الكثير من الفضلاء اجازات لحسن ظنهم بى وحرصهم على العلم فلم أجبهم اذ ذاك لعلمى من نفسى خلاف ما ظنوه بى ثم تفكرت فى أنى اذا لم أجبهم تبقى هذه المؤلفات منقطعة الأسباب وليس لى تلاميذ يروونها عنى ويرويها عنهم غيرهم وهكذا ككتب العلماء .

ومعلوم أن روابط الأسانيد التى توصل روايات الكتب الى مؤلفيها هى من أقوى الروابط الدينية ومن أحسن مزايا الأمة المحمدية التى أمتازت بها على سائر البرية فان أسانيد الكتب انسابها ورواياتها بالاجازات أحسابها وما خلا منها عن ذلك

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

بعد من المجاهيل فلا يعول عليه كل التعويل ، وهكذا نسبة العلماء من المؤلفين وغيرهم الى مشايخهم فانهم فى حكم الاباء والأجداد ، ومن يأخذ عنهم وعن تلامذتهم فى حكم الأبناء والأحفاد والرابط لاسناد العلم بينهم هو الأسناد هذا هو الباعث لى على تأليف هذا الثبت (١) .

ثم يشرح الشيخ النبهانى كيفية تأليفه لكتبه فيقول " فان قلت كيف تيسر لك التأليف مع عدم اتقانك للعلوم العقلية والنقلية كما ذكرت ؟ قلت ان الصفات التى تفضل الله على بها من فضله وكرمه وجعلها آلة للتأليف هي ما اذكره لك هنا تحدثا بنعمة الله تعالى وبيانا للحقيقة ودفعا للتناقض ولا أكذب والله فى شئ مما أذكره على ما أعلمه من نفسى ، فكما أنى صادق فى ذلك أنا أيضا صادق فى هذا والا لم يمكن صدور هذه التأليف مع عدم اتقان العلوم قطعا فأقول أن الاصل الأصيل فى الاعانة على هذه المؤلفات هو توفيق الله تعالى وخلقه فى هذا العبد العاجز القدرة على ذلك وتسهيله له سبيل هذا الخير العظيم ببركة حبيبه الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم ومن أسباب التسهيل أنه تعالى قد رزقنى من فضله وله الحمد والمنة مع قلة بضاعتى فى العلم المعرفة الكافية لتأليف ما ألفته فى الشئون المحمدية وغيرها وجلها مجاميع جمعتها فى كتب الأدب وتحريت ما قدرت عليه من الاصابة فى جمعها وحسن ترتيبها ووضعها ، وليس ذلك من دقائق العلوم التى تحتاج الى التبحر وزيادة التحقيق والتدقيق واتقان جميع هذه العلوم على وجه الكمال فان مؤلفاتى لا تخلو من أن تكون نثرا أو نظما فى مدحه صلى الله عليه وسلم وقد تفضل الله على بالسليقة الشعرية على الوجه المطلوب وليس هذا من المناقب الكبيرة فان كثيرا من جهال العرب فى الجاهلية قد كانوا متصفين بذلك فغاية الأمر أن أكون شاركت الجاهلية فى وصف سبقونى به ، نعم قد زدت عليهم بمعرفتى من الأوصاف النبوية والمعانى الاسلامية والمحاسن البديعية مالم يعرفوه فكان مدحى له صلى الله عليه وسلم جامعا للفصاحة والبلاغة مع محسنات البيان والبديع مشتملا على الأوصاف الجميلة الجليلة التى أختص بها الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم ولا يخفى عليك أن هذا غير محتاج لاتقان تلك العلوم والتبحر فيها ، وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة ملكة قوية فى العربية بعد قراءتى فى الأزهر على مشايخى الذين ذكرتهم فى ثبتى

---

(١) أسباب التأليف عن العاجز الضعيف ص ٣٣٣ للاطلاع على مزيد من أهمية الاسناد عند العلماء راجع كتاب الدر الفريد ص ٢٧٨ ــ ٢٩١ .

" هادى المريد الى طرق الأسانيد " جميع الكتب التى أعتادوا قراءتها فى علم النحو فى نحو سبع سنوات من الآجرومية الى الاشمونى بالشروح والحواشى مع حفظ الاجرومية والالفية ومطالعتى العوامل والاظهار وكافية ابن الحاجب بنفسى ولبعض الطلبة ومع ذلك فقد نسيت الان أكثر قواعد النحو لتركى قراءتها واقرائها اكثر من ثلاثين سنة فلا أعد متقنا لعلم النحو لكن ملكتى التى تعصم قلمى من اللحن قوية والحمد لله وقد طالعت من كتب الأدب والتاريخ شيئا كثيرا ولا أخلو دائما من المراجعة فى كتب اللغة وغريب الحديث .

وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة الفهم الصحيح والذوق السليم فى كل ما ألفت فيه وهذا الوصف ليس مختصا بأكابر العلماء بل قد يكون فى أذكياء العوام فضلا عن طلبة العلم وكثير ممن يقضون أعمارهم فى الاشتغال بالعلم لم يرزقهم الله الفهم الصحيح والذوق السليم . وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة حسن التعبير عما أريد أن أعبر عنه بعبارتى وحسن الترتيب لما أريد أن أنقله من كتب العلماء مع معرفتى المعتمدين منهم وغير المعتمدين المقبولين عند الامة وغير المقبولين لكثرة ما طالعته فى كتبهم ولا سيما كتب الامام الشعرانى رضى الله عنه وعنهم مع حسن أعتقادى فيهم أجمعين وهذا من أكبر نعم الله على فانهم أحباب الله تعالى وخاصته من خلقه فلم يعتقد فيهم أحد الا ربح الدنيا والآخرة ولم ينتقد عليهم أحد الا خسر الدنيا والآخرة ومن احسانه تعالى العظيم على أن الهمنى التأليف فى مواضع مهمة جدا فى شؤون الدين وأحوال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم مع عجزى وضعفى وقلة بضاعتى العلمية ولم يلهم ذلك الكثير من أكابر العلماء الذين لا أصلح تلميذا لأحدهم فضيعوا أعمارهم فى تأليف الكتب المنطقية والنحوية وما أشبهها مما لا حاجة له اليوم لكثرة كتبها التى فى عشر معشارها كفاية ومع ذلك هم مأجورون على حسن نياتهم [1] . فقد رزقنى الله وله الحمد والمنة كثيرا من الكتب النافعة المعتبرة [2] المقبولة

---

(١) يروى عن الشيخ بدر الدين الحسنى علامة الشام أن تلاميذه كانوا يحثوه على التأليف فى بعض المسائل التى فيها كلام طويل فيقول الموجود بين أظهرنا من كلام العلماء فيه الكفاية راجع الدر الفريد ص١٨ ، كما زاره الشيخ بخيت مفتى مصر فحضر درس الشيخ بدر الدين الحسنى العام يوم الجمعة فدهش من سعة علمه وقال لو كان عندنا بمصر لم تحمله العلماء الا فوق رؤوسهم " الدر الفريد ص١٦ وممن رغبوا عن التأليف سيدى ابوالحسن الشاذلى فقد قيل=

(٢) من الاخطاء الشائعة ، والصواب: الجيدة أو المعتد بها ، أو القيمة . ونحوها د . سرحان

المتفق على جلالة مؤلفيها من الطبع والخط كما يسر لي مسن فضله سبحانه وتعالى استعارة كثير من كتب الخط النفيسة التى يندر وجودها فى المواضع التى ألفت فيها ومن اطلع على كثرة النقول التى نقلتها منها يعلم حقيقة ذلك ، فقد كان يلغسني أن عند فلان كتاب كذا فأطلبه ولو كان فى بلدة أخرى فيرسله الي فآخذ حاجتي منه وأرجعه اليه ومع كثرة الكتب التى يسرها الله لى رزقنى النشاط والمداومة على المطالعة والجمع بلا ملل ولا سآمة مع معرفة مظان المسائل والأبحاث (١) التي أريد أن أنقلها بحيث أني أستوفى النقول فى البحث الذى أريد أن أولف فيه لدرجة ربما لا تتيسر لكثير من أكابر العلماء من استيعاب كلام المؤلفين وعباراتهم كما وقع لى ذلك فى حجة الله على العالمين " وسعادة الدارين " " ومجموعة المدائح النبوية " وشواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم " وجامع كرامات الأولياء " وبعض الكتب الصغيرة التى جمعت فيها أنواعا مخصوصة من الدعوات وغيرها "كمفرج الكروب ومفرح القلوب " وأسماء النبى صلى الله عليه وسلم" وحزب الاستغاثات الذى جمعت فيه استغاثات أربعين وليا بالنبى صلى الله عليه وسلم • كل ذلك مع كمال الصدق والامانة التامة فى النقل ونسبة كل شيء الى أصحابه وحسن الاختصار فيما اختصرته كالأنوار المحمدية ومختصر المواهب اللدنية فيانها بحمد الله تعالى من المختصرات التى فاقت أصلها ولم أقدم على تأليف كتب منها لمجرد تكثير عدد المؤلفات فتزيد الشهرة بازديادها بل لم أذكر عبارة فيها لمجرد تكبير حجم الكتاب اذا لم أعتقد نفعها ولزوم اثباتها •• لا والله لم يخطر لى شيء من ذلك قط فيما أعلم الآن ولم أشرع فى تأليف شيء منها الا بعد أن أتيقن الحاجة الى التأليف فى ذلك الأمر ولا سيما فى شؤون نبينا محمد سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم التى نرى كثيرا من العلماء - فضلا عن العوام - مشغولين عنها بقراءة كثير من كتب العلوم العقلية وغيرها عدة سنين من دون أن يعرفوا شؤونه الشريفة وسيرته المنيفة صلى الله عليه وسلم المعرفة اللائقة بأمثالهم فهذا ليس من الصواب واللازم على المرء أن يتعلم الاهم فالأهم مما تلزمه معرفته فى دينه ثم الأهم فالأهم مما تلزمه معرفته فى دنياه أو يكون الحامل لى على التأليف الرد على

---

* له لما لا تؤلفوا لنا كتبا فقال تلاميذى بعدى هم كتبي ويبدو أن الشيخ النبهانى سار على هذا المنهج لـولا دوافع الاصلاح فى نفسه والذى لم تخرج مؤلفاته عن هذا الفرض •

(١) جمع غير وارد فى اللغة ، والصواب : البحوث • د • سرحان

بعض الكفار وبيان مفترياتهم على دين الاسلام أو كشف زلات بعض أهل البدع الذين انتشرت بدعهم فى هذه الأيام ولا سيما ما يتعلق منها بسيد الأنام الذين يغيرون عقائدهم الدينية وينقلونها من النور الى الظلام كما هو واقع فى كثير من بلاد الاسلام فالتأليف فى هذه الأبواب لا يخطر فى بالى حتى الاقدام عليه طلبا للثواب بل أجد من نفسي داعيا قويا لا أقدر على مخالفته للمحاماة عن هذا الدين المبين والانتصار لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والنصيحة للمسلمين وأولاد ولو رأيت غيرى من العلماء ألف فى ذلك كتبا تغنى عن كتبى لما أقدمت على تأليفها وكنت أقول قد حصل المقصود على من شاء الله من خلقه ولا سيما أن التأليف فى ذلك يتسبب فى كثرة الأعداء من الكفار والفجار كما وقع لى وقد قصدوا ما يؤذينى فوقانى الله شرهم ببركة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم . ولم يخطر لى التأليف فى علم الأدب مع امكان ذلك نظما ونثرا لكون النفع الأخروى فيه قليلا الآن وان كان من وسائل معرفة العلوم الدينية لأن المؤلفات الموجودة منه ليست بقدر الكفاية فقط بل هى أكثر من الكفاية بأضعاف مضاعفة ولذلك لا ينبغى لعلماء المسلمين الان تضييع الاوقات فى التأليف فى ذلك وما أشبهه من العلوم الآلية والفنون العقلية وترك المقصود بالذات وهو الأمور الدينية ولا سيما التى تناسب هذا الزمان وما طرأ فيه على الاسلام وأهله من هجوم الكفر والأضاليل والبدع والأباطيل فيجب على علماء المسلمين السالمة عقائدهم من الزيغ المبادرة الى تأليف مؤلفات تحفظ عقائد العوام وتدفع عنهم الضلالات والأوهام ولا سيما مشايخنا وأخواننا علماء الأزهر والمحفل الأنور فان هذه البلايا التى طرأت على الدين هى الان فى بلدهم مصر أكثر منها فى سائر بلاد المسلمين فبعد أن كانت معدن الرشاد ومنها يتفرع الى العباد كثر فيها فى هذه الأيام فى الدين الفساد . وصار ينتشر منها الى سائر البلاد . فبادروا أيها العلماء الأعلام حماة الاسلام وجاهدوا بسيوف الأقلام أهل الضلال والظلام فقد صار الدين كما ترونه ملعبة بأيدى الجهال يتصرفون بعقولهم السخيفة فى تحليل الحرام وتحريم الحلال فكثرت المفاسد فى الدين وتشوشت عقائد بعض جهال المسلمين فاتركوا رحمكم الله الاشتغال بما لا ضرورة له من تأليف الحواشى والتقارير وانتبهوا من غفلتكم لهذا الأمر الخطير والحكم لله العلى القدير (١) .

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٦ .

ثم يقول الشيخ النبهاني مجملا ما تقدم من سبب اقدامه على التأليف " قد علمت أن السبب القوى الذى حملنى على الهجوم على التأليف مع عدم أهليتى هو طمعى فى كرم الله تعالى فى بقاء الأجر بعد موتى لما أؤلفه من العلوم النافعة الدينية وكثرة الأجر لمن دل على الهدى وحذر من الضلال [1] ثم أورد ما ذكره الامام النووى فى رياض الصالحين بهذا الخصوص .

ثم يقول الشيخ النبهاني " وكان أقوى الأسباب لبروز هذه المؤلفات على يدى مع عجزى المحقق أن الهمنى الله تعالى التجائى الى سيد المرسلين وحبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم فجعلت تلك المؤلفات بعونه تعالى فى شئونه الشريفة صلى الله عليه وسلم فشملتنى وشملتها أنواره المحمدية ونفحاته النبوية صلى الله عليه وسلم حتى يسرها الله على أحسن الوجوه ورزقها القبول التام وكل ذلك لا شك ولا ريب ببركته عليه الصلاة والسلام . وعلامة صحة ذلك ما تفضل الله على به من رؤياه فى المنام صلى الله عليه وسلم مرارا وذلك من أكبر نعم الله على التى أعجز عن شكرها وما تفضل به عز وجل من تيسير تأليفها وطبعها ونشرها وقبولها والاقبال عليها من المسلمين وقلما حصل ذلك فى هذا العصر لكتب العلماء المحققين الذين لا أصلح أن أكون تلميذا لأحدهم فى بعض العلوم الدقيقة التى تبحروا فيها واشتهروا بين الأنام وصارت تلاميذهم من العلماء الأعلام ولكن الله له التصرف المطلق فى خلقه فهو سبحانه وتعالى يخص من شاء بما شاء وقد جرت عادته عز وجل أنه لا يخيب من التجأ اليه بخدمة هذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ولذلك كان توفيقه أحدا من عبيده لخدمة هذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وهى من أجل المنن وأكبر النعم والحمد لله رب العالمين [2] .

والنبهاني يستمد هذه المعانى من كتب الصوفية ونظرتهم الى الكون والحياة حيث يبدو مغرقا فى صوفيته . ثم يفصح عن اسماء بعض كتبة محكمته الذين ساعدوه فى نقل النصوص من مصادرها . فيقول :

" ومن أسباب تسهيل تأليف هذه الكتب أن يسر الله لى وله الحمد والمنة بعض الكتاب النبهاء النجباء من كتبة محكمة الحقوق التى أنا رئيسها وهم عبد الباسط أفندى الفاخورى ومحمد على افندى الأنسى وسليم أفندى السروجى ومحى الدين

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٦ .

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٧ .

أفندى علم الدين غير أن الأول منهم انتقل الى محكمة أخرى (١) لانقطع عنا منذ سنين والثانى لم نزل ننتفع به فى بعض الأحايين . وهو أنفعهم من جهة تصحيح الطبع لأنه من فضلاء الطلبة الصالحين وأنفعهم من جهة المداومة على الشغل الاثنان الاخيران لأنهما ما زالا يلازمانى فى كل يوم الى الان . فتح الله علي وعليهم أجمعين فتوح العارفين وحشرنا فى زمرة عباده المؤمنين تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

وممن كان يساعدنا بالتصحيح صديقنا العالم الفاضل الشيخ محمد أفندى طبارة عضو محكمتنا الحقوقية .

وهو ممن وقع منه النفع فى هذا السبيل ترغيبه بعض الأغنياء فى طبع هذه الكتب الصغيرة على نفقته وتوزيعها مجانا تقبل الله أعمالنا جميعا ورزقنا حسن القبول وبلغ كلامنا غاية المأمول .

وصورة التأليف أنى أملى على الكاتب ما أريد أن أنقله من كتب العلماء وقد أدلسه على العبارة اذا كانت طويلة ولا أريد أختصارها وأتركه ينقلها وحده ثم أقابلها معه وأشتغل بشيء آخر اما بكتابة أو بمراجعة وبعد الاملاء أقرأ جميع ما كتبه وأصحح ما يحتاج للتصحيح منه وفى وقت انفرادى فى ليل أو نهار أطالع وحدى الكتب التى أريد أن أنقل منها وأضع علامات على العبارات التى أريد نقلها هذا ما يتعلق بنقل عبارات العلماء أما كلامى الذى لم أنقله عن أحد من نظم أو نثر فانى أسوده غالبا بخطى ثم أمليه على الكاتب وأصلح منه ما يظهر لى اصلاحه وقت الاملاء وقد أعطيه المسودة فيكتبها ثم أراجع ذلك النظم أو النثر بالتحرير والتهذيب حتى أرضاه وربما يظهر لى بعد التبييض ترتيب أحسن من الأول فأرجع عن ذلك وأجعل على الثانى المعول بل حصل لى هذا فى بعض الكتب فعطلت المطبوع منها وجددت طبع ما رأيته صوابا .

والسبب فى ذلك أنى أشغل فكرى كثيرا فى حسن ترتيبها وتهذيبها مادام فى الامكان اصلاح ما يظهر لزوم اصلاحه منها ولا ينقطع عنى التفكير فى شأنها من

---

(١) يقول الشيخ عبدالله بن العلايلى اصبح رئيسا لمحكمة التمييز الشرعية فى بيروت وله كتاب فى علم الحديث اسمه "كشف الخفى عن أحاديث المصطفى" كان السيد محى الدين علم الدين كاتبا عند الشيخ يوسف وأصبح بعد ذلك مأمور أجراء مقابلة مع الشيخ عبدالله العلايلى فى بيته فى بيروت فى ١٩٧٥/١/٤ .

جهة التهذيب والترتيب الا بطبعها فمتى طبعت ينصرف فكري عنها الى غيرها وأنا صاحب روية لا صاحب بداهة فقد لا يظهر لي الصواب في أول وهلة ولذلك أكثر التروي فكلما زدت الأمر ترويا يظهر لي فيه من الصواب مالم يكن ظهر لي من قبل .. الى أن يستقر الحال على الصواب الذي يحسن السكوت عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أسباب اقدامي على تأليف هذه الكتب أن الله تعالى وله الحمد والمنة ببركة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم قد سهل طبعها ونشرها في أكثر البلاد الاسلامية ولولا ذلك لما حصل لي كل هذه الرغبة في تأليفها .... وكان من أقوى تلك الاسباب تقدير الله تعالى اقامتي في بيروت بوظيفتي رئيس المحكمة الحقوقية التي هي مع شرفها أقل المحاكم أشغالا فصرت بهذا السبب أتمكن من الاشتغال في أكثر أوقاتي في بيتي بالتأليف ولا يتيسر ذلك في غير هذه البلدة لكثرة مطابعها وسهولة مخابرات البلاد القريبة منها والبعيدة عنها .

كذلك كان من هذه الاسباب شمولي بأنظار العلماء العاملين والأولياء العارفين ولا سيما ساداتنا أهل البيت الكرام فان من أكبر نعم الله علي ما حصل لي من كثير منهم من المكاتبات الدالة على محبتهم للحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم فهم يحبون من خدمه بوجه من الوجوه وكلما زادت الخدمة زادت محبتهم .....

وبهذا ازدادت رغبتي[1] في الاقبال على العمل ولم يحصل لي ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وبركتهم من هذه الأشغال أدنى ملل . مع كثرة ما وجدته في هذا السبيل من أنواع الأتعاب الكثيرة في تأليفها وطبعها ومصاريفها ثم في نشرها وبيعها في البلاد البعيدة والقريبة مع ضياع كثير منها وذلك شيء لا يقدر مثلي على القيام ببعضه فضلا عن كله لولا أن الله تعالى من فضله أعانني على ذلك وسهل لي سبيل الخير اليه ببركة حبيبه الاعظم وآل بيته الطيبين الطاهرين ومحبيه من الأولياء والعارفين والعلماء العاملين وصلحاء المسلمين رضي الله عنهم أجمعين[2]

ثم يعتذر النبهاني عن بعض الأخطاء التي وقعت في كتبه سواء أكانت مطبعية أو وقعت سهوا وذلك لكثرة أشغاله فيقول " .....ولا حاجة لأعتذاري

---

(١) أي الكتاب الذين ساعدوه على التأليف .
(٢) المصدر السابق ص ٣٣٥ ـ ٣٣٩ .

عن ذلك لأني كثير الاشغال وأني وقت طبعي هذا الكتاب (١) كنت مشغولا بتصحيحه وطبع وتصحيح كتابي " حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين " وكتابي " صلوات الثناء على سيد الانبياء " صلى الله عليه وسلم ومشتغلا بالزيادة والنقص في هذه الكتب الثلاثة في حين طبعها ومراجعة الأصول اللازمة وفي جمع قصائد نبوية للمجموعة النبهانية في المدائح النبويةوفي جمع كتابي " جامع الثناء على الله " كل ذلك مع شغلي فيوظيفتي التي أستغرق فيها معظم النهار ويضاف اليه ما يطرأ من الأشغال الدنيوية والحاجات الضرورية وحسد الحساد ونصبهم حبائل الكيد والفساد وغير ذلك من الموانع الزمانية والاحوال العدوانية التي يتعجب معها من امكان التأليف في هذا الزمان العجيبلولا توفيق الله تعالى واعانته سبحانه على هذه الأعمال مع تلك الأحوال وما ذلك الا ببركة سيد المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم (٢) .

وتكلم الشيخ النبهاني عن أمانته العلمية فقال " اعلم اني قد نسبت جميع ما ذكرته في كتبي من الأحاديث والأحكام والفضائل والمعجزات والمناقب والكرامات وجميع ما أحتوت عليه من منقول العبارات الى الكتب المعتمدة التي نقلتها منها ورويتها عنها ونبهت على ذلك في خطبها وعند النقل عنها ومع ذلك فأكثر الاحاديث مخرجة منسوبة الى رواتها مع عزوها الى أصولها . فالمدح والقدح في شئ من ذلك راجعان لأولئك العلماء الأعلام أئمة الاسلام . وأما أنا فان نسبني أحد الى قلة العلم والتقوى فوالله انه لصادق في ذلك وأنا أقربه ولكنني أمين فيما نقلته في هذه الكتب عن غيري محقق فيما صنعته من نظمي ونثري . ولم أضع شيئا فيها الا بعد التروي والتثبت . وهي لعمري بشهادة المنصفين من المسلمين وغير المسلمين تعد من محاسن الاسلام في هذا العصر ولا أقول ذلك على سبيل الفخر بل لبيان حقيقة الحال في هذا الشأن وانظر هذه الجمعيات النصرانية الدينية تجدها لم يظهر على يد جمعية منها في مدة مائة سنة أو أكثر مع كثرة أموالها وأعوانها مقدار هذه الكتب وقد أظهرها الله تعالى بفضله وكرمه على يدي وأنا واحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع قلة بضاعتي وعجزي وفقري بكثرة أشغالي وتشويش بالي في هذه المدة الوجيزة وهي نحو خمس عشرة سنة ومنها عدة مؤلفات كبيرة وصغيرة

---

(١) يقصد كتاب سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين .

(٢) ٣٣٩ ـ ٣٤٠ المصدر السابق .

لم يتهمسو طوبها الى الان .

فان قلت ليس الفضل في ذلك لك وانما الفضل لله تعالى ثم لسيد الأنام ودين الاسلام فان مجال الكلام واسع ورأس المال كثير فمهما نظمت ونثرت ومهما صنفت ونقلت فانك تجد من المعانى الحقة الغزيرة والعلوم الصحيحة الكثيرة ما هو أكثر من آناء الدهر وأغزر من مياه البحر وما أنت في ذلك الا كما قال القائل .

لقد وجدت مكان القول ذا سعة * * فان ملكت لسانا قائلا فقل

والأمر في تلك الجمعيات ليس كذلك وانما هي كما قيل " ضاق شبر عن مسير " فمن أين يأتون بالمعانى الحقة وليس هناك حق وانما هي أباطيل يلفقونها وأكاذيب يجمعونها ويفرقونها .

قلت نعم ... لا شك أن الأمر كذلك ولكن سعة مجالنا وكثرة رأس مالنا لا تمنعان من أن نعلم أن ظهور هذه الكتب على يد من شاء الله من خلقه هو من أكبر نعم الله علينا معاشر المسلمين فلنتفق على الخير ونتق الله ونحمده سبحانه وتعالى على ما نعم به وأولاه .

وبعد هذا كله فلا شك أن هذه الكتب المجموعة في الفضائل والسير لا تخلو من بعض الاحاديث التى قيل فيها انها موضوعة أو واهية وان قل ذلك جدا فضلا عن الأحاديث الضعيفة التى هي في السير والفضائل أكثر منها في غيرها . ومع ذلك لا يخلو مؤلف مهما كان صاحبه عالما من الخطأ قل أو أكثر . فقد أبى الله العصمة لكتاب غير كتابه وانما ينظر في الاشياء كلها لكثرة المحاسن والمساوئ فاذا غلبت المحاسن كان ذلك الشيء حسنا واذا غلبت المساوئ كان ذلك الشيء سيئا سواء الكتب وغيرها ....

ثم أورد ما كتبه في آخر الباب الثاني من كتابه " سعادة الدارين " في شأن العمل بالحديث الضعيف [1] .

ونلاحظ بعد ما تقدم أن طريقته العلمية في التأليف كانت موجهة بمشاعرة الدينية حتى انه ـ وهو يتحدث عن تآليفه ـ يشعرك بحرجة في التحدث عن نفسه

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .

لخوفه من أن يداخله رياء أو حب للظهور .

مؤلفاته وآثاره :

سأقدم مؤلفات النبهانى وآثاره حسب تاريخ طبعها مستعينا بفهارس مكتبات دار الكتب المصرية والمكتبة الظاهرية فى دمشق ومكتبة الجامعة الامريكية والجامعة اليسوعية ببيروت والمكتبة المركزية بجامعة بغداد ومكتبة المتحف العراقى فى بغداد ومكتبة الخلانى فى بغداد أيضا ومكتبة الجامعة الأردنية فى عمان .

١) **أفضل الصلوات على سيد السادات :**

صدر النبهانى كتابه هذا بهذه الأبيات :

قال قطب زمانه سيدى محمد البكرى الكبير رضى الله عنه

ما أرسل الرحمن أو يرسل * * من رحمة تصعد أو تنزل

فى ملكوت الله أو ملكه * * من كل ما يختص أو يشمل

الا وطه المصطفى عبده * * نبيه مختاره المرسل

واسطة فيها وأصل لها * * يعلم هذا كل من يعقل

وجاء فى المقدمة ((أما بعد فيقول الفقير المذنب يوسف بن اسماعيل النبهانى انى تفكرت فى كثرة ذنوبى وقلة أعمالى الصالحة فعظم بذلك بلائى وغلب خوفى على رجائى ثم ألهمنى الله سبحانه أن لا دواء لهذا الداء أنفع من صدق الالتجاء الى سيد المرسلين وحبيب رب العالمين فقد قال تعالى " وابتغوا اليه الوسيلة " وهو صلى الله عليه وسلم أعظم الوسائل والوسائط لديه وأفضل الخلائق وأحبهم اليه ، وها أنا (ذا) قد التجأت الى جناية الكريم صلى الله عليه وسلم وخدمته بهذا المجموع الذى جمعته فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وسميته " أفضل الصلوات على سيد السادات وجعلته قسمين وخاتمة " للقسم الاول أبين فضلها اجمالا وفوائدها والقسم الثانى أفصل فيه غرر كيفياتها وفوائدها وأنسب كل صيغة الى أهلها مع بيان رواتها وفضلها ، وليس لى فى ذلك أدنى فضل الا مجرد النقل ولم آل جهدا فى اختيار الكتب المعتمدة وأهليها وعزو جميع الاقوال الى قائليها .

ثم أخذ يسرد المصادر الذى نقل عنها فقال : " ..... وفيما عدا الاحاديث اصرح باسم المنقول عنه فى محله وأنسب كل قول الى أهله ، ثم جعل

القسم الاول سبعة فصول . ثم ذكر القسم الثاني الذى يشتمل على سبعين كيفية للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هى أكمل الكيفيات وأفضل الصلوات مع بيان فوائدها ومن رواها وتشتمل الخاتمة على سبع قصائد فرائد جملتها لخرائد هذه الصلوات قلائد فعليك بهذا الكتاب أيها الأخ المسلم المحب لنبيه الراغب فى الصلاة عليه لصلاح دينك ودنياك ، فانك مهما فتشت لا تكاد تجد ما اشتمل عليه مجموعا فى كتاب سواه ، وانى أبتهل الى الله تعالى أن ينفعني به وكل مسلم سليم القلب من الامراض نقي اللسان والجنان من داء الأعتراض انه ولى ذلك" (١) .

وقد افتتح القصيدة الاولى من القصائد السبع بقوله :

عج بالمدينة تلق ثم كريما * * خير الورى نسبا وأكرم خيما

هو من غدا بالمؤمنين رحيما * * هو خيرة الله القديم قديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

والقصيده مثبتة فى الديوان (٢) .

وقد ختم كتابه بترجمة موجزة له مع ذكر مشايخه وأجازاتهم وقد طبع الكتاب فى بيروت عام ١٣٠٠ هـ وتبلغ صفحاته ٢٦١ صفحة وقد أعيد طبعه عام ١٣٠٩ هـ حيث طبع منه ٧٠٠٠ نسخة بالحجم المتوسط .

٢) الشرف المؤبد لآل محمد صلى الله عليه وسلم :

وقد صدر المؤلف كتابه بهذه الأبيات :

آل طه يا آل خير نبى * * جدكم خيرة وأنتم خيار

أذهب الله عنكم الرجس * * أهل البيت قدما فأنتم الاطهار

لم يسل جدكم على الدين اجرا * * غير ود القربى ونعم الاجار

حبكم جنة لكل فؤاد * * فيه حب الأصحاب والبغض نار

رضى الله عنكم وأتم النور فيكم وان أبى الكفار

وقد أوضح النبهاني شيئا عن اقدامه على تأليف هذا الكتاب فى كتابه (أسباب التأليف من العاجز الضعيف) (٣) . وفى مقدمة الكتاب يقول الشيخ النبهاني

---

(١) أفضل الصلوات على سيد السادات ص ٢ ـ ٥ .

(٢) راجع الديوان ص ١٩٢ ـ ٢٥٨ .

(٣) ص ٣٣٣ ، وقد ذكرت ذلك في مقدمة هذا الفصل .

بعد أن أورد ظروف تأليفه وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفعني به والمسلمين ويحشرني تحت لواء سيد المرسلين في زمرة المحبين له ولآله الطاهرين وأرجو من أهل العلم والفهم أن يعذروني في عدم استيفاء الكلام ويغتفروا لي زلة القلم أن عثروا عليها فقلما سلم أحد من زلة الأقلام ٠

وقد ترتبته على ثلاثة مقاصد وخاتمة ٠

فالمقصد الاول في الكلام على آية " انما يريد الله " وحديثي " اني تارك فيكم الثقلين " " وأهل بيتي أمان لأمتي " ٠

والمقصد الثاني في الكلام على شرفهم ومزاياهم وما أختصهم الله به دون من عداهم ٠

والمقصد الثالث في الكلام على ما في حبهم وتوابعه من الفوز العظيم وما في بغضهم وتوابعه من المرتع الوخيم ٠

والخاتمه في بيان فضل الصحابة وأن محبة آل البيت لا تجدي نفعا اذا خالطها بغض أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ٠

وقد طبع الكتاب طبعتين الأولى سنة ١٣٠٩ هـ ، ومكان الطبع غير معروف ، وطبع منه ألفا نسخة والطبعة الثانية سنة (١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦١ م) في مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ، والكتاب يقع في ٢٦٦ صفحة من الحجم الصغير ٠

٣) وسائل الوصول الى شمائل الرسول :

طبع في المطبعة الادبية في بيروت عام ١٣٠٩ هـ وأعاد طبعه مصطفى الحلبي في مصر عام ١٣٨٠ هـ والكتاب يبلغ ٢٠٨ صفحة ٠

ويقول الشيخ النبهاني في دواعي تأليف هذا الكتاب ٠

أما بعد فقد خطر لي أن أجمع كتابا أجعله وسيلة لبلوغي من رضى الله ورسوله المرام وذريعة للانتظام في سلك خدامه عليه الصلاة والسلام ٠٠٠٠ فجمعت هذا الكتاب من آثاره في شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم وأخلصت فيه جميع الشمائل

---

(١) الشرف المؤبد لآل محمد ص ٩ ــ ١٠ ٠

التى رواها الحافظ أبو عيسى الترمذى بعد حذف مكررها وأسانيدها ولم أتقيد بترتيبه وتبويبه بل سلكت أسلوبا غير أسلوبه وأضفت اليها من كتب الأئمة الآتى ذكرهم أكثر منها بكثير والحقت بغريب الألفاظ ما تدعو اليه الحاجة من ضبط أو تفسير فجاء كتابا حافلا ليس له فى بابه نظير " (١) ثم أورد أسماء المصادر التى نقل عنها وقسم الكتاب الى مقدمة وثمانية أبواب الباب الأول فى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والباب الثانى فى صفة خلقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والباب الثالث فى صفة لباس الرسول صلى الله عليه وسلم ، والباب الرابع فى صفة أكل الرسول وشربه ونومه ، والباب الخامس فى صفة خلق الرسول ، والباب السادس فى صفة عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والباب السابع فى أخبار شتى من أحوال الرسول ، والباب الثامن فى طب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعل للكتاب خاتمة تشتمل على خمسين حديثا من أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤) كتاب أطباق الذهب للعلامة شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله المغربى الأصفهانى :

شرح غريب ألفاظه الشيخ يوسف النبهانى وطبعته المكتبة الأدبية ببيروت ١٣٠٩ والكتاب يقع فى ١١٢ صفحة ، وهو عبارة عن مقالتين ومائة مقالة ، ويقول مؤلفه فى المقدمة : " وبعد فقد أشار الى ولى من أولياء الله تعالى أو قلادة الرقاب وطاعته عوذة المقلب (٢) أخ شقيق وصنو (٣) رفيق طالما تراكضنا فى مهبل الطين (٤) وتساقطنا فى مثبر الدين (٥) وقلبنا أرض الجنة ظهرا وبطنا ، حتى أخرجنا وهبطنا ، هو القطب السالك والحى الهالك والثمل (٦) الناسك (٧) ،

---

(١) وسائل الوصول ص ٣ ـ ٤ (٢) العوذه وهو ما يتعوذ به وهى الرقية

(٣) الصنو أحدى الشجرتين فى أصل واحد .

(٤) هو الرحم أو أقصاها ، أو مسلك الذكر منها ، أو فمها ، أو موضع الولد فيها

(٥) المثبر كمنزل : المجلس . (٦) السكران

(٧) العابد .

والنجم الزاهر ، والشمع الساهر ، والطالع الفائر ، والواقع الطائر ، ظهير الدين[1] وظهره ، وظهيره[2] الحق وظهره أحمد بن محمود بن على الخوى زاده الله توفيقا وحشوه من الصديقين وحسن أولئك رفيقا أمرنى أن أجمع له مائة مقالة في الوعظ والنصيحة والخطب الفصيحة أسلك فيها مسلك العلامة جار الله عمر بن محمود الزمخشرى ، وهو الذى يضيق عنه الطوق البشرى[3] والقول المرضى والعطاء الفيضى مدده سماوى وأتيه أتاوى[4] كأنما يوحى اليه ايحاء فيحيى به السمع احياء ، وأين الثمد[5] من الخضوم ؟[6] ، وأين من السلا في ماء الحصرم ؟ وأين دوى الزنبور من نعم الزبور ؟ ، وكم بين بسوس[7] بمنيف الحلب ورفود[8] رسله ينبع من القلب ويقع في القلب .... الخ "[9] .

وهكذا يستمر المؤلف بمثل هذا الأسلوب الى نهاية المقدمة وكل مقالة لا تتجاوز العشرة الأسطر والشيخ يوسف النبهاني هو الذى شرح المفردات الصعبة كما هي في الهامش وهكذا الى نهاية الكتاب .

ولم يذكر الشيخ النبهاني أي تعليق له على الكتاب كما فعل في ديوان أبي الهدى الصيادى .

٥) الرائية الكبرى في وصف الملة الأسلامية والملل الأخرى – المطبعة الأدبية : ١٣٠٩ .

لم يذكر مكان الطبع ، والكتاب يبلغ ١٢٢ صفحة . وعليه ختم دار الكتب السلطانية . ويقول الشيخ النبهاني في المقدمة : (أما بعد فيقول ناظمها الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه : ان هذه القصيدة فريدة في بابها ، قد أشتملت على ما تلزم معرفته من محاسن الديانة الأسلامية ومساوئ غيرها مع

---

(١) المعين

(٢) الظهر وقت الزوال

(٣) الطوق أسم من الطاقة

(٤) الاتى والأتاوى بتثليث الهمزه : السيل الغريب .

(٥) الثمد الماء القليل

(٦) الخضوم البحر

(٧) البسوس الناقة التي لا تدر الا على الابساس أي التلطف بأن يقال لها بس بس .

(٨) الرفود الناقة تملأ الرفد وهو القدح الفخم بحلبة واحدة .

(٩) أطباق الذهب ص ٢ – ٣ .

كمال الفصاحة والبلاغة والسهولة وقلما يخلو بيت منها من النكت الأدبية والمحسنات البديعية وقد شرحت بعض ما يلزمه الشرح من الفاظها ولم أنبه على ما فيها من المحاسن البديعية مع كثرتها سوى التورية لعزتها فى الكلام ، وقد سيرها الله فى أكثر من ثلاثين موضعا منها ، وعدة أبياتها خمسة وعشرون وسبعمائة بيت منها أربعمائة بيت لم تتكرر فيها القوافى وما وقع فيه تكرارها اما أن تكون فيه احدى القافيتين معرفة والاخرى نكرة واما أن يكون بينهما سبعة أبيات فأكثر ، وذلك جائز فى فن العروض ، ونصيحتى للمسلمين أن يعلموها أولادهم ويحفظوهم اياها فقد أشتملت على ما لا بد منه من أحكام العقيدة " الاسلامية والسيرة النبوية والثناء على سيد المرسلين ودينه المبين وأصحابه أجمعين وتزييف ديانة المخالفين الذين يجتهدون فى هذا العصر فى اضلال أولاد المسلمين وقد ختمتها بالتغزل بمحاسن ديانتنا الاسلامية بأبدع أسلوب تتعشقه الطباع السليمة وتميل اليه القلوب واعلم أنى نظمتها وهذبتها فكررت نظرى عليها مرارا كثيرة فى نحو سنة مع اشتغالى بتأليف آخرى .(١)

٦) <u>الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية</u> :

طبع فى بيروت سنة ١٣١٢ بالمطبعة الأدبية وبلغت صفحاته ٦٣٢ من الحجم الكبير ، وطبع منه ٧٠٠٠ نسخة .

وقد صدر الشيخ النبهانى كتابه هذا بالقصيدة التالية :

تبدى سنا الأنوار من دون أستار * * فأسفر عن شمس الهدى أى اسفار
كتاب حوى أوصاف أفضل مرسل * * محمد المختار من كل مختار
ليس سوى القرآن سفر يفوقه * * كما لم يفق طه سوى الخالق البارى
مواهب مولاه له قد تجمعت * * به فهو سفر جاء جامع اسفار
على أنه لم يحو معشار فضله * * ولا عشر عشر العشر من عشر معشار
عليك به فاقرأه ما استطعت تلق ما * * يسرك فى الدارين يا أيها القارى
وبالله سل لى من الهى رحمة * * تبدل بالحسنى مساوى أو زارى (٢)

---

(١) الرائية الكبرى ص ٢ .

(٢) راجع الديوان ص ١٣٢ .

بعد أن قدم الكتابة بكثير من الحمد والثناء على الله تعالى وتفنن فى ايراد ، الصلوات والتبركات على الرسول على الله عليه وسلم تكلم عمن ألف كتبا عـن الرسول عليه السلام فقال : " فمنهم من اختصر فى تأليفه فأجاد ومنهم من أطال فأصاب وأفاد ، ومنهم من توسط وكان مذهبه حسن الاقتصاد ، •

فمن المختصرين الامام البارع القاضى عياض وحسبك بكتابه الشفاء " الذى سار فى الافاق ، ووقع على قبوله الاتفاق •

ومن المطولين الامام الهمام الحسن بن عبد الرحمن الانصارى ، ولم أطلع على كتابه وانما رأيت فى آخر نفح الطيب بعد أن نقل منه شيئا من المدائح النبوية ما نصه : " نقلته من المجلد الخامس والعشرين من كتاب منتهى السول فى مدح الرسول " للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المقرى الأنصارى رحمه الله تعالى ورضى عنه " •

ومن المتوسطين الامام العلامة الشيخ أحمد بن شهاب الدين القسطلانى فى كتابه " المواهب اللدنية بالمنح المحمدية " وهو مجلدان ضخمان سارت بهما الركبان •••• ومع كثرة تداولة بين العلماء الأعلام وظهور وجوب اختصاره لينتفع به الخاص والعام ، لم أر له مختصرا ولم أسمع له خبرا •• مع اطلاعى من اسماء الكتب على ما لا أكاد احصيه •

نعم رأيت بعد شروعى فى اختصاره فى " خلاصة الأثر " فى ترجمة العلامة الشيخ أحمد الوارثى أنه شرع فى أختصاره ومات قبل اكماله رحمه الله •••• وقد اختصرته أحسن اختصار ، واقتصرت به منه على لبابة وجردت سيفه الصقيل من قرابه ••••• وقد جاء بحمد الله أقل من نصف حجمه مع بقاء كل المقصود من علمه مع الحرص على بقاء عبارات مصنفة العلامة النحرير ، وربما تصرفت بها فى النزر اليسير بتقديم وتأخير أو اكمال الحديث أن تبديل بيسير أو زيادة تفسير من الشارح أو نهاية ابن الاثير عقب بعض الألفاظ الغريبة التى تركها بلا تفسير ، ولما تم اختصاره وأشرقت أنواره سميته " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " فدونكه مختصرا طاب أصله فطاب وتجلت شموس معانيه من تحت سحاب الاسهاب ،[1] ثم

---

(١) الانوار المحمدية ص ٤ ــ ٦ •

ذكر روايته " للمواهب اللدنية " بالاجازة من عدة طرق منها طريق أستاذه الشيخ ابراهيم السقا المصرى وقد رتبه على عشرة مقاصد كأصله وكلها تدور حول شخصية الرسول وفضله وكحقيقته وآله وفى طبه وعبادته ووفاته •

٧) النظم البديع في مولد الشفيع صلى الله عليه وسلم :

وهو عبارة عن تخاميس بلغت اثنين وعشرين ومائة تخميس وجعل بعد كل عشرين تخميس عبارة " ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم " وقد بدأ المولد بقوله تعالى : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم • فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم " •

ومن تخاميسه التى أفتتح بها المولد :

الحمد لله على آلائه (١) * * حمد امرئ أخلص فى أدائه
أحمده والحمد من نعمائه * * أن خصنا بخير أنبيائه
محمد سيد كل عبد

أشهد أن الله فرد يعبد * * وأن خير خلقه محمد (٢)
رسوله المتمم المجدد * * وكل من صدقه مخلد
بغير شك فى جنان الخلد

صلى عليه ربه وسلما * * وآله ومن اليهم انتمى
وصحبه الهداة أنجم السما * * وتابعيهم وجميع العلما (٣)
وكل هاد فى الورى ومهتدى

وبعد فاسمع أيها السعيد * * ومن أنار قلبه التوحيد
عقد بيان درة نضيد * * أسلوبه فى نظمه فريد (٤)
بذكر طه جاء خير عقد

---

(١) الآلاء والنعم واحدهما الى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء كمعى وأمعاء كما فى المختار •

(٢) المتمم قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وهو خاتم النبيين والمجدد لملة ابراهيم بعد اندراسها •

(٣) قال صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم •

(٤) البيان الفصاحة والمراد بالنضيد المنظوم والاسلوب الطريق والفن •

نظمته بأنمل الافكـــار * * من در بحر المصطفى المختـار[1]
خير البرايا صفوة الاخيار * * وسيد العبيد والاحـــرار
وكل جمع في الورى وفـــرد

ويختم المولـــد بقولـه :

الحمد لله فقد تـم الخـبر * * عن مولد المختار سيد البشـر
الف ثلاث مائة وأثنـا عشـر * * بتاريخ نظم عقد هذه الـدرر
في شهـره قد تم خير عقـــد

وقد طبع من هذا المولد تسعة عشر الف نسخة وبلغت عدد صفحاته ٢٤ ص وقد كان طبعهـا في بيروت سنة ١٣١٢[2] وهو مثبت في ديوان النبهاني[3] .

(٨) الاحاديث الاربعون في وجوب طاعة أمير المؤمنين :

المطبعة الأمويـة ببيروت ١٣١٢ / ٢٤ صفحـة .

يقول الشيخ النبهاني في المقدمة : أما بعد فاني جمعت هذه الاحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين ونوابه وأكثرها صحاح وحسان راجيـا أن أنتظم في سلك قوله صلى الله عليه وسلم : من حفظ من أمتي أربعين حديثا في أمـر دينها بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلمـاء " .... وقد فسرت غريبهـا من " النهايـــة " وشرح البخاري ومسلم ومشكاه المصابيح[4] .

وجاء في نهاية الرسالة : تنبيه " اعلـم أن الاصول التي جمعت منها هـذه الاربعين ثلاثة " مشكاة المصابيح " للخطيب التبريزي " والترغيب والترهيب " للحافظ المنذري والجامع الصغير " للحافظ السيوطي ثم راجعت الصحيحين في الأحاديث المروية عنهما وكان الفراغ في ذي الحجة ١٣١٢ هـ[5] .

---

(١) الانمل رؤوس الاصابــع .
(٢) المجموعة النبهانية . حـ ٢ ص ٤٧١ .
(٣) الديوان ص ١٦٧ ــ ١٩١ .
(٤) الاحاديث الاربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين ص ٢ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٤ .

٩) الفيض المحمدي والمدد الاحمدي :

وهو ديوان الشيخ محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي الحسني .
وقد طبع في مطبعة " الجوائب " بالقسطنطينية ١٢٩٨ هـ وحققه وشرح غريب الفاظه الشيخ يوسف النبهاني .

كتب الشيخ يوسف النبهاني مقدمة طويلة للديوان وألقى فيها بكل ما أوتي من بلاغة وفصاحة وقد جاء في مقدمته أما بعد فيقول الفقير اليه سبحانه يوسف ابن اسماعيل النبهاني :

ان الشعر قطب الأدب الذي تدور عليه رحاه وكنزه الذي لا يعثر عليه الا من وفقه الله لاستخراج خباياه . وسره الذي لا يدركه سوى صاحب الذوق السليم ولا يطلع عليه الا من ظفر بأكرم آلاته وهو الطبع الكريم . وبدره الذي تشرق به سماؤه ويظهر به سناه وسناؤه . وعماده الذي عليه قيامه بل روحه التي بها قوامه . وهو روض السمع ورياضة الطبع وعنوان الفضل وبرهان العقل وترجمان الجنان . وصيقل الأذهان .

فمنهم قوم شببوا بسعدى وسعاد وهاموا من وصف الحسان في كل واد وتحمسوا بطعانهم وجلادهم . وافتخروا بشرف نفوسهم وأجدادهم . وحنوا الى المعاهد والأوطان وتمدحوا بحفظ وقري الضيفان . وصفوا الابل وسراها والصحاري ومهاها . وذكروا الكواكب وأنواءها . والبروق ولألاءها . ونعتوا الرسوم والطلول . والحزون والسهول . والسحاب والسراب . والنديم والشراب . والزهور والرياض .. وكانوا يقدحون ويمدحون . فيفسدون ويصلحون .

ومنهم قوم عارفون أنفوا من أن يسكنوا بمحض هذه المعاني في بيوتهم العامرة ويشتغلوا بتجارة هي غير رابحة ان لم تكن خاسرة . فصرفوا نقد اشعارهم في توسلات الهية . ومدائح نبوية . وذكروا وقائع أنسهم ومشاعر قدسهم . ونعتوا الاحوال والمقامات . وضمنوا العبارات اشارات . ورمزوا في قصيدهم رموزا . أبوابها - الا عنهم مسدودة وكنزوا فيها كنوزا هي عن غيرهم بطلاسم الاسرار مرصودة . فكم سلكوا سبيلا وهو ليس لهم بسبيل . وذكروا بثينة ولم يقصدوا غير جميل . ووصفوا هندا ولا هند . ونادوا سعدا وما فارقهم سعد . ومدحوا الخمرة والحسان والكئوس والندامى ولا وأبيك لم يذوقوا لابنة العنب طعما . ولا عرفوا من رسومها رسما . وعلى هذا لم تخل اشعارهم من حكم تنتفع

بها الامم ونسيب يستحسنه الأديب ولطائف ونوادر توافق أهل الظاهر .

وهؤلاء هم الذين أحرزوا القدح المعلى ، وفازوا بالمقام الأعلى وقد أنعم الله — وله الحمد — على هذا العصر بحبر من أحبارهم وذمر[1] من حماة ذمارهم وصل فى طريقهم الى المقاصد التى وصلوا اليها فجدد دوارس رسومهم وأجياد رفات علومهم ، وارتقى الى مقاماتهم بعد معرفة أحوالهم فنسج ديباجة شعره على منوالهم ، وهو شيخنا العالم العامل المرشد الكامل .... حضرة مولانا السيد الشريف الشيخ محمد ابى الهدى أفندى الصيادى الرفاعى .... وقد أطلعت له — أبقاه الله — على فرائد قصائد هن للبة الدهر قلائد ، وبدائع أشعار هى لزند الأدب سوار ، اشتملت على معان جزلة ضربت فيها البلاغة خيامها ، وألفاظ سهلة ركزت فيها الفصاحة أعلامها .... فاستأذنته — متعنا الله بحياته — فأحسن وسجيته الاحسان ، وأذن لى فجمعت هذا الديوان ، ليكون أثرا فى أعتاب الملك المجاهد الاعظم والسلطان الغازى الافخم مشيد مملكة المحروسة على الأساس الاقوى من العدل والفضل والقوى والتقوى ..... امام المسلمين أمير المؤمنين .

أجلى الورى عبد الحميد مليكنا * * مجدد هذا الدين أحسن تجديد
الى آخر القصيدة .

ثم يذكر الشيخ النبهانى رعاية السلطان عبد الحميد للعلماء والصوفية وآل البيت منوها بحظوة ابى الصيادى لديه[2] .

وقد كان عمل الشيخ النبهانى فى الديوان ليس فقط جمع القصائد بل ترتيبها على أبواب ، والتقديم لكل قصيدة بما يناسب موضوعها .... يقول فى تقديم الباب السادس فى ملح شتى ما بين أمدوحة سلطان وسانحة عرفان ورثاء فاضلة ومديح فاضل ، وهجاء ملحد ، ونصيحة جاهل ، وحكم رقيقة وأمثال رشيقة ومواعظ

---

(١) الذمر — بفتح فكسر ، أو فتح فسكون ، وبوزن امير ، وفلز = الشجاع .

(٢) الفجر المحمدى والمدد الاحمدى ص ٢ — ٧ .

أصفى من الزلال منبعهـــا عين الحقيقة (١) .

١٠) طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء أو الهمزية الألفية :

لقد بلغت أبياتها ألف بيت صدرها بالتنويه التالي :

يقول ناظمها قد وازنت بهمزيتي هذه همزية الامام الأبوصيرى " أم القرى في مدح خير الورى " عالما أن الفضل للمتقدم ، وأنه بمنزلة المعلـــم وأنا بمنزلة المتعلم وان كانت هذه قد حوت أضعاف ما حوته تلك من السيرة النبوية ، والفضائل المحمدية وامتازت عنها بحسن التقسيم والترتيب حتى سارت بفضل الله فريدة في بابها ، لا نظير لها فيما أعلم بين أترابها ، حرية بتدريسها وحفظها والاعتناء بشرح معناها ولفظها لمن يهمه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفـــة سيرته وفضائله ، ومعجزاته وشمائله ، لأنها أقوى أسباب محبته وقوة الايمان به صلى الله عليــه وسلــم .

هذا وقد شرح النبهاني معاني مفرداتها على الهامش وجعل للشـــرح مقدمة جاء فيهـــا :

أما بعد فهذه حاشية مختصرة بينت فيها مالا بد منه في همزيتي هـــذه معتمدا في حل غريبها على النهاية ولسان العرب والقاموس والمصباح والمختار ونبهت من أنواع البديع على جميع ما جاء فيها من التورية لشرفها وكونها أعلى أنواع التحسين واشتمالها منها على ما لا يشتمل عليه عدة دواوين " (٢) .

يقول فيهـــا :

نورك الكل والــــورى أجـــزاء	يانبيـا من جنــده الانبيـــاء (٣)
علة الكون كنت أنــت ولـــولا	ك لدامت في غيبهـــا الأشيـــاء (٤)
منتهى الفضل في العوالم جمعـــا	فوقه من كمالك الابتـــــداء
لم تزل فوق كل فوق مجـــدا	بالترقي ما للترقى انتهـــاء (٥)

---

(١) الديوان ص ١٦٧ ــ ١٩١ .

(٢) طيبة الغـــراء ص ٢ .

(٣) قوله من جنده الانبياء اى من انصاره قال تعالى " واذا اخذ الله ميثـــاق النبيـين " .

(٤) علة الكون أى سبب تكوين الخلائق فقد خلقت جميعها لاجله صلى الله عليـه وسلم كما ورد في عدة أحاديـث .

(٥) مجدا مستعجـــلا .

جزت قدرا ما أمامك خلــــــق * * فوقــك الله والبرايــــا وراء
خير أرض ثويت فيهـــا سمــاء * * بك طالت ما طاولتها سماء (١)
يا رعى الله طيبة من ربــــاض * * طاب فيها الهوى وطاب الهواء (٢)

وقد أستعرض النبهاني في هذه القصيدة حياة الرسول من مولده حتى وفاته وجعل فصلها الأخير في التوسل بالرسول ، وجعل لها خاتمة أعتذر فيها عن تقصيره في مدحه لأن صفات الرسول لا يدرك حقيقتها غير الله تعالى ، وهي تعد ملحمة أسلامية كما قال الأستاذ خير الدين الزركلي .

وقد ختمها الشيخ النبهاني بقوله الحمد لله رب العالمين ، قال ناظمها : قد مضى في شروعي في نظمها الى ختام طبعها سنتان لم أخل فيهما من تهذيب وتنقيح فيها ، وزيادة ونقص في ألفاظها ومعانيها ، حتى جاءت لعين كل مؤمن بحمد الله وبركة ممدوحها قرة وفي جبين هذا العصر غرة (٣) .

وقد طبعت في المطبعة الأدبية في بيروت عام ١٣١٤ هـ طبع منها خمسة عشرة ألف نسخة والقصيدة مثبته في الديوان ص ١٢ ـ ٨٩ .

١١) الأحاديث الأربعون في فضائل سيد المرسلين :

طبعت في بيروت سنة ١٣١٠ هـ في ١٦ صفحة ، ١٠ آلاف نسخة :

١٢) الأحاديث الأربعون في أمثال أفصح العالمين :

طبعت منها ١٠ آلاف نسخة في بيروت في ١٦ صفحة .

١٣) سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد :

طبعت منها ١٠ الاف نسخة ببيروت في سنة ١٣١٥ هـ ، من عشر صفحات ولم أعثر على هذه القصيدة حسب طبعتها ولكنها موجودة في الديوان (ص ٩٠ ـ ٩٨)

---

(١) ثويت اقمته .
(٢) طيبة أي المدينة المنورة .
(٣) طيبة الغراء ص ١٠٤ .

وقال في مقدمتها : وفي أعتقادي أنها تفوق جميع ما أشتملت عليه المجموعة النبهانية في موازنات بانت سعاد التي نظمها مشاهير البلغاء سوى قصيدة الامام الأبوصيري رضي الله عنه " (١) يفتتحها بقوله :

هواي طيبة لا بيضاء عطبول * * ومنيتي عينها الزرقاء لا النيل (٢)
عذراء جلت عن التشبيب اذ جليت * * هامت بها الخلق جيلا بعده جيل (٣)
كل المحاسن جزء من محاسنها * * اجمالها بجمال الكون تفصيل
فما سعاد اذا قيست ببهجتها * * وكل أمثالها الا تماثيل
ما كنت أسأل لولا الركائب عن * * سلع ولا كان لي بالجزع مسئول (٤)

١٤) رسالة في مثال النعل الشريف :

طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣١٦ هـ صفحة واحدة طبع منها ٤٠ ألف نسخة .

ملحوظة : توضع هنا صورة المثال للنعل الشريف

١٥) حجة الله على العالمين من معجزات سيد المرسلين :

طبع في المطبعة الاميرية ببيروت عام ١٣١٦ هـ ثلاثة الاف نسخة منها — وصفحاته ٨٩٦ صفحة .

وقد أعادت مكتبة الجندي طبعه عام ١٩٧٢ في جزئين وقد صدره بالأبيات التالية :

كتاب تسمى حجة الله من وعى * * مصاغيهما يلفه طابق الاسما
أتى جامعا من معجزات محمد * * نبي الهدى خير الورى عددا جما
نجوم بأفق الدين كم ذا اهتدى بها * * بصير وكم أودى ولم يرها أعمى

---

(١) الديوان ص ٩٠ .

(٢) هواي أي محبوبي والعطبول المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق وفي كل من عينها والزرقاء والنيل تورية .

(٣) عذراء في أسماء المدينة المنورة والعذراء البكر ففيها تورية .

(٤) سلع جبل بالمدينة والجزع موضع بها وأصله منعطف الوادي ومسئول : سؤال

ومعجزة القرآن كالشمس أشرقت * * ودامت وسارت عمت العرب والعجما
هو الحجة الكبرى على كل جاحد * * نبوة خير الخلق والآية العظمى
ورب امرئ من نوره متضرر * * يرى الشرك والخفاش تحجبه الظلما
ووالله لولا الله قاض على الورى * * قضاء بعدل وافق القدر الحتما
لما اختار ذو عقل سوى دين أحمد * * ولكن قضاء الله في خلقه تما (١)

وفي المقدمة ـ بعد أن أسهب الشيخ النبهاني في الثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم ذاكرا معجزاته عن سائر الأنبياء والرسل ـ تكلم عن المصادر التي اعتمد عليها في كتابه فقال : :

" وقد تناقل معجزاته صلى الله عليه وسلم في جميع الأزمنة والأمكنة جيل عن جيل وخلف عن سلف ورواها التابعون عن الصحابة وعنهم من بعدهم من علماء الامة وجها بذة الملة وحفاظ الحديث في القديم والحديث ودونوا فيها الكتب والأسفار . ونشروها في جميع البلاد في جميع الأعصار .

فمنها الكتب المسمى كل منها دلائل النبوة للحافظ أبي بكر البيهقي وأبي نعيم الأصفهاني وأبي الشيخ الأصبهاني وأبي القاسم الطبراني وأبي زرعة الرازي وأبي بكر بن الدنيا وأبي اسحق الحربي وأبي جعفر الفريابي وأبي عبدالله المقدسي وكتاب الوفا في فضائل المصطفى " للحافظ أبي الفرج بن الجوزي وغيرهم ، وهؤلاء يذكرون ما يذكرون بالأسانيد المعروفة والطرق المتعددة وكتبهم كلها كبيرة يشتمل الواحد منها على مجلدات كثيرة وكتاب شرف المصطفى " للحافظ أبي سعد النيسابوري في ثمان مجلدات .

ومن الكتب المدونة في هذا الشأن بخصوصه " أعلام النبوة " للامام أبي الحسن الماوردي " والخصائص الكبرى " لخاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي .

ومن الكتب المؤلفة في عموم أحواله الشريفة صلى الله عليه وسلم " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " للامام البارع القاضي عياض " والمواهب اللدنية " للامام شهاب الدين القسطلاني " والسيرة النبوية " للعلامة السيد أحمد دحلان الجامعة

---

(١) القصيدة مثبته في الديوان ص ١٣٠ . وقد تقدمت هذه الابيات ص ٦٦٧ .

لأكثر الكتب المؤلفة من سيرته صلى الله عليه وسلم ٠

وهؤلاء يذكرون معجزاته بدون سند وربما أسند الشفاء ٠ أما الصنف الأول من هذه الكتب فانها يندر وجودها وقل تداولها فى الأعصر الاخيرة لطولها بكثرة الاسانيد وتعدد الروايات وقصور الهمم عن بلوغ تلك المراتب العاليات وقد أقبل الناس على الصنف الثانى منها لتخليصه المقاصد وجمعه الفوائد ٠

ولما كان قد يوجد من بعض الكتب الخمسة المذكورة ما لا يوجد فى الاخر أتخذتها أصولا لهذا الكتاب وجمعت منه معظم ما أشتملت عليه المعجزات ودلائل النبوة والايات ونقلت من غيرها من كتب الأئمة المعتمدة كثيرا من دلائل نبوته صلى الله عليه وآياته البينات ٠ وما يناسب ذلك من النقول الصحيحات والفوائد المهمات وعزوت جميع الأقوال الى قائليها ولم أتصرف الا فى النادر بشئ من الفاظها ومعانيها ٠

أما الكتب الخمسة فقد أعزو اليها وقد لا أعزو لكونها الاصول ومنها معظم المنقول ٠ فاذا لم أعز شيئا الى كتاب فهو منها أو من بعضها البته ٠

وهناك كتب صنفت فى صنف مخصوص ٠ من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ككتاب البشر لابن ظفر " ومصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام " لابن عبد الله النعمان " والاشاعة لاشراط الساعة " للسيد محمد البرزنجى فهذه لخصت جميع المقصود منها وأدخلته فى الابواب التى تناسبه فجاء هذا الكتاب بحمد الله مجموعا جامعا ٠ ومؤلفا ان شاء الله نافعا ٠ لا أعلم كتابا فى هذا الشأن فى حجمه ٠ جامعا فوائده وعلمه " (1) ٠ وقد رتبته على مقدمة وأربعة أقسام :

<u>القسم الاول</u> : فيما ورد من التنويه بنبوته والبشائر به صلى الله عليه وسلم فى الكتب السماوية عن الاحبار والرهبان وغيرهم من الانس والجان وقسمه الى ثمانية أبواب ٠

<u>القسم الثاني</u>: فى خلق نوره صلى الله عليه وسلم وأنتقاله فى أصلاب أجداده الطاهرين وفيما وقع له من الخوارق الى حين بعثه وقسمته الى أربعة أبواب ٠

---

(1) حجة الله الى العالمين جـ ١ ص ٨ ــ ٩ ٠

القسم الثالث : فيما وقع له من المعجزات الدالة على نبوته من حين بعثته الى حين وفاته وقسمته الى أثنى عشر بابا •

القسم الرابع : فيما وقع من خوارق العادات الدالة على صحة نبوته وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم وقسمته الى ثلاثة أبواب •

١٦) خلاصة الكلام في ترجيح دين الاسلام :

مطبوع فى بيروت ١٣١٦ هـ من تسع صفحات وطبع منه ثلاثة الاف نسخة وقد ألحقته بكتاب حجة الله على العالم فى طبعته الثانية عام ١٩٧٢ •

هذه الرسالة كتبتها بأسلوب نصيحة واقناع مستخدما فيها المفاهيم السهلة وكأنه يوجهها لغير المسلمين من اليهود والنصارى ولذلك استعمل فيها الادلة العقلية ولم يستشهد بالقرآن الا مرة واحدة •

وقد جاء فى رسالته " ...... فأقول أنت تعلم أن الانسان من حين ولادته الى مماته يغلب عليه بالطبع حب العادات التى يعتادها ولا سيما اذا طال الزمان ، وتصير هى الحاكمة عليه ولا يقدر على مفارقتها الا بكره عن نفسه فبعد ولادته يحب الرضاع فلا يفارقه بالفطام الا فى غاية المشقة ويألف داره ومحلته وبلدته وقطره ولا يفارق شيئا منها الا كارها وكذلك دكانه وسوقه وصنعته وفنه وكذلك أهل بيته وأسرته وعشيرته وجنسيته ولغته وديانته التى ينشأ عليها فلا يفارق شيئا من جميع ما ذكر هو وأمثاله الا كارها لفراقه وهنا نشأت الفرق والجماعات المختلفة وهذا أمر ظاهر بديهى لا ينكره من عنده ادنى ادراك •

اذا علمت ذلك تعلم يقينا أن مجرد محبة الناس لأبيائهم وتمسكهم بها لا يكفى دليلا لكل واحد منهم على أن ديانته خير الديانات كما أن محبته لصنعته التى ينشأ عليها لا تدل على أنها خير الصنائع بل قد تكون أخس الصنائع وأحقرها "[1] •

وهكذا يستمر فى تقريب المعنى حتى يزحزح المخاطب عن التمسك بصحة عقيدته الى أن يقول " واذا كان الأمر كذلك وهو كذلك فيجب على العاقل البحث والتفتيش عن حقيقة دينه الذى هو عليه وغيره من الأديان حتى يظهر له الحق فيتبعه

---

(١) خلاصة الكلام فى ترجيح دين الاسلام ص ٥١٨ ـ ٥١٩ •

أيضا كـــــان .

ثم يوازن بين الأديان الثلاثة موازنة عقلية ذاكرا السلبيات في اليهودية والنصرانية وما يقابلها من ايجابيات خصوصا ما يتعلق بالذات الألهية والرســــــل .

١٧) القول الحق في مدح سيد الخلـــق :

قصيدة طبعت في بيروت سنة ١٣١٧ وبلغت ٦ صفحات طبع منها عشرة آلاف نسخة ولم أجد القصيدة بطبعتها هذه ووجدتها في ديوانه حيث بلغت ثلا ثـــة عشر بيتا ومائة بيت يقول فيها :

لمن ربع بأكنـــاف المصلـــــى * * علا الصبح الملا شرفا وفضـــلا (١)
وعاة الله منية كل نفســـــــس * * وحيا الله تربيته وأعلــــــــى
وبلـــغ من غوادي السحب عــــنى * * قباب قبـــا بسيل القطر سئـــوء لا (٢)
ودام على المقيق عهاد غيـــــث * * تروى دوحه سلمـــا وأثـــلا (٣)
ولا برح النسيم علـى العوالـــــى * * يجـــر هنـــاك فوق النجم ذيـــلا (٤)
وحيا الله من أحد محبـــــــــــا * * حبيبا لن يمل ولـــن يمـــــلا
فيا ركب الحجاز فدتك نفســـــــى * * تحمل ما يخـف عليك حمــــــلا
متى جزت النقا وربوع سلـــــــع * * وجئت أعز أرض الله أهـــــلا (٥)
فبادر بالسجود على ثراهـــــــا * * وأد بلثمه فرضـا ونفــــــلا (٦)

١٨) سعادة الدارين في الصلاة علي سيد الكونين :

المطبعة الأدبية ببيروت عـــام ١٣١٨ هـ طبع منه ١٠ الاف نسخة " يحتـــوى على ٧٢٠ صفحة بالحجم الكبير والحرف الصغــير .

---

(١) الربع المنزل الاكناف الجوانب المصلى مكان في المدينة المنورة .

(٢) الغوادى السحاب تنشأ غدوة أي أول النهار والسوءال ما يسأله ويتمناه .

(٣) العهاد الامطار الدائمة الدوح الشجر الكبير السهم نوع من الشجر وكذلك الاثل وهو الطرفــــا .

(٤) النجم وهو النبت مالا ساق له خلاف الشجر وفيه تورية بنجم السماء .

(٥) النقا وربوع سلع أماكن في المدينة المنورة .

(٦) الديـــوان ص ٩٩ .

وقد صدره بقولــــه :

كتــاب سعادة الدارين سفـــــر * بديع عزيـــين الكتب مثـــــلا
وجدنــاه ، كتابا مستطابـــــا * أتى لرشادنا أهلا وسهـــــلا
أحاديث عن المختار تـــــروى * وآيــات عن الرحمـــن تتلـــى
وأقوال الى العليـــاء تعـــزى * بدت كعرائس بالحســن تجلـــى
حوى فضل الصلاة علـــى نبـــى * عليه الله فـــى القرآن صلـــى
فبين حكمها فرضا ونفـــــلا * وفصل نفعها نقلا وعقـــــلا
به خـــير الأمانى والأمالـــــى * فراشـد لن تمـــن ولن تمـــلا
أرانا المصطفى منا قريبـــــا * وسهل للوصــــول اليه سبيلا
هو الكنز المبـــاح لمن أتـــــاه * عليه لم نضع رصــدا وقفـــلا
فمن شـاء الغنى دنيـــا وأخـــرى * بلا تعب فقــد وافاه سهـــلا (1)

يقول الشيخ النبهانى بعد أن أسهب فى الحمد والتسبيح والثناء علـــى الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلـــم :

" أما بعد فقد أجمعت الامة على أن الصلاة على سيدنا محمد صلى اللـــه عليه وسلم من أفضل الطاعات وأنفع العبادات ، ولذلك اعتنى العلماء فى شأنها فألفوا فيها الكتب والرسائل وبينوا مالها من الفوائد والفضائل " ثم ذكـر التصانيف التـــى اطلع عليها في الصلاة على الرسول موضحا خاصية كل منها من حيث الأسهـــاب أو الاختصــار " الى أن يقول " فمن أطول ما رأيت كتاب " تنبيه الامام " للشيـــخ عبد الجليل محمد بن عظوم القيروانى فى مجلد حافل أبدع وأغرب ومن المتأخرين القطب الكامل سيدى محمد المعطى بن عبد الخالق بن عبد القادر بن القطب أبى عبد الله محمد الشرقى التادلى فى مجلدات أطال فيها رحمه الله ، ومن القصار الكتاب المسمـــى " بدلائل الخيرات وشوارق الانوار " للقطب أبى عبد الله الجزولى وكان فى أواخـــر الثمانمائة وكان فى عصره رجل آخر بشيراز ألف كتابا وسماه بهذا الاسم وعلى هذه الطريقة الا أن الله سبحانه وتعالى قد رزق القبول والاشتهار لكتاب الجزولى فولعت به الخاصة والعامة وخدموه بشروح وحواشى ، وتلاه من المتأخرين رجل يعرف بالبهاروشى ألـــف

---

(1) تقدمت الأبيات التسعة قبل هذا البيت ص ٦٦٦ ، ص ٦٦٧ .

كتابا سماه كنوز الأسرار " .

وهكذا يستمر الشيخ النبهانى فى ذكر الكتب التى ألفت على منوال دلائل الخيرات فيذكر عشرة كتب ثم يذكر النبهانى ظروف تأليفه " لسعادة الدارين " فيقول : " وكنت منذ سنوات أقتديت بهم [1] فى جمع كتابى " أفضل الصلوات على سيد السادات " وبعد أن انتشرت نسخه فى أكثر البلاد الاسلامية وحصل له القبول التام ببركته عليه الصلاة والسلام ــ ظفرت بكثير من كتب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم المعتمدة فوجدت فيها فضائل وفوائد جمة وكيفيات من الصلوات الفاضلة مهمة خلا عنها كتاب " أفضل الصلوات " فجمعت هذا الكتاب ليكون لذلك ثانيا وهو فى الحقيقة أول ، وسيكون عليه ان شاء الله فى هذا الفن المعول ، لأننى جمعت فيه ما تفرق فى أجمع كتب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وأشبعت الكلام على كل بحث اشباعا تاما لا يحتاج معه الى غيره ونسبت كل قول مما نقلته من غير كتب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الى صاحبه وكذلك أنسب ما أنقله فى كتاب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بالاطراد سوى الأصول الأربعة الاتى ذكرها .... وهذا بيان أسماء كتب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم التى هى أصول هذا الكتاب وأكثرها نادرات الوجود يعسر اجتماعها لطلبتها من مظانها وغير مظانها فى البلاد البعيدة والقريبة " ثم ذكر أسماء الكتب ومؤلفيها ثم قال " .... حتى صار كتابى هذا بفضل الله وحسن توفيقه أجمع كتاب أعلمه فى هذا الشأن وقد رتبته على مقدمة وعشرة أبواب " ثم أخذ يسرد ما أحتوته المقدمة والابواب .

١٩) ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى :

طبع فى الآستانة ١٣١٧ هـ والطبعة الثانية ١٣١٩ ولا مكان للطبع وطبع للمرة الثالثة فى المطبعة الحميدية المصرية ١٣٢٢ صفحاته ٦٧ .

وقد رتبه على مقدمة وأربعين فصلا وخاتمة ووضع تنبيها جاء فيه " وقد رتبت فصول هذا الكتاب الأربعين بحسب ما ألهمنى الله تعالى وقت تأليفها وكتابتها وقد تكرر فيها قليل من المعانى وقت الكتابة فأبقيتها بعد تمامها على وضعها

---

(١) أى الذين ألفوا فى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقت التأليف ولم أتصرف فيها بتأخير مقدم أو تقديم مؤخر ولا بحذف شيء مما تكرر لان التكرار فيه نفع وليس في التقديم والتأخير ادنى ضرر وقد جاءت الفصول على شكل نصائح وتوضيح للأضرار التي تلحق المسلمين لتعليم أولادهم في مدارس النصارى وبيان خطط النصارى السرية من هذه المدارس وقبول أولاد المسلمين فيها مع اجراء النفقات الباهظة عليها كما وضح غرض الدول الممولة لهذه المدارس من أتخاذ الطوائف النصرانية صنائع لهم كما أرسل الصيحات لأولياء أمور الأولاد خوفا على أولادهم الذين يصبحون كفارا أو لا دينيين اذا بقوا في هذه المدارس وقد أهاب بكل من له من سلطة على اخراج هؤلاء من مدارس النصارى وأن من رضي بكفر الاولاد فهو كافر أيضا وحذر من مطبعة الآباء اليسوعيين وتحريفهم لما يطبعون ما يخص الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في كل ما كتب يستعمل العقل والدليل الملموس لأقناع المخاطب بدلا من الاعتماد على النصوص من الكتاب والسنة ....

ومعدل الفصل لا يزيد عن صفحة ونصف تقريبا . وهو يصلح لان يكون عمودا في صحيفة يومية وكل فصل منفصل عن الاخر من حيث أبتداؤه بكلام جديد وانتهاؤه بالدعاء للمخاطب بالهداية وقوله ـ النبهاني ـ قد بلغ وبرئت ذمته . وجعل الخاتمة في لزوم أتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة واجتناب ما عدا ذلك من كتب أهل الكتاب وغيرهم ثم ذكر الأحاديث المؤيدة في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري وترتيب الجامع الكبير للحسام الهندي .

٢٠) صلوات الثناء على سيد الأنبياء المطبعة الأدبية :

طبع في بيروت عام ١٣١٧ هـ ويقع في ٣٣٦ صفحة وقد صدر كتابه بقوله :

صلوات الثناء فيها شفاء * * وبها للنبي تحلو الشمائل

بينت فضله ودلت عليه * * كم بها من مواهب ودلائل

وقال أيضا :

عليك بهذا السفر ان كنت شيقا * * لخير الورى لازمه أي لزام

فانك ان لازمته بمحبة * * ترى المصطفى في يقظة ومنام

ثم أبتدأه بتنبيه جاء فيه :

" ولا يزهدنك فيه كون مؤلفه ليس من فرسان هذا الميدان فان الله سبحانه هو المنعم على من يشاء بما شاء وهو ولي التوفيق والفضل والاحسان . على أن جله بل كله ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية وعبارات سادات كرام من الصحابة والصوفية وليس لمؤلفه في ذلك فضل سوى حسن الترتيب وصحة النقل " ثم يقول :

" ٠٠٠٠٠٠٠ جمعت فيه ما ورد فى الثناء عليه صلى الله عليه وسلم من الاسماء النبوية والآيات القرآنية وبشارات الكتب السماوية وأحاديث الفضائل والشمائل والمعجزات والدلائل ويقول " ٠٠٠٠٠٠٠ ونسبت كل ما أنتخبته من الصلوات الى أصحابه بوضع اسم لكل واحد منهم بأقصر عبارة تميزه قبل الصيغة أو الصيغ التى ينيتهما على ما أنتخبته من كلامه ٠

وقد قسم الكتاب الى أربعة أوراد ومقدمة تكلم فيها على كيفية تأليفه الكتاب وقسم المقدمة الى اثنى عشر مطلبا كلها تدور حول الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

أما الأوراد فقد جعل الورد الاول فى الثناء عليه فى أسمائه من الآيات القرآنية ٠

والورد الثانى فى الثناء عليه فى الكتب السماوية والاحاديث المروية ٠

والورد الثالث فى الثناء عليه من أكابر الأمة الصحابة فمن بعدهم ٠

والورد الرابع فى الثناء عليه من أكابر الأمة ٠

ثم ختم الكتاب بقصيدة سماها (القول الحق فى مدح سيد الخلق) ٠التى مطلعها :

لمن ربع بأكتاف المصلى * * علا السبع العلا شرفا وفضلا
رعاه الله منية كل نفس * * وحياه الله تربته وأعلى (1)

٢١) جامع الصلوات ومجمع السعادات :

طبع بالمطبعة الأدبية ١٣١٨ هـ فى بيروت ، ويقع فى ٣٨٤ صفحة ٠

٢٢) الفضائل المحمدية :

طبع المكتبة العثمانية بالآستانة ١٣١٨ هـ ويقع فى ٣٣٦ صفحة تكلم فيه عن فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم كما وردت فى القرآن والسنة وعلى ألسنة الصحابة

---

(1) راجع الديوان ص ٩٩ ٠

وقد قسمه الى ستة أبواب وخاتمة وفى المقدمة لخص سيرة الرسول على الله عليه وسلم والباب الأول فى أسمائه صلى الله عليه وسلم ، والباب الثانى فى الآيات القرآنية الواردة فى فضائله صلى الله عليه وسلم وتفسيرها ، والباب الثالث فيما ورد من فضائله صلى الله عليه وسلم فى الكتب السماوية السابقة ، والباب الرابع فى الاحاديث التى بين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فضائل نفسه الكريمة عملا بقوله تعالى : " وأما بنعمة ربك فحدث " ، والباب الخامس فى الاحاديث الواردة فى شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم ، والباب السادس فى ذكر شئ من دلائل نبوته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ، وخاتمة الكتاب فى الكلام على تعظيمه ومحبته والاستغاثة به وزيارته صلى الله عليه وسلم •

٢٣) المزدوجة الغراء فى الاستغاثة بأسماء الله الحسنى :

المطبعة الأدبية ١٣١٩ هـ بيروت وتقع فى ست صفحات طبع منها ١٥ السف نسخة ولم أعثر على هذه القصيدة بطبعتها المنفصلة وهى مثبته بالديوان ص ١٣٨ — ١٤١ وقد افتتحها بقوله :

" باسم الاله وبه بدينا * * ولو عبدنا غيره شقينا "
" يا حبذا ربا وحب دينا * * وحبذا محمد هادينا "
لولاه ما كنا ولا بقينا
" اللهم لولا أنت ما اهتدينا * * ولا تصدقنا ولا صلينا "
" فأنزلن سكينة علينا * * وثبت الأقدام ان لاقينا "
نحن الألى جاءوك مسلمينا
" والمشركون قد بغوا علينا * * اذا أرادوا فتنة أبينا "
وقد تداعى جمعهم علينا * * طبق الأحاديث التى روينا
فاردد هم اللهم خاسئينا
الله يا رحمن يا رحيم * * الله يا حى ويا قيوم
الله يا قوى يا قديم * * الله يا على يا عظيم
لا ينبغى للظلم أن يحلونا (١)

---

(١) الديوان ص ١٣٨ •

ثم ذكر فى نهاية القصيدة بعض التنبيهات حول عدد أسماء الله الحسنى وكيف أنه جمعها من الاحاديث المتفرقة ، وما ورد فى القرآن الكريم فبلغت (١٦٩) اسما وهى ، المنظومة فى هذه المزدوجة ثم يقول " افتتحتها بما أنشده النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق " باسم الاله وبه بدينا والشطرين بعده .. الى " اذا أرادوا فتنة أبينا " وهذه الستة الاسطر نسبها الطبى وغيره الى عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، ولم ينسب الثلاثة الاولى الى احد فلعلها من كلامه صلى الله عليه وسلم الذى وافق وزن الشعر وليس بشعر لانه غير مقصود ، وقال : كررت اسم الجلالة لكونه الذات وكلها أوصافه (1) .

٢٤) السابقات الجياد فى مدح سيد العباد :

مطبعة بيروت ١٣١٨ هـ ١٦ صفحة :

لم أعثر على القصيدة بطبعتها المستقلة ووجدتها فى الديوان صفحة ١٠٧ ـ ١٢٧ وهى عبارة عن معشرات على عدد الاحرف الهجائية حيث جعل قافية كل عشرة أبيات أحد حروف الهجاء وافتتح قافية الهمزة بقوله :

أنا عبد لسيد الانبياء * * وولائى له القديم ولائى

وقافية الباء بقوله :

ما الشام مقصدنا كلا ولا حلب * * لكن لمكة منا ترحل النجب

وقافية التاء بقوله :

طال شوقى لطيبة الطيبات * * موطن المكرمات والبركات

وقافية الثاء بقوله :

وصل السراة وأنت ما كمت * * الامت أحداث الحوادث

وقافية الجيم بقوله :

الفلك تمخر والمها رى تنهج * * فدعوا المقام ونحو طيبة عرجوا (2)

---

(1) الديوان ص ١٤١ ـ ٢٤٢ ـ

(2) المهارى نوع من جياد الابل .

وقافية الحـاء بقولـه :

مهت أنسى يأتيه بالوصل روح * * طيبة طيبه وظه المسيح(١)

وهكذا حتى نهاية حروف الهجـاء .

٢٥) هادي المريد الى طرق الاسانيد :

المطبعة الادبية ببيروت عام ١٣١٨ هـ ويقع فى ٧٤ صفحة وطبع منه عشرة الاف نسخـة .

وقد افتتح كتابه هذا بقوله " الحمد لله الذى أجاز نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأعلى الطريق حين عرج به الى المقام العالي ورفعه اليه حتى رآه . وفاز من اللقاء والسماع بالامانى والامال فأخذ يحدث أمته بما أخذه فى رحلتـه عن العليم الخبير برفع الوسائط والوسائل ...

أما بعد " فان الله تعالى وله الحمد والمنة لما ختم بسيدنا محمد النبيين والمرسلين وأرسلة صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بالدين المبين قيض له من أصحابه سادات حفظوه وما ضيعوه وبالغوا فى ضبطه ونشره وبلغوه ...... ولما كان من أكبر نعم الله تعالى على أن وصل سندى بأسانيدهم ـ أى : العلماء القائمين بخدمة الدين ـ كما يتصل بالسادة أحقر عبيدهم رأيت أن أثبت من سلسلة أسانيدى فى هذا الثبت الوجيز ما هو أنفس من سلاسل الذهب الابريز لاجمع تلك الطـرق الكثيرة فى مكان واحد وقد سميته " هادى المريد الى طرق الاسانيد " وأقتصـرت فيه على ذكر اربعين سندا وخمس أجازات وخمسة أثبات أنا مجاز بهـا أحدها يتضمن اثنين وأربعين ثبتا وهى تشتمل على أكثر أسانيد العلماء " (٢)

ثم ذكر أجازاته وأسانيده ، وهذا الكتاب يمثل الشهادات العلمية التى حصل عليها اذ أن الاجازة هى شهادة علمية للمجاز بالموضوع الذى أجيز به .

٢٦) الصلوات الألفية فى الكمالات المحمدية :

طبع فى بيروت بالمطبعة الأدبية عام ١٣١٩ هـ طبع منه ١٥ ألف نسخـة وصفحاته ٩٢ صفحـة :

---

(١) اشتهر سيدنا المسيح عليه السلام بمعجزة أحياء الموتى ولذلك وقع التشبيه هنا الديوان ص ١٠٧ ـ ١١٠ .

(٢) هادى المريد الى طرق الاسانيد ص ١ ـ ٧ .

٢٧) الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا :

الطبعة الرابعة مكان وتاريخ الطبع غير موجودين وتقع في ٦٤ صفحة :

وقد نص المؤلف على أنها طبعت في تونس والمدينة المنورة وبتاوى .

ويقول الشيخ النبهاني : " وقد سميت هذه القصيدة بالرائية الصغرى بالنسبة الى قصيدتي " الرائية الكبرى " المشتملة على ٧٢٥ بيتا وأما هذه فأبياتها خمسون وخمسمائة بيت ، ثم اختصرتها وحذفت نحو الخمسين [1] وقد قدم للقصيدة بستة تنبيهات تدور حول موضوعاتها وقد افتتحها بقوله :

هو الله لا نحصى لآلائه شكرا * * له الحمد في الاولى له الحمد في الاخرى

وكيف نؤديه بشكر حقوقه * * ونعمته بالشكر تستوجب الشكرا

وأشهد أن الله لا رب غيره * * وأن له في خلقه النفع والضرا

له كل ما قد كان أو هو كائن * * وما لسواه في الورى ذرة صغرى

ومهما يكن منهم ومهما يكن لهم * * فان له في ذلك الخلق والأمر

ويدور موضوع القصيدة حول الشيوخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والهجوم على دعوتهم التي تأخذ الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة دون التقيد بأقوال العلماء والمجتهدين .

وقد أعقب هذه الرسالة بأربعين حديثا في مدح السنة وذم البدعة وقال في ختامها : " أعلم أن أتباع هذه المذاهب الأربعة التي أجمعت على قبولها والاقبال عليها الأمة المحمدية من عهد أصحابها الى الان والى ما شاء الله هو في حكم الاتباع للكتاب والسنة لانها شروح لها ولن أطلق لفظ أهل السنة والجماعة من أكثر من ألف سنة الى الان يفهم منه أهل هذه المذاهب الأربعة فمن خرج عن دائرتها لا يعدونه من أهل السنة والجماعة وما خرج عن دائرتها الا أهل الأهواء والبدع في سائر الأعصار والأدوار الى زماننا هذا ...... " [2] .

---

(١) بلغت قصيدته هذه في الديوان ٥٥٠ بيت ، الديوان ص ٣٤٩ ـ ٤٠٠ .

(٢) الرائية الصغرى ص ٦٢ ـ ٦٣ .

٢٨) رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة :

المطبعة الادبية ببيروت عام ١٣١٩ هـ ويقع في ١٦٦ صفحة وطبع منه ١٥ ألف نسخة وأعيد طبعه في ١٩٥٣ ـ ١٣٧٢ وطبعه مصطفى الحلبي بمصر .

يقول الشيخ النبهاني في المقدمة " أما بعد فانه لما كثرت في هذا الزمان الذنوب وقلت محاسن الأعمال كثرت فيه بمقتضى ذلك الكروب وزادت مساوئ الأحوال فان الطاعات تدفع الكروب والخطايا مغناطيس البلايا ....

ولشدة شفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته وعلمه بما يحصل من بعضهم من التقصيرات والكسل عن الطاعات وأنه يأتي عليهم زمان هو أبو الآفات وأم الدواهي والبليات نص لهم عليه الصلاة والسلام على سور وآيات وأذكار ودعوات عرفهم أنها مع قلة ألفاظها كثيرة المثوبات وأنها حرز من المصائب والنائبات . وأن بها كشف الكروب وقضاء الحاجات ...... وأفضل صيغها ما هو عنه صلى الله عليه وسلم مأثور . فجمعت من ذلك ومن سائر جوامع أدعيته صلى الله عليه وسلم مقدارا وافرا تقر به عيون المؤمنين ...... وسميته " رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة الوافية بأنواع المنة الواقية شر الانس والجنة " ولقبته " كشاف الكروب ومبلغ الطالب بغية المطلوب " وكنيته " بأبي التيسير مغني الفقير وجابر الكسير وتلها ألفاظ وافقت معناها . وأسماء طابقت مسماها . ولكن الاسم الأول هو الذي عليه الشهرة والمعول لأنه هو الذي سبق به الالهام وعليه جرى تقسيم الكتاب وتأليف الكلام (1) .

وقد قسم المؤلف الكتاب الى قسمين :

القسم الاول في أصول هذه الرياض وثمراتها .. أي : ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثها وفوائدها .

والقسم الثاني في ذكر ما ورد في القرآن الكريم من الدعوات والأذكار .

وقبل أن يبدأ الشيخ النبهاني في كتابه يقول " واذا اطلعت ايها المسلم على حسن ترتيب هذا الكتاب وعرفت ما اشتمل عليه من السور والايات والأذكار والأدعية

---

(١) رياض الجنة ص ٢ ـ ٤ .

والصلوات الواردة لقضاء الحاجات ، ودفع الكريسات وكثرة المثوبات ، ثم لم تدرك ما أشتمل عليه من الحسن والاحسان ولم تعتقد أنه مع صغر حجمه من أجل الكتب التي ألفت في هذا الشأن ، فابك على نفسك لانها ليس لها نصيب من الذوق السليم والعرفان ولا أخالك الا ستعرف قدره وتتلقاه بالقبول وتبلغ من ملازمته والعكوف على قراءته غاية السول ان شاء الله [1] .

٣٠) عنوان التهاني ببلوغ الأماني :

طبعت في بيروت في ١٠ جمادى الثانية ١٣٢٠ وهي قصيدة في تهنئة أحمد عزت باشا العابد لتوليه منصب الكاتب الثاني لدى السلطان عبد الحميد وقد بلغت ابياتها ١٠٠ بيت وقد تكلمت عن القصيدة في الاغراض الغير الدينية لشعره

٣١) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية :

طبع عام ١٣٢١ هـ ثم أعيد طبعه بالأوفست عام ١٣٩٤ :

والكتاب يقع في أربعة أجزاء عدد صفحات الطبعة الثانية ٢٠٠٢ صفحة وقد اعلن عن جمعه للقصائد في مجلة ثمرات الفنون " بعنوان " اعلان القصائد النبوية " جاء في اعلانه " سأجمع مجموعا حافلا في المدائح النبوية أنتخبه من غرر قصائد فحول الشعراء وقد أستحضرت منها الى الآن مقدارا وافرا من الجهات البعيدة والقريبة ولما كانت القصائد النبوية كثيرة لا يمكن حصرها وقلما يخلو منها مسلم في سائر الاقطار والاعصار اما أن يكون ناظمها أو كاتبها فأرجو من كل من اطلع على اعلاني هذا من المسلمين المحبين للحضرة النبوية أن يمد الي يد المساعدة في ذلك بقدر معرفته واستطاعته وأن يرسل الي ما يقدر على الحصول عليه من المدائح النبوية وله الاجر الجزيل والشكر الجميل واني أتعهد له بكل ما يصرفه من ثمنها أو أجرة نسخها مع أجرة " البوسطة " وان سمحت نفسه بارسال ذلك أن كان ديوانا أو مجموعا ولو " بالبوسطة " فاني آخذ حاجتي منه وأعيده اليه واذا فقد فعلي الضمان ولا يلزم ارسال شيء من القصائد المأخوذة من الدواوين والكتب المطبوعة لانها موجودة عندي [2]

التوقيع
يوسف النبهاني
رئيس محكمة الحقوق في بيروت

---

(١) المصدر السابق ص ٩

(٢) مجلة ثمرات الفنون عدد ١٢٣٤ ص ٨ الاثنين ٤ صفر ١٣١٧ هـ وأعاد الاعلان عنه في عدد ١٢٣٥ الموافق ١١ صفر ١٣١٧ وفي عدد ١٢٣٧ الموافق ٢٥ صفر ١٣١٧ هـ .

وفي العبارة الاخيرة من أعلانه يظهر لنا استحواذ المؤلف على جميع المدائح المطبوعة وحرصه على القصائد المخطوطة حيث يظهر لنا جهده في جمع هذه المجموعة .

وقد صدر مجموعته بتنبيه جاء فيه : " قال جامعها اعلم أيها الواقف على هذه المجموعة الجامعة لمدائح سيدنا محمد البشير النذير التي ليس لها في المجاميع نظير ـ كما أنه صلى الله عليه وسلم ليس له في العالمين نظير ـ أني بذلت جهدي في جمعها من البلاد البعيدة والقريبة حتى حصلت على مقادير وافرة من دور بحور الأولياء والعلماء وغرر فحول الأدباء والشعراء ، وأخترت منها بحكم الذوق والاجتهاد ما أثبته فيها مع شرحي لغريب ألفاظها ومعانيها ، وقد ساعدني على جودة تصحيحها تعدد النسخ في أكثرها ومعرفتي والحمد لله بجيد الشعر ورديئه فاذا أختلفت النسخ في بعض الألفاظ أرجح منها ما هو أولى وأحرى بحيث لو أطلع عاجبها على ذلك لقال لي جزاك الله خيرا ثم ونكيها مجموعة جامعة لأبكار المحامد المحمدية ساطعة بأنوار المدائح الأحمدية .... وهي السفينة الكبرى بل المدينة العظمى لكونها أشتملت على أكثر من عشرين الف بيت كلها عامرة بمحاسن الصفات والأسماء .

فالشكر لله على هذه النعمة العظيمة التي يلغ بها كل محب للحضرة المحمدية مناه والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (1) " .

وقد وضع لمجموعته مقدمة طويلة بلغت أثنى عشر فصلا استوعبت خمسين صفحة وقد ضمن مقدمته الكثير من آرائه النقدية في المدائح النبوية وفيها يظهر سعة أطلاعه وعلمه في جمع قصائدها اذ يقول " وقد وفقني الله وله الحمد والمنة الى الحصول على كثير من جواهر مدائحهم (2) النبوية بعد أن بذلت جهدي لاستخراجها من كنوز الكتب والدواوين والمجاميع

---

(١) المجموعة النبهانية جـ ١ ص ٢

(٢) يقصد العلماء والاولياء كما تقدم في كلامه

وطالعت فهارس كتب القسطنطينية ومصر وغيرهما الخطية وغيرها وكاتبت للحصول عليها البلاد البعيدة والقريبة كالحرمين الشريفين والقسطنطينية ومصر والشام وحلب والعراق واليمن والمغرب ونشرت ذلك فى صحف الاخبار حتى حصلت من بحرها الطامى وأفقها السامى على مقادير وافرة من دررها الزاهية ودراريها الزاهرة اخترت منها بحكم الذوق والاجتهاد ما أثبته فى هذا الكتاب البديع والمجموعة التى لا أعلم لها نظيرا فى المجاميع وأعلم أنى قد بذلت جهدى فى تصحيحها حتى جاءت على أحسن وجه أمكننى وساعدنى على ذلك تعدد النسخ فى أكثرها ومعرفتى والحمد لله تعالى بجيد الشعر ورديئه فاذا اختلفت النسخ فى بعض الألفاظ أرجح منها ما هو الراجح حقيقة ولم أتصرف من عندى الا فى ألفاظ قليلة لم يمكن تصحيحها على أصلها لانفراد نسختها وعدم صحتها فمن وقع له بعد هذا نسخة محققة الصحة كأن تكون بخط مؤلفها ووجدها مخالفة لما هنا فى بعض ألفاظها فليصحح عليها ولو فرض ذلك لا تكون المخالفة الا فى النادر ان كانت ، وربما يكون اللفظ الذى أثبته مثل الأصل أو خيرا منه ولا يخفى أن تداول أيدى النساخ فى الشعر يوقع الخلل فى بعض ألفاظه ومعانيه لأن جلهم أو كلهم ليسوا شعراء فلا يدرون أوزانه وكثيرا من معانيه ، وأعلم أنى قد افتتحت هذه المجموعة بنظم الصحابة فيه صلى الله عليه وسلم اهتماما بشأنهم ويكون كلامهم مجموعا فى مكان واحد قسمته الى قسمين الأول المراثى والثانى المدائح سوى بانت سعاد فانى ذكرتها فى أول حرف اللام لتكون مع نظائرها فى مكان واحد ثم رتبت مدائح من عداهم على حروف المعجم وان كان لى مديح فى حرف أذكره فى آخره وذكرتها مرتبة بحسب أزمانهم غالبا بعد افتتاح كل حرف بمديح الأئمة الثلاثة الأبوصيرى فالبرعى فالصرصرى ان كان لهم كلام لأنهم أشهر مداحه صلى الله عليه وسلم وان كان قد أتى من أئمة المشارقة والمغاربة من هو مثلهم أو أعلى نظما من بعضهم ، كما ستقف على ذلك فى كلامهم ان شاء الله تعالى .

ومن هنا تعلم أيها الفاضل المنصف ماكابدته فى جمع هذه القصائد وتصحيحها فضلا عن ترتيبها وشرح غريبها حتى جاءت بفضل الله تعالى وبركة ممدوحها الأعظم صلى الله عليه وسلم على أحسن وجه جميل مقبول تعشقه الطباع السليمة والعقول من كل محب للرسول صلى الله عليه وسلم فتشكر صنيعى ولا تكفره وتعرف معروفى ولا تنكره وتهدى الى من دعواتك الصالحة فى حياتى وبعد مماتى ما يكون ان شاء الله

تعالى مقرونا بالقبول ، ولا ألومك ان لم تفعل ذلك اذا لم تسىء الىّ بالاعتراض علىّ كأن تقول مالذى صنعه وانما هو كلام الناس قد جمعه لأنى لم أفعل ذلك بقصد شكرك ودعائك ومحبتك وولائك وانما ذلك من الفوائد الزوائد والمقصود انما هو نشر الثناء الجميل على سيد الوجود وأفضل كل والد ومولود صلى الله عليه وسلم فان حصلت مع هذا الأصل تلك الزوائد فحبذا هى من فوائد والا فلا عتاب ولا ملام وقد حصل بحمد الله المرام[1] .

٣٢) الخلاصة الوفية في رجال المجموعة النبهانية ومقدار ما لكل واحد منهم فيها من المدائح النبوية " وهى ملحقة بالجزء الأول من المجموعة النبهانية وعدد صفحاتها ١٢ صفحة .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة " وقد ذكرت الصحابة منهم بحسب ذكرهم فيها من غير ترتيب وأرخت وفاة من أرخ وفاته منهم ابن الأثير فى كتاب أسد الغابة فى أسماء الصحابة ، أما غير الصحابة فكما رتبت مدائحهم فى المجموعة على حروف المعجم ورتبت ذكرهم هنا على الحروف بحسب ما اشتهروا به من أسمائهم أو ألقابهم أو نسبهم لتسهل مراجعة من يراد مراجعة اسمه منهم وأرخت وفاة من استحضرت تاريخ وفاته منهم واتفق ذكر الامام الأبوصيرى وهو امام هذا الشأن بحسب هذا الترتيب فى أولهم وذكر جامعها الفقير يوسف النبهانى فى آخرهم ، هو اتفاق حسن رحمهم الله أجمعين وحشرنى فى زمرتهم تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد أطلقت لفظ القصائد على ما بلغ السبعة الأبيات فأكثر والمقاطيع على ما دون ذلك والله الهادى وعليه فى كل الأمور اعتمادى "[2] .

٣٣) صلوات الأخيار على المصطفى المختار :

بيروت المطبعة الأدبية ١٣٢١ هـ وتبلغ ٣١ صفحة :

٣٤) التحذير من اتخاذ الصور والتصوير :

---

(١) المجموعة النبهانية جـ ١ ص ٣١ ــ ٣٣
(٢) المجموعة النبهانية جـ ١ ص ٢

بيروت ١٣٢٣ واسم المطبعة غير موجود ويقع فى أربع عشرة صفحة :

افتتح الشيخ النبهانى رسالته فقال " ..... أما بعد فهذا مختصر سميته كتاب التحذير من اتخاذ الصور والتصوير " حملنى عليه ما هو مشاهد فى هذا الزمان من ابتلاء كثير من المسلمين بذلك حتى ان بعض أولادهم يتعلمونه فى المدارس ويصورون صورة الانسان وغيره من أنواع الحيوان ولا يبالون بشدة تحريمه وان باءوا بالخسران بل يصور أحدهم نفسه أو أباه أو واحدا من يعز عليه ويفتخر بتعليقها فى صدر بيته اما لجهله واما لعدم مبالاته بسخط الله تعالى وغضبه عليه فان ذلك من الكبائر كما سيأتى وهذا أوان الشروع فى المقصود وقد نقلت فيه عشرين حديثا صحيحا ....."(١) .

ولما أتم المؤلف العشرين حديثا قال " فهذه عشرون حديثا أكثرها من رواية البخارى ومسلم أو أحدهما .

وقد ذكر الامام النووى بعضها فى رياض الصالحين وقال فى أول الباب الذى عقده لذلك باب تحريم تصوير الحيوان فى بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو دينار أو مخدة أو وسادة أو غير ذلك وتحريم اتخاذ الصورة فى حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها والأمر باتلافها " .

ثم أخذ الشيخ النبهانى يستشهد بأقوال العلماء فى التحريم سواء كان التصوير له ظل أو لا ظل له مادام موضوعا فى مكان غير مهين ثم ناقش قول القاسم بن محمد فى عدم تحريم ما لا ظل له واستشهد على تحريم مالا ظل له بأقوال الامام النووى والثورى ومالك وأبى حنيفة والزهرى وابن حجر والامام الصيفى .

أما أقوال المحدثين فقد استشهد بقول الشيخ محمد الشنوانى شيخ الجامع الأزهر فى وقته والشيخ ابراهيم الباجورى شيخ الأزهر فى وقته ، ثم وضح كيف انتقل اتخاذ الصور من عباد الأوثان الى النصرانية ثم الاسلام . وجعل لبحثه

---

(١) التحذير من اتخاذ الصور والتصوير ص ٢

خاتمة ناقش فيها حديث البخارى " أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكـــن يترك فى بيته شيئا فيه تصاليب الا نقضه " ثم يورد أقوال العلماء وتخريجاتهـــم فى قياس تصاليب على تصاوير أو ذكر رواية تصاوير بدل تصاليب ويقول أخيرا :"والحاصل أن التصوير واستعمال ما عليه الصور والصلبان من الأشياء ليس من شأن المسلميـــن أما استعمالها بصفة التعظيم فهو حرام شديد التحريم وربما جر الى الكفر والعيـــاذ باللـــه "(١) .

٣٥) أحسن الوسائل فى نظم أسماء النبى الكامل :

المطبعة الأدبية ١٣٢٣ بيروت وتقع الرسالة فى ٢٣ صفحة :

وقد بدأ الرسالة بأربعة تنبيهـــات :

الأول : استحباب قراءتها مع الكيفية .

الثانى : عدد الأسماء المنظومة فى هذه المزدوجة وهى العربية والمعربـــة ٨٢٤ ولم يجمع أحد هذا العدد قبل هذا ولم أنظم معهـــــا الأعجميات .

الثالث: يذكر عدم تمكنه من ادخال بعض الأسماء باللفظ الذى ذكره العلماء لاخلال ذلك بالفصاحة ولعدم مساعدة الوزن أو لأسباب أخرى .

الرابع : قد التزم فى الشطر الخامس أن يذكر فيه ضمير النبى صلى اللـــه عليه وسلم لتتمكن الصلاة عليه .

كما التزم عدم تكرار الأسماء وعدم زيادة كلمات غيرها الا فى النادر ولم يلتزم لفظ أل فى بعض ما ذكروه من الصفات اقتداء بالامام الجزولى رحمه الله فى دلائل الخيرات (٢) . وقد بدأ منظومته بقولـــه :

الحمد للـــه الغنـــى الأحـــــد ** الواحد الفرد العلـــى الصمـــد

السيد المطلـــــق خيـــر سيـــد ** مولى أسامى عبـــده محمـــد

خير الورى ذاتـــا ووصفـــا وسمـــا

---

(١) التحذير من اتخاذ الصور والتصوير ص ١٤ .

(٢) أحسن الوسائل فى نظم أسماء النبى الكامل ص ٢

وهى أسام كلهـــا رفيعـــــة ** ضمنتها أرجـــوزة بديعـــة

كانت لعمرى صعبـــة منيعـــة ** فرضتها حتى أتـــت مطيعـــة

أحكمت مدحـه بها فاستحكمـــا

نظمتها فى مدحـــه المسمـــى ** بلاتكلف يعى النظمـــا

ليست كنظم العلمـــاء الاسمـــا ** ليضبطوها ويفيدوا العلمـــا

محبة يحشقهـــا ان فهمـــا

وختم منظومته بقولـــه :

محمد السخـى ذو المطايـــا ** وصاحب الجهـــاد والسرايـــا

بجاهـــه اغفـــر ربنـــا الخطايـــا ** بلغ منانـــا واكفنـــا الرزايـــا

ما بدئ الخيـــر بـــه واختمـــا

وقد بلغت ١١٢ تخميسا ، وهى مثبتة فى الديوان ص ١٤٢ ـ ١٦٦ .

٣٦) كتاب الأسمى فيما لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الأسمـــا :

المطبعة الأدبية ١٣٢٣ هـ بيروت ويقع الكتاب فى ٤٣ صفحة .

يقول المؤلف فى افتتاحية كتابه " أما بعد فهذا مختصر صغير كلمه كثيـــره جمعت فيه الأسماء المحمدية مع شرح مالا بد من شرحه منها ، ورتبتها فيه علـــى حروف المعجم بحسب أوائلها كما فعل الحافظ السخاوى فى " القول البديـــع " والامام القسطلانى فى " المواهب " وسميته (الأسمى فيما لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الأسما " وأذكر قبل الشروع فى سردها مقدمة نافعة تشتمل على فوائد "(١)

ثم ذكر سبع فوائد تبحث حول عدد أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم واختـــلاف العلماء فى الصفات واعتبارها من الأسماء أم لا واشتراك الرسول صلى الله عليه وسلـــم

---

(١) كتاب الاسمى فيما لسيدنا محمد من الاسماء ص ٢

مع الله سبحانه وتعالى فى بعض الأسماء . وحول الأسماء الأعجمية وعدم الاعتداد بها واختلاف العلماء فى عدد الأسمـــاء .

٣٧) حزب الاستغاثات بسيد السادات :

المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٢٣ هـ ، والكتاب يقع ٤٤ صفحة :

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة " أما بعد فهذا حزب جمعت فيـــه استغاثات أربعون وليا لله تعالى بنبيه الاكرم وحبيبه الأعظم سيدنا محمد صلى اللــه عليه وسلم وقدمت عليها الاستغاثة بأسماء الله الحسنى وأتممتها بما ورد فـــى الأحاديث النبوية من الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وهى خمسة أحاديـــث " ثم قال " وذكرته فى كتابى شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم من جملة البراهين التى لا تحصى ولا تعد على جواز واستحسان الاستغاثة الى الله تعالى بهذا العبد الكريم والسيد السند العظيم صلى الله عليه وسلـــم وشرف ومجد ، وقد رأيت أن أفرده هنا لينتفع به المحبون للحضرة النبوية "(١) ثـــم ذكر عملية الزيادة الحذف التى أوجدها هنا وختمها بقوله " اللهم أختم لنـــا بخاتمة السعادة واجعلنا من الذين لهم الحسنى وزيادة بجاه سيدنا محمد صلـــى الله عليه وسلم ذى الشفاعة وآله وصحبه ذوى السيادة وصلى الله على سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين "(٢) .

٣٨) مفرج الكروب ومفرح القلـــوب :

المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٢٣ هـ ويقع فى ١٤٤ صفحة :

يقول الشيخ النبهانى " أما بعد فهذا كتاب ونعم الكتاب ، جمعت فيـــه من مفرجات الكروب مالم يجمعه قبله كتاب ، وحملنى عليه كثرة ما رأيته نزل فى هـــذا الزمان بأهل الايمان من الشدائد والكروب بسبب كثرة الذنوب وأسأل الله تعالـــى أن يمن علينا بالرضا والغفران ويحسن الينا بأحسن الأحوال فهو ولى الاحســان

---

(١) حزب الاستغاثات بسيد السادات ص ٢

(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

وسميته مفرج الكروب ومفرح القلوب ومبلغ الخائف من حصول الأمن وحصونه غاية المطلوب " ورتبته على قسمين وخاتمة وهو ما بين آيات قرآنية وأذكار وأدعية نبوية وغير نبوية مما فيه الاسم الأعظم أو المعروفة باستجابة الدعاء أو المجربة لقضاء الحاجات ودفع البلاء جمعتها من كتب العلماء والمحدثين والأولياء العارفين " كقوت القلوب " لأبي طالب المكى " واحياء العلوم " للامام الغزالى " والترغيب والترهيب " للحافظ المنذرى " والأذكار " للامام النووى " ومشكاة المصابيح " لولى الدين التبريزى " والأرج فى الفرج " للحافظ السيوطى "والجامع الكبير " له وغيرها من الكتب التى يأتى التصريح بأسماء مؤلفيها عند النقل عنهما فى القسم الثانى الذى ذكرت فيه تخريج جميع الأحاديث الواردة فى هذا المختصر ونسبت كل شىء مما حواه الى صاحبه ومن رواه (١) .

ويقول الشيخ النبهانى أيضا " أما الخاتمة فقد ذكرت فيها فوائد أخرى مهمات مجربات للفرج وقضاء الحاجات ولم أذكرها فى الأوراد لاشتراط كثرة التكرار ، أو لزوم الأعمال " (٢) .

٣٩) الرحمة المهداة فى فضل الصلاة :

طبع عام ١٣٢٣ هـ ولا مكان للطبع وأعيد طبعه فى دار الدعوة فى حماة بسورية

وتاريخ الطبع غير موجود ، وعدد صفحات الرسالة ٩٢ صفحة قدم لها الأستاذ محمد أديب كلكل بمقدمة طويلة : عن الشيخ النبهانى ، وجاء فى المقدمة " أما بعد : فيقول الفقير يوسف النبهانى غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة : انى رأيت كثيرا من الناس فى هذا الزمان يتهاونون بترك الصلوات وبعضهم يصلى ولكنه يتهاون بترك الجمعة والجماعات فحملنى ذلك على جمع هذه الرسالة المختصرة المهذبة المحررة وسميتها " الرحمة المهداة فى فضل الصلاة " (٣) وقسمتها الى ثلاثة أبواب .

---

(١) مفرج الكروب ومفرح القلوب ٣ ـ ٤

(٢) المصدر السابق ص ٣

(٣) الرحمة المهداة فى فضل الصلاة ص ٢٦

الباب الأول : فى فضل الصلاة والتحذير من تركها وأستشهد بما ورد فى القرآن والحديث وأقوال الصحابة .

الباب الثانى : فى فضل صلاة الجماعة والتحذير من تركها .

الباب الثالث : فى فضل صلاة الجمعة والتحذير من تركها .

وجعل للرسالة خاتمة تكلم فيها عن حكمة الوضوء والصلاة من الناحية الحسية والمعنوية .

٤٠) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق :

الطبعة الأولى بالمطبعة الميمنية فى مصر عام ١٣٢٣ هـ والطبعة الثانية عام ١٣٥٠ هـ من طبع مصطفى الحلبى بمصر والطبعة الثالثة عام ١٣٨٥ هـ من طبع مصطفى الحلبى ، والطبعة [illegible] فى ٤٥٣ صفحة ، ويعد هذا الكتاب من أهم كتب الشيخ النبهانى حيث أظهر فيه من المقدرة العلمية فى الاستشهاد بالنصوص وتوجيهها الشىء الكثير ، وقد حاز هذا الكتاب اعجاب الكثير من علماء عصره وذكر تقاريظهم للكتاب فى أوله وهم الشيخ على محمد الببلاوى شيخ الأزهر سابقا والشيخ عبد القادر الرافعى مفتى الديار المصرية سابقا والشيخ عبد الرحمن الشربينى شيخ الأزهر فى وقته والشيخ بكرى الصدفى مفتى الديار المصرية والشيخ محمد عبد الحى الكتانى من أجلاء علماء المغرب والسيد أحمد بك الحسينى الشافعى المحامى وقد ذيل تقريظه بقصيدة من خمسة أبيات مدح بها المؤلف والكتاب والشيخ سليمان العبد الشبراوى والشيخ أحمد حسنين البولاقى أحد علماء الشافعية بالأزهر والشيخ أحمد البسيونى شيخ الحنابلة فى الأزهر وقرظ الكتاب أيضا كل من الشيخ سعيد الموجى والشيخ محمد الحلبى ، وقد اشتركا فى تقريظ واحد .

وقد جاء فى مقدمة هذا الكتاب :

" أما بعد فهذا كتاب فى بابه فريد ما على حسنه من مزيد أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ويكفينى واياه كل ذى فهم سقيم وخلق ذميم ورأى فى الدين غير مستقيم وأن ينفع به النفع التام العام

ويجعله من أعظم الوسائل الى سعادتى فى الدنيا والبرزخ ويوم القيامة ولكثرة ما حواه من الشواهد والشهود على مشروعية الاستغاثة بصاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم سميته شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق ، " ويستنبئونك أحق هو ؟ قل اى وربى انه لحق " .

والمقدمة تشتمل على فصلين الأول فى الكلام على انقطاع الاجتهاد المطلق ، والثانى يشتمل على اثنى عشر تنبيها تلزم معرفتها ومن أراد مطالعة هذا الكتاب قبل الدخول فى الأبواب . وهى ثمانية : الباب الأول فى مشروعية السفر الى زيارته صلى الله عليه وسلم ، والباب الثانى فى مشروعية الاستغاثة والباب الثالث فى نقل كلام الامام السيد أحمد دحلان فى كتابه (خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام) ، والباب الرابع فى نقل ردود العلماء على الامام ابن تيمية ، والباب الخامس فى الكلام على ثلاثة كتب طبعت فى هذه الأيام تتضمن نصرة ابن تيمية ، والباب السادس فى نقل حكايات وآثار وردت عن العلماء والصالحين فى الفوائد التى حصلت لهم من الاستغاثة بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، والباب السابع فى دعوات أكابر الأولياء فى أحزابهم فى الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم ، والباب الثامن فيما ورد من استغاثات العلماء والفضلاء به صلى الله عليه وسلم نظما [1] .

---

(١) رد الشيخ محمود شكرى الألوسى على كتاب النبهانى " شواهد الحق " بكتابه " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " ولم يذكر تاريخ الطبع وانما انتهى من تأليفه عام ١٣٢٥ هـ فى احدى المطابع المصرية وأعيد طبعه حديثا فى مطابع نجد التجارية فى الرياض .

٤) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في معجزات سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين :

طبع مصطفى الباب الحلبي بمصر عام ١٣٢٣ هـ .

يقول الشيخ النبهاني موضحا موضوع كتابه ودواعي تأليفه بعد مقدمة طويلة من الحمد والثناء والصلاة والتسليم : " أما بعد فاني كنت سمعت بكتاب ضلال وبهتان ، وسفر كفر وعدوان ، سماه صاحبه "الهداية" أي هداية الشيطان الى سبيل النيران ، ثم بعد أن مضى على ذلك نحو سنتين قدر الله اطلاعي عليه فوجدته صحيفة بهتان واتك ، وقد كتم مؤلفه اسمه ولا عالم عليه ولا عجب فليس بعد الكفر ذنب ..... فحملني ذلك على تأليف الكتاب لادحض الباطل بالحق ...الخ

ويقول الشيخ النبهاني :ـ

" كنت ربما أكتب كراسة أو قريبا منها في نحو ساعتين أو ثلاثة بقلم الرصاص ويدي في غاية السرعة بالكتابة حتى كأن معلما يملي على ذلك بل لو أملى على لما بلغ الأمر تلك السرعة ولا أعلم لذلك سببا الا التأييد والالهام "(١) .

ويعتذر النبهاني عن خشونته في النقاش فيقول " واعلم أنه ليس من خلقي المجادلة بالخشونة مع أهل الكتاب فقد أوحى الله تعالى الى سيدنا ابراهيم عليه السلام: " يا ابراهيم حسن أخلاقك مع الكفار تدخل منازل الأبرار، واختلاطنا في أوطاننا معهم كثير وان اختلف الجمهور فهم وان خالفونا في الدين اخواننا في الطين ، كلنا أولاد آدم وآدم من تراب ، وكم لهم منا ولنا منهم في الشؤون الدنيوية أصحاب ، فلا تجوز الانسانية اساءة بعضنا لبعض ، ومجاملة كل منا للآخر هي في حكم السنة ان لم تكن في حكم الفرض ، ولكن عذري فيما صدر مني من ذلك مقبول لما صدر منهم من التعدي في حق القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم فأصبحت اجابتهم واساءتهم على من الفروض المحتمة(٢) ، وقد قسمت

---

(١) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ٦ ـ ٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٩ ـ ١٠ ، وكلمة " المحتمة " خطأ شائع ، والصواب : المحتومة لان المضعف لم يرد من هذا الفعل . د. سرحان

الكتاب الى قسمين القسم الأول فى اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم وقد قسمته الى سبعة أبواب والقسم الثانى فى اثبات أن القرآن كلام الله تعالى المجيد وقد قسمته الى أربعة أبواب .

ويبدو أن الشيخ النبهانى كان يناله بعض الاذى من غير المسلمين وانصارهم فى بيروت لتصديه للرد عليهم وقد ألمح لنا الى شئ من هذا فى طبعه لكتاب " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين " .

يقول الشيخ النبهانى " رأيت فى منامى فى أحد الربيعين من هذه السنة سنة ١٣٢٢ هـ أنى جالس فى المسجد النبوى مستقبلا حجرته الشريفة صلى الله عليه وسلم ناظرا اليها وأنا أنشد هذا البيت وأكرره وهو قول الامام الأبوصيرى فى بردة المديح .

ومن تكن برسول الله نصرته ** ان تلقه الأسد فى آجامها تجم

وبعد هذا المنام صممت على طبع كتابى " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين " بعد أن كنت مترددا فى طبعه خوفا من وقوع محاذير . فبعد هذا المنام جزمت بطبعه وسهل الله أسبابه فأرسلته الى مصر فطبع فيها ولم يحصل شئ من الموانع والحمد لله رب العالمين[1] .

٤٢) الأساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة :

طبعه مصطفى الحلبى ١٣٢٣ هـ وأعيد طبعه ١٣٥٠ والطبعة الثالثة ١٣٨٥ ، وهو ملحق بكتاب شواهد الحق .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة : " والحامل لى على تأليفه أن الشيطان قاد فى هذا الزمان بعض الجهال من أهل السنة بوسيلة حب آل البيت الكرام والتعصب لهم بمجرد الهوى والأوهام الى بغض بعض الصحابة الكرام ولا سيما

---

(١) شواهد الحق ص ٥٦٢ .

معاوية وعمر وبن العاص لخروجهما عن طاعة الامام وصار هوءلاء الجهلة يتبجحون بذ مهما معتقدين بجهلهم أن ذلك من القرب التى ترضى الرب ، وسول لهم أبو مرة أن أئمة الأمة من أهل السنة ما أنصفوا فى الجواب عنهما وعن كل من كان على شاكلتهما من الصحابة المحاربين لعلى رضى الله عنه وربما تجاوز بهم الحال الى الاعتراض على الخلفاء الراشدين ولا سيما عثمان .... ضوء حال هوءلاء الجهلة من أهل السنة هو الذى حملنى على تأليف هذا الكتاب ليعرف من قرأه منهم أنه فى خطأ عظيم وخطل ذميم وأنه فى ذلك ليس على هدى من الله ، أما الشيعة فليس لى أمل فى رجوعهم بقراءته عن مذهبهم القديم لأنهم ورثوه عن الآباء والأجداد وسيورثونه الأبناء والأحفاد ، فان صاحب البدعة والمذهب المخالف مهما أقمت عليه الحجة وألزمته الدليل وعجز هو عن الرد ولم يجد للجواب من سبيل لا يحمل ذلك على أن مذهبك حق ومذهبه باطل وانما يحمله على أنك أمهر منه بترتيب الحجج واقامة الدلائل ، ومقصودى الأصلى هو المحافظة على رأس مالنا وهم عوام أهل السنة .... الخ [1] .

وقد قسم كتابه الى مقدمة — شرح فيها تعريف الصحابى وعدد الصحابة وطبقاتهم — وقسمين وخاتمة .. ثم قال :

والقسم الاول فى نقل عبارات أكابر العلماء من أئمة المذاهب الأربعة التى استدلوا بها من الكتاب والسنة واجماع الأمة على فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..... ولا سيما الخلفاء الراشدين " [2] .

والقسم الثانى فى الاحتجاج على فضلهم وكمالهم بعبارات فائقة بنيتها على الآيات والأحاديث وأقوال العلماء السابقة .

والخاتمة فى حكايات ومنامات توءكد دلائل فضلهم وتنذر مبغضهم بأسوأ الحالات " [3] .

---

(١) الاساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة ص ٤٥٦ — ٤٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥٨ .

(٣) المصدر السابق .

٤٣) اتحاف المسلم بما ورد فى الترغيب والترهيب من البخارى ومسلم :

الطبعة الاولى عام ١٣٢٤ ومكان الطبع غير معروف وأعيد طبعه فى مطبعة التقدم ١٩٢٩م على نفقة محمد عبد الواحد بك الطوبى وأخيه ويحتوى الكتاب على ٢٥٦ صفحة .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة فى أسباب تأليف هذا الكتاب :

" واعلم أن سبب جمعى لهذا المختصر أنى بعد أن طبعت كتابى " الأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية " طبعا جميلا مضبوطا بالحركات ورزقه الله بفضله القبول التام وانتشر فى جل أو كل بلاد الاسلام جائنى على أثر انتشاره من نحو عشر سنوات مكتوب من أحد علماء جزائر الغرب واسمه عبد الله القرشى نفعنى الله ببركاته وجزاه عنى خير الجزاء ـ مدح فيه ذلك المختصر كثيرا وطلب منى أن أختصر كتاب " الترغيب والترهيب " للحافظ المنذرى وأطبعه مضبوطا بالحركات كما فعلت فى مختصر المواهب وحرضنى على ذلك لما يحصل به من النفع العميم فلم تنبعث همتى لذلك لعلمى أن هذا الكتاب الفريد على طوله لم يخرج منه شئ عن المعنى الذى ألفه لأجله مؤلفه رضى الله عنه فلا ينبغى حذف شئ منه ولم يخطر فى بالى اختصاره الى هذا النهار وهو يوم الأحد الثانى عشر من شهر شعبان سنة ١٣٢٤ فبينما أنا فى منزلى فى بيروت أنقل منه أحاديث اذ خطر لى استحسان اختصاره بافراد أحاديث الصحيحين منه فى كتاب مستقل ولا زال هذا الخاطر يقوى حتى حصل فى اليوم المذكور التصميم والسلوك فى هذا الصراط المستقيم "(١) .

٤٤) جامع الثناء على الله :

طبع فى المكتبة العربية فى دمشق ١٣٢٤ والطبعة الأخيرة ١٣٨٦ على نفقة مكتبة الجندى بمصر .

---

(١) اتحاف المسلم ص ٤ .

يقول الشيخ النبهانى فى مقدمة كتابه ـ بعد أن أورد بعض الأحاديث النبوية عن حب الله للثناء والمدح وأورد بعض الأشعار فى المعنى الذى قصده ـ:

" خطر لى أن أجمع من ذلك كتابا حافلا فى عدة مجلدات من القرآن والحديث وكلام العارفين نظما ونثرا فجمعت جميع ما فى الجامع الكبير للحافظ السيوطى من الأحاديث التى ذكر فيها الثناء عليه تعالى لأدنى مناسبة فاجتمع من ذلك أكثر من عشرة آلاف حديث وأخذت معظم مافى القرآن من آيات الثناء عليه تعالى ورتبتها بوضع كل شىء مع ما يناسبه فكانت نحو سدسه ووجدت أكثر من نصفها فى التوحيد ونفى الشرك وجمعت من أحزاب الأولياء وأورادهم شيئا كثيرا واشتغلت بذلك ولا سيما بالأولين عدة سنوات ثم ألهمنى الله تعالى وله الحمد والمنة الرجوع عن هذا التطويل الى الاختصار لأنه أكثر نفعا وأحسن وقعا اذ جمع الآيات القرآنية على هذا الوجه وقراءتها هكذا غير مستحسنة شرعا لما فيها من تشتيت القرآن وتقطيعه مع أن القرآن كله فى الحقيقة ثناء على الله تعالى ، فلما وقع فى قلبى هذا الخاطر الرحمانى استخرت الله تعالى وحرقت ما كنت جمعته منهما واقتصرت على ما يتيسر من ثنائه صلى الله عليه وسلم على الله تعالى فى أحاديثه المروية وأذكاره وأدعيته النبوية وانتخبت ماشاق وراق وحلا فى الأذواق من ثناء بعض أكابر عارفيه فى أحزابهم التى أخذوها عن صحيح الالهام أو تلقوها عن النبى عليه الصلاة والسلام ولم أذكر عباراتهم الدقيقة التى لا وصول الى فهم حقيقتها الا من الطريقة مما لا يفهم معناه أو ما ظاهره شرعا غير محمود كعباراتهم فى وحدة الوجود ومحط نظرى فى هذا الكتاب هو الثناء عليه تعالى وهو المقصود بالذات "(1) .

وقد رتب الشيخ النبهانى كتابه على مقدمة وسبعة أوراد ، وتشتمل المقدمة على سبعة فصول .

الفصل الاول فى أربعين حديثا قدسية تتضمن ثناء الله على نفسه بما هو أهله جل جلاله .

---

(1) جامع الثناء على الله تعالى ص ٨ ـ ٩ .

الفصل الثاني في أربعين حديثا نبويا فى الثناء على الله تعالى بما يليق به من الكمالات •

الفصل الثالث في كلام أربعين وليا من أكابر العارفين في توحيد الله تعالى •

الفصل الرابع في ذكر فهرست الاوراد السبعة ونسبة ما فيها من ثناء الأولياء اليهم • والاوراد السبعة كل ورد منها عبارة عن آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأدعية للاولياء والعارفين في المحامد الالهية •

٤٥) حسن الشرعة في مشروعية صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة :

طبع المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٢٤ ، وأعيد طبعه للمرة الثانية ١٣٣٤ هـ بالمطبعة الأدبية والطبعة الثالثة طبعت ضمن مجموعة الرسائل المتمة ببيروت ١٩٦٤ حيث طبع معها رسالة مشابهة للشيخ على الشبراملسى • واسم المطبعة غير موجود ، وقد تولى طبعها الاستاذ سامى شعبان • وقد كتب الشيخ النبهانى هذه الرسالة ليرد بها على من يحرمون صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة وهم من طلاب العلم الناشئين ويبدو أن هناك نزاعا فكريا أو عقديا ما حدا بالشيخ النبهانى لكتابة هذه الرسالة منتصرا للجانب الذى يؤيده •

يقول الشيخ النبهانى " ..... وقد طبع هذه الرسالة [1] قديما في بيروت بعض الفضلاء الصلحاء ونشرها مجانا ليدفع بها عن عوام المسلمين ولا سيما الشافعية الضرر الذى نشأ من ترك بعضهم اياها اعتمادا على زخارف بعض المتهورين من ضعاف الطلبة الذين أقاموا أنفسهم بتسويل نفوسهم وتزيين ابليسهم مقام

---

(١) رسالة في الرد على من ينكر صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة للشيخ نور الدين على الشبراملسى الشافعى طبعت على نفقة الشيخ محمد سعيد بسك أياس ووزعت مجانا •

المجتهدين وهم بلا شك من المجتهدين ولكن فى هدم الدين وتفريق كلمة المسلمين باعتراضهم على الائمة الاربعة ومن كان على مذاهبهم من الفقهاء المحققين وغيرهم من سادتنا الصوفية وسائر الاولياء والعارفين من الاحياء والميتين رضى الله عنهم اجمعين "(١) .

وقد ذكر الشيخ النبهانى حكم التعدد على المذاهب الأربعة ثم تكلم عن البدعة وأنواعها مستنتجا أن صلاة الجمعة هى البدعة وليست صلاة الظهر ثم جعل لرسالته خاتمة قال فيها :

" ..... وكيف يمكن اقناعهم بصلاة الظهر بعد الجمعة وأكثرهم لا يصلون جمعة ولا ظهرا ولا فرضا ولا نفلا ، فهؤلاء لا يقنعهم كاتم ولا عالم ، ولو كان صادرا من أكابر أئمة الاسلام اذ هم ليسوا من العلماء ولا من الصلحاء ولا من العقلاء بل هم جهال فساق مجانين ولو كان جهلهم بسيطا لكان الأمر سهلا ولكن جهلهم مركب من جهالات تراكمت على قلوبهم ..... وحسبك أنهم يصرحون من غير مبالاة ولا حياء بأنهم مجتهدون فى أحكام الدين مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين ..... وقد لقنهم ابليس كلمة حق يراد بها باطل وهى قولهم لا نعمل الا بالكتاب والسنة وليس لأحد قول معهما "(٢).

٤٦) سبيل النجاة فى الحب فى الله والبغض فى الله :

الطبعة الاولى بالمطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٤ هـ والطبعة الثانية بمكتبة الكليات الازهرية بمصر ١٩٧٢ والكتاب يقع فى ٧٨ صفحة .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة " أما بعد فهذا كتاب نبهت به الغافلين مثلى من المسلمين على وصف عظيم من أوصاف المؤمنين الكاملين وهو الحب فى الله

---

(١) الرسائل الممتعة ص ٦٥ .

(٢) الرسائل الممتعة ص ٨٩ ــ ٩٠ .

والبغض في الله ، وسميته (سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله
أي أحب من أحبه الله من المؤمنين والصالحين والمتصفين بما يقتضي المحبة
من أسباب الدين وبغض من أبغضه الله من الكافرين والمبتدعين والفاسقين
والمتصفين بما يقتضي البغض من أوصاف المخالفين وكلاهما درجات بحسب
ما يتصف به من تحبه أو تبغضه من الأوصاف والحالات ، ولا فرق في ذلك بين
الأحياء والأموات ، فأنا نحب الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر من
سائر المخلوقات ونحب كل من ورد الثناء عليهم في الكتاب والسنة وكلام الأئمة
الثقات من الأنبياء والأولياء والصالحين والصالحات ونبغض ببغض الله جميع
من ورد ذمهم عن الله ورسوله وأئمة الأمة من الكفار والفساق وأهل البدع والضلالات ،
وقد يحب الانسان من وجه ويبغض من وجه اذا اتصف بما يقتضي ذلك من الحسنات
والسيئات كأن يكون مؤمنا فاسقا فنحبه للايمان ونبغضه للفسق ولكل امرىء ما نوى ،
فانما الأعمال بالنيات وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفع به النفع التام
العميم بجاه نبيه الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم " (1) .

وقد قسم رسالته الى خمسة فصول :

الفصل الأول : تكلم في بعض ما ورد من الآيات في شأن المحبة وتفسيرها .
الفصل الثاني : في بعض ما ورد فيها من الأحاديث وما ورد عن بعض الأنبياء .
الفصل الثالث : في بعض ما ورد في ذلك عن بعض الصحابة والسلف .
الفصل الرابع : في معنى الحب في الله والبغض في الله من وصايا سيدي محيي الدين في الفتوحات المكية .
الفصل الخامس : في شرح معنى الحب والبغض في الله .

٤٧) دليل التجار الى أخلاق الأخيار :

طبع المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٢٤ هـ ويقع الكتاب في ١٧٦ صفحة .

---

(1) سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله ص ٥ ــ ٦

وقد افتتحه بقوله : " أما بعد فهذا كتاب مفيد جمعت أحاديثه من كتاب " الترهيب والترغيب " للحافظ المنذرى ، " ومشكاة المصابيح " لولى الدين التبريزى ، " ورياض الصالحين " للامام النووى ، " وتيسير الوصول " للحافظ ابن الديبع اليمنى الجامع لأحاديث الكتب الستة ، ثم ألحقت أحاديث وفوائد كثيرة من احياء علوم الامام الغزالى وغيره ونسبتها الى أهلها فى محلها ....(1)" ورتبه قسمين قسم يخص التجار ومن فى معناهم ، وقسم يعم معهم غيرهم .

القسم الأول : فيما يخص التجار ويشتمل على سبعة فصول :

* الأول فى بعض ما ورد فى مدح صدقهم وأمانتهم وذم كذبهم وخيانتهم .
* والثانى فيما يلزمهم من النصيحة ويحرم عليهم من الغش .
* والثالث فى منع الاحتكار والتسعير .
* والرابع فى بعض ما ورد فى التساهل والتسامح فى البيع والشراء .
* والخامس فى شفقة التاجر فى دينه .
* والسادس فى فضل الكسب وشؤون الأسواق .
* والسابع فى حكايات وآثار تتعلق بالكسب والتجارة .

القسم الثانى : فيما يعم التجار وغيرهم ويشتمل على خمسة فصول :

* الأول فى بعض ما ورد فى الربا .
* الثانى فى بعض ما ورد فى الدين .
* الثالث فى بعض ما ورد فى الزكاة .
* الرابع فى بعض حج بيت الله الحرام .
* الخامس فى أحاديث وآثار تتعلق بالمال مكسبه وانفاقه .

والخاتمة فى فضل الوصية وذكر صورة وصية امامنا الشافعى .

ثم ذكر النبهانى صورة كتاب كتبه الامام الشافعى رضى الله عنه وأشهد على نفسه

---

(1) دليل التجار الى اخلاق الاخيار ص ٢ ــ ٣

فيه بأشياء تصدق بها على ابنه أبى الحسن ثم ذكر وصية الامام الغزالى لبعض اخوانه رضى الله عنه وعنهم ، ثم ذكر وصية سيدى محيى الدين بن العربى رضى الله عنه .

٤٨) البرهان المسدد فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

وقد طبع فى بيروت ١٣٢٤ هـ والكتاب يقع فى ٣٢ صفحة .

يقول المؤلف فى المقدمة " أما بعد فقد قال الله تعالى لرسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم : " أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " ، وقد كنت قبل أعوام ألفت كتابا مختصرا سميته " خلاصة الكلام فى ترجيح دين الاسلام " ، فحصل له بحمد الله تعالى القبول التام العام وقد رأيت من اللازم أن أتبعه بهذا الكتاب الذى سميته " البرهان المسدد فى اثبات نبوة سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم ، ولا يقرؤه أحد عنده انصاف وتحقيق وينعم الله عليه بشئ من الهداية والتوفيق الا ويبادر للايمان والتصديق بهذا النبى الحق الحقيق صلى الله عليه وسلم أما من فقد تلك الأوصاف فهو لا يلام على الخلاف ، وقد رتبته على عدة فصول كل واحد منها طريق الى الوصول "(١) .

والكتاب مكون من عشرة فصول من غير عنوان لها وانما كل فصل عبارة عن معنى جديد ، وقد استشهد بالتوراة من "سفر الاستثناء" وقد ناقش ما جاء به ليستدل به على صحة نبوة سيدنا محمد بن عبد الله ثم استشهد بما قال ابن حزم فى " الملل والنحل " وما جاء فى " الاصحاح الأول من مزامير داوود " وفى كل هذا يناقش الأمور عقليا ونقليا وقد استدل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من حسن أخلاقه وعشرته .

ويعد هذا الكتاب ثمرة من ثمرات الصراع بين الاسلام وغيره من الاديان التى كانت تتخذ بيروت قاعدة لتبشيرها حيث وقف النبهانى برصدها منهما على خطرها

---

(١) البرهان المسدد فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ص ٣ .

وهاجما لها من جهة ومن جهة أخرى احتفل فى تأليف الكتب التى تظهر شخصية الرسول النموذجية المثال ودعوة المسلمين للاقتداء بها •

٤٩) تنبيه الافكار فى حكمة اقبال الدنيا على الكفار :

طبع بيروت ١٣٢٤ هـ ولم أستطع الحصول على هذا الكتاب •

٥٠) جواهر البحار فى فضائل النبى المختار :

طبع المطبعة الأدبية فى بيروت ١٣٢٥ هـ وقد طبع فى جزأين ثم طبعه مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٦٠ فى أربعة أجزاء والكتاب يقع فى ١٦٥٥ صفحة •

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة :

" أما بعد فهذا مجموع بديع فى فضائل النبى الشفيع وعلو قدره الرفيع صلى الله عليه وسلم جمعت فيه كثيرا مما ورد فى الكتاب والسنة وكلام أئمة الأمة من أهل الشريعة والحقيقة فى أوصاف سيد الخليقة صلى الله عليه وسلم ولم أكثر فيه من معجزاته مع كثرتها الى غاية لا ترام لأنى بسطت عليها فى غير هذا الكتاب الكلام .... وقد نقلت ما فيه من الفرائد المهمة والفوائد الجمة عن أكابر العارفين وأئمة الدين وسميته " جواهر البحار فى فضائل النبى المختار " وحذفت من عباراتهم[1] مالا دخل له فى هذا الباب ولا يناسب هذا الكتاب اما لكونه جاريا على اصطلاح الصوفية غير مفهوم لأمثالى بالكلية واما لكون معانيه القصيرة دقيقة وظاهرها يخالف الشريعة وان كان لا مخالفة فى الحقيقة ووقع ذلك كثيرا فى الفتوحات المكية وأكثر منه فى كلام الشيخ عبد الكريم الجيلى فى كتابيه " الانسان الكامل " و " الكمالات الالهية " • وكلامه فى الحقائق من أغرب وأعجب ما اطلعت عليه من كلام الصوفية ويجب أن يجتنب ويعلم ان ظاهره الفكر شرعا غير مراد .... على أن كتابى هذا هو فى حكم مجموع رسائل جمعت فيه ما قاله كل امام منهم من كلامه أو كلام غيره وحده وما أذكر فى أثناء كلام بعضهم من كلام

---

(١) أى الصوفية والاولياء والعارفين •

من كلام غيره للمناسبة فصار ما أخذته من كل واحد منهم كأنه مؤلف فيه ... الحساب لا يقال فى كلام بعضهم مع بعض تكرار ....

ولا تستعظم أيها المؤمن ما تراه من المعانى العظيمة مما شاهده الله من علو منزلة حبيب الله عند الله .... وهى فى الحقيقة تفصيلات وشرح لمعنى علو قدره المسلم به عند جميع المؤمنين ، وهى مبنية على مكاشفات ومشاهدات شاهدها أولئك السادات حينما خلصت أرواحهم من شوائب الكدرات .... وقد ابتدأت بما نقلته عن الامام المحدث المحقق أبى الفضل عياض الذى شفى بشفائه كثير من القلوب الأمراض ... لكونه وحيد هذا الفن وكتابه نسيج وحده ... ثم رتبتهم غالبا بحسب الزمان ولم أنظر الى تفاوتهم فى الشهرة بالعلم والعرفان ، ولا الى كثرة أو قلة ما نقلته عنهم من الفوائد الحسان ، ولو نظرت الى ذلك لقدمت الشيخ الأكبر والغوث الدباغ الأشهر على كثير من هؤلاء الأئمة الأعيان وان كان كل واحد منهم له الحظ الأوفر من حسن الخدمة لحبيب الرحمن " (١) .

٥١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف :

ملحق بكتاب " جامع كرامات الأولياء " فكون تاريخ طبعه ومكانه واحد الا أن مصطفى الحلبى الذى طبع "جامع كرامات الأولياء " ١٣٨١ لم يلحق كتاب " أسباب التأليف به ويقع الكتاب فى ٦٣ صفحة .

يقول الشيخ النبهانى فى مقدمة الكتاب أما بعد فهذا كتاب لم أقصد به لنفسى التواضع ولا التفخيم ولا التحقير ولا التعظيم ولا التنصل مما لابد أن يكون وقع فى بعض مؤلفاتى بسبب جهلى أو سهوى من الخطأ الذميم ولا الافتخار بمقام التأليف وهو مقام كريم ونفعه اذا صحبه الاخلاص نفع عظيم عميم " وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم " وانما قصدت بيان الحقيقة فى شأن هذه المؤلفات لعلماء الناس لأدفع عنى وعنهم شر الوسواس الخناس وأعوانه الأرجاس (٢) وقانا الله من شرورهم ورد كيدهم فى نحورهم بجاه

---

(١) جواهر البحار جـ ١ ص ٦ ـ ٤

(٢) يبدوا أنه كان فى ايام النبهانى من ينتقص من مؤلفاته ولا يقيمها .

حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم وكم رأينا من أكابر المؤلفين كالامام الشعراني رضي الله عنه فضلا عن أصاغرهم من جمعوا تقاريظ العلماء في أواخر كتبهم استجلابا لاقبال الناس عليها وانتفاعهم بها مع أنهم في غنية عن ذلك بما لهم من العلم والعمل وكتبهم في غاية الاتقان ونياتهم في غاية الاخلاص وانما الأعمال بالنيات وقد سميته " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " ورتبته على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في أسباب التأليف وفي آخره رسالة للحافظ السيوطي سماها التعريف بآداب التأليف .

القسم الثاني : في ذكر مكاتيب وردت لي بدون استدعاء مني من بعض العلماء ولا سيما السادات وهي في حكم التقاريظ لهذه المؤلفات .

القسم الثالث : في ذكر أسماء هذه المؤلفات والجواب عما تعرض لها به بعض المشهورين من الاعتراضات الساقطات .

خاتمة الكتاب في ذكر فوائد تلزم معرفتها في هذا الباب(١) .

والشيخ النبهاني يشرح في كتابه هذا كيفية حصول هذه المؤلفات له والعوامل التي ساعدته على تأليفها .

٥٢) العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية :

وهو ديوان شعر الشيخ يوسف النبهاني ، وقد طبع في بيروت بمطبعة صبرا ١٣٢٩ هـ ، ويحتوي الديوان على ٤٨٠٠ بيت ولم أجد له طبعة أخرى في فهارس مكتبة دار الكتب المصرية والمكتبة الظاهرية في دمشق ومكتبة الجامعة الامريكية والجامعة اليسوعية في بيروت ومكتبة الأوقاف ومكتبة المتحف والمكتبة المركزية لجامعة بغداد في بغداد ومكتبة البلدية والجامعة الاردنية في عمان ، وعليه أرجح ألا يكون هذا الكتاب قد طبع غير هذه الطبعة والديوان يقع في ٤٢٤ صفحة وقد صدره

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣١ .

مؤلفه بتنبيه معناه أنه مهما بالغ المداح فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فانهم لن يبلغوا حقيقته لان حقيقة الرسول لا يعرفها غير الله تعالى وأن هذه المدائح ليست خيالات شعرية يرجع حسنها الى المبالغات الفكرية بل هى حقائق ثابتة وهى أقل مما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم من صفات .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة بعد أن حمد الله واثنى عليه لظهور هذه المؤلفات على يديه وتقبلها المسلمون مع أن العصر كثر فيه الأشرار والمبتدعة والكفار كلهم هجموا على الاسلام . أما هو فقد وفقه الله تعالى لنصرة الاسلام عن طريق شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قدم هذا الديوان هدية لخديوى مصر عباس حلمى باشا الثانى ثم بعد أن يثنى عليه بانفراده لحج بيت الله الحرام دون امراء المسلمين فى زمنه يدعو له بالتوفيق والسداد ويذكر خبر زيارته للخديوى عام ١٣٢٩ هـ .

يقول الشيخ النبهانى " وانما جمعت باسمه ورسمه هذا الديوان المشتمل على جميع الحسن وكل الاحسان وقدمته الى سدته السنية وحضرته الخديوية لعلمى بأنه من أجل المحبين لحبيب الرحمن .... فلعلى أقابل بعض ما أسداه من المعروف الى ، وأفاضه من الاحسان على ، فقد قصدته فى ربيع هذا العام سنة ١٣٢٩ ، حينما بلغنى من بعض جلسائه الكرام أنه أثنى على وأعجبته مؤلفاتى فى حق سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وهذا الوصف الجميل نادر فى الملوك ولا سيما فى هذا الزمان ولذلك لم أتخذ عنده وسيلة من الشفعاء سوى سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم فهو الذى توسلت به لفضله فقضى حاجتى لأجله وقد أذن لى حبا فيه صلى الله عليه وسلم بالاجتماع عليه والمثول بين يديه ولولا نسبتى لخدمته عليه الصلاة والسلام لما تواضع لى كل هذا التواضع ولما أكرمنى كل هذا الاكرام فانه وهو الملك الجليل قد قابلنى بكمال البشاشة والترحيب والتأهيل ، وسعى لى .. الى نحو نصف ديوانه الواسع وهو كالليث الخادر بل كالبدر الطالع وأشار الى أن أجلس فى أقرب مكان منه فراعيت الأدب وبعدت قليلا عنه وكنت متحيرا حينما أذن لى بالوصول اليه والمثول بين يديه كيف أخاطب هذا الملك الكبير وأنا رجل صعلوك لا أنا فى العير ولا أنا فى النفير ولا أعرف آداب الملوك فأنستنى بشاشته وملاطفته

هيبة ذلك المقام التي كادت تمنعني الكلام وشرحت له بأمره قصتي وأسباب عصتي وأني بسبب عدم حكمي بالربا عزلت من وظيفتي ولولا قلة المعاش الذي رتبوه لي الان لعددت ذلك من النعم الحسان فقد كفاني حكم نحو ثلاثين سنة في مثل هذا الزمان وان كانت وظيفتي في الظاهر كانت رياسة محكمة الحقوق في بيروت وفي الباطن نشر فضائله عليه السلام بين الأنام والرد على أعدائه من الكفرة والمبتدعة اللئام فقال نعم نعم أنا أعرف ذلك وسترجع ان شاء الله قريبا مسرورا فأدخل على غاية السرور بهذا الكلام وكنت أرد بصري عنه حينما يقع عليه لشدة جماله وكماله وكلما كانت هيبته تغلبني يبعث لي نشاطا جديدا بقبوله واقباله حتى انتهى الكلام وحصل بحمد الله المرام فشيعني كما استقبلني بكمال الرعاية والاحترام وصدر أمره الكريم بجباء معجل وترتيب معاش وافر في كل شهر على الدوام ولم يكن لذلك سبب سوى قوة دينه ومحبته لسيد الأنام عليه الصلاة والسلام .

ومما لاطفني به هذا الملك الجليل قوله لي : ما سألت عنك أحدا الا أثنى عليك الثناء الجميل وبلغني من بعض حاشيته الأمناء أنه سأل عني كثيرا من العلماء والفضلاء فأجابوه بالمدح والثناء حتى بالغ بعضهم فقال له هو حسان زمانه .... وعدد من اساتذة الأزهر من لا أصلح تلميذا لهم من أكابر العلماء ولا عيب فيهم غير سكوتهم على أعداء الله ورسوله في هؤلاء المبتدعة الأشرار الذين يدعون الاجتهاد ويسعون في الأرض الفساد " واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون "(1) .

ثم ذكر انكار رشيد رضا لسجود الشمس وقوله عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قد يخبر بغير الواقع المشاهد تعليقا على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " ان الشمس تسجد تحت العرش " رواه البخاري وذكره في مجلة المنار في الجزء الصادر في آخر رمضان ١٣٢٧ هـ .

وقد رد الشيخ النبهاني على قول رشيد رضا مستشهدا بالآيات القرآنية التي ورد فيها سجود الشمس ثم يقول " وقد ورد نحو ذلك في عدة آيات فلا حاجة للاطالة بذكرها فما قالوه في تفسير هذه الآية من معنى السجود هو معنى السجود

---

(1) العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية ص ٣ ــ ٦

فى الحديث الشريف من أنه الخضوع أو غيره وان اذا كان قوله هذا صلى الله عليه وسلم عند الضال المضل مخالفا للواقع المشاهد كذلك قول الله تعالى هو عنده مخالف للواقع المشاهد ، لأنه مثله بلا أدنى فرق .... فكيف بعد هذا يجوز سكوتكم عليه يا أهل مصر وعلى مناره وقد صلاكم بنار ضلاله وناره ويجب على الأستاذ الأعظم شيخ الأزهر أن يخصص جمعية من العلماء لترتيب مجلة وظيفتها المحاماة عن دين الاسلام والرد على كل من يتعرض له بسوء من الكفرة والمبتدعة اللئام فانكم كلكم بسكوتكم آثمون وانا لله وانا اليه راجعون[1] .

ثم ذكر النبهانى مبشرة منامية لأحد العلماء الصالحين رأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النبهانى حسانى ، ثم ذكر النبهانى أبياتا من عدة قصائد يفتخر بكونه حسان الرسول عليه السلام معتزا بشعره ونثره الذى قاله فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وختم ديوانه بهذه الأبيات :

خذ كتابا جمع الفضل وان ** كان كالنجم بعينيك صغيرا

من مزايا المصطفى شمس الهدى ** أنته أطلع للناس بدورا

واذا حققتها تلقاه فى ** واحد منها على الخلق اميرا

قل به ما شئت من مدح ولا ** تخف اللوم ولا تخشى النكيرا

فجميع المدح فى كل الورى ** لو أتى فى حقه كان قصورا[2]

٥٣) نموذج الحكم النبوية : ملحق بالعقود اللؤلؤية : وهو صفحة واحدة

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة " أما بعد فهذه مائة حديث من حكمه صلى الله عليه وسلم التى جرت مجرى الأمثال انتخبتها من كنوز الحقائق للامام المناوى لتحفظ وسميتها " نموذج الحكم النبوية " وهى هذه " أبدأ بما بدأ الله به ، ابدأ بنفسك . ابدأ بمن تعول .... الخ .

---

(١) المصدر السابق ص ٦

(٢) الديوان ص ١١ .

٥٤) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية :

وهو ملحق بالمفقود اللوطولوية ويقع فى أربعين صفحة يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة " أما بعد فهذا كتاب جمعت فيه ما ذكرت أكثره فى بعض كتبى مفرقا من المبشرات المنامية التى رأيتها ورويت لى ببركة انتسابى لخدمة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت من جملة الأسباب التى شحذت همتى الكليلة وصححت عزيمتى العليلة للاشتغال بجمع هذه المؤلفات التى أسأل الله تعالى من فضله أن يجعلها من الباقيات الصالحات ... ويعفو عما صحب منى شيئا منها "من العلل وعدم اخلاص النيات " (١) .

وقد جعل لكتابه مقدمة فى ثلاثة مطالب :

الأول : فى الكلام على الرؤيا المنامية وثبوتها شرعا واستشهد بالآيات والأحاديث الواردة فى هذا الموضوع .

الثانى : فى شأن رؤياه صلى الله عليه وسلم فى المنام ومستشهدا بقوله صلى الله عليه وسلم " من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " رواه البخارى ، وفى رواية أخرى من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة وان الشيطان لا يتمثل بى ، ثم ذكر شروح العلماء وتعليقاتهم على الروايتين .

الثالث : فيما ورد فى حق الكذب فى الرؤيا وقد تكلم فيه عن قوله صلى الله عليه وسلم " من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل " وأورد أقوال العلماء فى هذا المعنى .

وفى الختام ذكر (فائدة) يقول فيها " ذكرت فى كتابى " سعادة الدارين " أربعين فائدة من المجربات لرؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى

---

(١) البشائر الايمانية فى البشرات المنامية ص ٢ .

المنام فلم احتج لاعادتها هنا "(١) .

وقد قسم النبهانى كتابه الى قسميـــــن :

القسم الأول : يشتمل على المبشرات المتعلقة برؤيا النبى صلى الله عليه وسلم وما له فيه ذكر أو مناسبة وهو ينقسم الى فصلين :

الفصل الاول فيما رآه النبهانى أو أحد أفراد عائلته .

الفصل الثانى : فيما رآه بعض المطلعين للنبهانـــى .

القسم الثانى : من المبشرات يشتمل على فصلين :

الاول فيما رآه من الأولياء والعلماء .

الثانى فى مبشرات متفرقة .

وقد كان مجموع هذه المبشرات المنامية ستين مبشرة كان آخرها رؤية السيد رشيد رضا أسود اللون كالأحباش ووعظه له بشأن أستاذية الأفغانى ومحمد عـــبده وطلب منه اغلاق جريدة المنار وأنه لو أنشأ جريدة اخبارية فسيكسب منها مثـــل المنار ثم يقول الشيخ النبهانى فى ختامها ... " وحضر الى بيروت منذ سنتيـــن بعد الرؤيا بسنوات فجاء الى محكمتى " الحقوق " وذاكرته فى شؤون شيخـــه الشيخ محمد عبده وأخبرته بهذه الرؤيا لعله يتعظ فلم تؤثر فيه شيئا "(٢) .

وجعل لكتابه خاتمة بعنوان (خاتمة فى ذكر هؤلاء الأشرار وملامة من لم يرد عليهم من علماء الأزهر الأخيار) وقد ابتدأها بذكر اجتماعه برشيد رضا ولومه علـى اتباع الأفغانى ومحمد عبده وهما داخلان فى الماسونية التى لا تعترف بالاديـــان وكذلك ترك الشيخ محمد عبده لبعض الصلوات وموافقة السيد رشيد رضا له فـــى ذلك ، ثم وجه الشيخ النبهانى لومه الى علماء الأزهر لسكوتهم على صحيفـــــة المنار ورئيسها وأستاذيه ثم ذكر بعض شيوخ الأزهر وعلمائه الذين اجتمع بهـــم وهم يوافقونه فى رأيه فى محمد عبده والأفغانى وهم الشيخ سليم البشـــرى شيـــخ

---

(١) المصدر السابق ص ٨

(٢) المصدر السابق ص ٣٤

الأزهر والشيخ بكرى الصدفى مفتى مصر والشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الاسكندرية والشيخ يوسف البدرشوى والاستاذ أحمد بك الحسينى والشيخ سعيد الموجى وحسنى باشا مذكور والشيخ عبد الرحمن عليشى قاضى المحكمة الشرعية (١) .

٥٥) كتاب تهذيب النفوس فى ترتيب الدروس مختصر من كتاب رياض الصالحين :

طبع المطبعة البهية بمصر ١٩٢٩ ويقع الكتاب فى ٢٥٣ صفحة .

وقد قسمه الى أربعة وعشرين بابا تشتمل على مائة وعشرين درسا جمعت كثيرا من الآيات القرآنية ونحو ثمانمائة حديث من الأحاديث النبوية من رواية الامامين البخارى ومسلم أو أحدهما اشتملت على أحسن محاسن الاسلام .

٥٦) منتخب الصحيحين من كلام سيد المرسلين :

طبع مصطفى الحلبى ١٣٢٩ هـ والطبعة الثانية ١٣٨٣ والكتاب يقع فى ٦٠٧ صفحة جمعه مؤلفه من كتب الحافظ السيوطى وهى الجامع الكبير والجامع الصغير وذيله المسمى بذيل الجامع ورتبه على الحروف كأصله ويشتمل هذا المنتخب على نحو ثلاثة آلاف حديث من رواية الصحيحين أو أحدهما فى القصائد والأحكام والحكم والترغيب والترهيب والشمائل والفضائل والمعجزات والكرامات والمواعظ والرقائق والأسرار والحقائق ثم فسر ما يحتاج الى تفسير من الأحاديث التى أوردها وسمى التفسير " قرة العين على منتخب الصحيحين " فسر بها ما يحتاج للتفسير من الالفاظ الغريبة وبعض المعانى ناقلا ذلك من كتاب " النهاية " لابن الأثير وشروح " الجامع الصغير " وغيرها .

٥٧) قرة العين من البيضاوى والجلالين : فى تفسير غريب القرآن :

طبع مصطفى الحلبى سنة ١٣٣٩ هـ والطبعة الثانية عام ١٣٦٠ هـ يقع التفسير فى ٥٠٠ صفحة كان الشيخ النبهانى يمانع فى تفسير القرآن بحجة أنه

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ ــ ٣٨ .

ليس أهلا لتفسيره حيث يقول " وقال لى بعض من يجتمع عليهم[١] ويسمع كلامهم وقد تهت فى ذهنه بعض نزعاتهم هذه وظنها حقا : قد نفعت بتأليفك المسلمين نفعا عظيما ، ولكن بقى عليك شىء واحد فقلت له ما هو ؟ قال أن تؤلف تفسيرا للقرآن على مقتضى الأذواق العصرية فان هذه التفاسير الموجودة قد ألفوها على مقتضى أذواق أهل العصور السالفة وقد تغير الحال الآن واختلفت أذواق الناس ومشاربهم فيلزم تأليف تفسير يوافقهم فأجبت بأنى لست أهلا لذلك وبينى وبين مرتبة التفسير درجات كثيرة لا يمكننى الوصول إليها ... وتفسير القرآن قد فرغ منه العلماء ونقلوه عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعدهم من أئمة الدين ودونوه فى تفاسيرهم هذه الموجودة وهى كافية وافية وهى كما وافقت أهل العصور السابقة توافق أهل هذا العصر ، فان الأحكام الشرعية التى اشتمل عليها القرآن هى صالحة لكل انسان وقد استوت فيها العصور والأزمان ، وليس للقرآن معان خاصة بأهل العصور السابقة ومعان أخرى خاصة بأهل العصور اللاحقة ، وأما الأذواق والمشارب فهى ان كانت موافقة للشرع فمطلوبها يوجد فى هذه التفاسير وان كانت مخالفة للشرع فكيف يمكن أن يفسر القرآن بمعان توافق هذه الأذواق الفاسدة والمشارب الكاسدة ونحن لا يجوز لنا أن نفسر القرآن بعقولنا ونطبقه على الأذواق العصرية كما يقوله السفهاء المخذولون ويتجاسرون على دعوى اقتدارهم على تفسير كلام الله تعالى بأفهامهم السقيمة وعقولهم الناقصة فان تفسير القرآن بالرأى ممنوع شرعا "[٢] .

والنبهانى لم يلتزم بدعوته هذه من ناحية الشكل حيث فسر القرآن التفسير الذى نحن بصدده وان كان التزم بها من ناحية المضمون اذ لم يخرج فى تفسيره عما أورده البيضاوى والجلالين .

يقول الشيخ النبهانى " أما بعد فيقول الفقير يوسف بن اسماعيل النبهانى غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة قد حملنى القاضى الكبير الشيخ مصطفى

---

(١) أى جماعة الأفغانى .

(٢) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق ص ٤٠

أفندى البابى الحلبى الكتبى الشهير على جمع مختصر فى تفسير غريب القرآن ليطبعه على هامش المصحف كى يأخذ القارئ حاجته منه فى وقت قصير ويستغنى به لفهم ذلك اللفظ عن مراجعة التفاسير فاستحسنت ذلك غاية الاستحسان وان لم أكن من فرسان هذا الميدان وأجبته الى ما سأل من تفسير الألفاظ الغريبة ولم أقتصر عليها بل زدت تفسير المبهمات وتوضيح ما أشكل من الآيات الكريمات فجاء والحمد لله مع اختصاره يغنى اللبيب عن مراجعة المطولات ولم أخرج غالبا عن التفسيرين الجليلين اللذين عبق نشرهما فى الخافقين أعنى البيضاوى والجلالين وسميته قرة العين من البيضاوى والجلالين فى تفسير غريب القرآن وتوضيح ما أبهم أو أشكل من معانيه الحسان ، وقد رتبته على ترتيب سور القرآن " [1] ، هذا وقد طبعت مكتبة الجندى فى مصر جزء عم من تفسير النبهانى " قرة العين من البيضاوى والجلالين " وقدم له الشيخ محمد مصطفى أبو العلا مترجما للشيخ النبهانى .

وقد مدح الأستاذ محمد عزة دروزة هذا التفسير وقال انه أحسن ما ألف فى[2] مثله وتفسيرهم يدل على أن المفسر قد فهم دقائق القرآن ومقاصده علما بأن الأستاذ دروزه له تفسير للقرآن اسمه " التفسير الحديث " فى عشرة مجلدات وله " الدستور القرآنى فى شؤون الحياة " وله " عصر النبى وبيئته قبل البعثة دراسة وتحاليل قرآنية " ، " القرآن والمبشرون " ، " المرأة فى القرآن والسنة " . وهذه الدراسات القرآنية تعطى لرأى الأستاذ دروزه فى تفسير النبهانى أهمية كبيرة .

٥٨) مجموع أربعين الأربعين من أحاديث سيد المرسلين :

طبع المطبعة الأدبية بيروت ١٣٣٠ وأعاد طبعه مصطفى الحلبى بمصر ١٣٧٢ هـ ويقع الكتاب فى ٣٧٣ صفحة .

يقول النبهانى فى المقدمة : " أما بعد فهذا مجموع بديع جمعته من أحاديث الحبيب الشفيع .... فانه سفر قد طوى فى اهابه أربعين سفرا كل سفر

---

(١) قرة العين من البيضاوى والجلالين ص ٢

(٢) قابلته فى فندق الزعفران فى الزبدانى المصيف المشهور فى ١٩٧٤/٨/١٧

منها أطلع للهداية أربعين نجما بل أربعين بدرا فقد اشتمل على أربعين مؤلفا كل مؤلف منها يشتمل على أربعين حديثا فى مواضيع مختلفة هى من أنفع المواضيع الدينية المتعلقة بالله تعالى وحبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الفوائد المهمة الاسلامية والاربعون الأولى منها قدسية والباقى نبويات وقد تداخل فى بعضها للمناسبة أحاديث قدسيات[1] . وقد جمعها النبهانى من كتاب " الترغيب والترهيب " للحافظ المنذرى "ورياض الصالحين " للنووى . " ومشكاة المصابيح " للتبريزى " وتيسير الوصول الى جامع الأصول " لابن الديبع " والجامع الكبير والصغير وذيله " . " والخصائص الكبرى " للحافظ السيوطى[2]

يقول الشيخ النبهانى : فكل ما نقلته فى هذا المجموع من الأحاديث لا يخرج غالبا عن كتب هؤلاء الأعلام وقد أنقل عن غيرهم وأنسبه الى من أنقله عنهم من أئمة هذا الدين المبين .... وأعلم أن ما فسرت به بعض الكلمات هو من نهاية ابن الأثير غالبا وقد أنقل عن غيره وأنسب الى اصحابها تلك النقول .[3] وقد ابتدأها فى الأربعين حديثا القدسية الأولى فى الثناء على الله تعالى .

٥٩) الدلالات الواضحات حاشية مختصرة على دلائل الخيرات :

طبع مطبعة مصطفى الحلبى بمصر ١٣٣٨ هـ والطبعة الثانية ١٣٧٥ ويقع الكتاب فى ١٦٨ صفحة صدرها الشيخ النبهانى بقوله :

ان كنت ترغب أن تسر محمدا ** فاقرأ كتاب " دلائل الخيرات "
فلقد حوت مع ذكر حسن صفاته ** خير الدعاء وأفضل الصلوات

وقد جعل له النبهانى مقدمة طويلة تبلغ ٢٢ صفحة تكلم فيها عن شؤونه الخاصة ورواية الدلائل وتنبيهات كثيرة عليه .

---

(١) مجموع الاربعين أربعين ص ٢

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ص ٢ ــ ٣

يقول النبهاني بعد أن ذكر بعض مؤلفاته ... لكن بقى على شىء من أهم المهمات وهو أن أخدم كتاب " دلائل الخيرات " فانها أعظم كتب هذا الشأن اشتهارا واكثرها انتشارا واحسنها وضعا وأعظمها نفعا وحيث ان كثيرا من العلماء الأعلام من عهد مؤلفها الى الان اكثروا عليها الشروح والحواشى ولا سيما الامام الفاسى فقد شرحها فى عدة مجلدات ثم اختصرها فى مجلد وهو منشور ومطبوع فرأيت أن أختصر منه ومن حاشية شيخنا الشيخ حسن العدوى المصرى رسالة أفسر بها مالا بد منه من ألفاظها وأضيف اليها منها ومن غيرها جملة جميلة من الفوائد والفضائل تتعلق بالدلائل سميتها " الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات " المشتملة على الفوائد المهمات وتفسير مالا بد منه من المعانى واللغات ناقلا ذلك من الكتب المعتمدة كشرح الفاسى وشرح الجمل وحاشية شيخنا الشيخ حسن العدوى وغيرها "(1) .

ثم ذكر صورة اجازته بدلائل الخيرات من السيد محمد سعيد أحد أئمة المالكية فى المسجد النبوى ، ويقول الشيخ النبهانى وقد قرأت على السيد محمد سعيد المذكور دلائل الخيرات من أولها الى آخرها قراءة تحقيق وتدقيق فى ثلاثة مجالس سنة ١٣٣٢ هـ والنبهانى فى شرحه لدلائل الخيرات يظهر مدى تمكنه من فهم التصوف ورموزه .

٦٠) الفتح الكبير فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير :

طبع مطبعة مصطفى الحلبى فى شوال ١٣٥٠ هـ ببيروت أى انه طبع بعد وفاة المؤلف بشهر واحد . حيث انه توفى فى رمضان ١٣٥٠ هـ . والكتاب فى ثلاثة أجزاء وعدد صفحاته ١٣٥٠ صفحة .

ويقول الشيخ النبهانى فى المقدمة : " أما بعد فان كتاب " الجامع الصغير" لخاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطى هو كتاب جليل مطابق لما وصفه به مؤلفه بقوله : أودعت فيه من الكلم النبوية ألوفا ، ومن الحكم المصطفية صنوفا ، واقتصرت فيه على

---

(1) الدلالات الواضحات ص ٤

الأحاديث المصطفية صفوفا ... ثم ان مؤلفه رحمه الله جعل له ذيلا سماه " زيادة الجامع " ، وقال فى خطبته هذا ذيل على كتابى المسمى " بالجامع الصغير من حديث البشير النذير " وسميته " زيادة الجامع " رموزه كرموزه والترتيب كالترتيب[1]

ثم يقول الشيخ النبهانى : وقد رأيت من الصواب أن أجمعهما فى كتاب لان " زيادة الجامع " يجب ان تكون به متصلة ولا معنى لكونها زيادة له اذا كانت عنه منفصلة وفى جمعهما تسهيل السبيل الى اقتنائهما ومراجعة الحديث اللازم مراجعته فيهما وعسى أن يحصل للزيادة ما حصل للأصل من القبول والاقبال ... فجمعتهما فى هذا الكتاب ومزجتهما مزج مؤلف واحد ... وقد اعتنيت كمال الاعتناء بترتيب الأحاديث على الحروف ، بادئا بحروف الكلمة الأولى ثم التى تليها وهكذا الى آخر الحديث ، وقد وقع فى الجامع الصغير عدم مراعاة الترتيب فى كثير من الأحاديث كما هو مشاهد ونبه عليه الشيخ الحفنى فى حاشيته وذلك فى الزيادة أكثر ووجدت عدة أحاديث فيها هى موجودة فى الأصل بعينها فحذفتها منهما وأبقيتها على أصلها ، أما المكرر الذى فى ألفاظه بعض اختلاف أو فى تخريجه ولو بلفظ واحد أو راو واحد فانى أبقيته فى موضعه وقد سميته " الفتح الكبير فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير "[2] ، وقد جعل له الشيخ النبهانى ستة فوائد ذكر فى السادسة منها اجازته بجميع مؤلفات الامام السيوطى من طريقين الأول عن طريق المصريين بسبعة وسائط وطريق الشاميين بثمانية وسائط ، وفى نهاية الجزء الثالث أضيف تعريف بكتاب الفتح الكبير فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير " للحافظ محمد حبيب الله الشنقيطى الذى تكلم عن الجامع الكبير والجامع الصغير والزيادة مقوما لعمل النبهانى فى ضم الزيادة للجامع الصغير ، وقال فى ختام تعريفه " وقد كان الشيخ النبهانى رحمه الله طلب منى قبل وفاته بنحو نصف سنة أن أشرحه لضعفه هو عن ذلك بالكبر ولحسن ظنه بالعبد الفقير كتنائه على دائما بما لست له أهلا رحمه الله ، وجعل الجنة مثوانا ومثواه وجعل سعينا وسعيه من السعى المشكور المتقبل ان شاء الله .. قاله بلسانه وقيده ببنانه خادم علوم السنة بالحرمين الشريفين ثم بالتخصص للأزهر الشريف المعمور .

تحريرا بمصر ١٤ صفر ١٣٥١هـ[3]

التوقيع
محمد حبيب الله

---

(١) الفتح الكبير جـ ١ ص٢ ــ ٣ (٢) الفتح الكبير ص ٣ ــ ٤

(٣) الفتح الكبير فى ضم الزيادة للجامع الصغير جـ ٣ ص ٤٤٤

٦١) رسالة الأربعين فى فضائل القرآن العظيم :

طبع فى حلب رمضان ١٣٩٢ هـ بتحقيق محمد خير الزيتونى ، وقد أصدر المحقق المذكور سلسلة الاربعينيات الحديثية فجعل رسالة النبهانى هذه أولى الاربعينيات ويقول المحقق : " هذه هى الأربعون الأولى من سلسلة الأربعينيات الحديثية نقدمها للمسلمين فى شهر رمضان المبارك شحذا لهممهم وشدا لعزائمهم للعودة الى القرآن ولا سيما فى هذا الشهر " الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " نسأل الله الكريم رب القرآن العظيم أن يرد المسلمين الى قرآنهم ويحكمه فى بلادهم فى سائر أمورهم انه سميع مجيب (١)

* * *

والذى نلاحظه بعد عرضنا لمؤلفات الشيخ النبهانى هو تلقى العالم الاسلامى لمؤلفاته بالقبول والاقبال وعلى اقتنائها حيث ان معظمها قد طبع أكثر من مرة فى حياة المؤلف خصوصا قصائده المطولات فقد طبعت منفصلة عدة مرات ثم جمعها الشيخ النبهانى لتكون ديوانه " العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية " وقد تنبه الشيخ النبهانى لاقبال المسلمين على مؤلفاته وعد هذا من مشجعات اقباله على التأليف ، يقول الشيخ النبهانى فى مقدمة الدلالات الواضحات " أما بعد فقد من الله على وله الحمد والمنة بتأليف كتب كثيرة تزيد على الثلاثين وكلها فى خدمة سيد المرسلين ودينه المبين والرد على أعدائه اخوان الشياطين من الكافرين والمنافقين أهل البدع والضلال الذين هم بصورة المسلمين .

وقد يسر الله بفضله طبعها وعم فى سائر البلاد الاسلامية نفعها فتلقتها الأمة المحمدية من أهل المذاهب الأربعة بالقبول التام ووقعت على أعداء الله وأعدائه صلى الله عليه وسلم أشد من وقع الحسام على الهام وهى كلها موافقة للكتاب والسنة ومذاهب الأئمة الهادين المهديين ... ومن أجل علامات قبول هذه الكتب عند الله تعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم أنى تشرفت بعد تأليفها برؤيته صلى الله عليه وسلم مقبلا على فى منامات كثيرة ... فقد رأيته عليه السلام فى منامى

---

(١) رسالة الاربعين فى فضائل القرآن الكريم ص ٥

فى المدينة المنورة ليلة الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٣٣١هـ وهو راض هى غاية الرضا (١) .

ولا شك أنه من أهم الأسباب التى روجت لمؤلفات الشيخ النبهانى فى عصره غير ما ذكره من أسباب روحية أن الشيخ النبهانى كان يعد من رجالات دولة الخلافة الداعين لخليفتها اللاهجين بالثناء عليه فى كل مناسبة ، وفى خاتمة كل كتاب وقد كانت قلوب المسلمين تهفو الى دولة الخلافة داعية لها بطول العمر فولاء الشيخ النبهانى للخلافة العثمانية رغب المسلمين فى قراءة كتبه حتى قيل ان بعض الردود على الشيخ النبهانى أحرقت فى بلاد الهند ، ولم يستطع محمود شكرى الالوسى نشر كتابه " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " الا باسم مستعار وفى مصر الخارجة عن سيطرة الخلافة .

ومن الأسباب أيضا الحالة السياسية للبلاد الاسلامية وما رافقها من تكاليب المستعمرين عليها وشعور المسلمين بالضعف والعجز ازاء هذه المصائب المتتالية مع قوة شعورهم الدينى مما جعلهم يلتمسون فى مؤلفات النبهانى المتنفس لكربهم خصوصا أن هذه المؤلفات اقتصرت على تمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم علما بأن المدائح النبوية بمظهرها السياسى نشطت فى العصر الصليبى نشاطا ملحوظا لان المسلمين كانوا وقتها يجدون فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث هو الشخصية المثالية طريقا للتنفيس عن مشاعرهم ازاء ما دهمهم من مصائب . كما لا ننسى أن العصر الذى عاشه الشيخ النبهانى ١٨٤٩ـ ١٩٣٢ وهو بداية العصر الحديث كان المسلمون فيه على مفترق طرق حيث أمامهم الحضارة الأوربية وتقدمها المبنى على أساس مادى بعيد عن الدين كما أن شعورهم الدينى الاسلامى الذى لا يفصل بين الدين والحياة هو الذى يسيطر على الحياة ويسيرها وقد كانت غالبية المسلمين من مؤيدى الاتجاه الثانى الداعى الى التمسك بالاسلام الكفيل بسعادة الدنيا والآخرة كان أصحاب هذا الشعور يجدون فى مؤلفات النبهانى التى تقدس شخصية الرسول وتنشر فضائلها ضالتهم المنشودة

---

(١) الدلالات الواضحات ص ٢ ـ ٣

وأملهم الخائفين على ضياعه وكان الشيخ النبهانى بمؤلفاته كان يضرب على الوتر الحساس فى مشاعر المسلمين . ونحن لا ندرى أكان لاختيار النبهانى الموفق لمواضيع مؤلفاته بارادة منه وتدبير فهو بعد أن شخص الداء عرف الدواء أم أن الله تعالى قد اطلع على صدق احساسه وصادق شعوره فاختاره تعالى ليكتب فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى هى محط الآمال عند المسلمين .

الحقيقة أن من الصعب أن نوافق على أحد الافتراضين دون الآخر وان كان الفرض الثانى يمثل بداية حياة الشيخ النبهانى مع مؤلفاته والغرض الأول يمثل مرحلة متأخرة من حياته العلمية . وقد وضح لنا الشيخ النبهانى شيئا من حاله فى كلا الفرضين فعن الفرض الثانى الالهامى سبق أن ذكرنا كيف أن الشريف عليا جاء القسطنطينية ليدافع عن آل البيت وكان ثمرة هذا كتب " الشرف المؤبد لآل محمد صلى الله عليه وسلم " .

ومما يؤكد هذا الفرض أنه أخر طبع الكتاب من عام ١٢٩٨ الى عام ١٣٠٩ خوفا من ألا يكون عمله هذا مبرورا بسبب رده على الامام الترمذى ثم استخار الله وطبعه وقد كانت هذه الحادثة مقدمة لاندفاعه نحو التأليف بعزم واصرار حيث انه مرض فى بيروت مرضا شديدا يئس به من الحياة .

يقول النبهانى " فصرت أتفكر فى تأليف شئ من الكتب النافعة السهلة ليكون من العمل الصالح الذى لا ينقطع بالموت كما ورد فى الحديث الشريف فخطر لى أن ألتجئ الى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بجمل ما أؤلفه فى شؤونه الشريفة صلى الله عليه وسلم فصممت فى آن واحد على جمع كتاب فى شمائله وكتاب فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واشتغلت بكتاب "أفضل الصلوات" وكتاب " وسائل الوصول " وقبل اكمالها خطر لى لزوم اختصار " المواهب اللدنية " فأعان الله من فضله على اتمام هذه الكتب وطبعها ونشرها .... الخ .

أما الفرض الاول وهو تدبيره واعمال فكره فى اختيار تأليفه فقد جاء فى مرحلة متأخرة من حياته العلمية اذ أن اقامته فى بيروت ملتقى المبشرين والمستشرقين والمنافسة القوية بين المسلمين والمسيحيين فيها واقدام بعض المسلمين على الحاق أولادهم بمدارس المسيحيين ثم انتشار دعاة التجديد

من جماعة الأفغاني بالاضافة الى أن بيروت كانت المستورد الأول للحضارة الأوربية ذلك الوقت .

كل هذا جعل النبهاني يشعر بالخطر تجاه المسلمين فاتجه بفكره وعلمه الى محاربة البدع والضلال مباشرة وبالاسم بدلا من محاربتها بطريق غير مباشر عن طريق نشر فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوة الناس للاقتداء به .

والى هذا أشار النبهاني بقوله " .... أو يكون الحامل لي على التأليف الرد على بعض الكفار وبيان مفترياتهم على دين الاسلام أو كشف زلات بعض أهل البدع الذين انتشرت بدعهم في هذه الأيام ولا سيما ما يتعلق منها بعبيد الأنام الذين يغيرون عقائدهم الدينية وينقلونها من النور الى الظلام كما هو الواقع في كثير من بلاد المسلمين فالتأليف في هذه الأبواب لا يخطر في بالي حين الاقدام عليه طلب الثواب بل أجد من نفسي داعيا قويا لا أقدر على مخالفته للمحاماة عن هذا الدين المبين والانتصار لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والنصيحة للمسلمين وأولاد المسلمين ولو رأيت غيري من العلماء ألف في ذلك كتبا تغني عن كتبي لما أقدمت على تأليفها وكنت أقول : قد حصل المقصود على يد من شاء الله من خلقه ولا سيما أن التأليف في ذلك يتسبب في كثرة الأعداء من الكفار والفجار كما وقع لي وقد قصدوا أذيتي فوقاني الله شرهم ببركة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم " .

* * *

هذه حال النبهاني مع مؤلفاته التي عبرت عن شخصيته أصدق تعبير وكان هو صادقا معها فوهبها كل أحاسيسه ومشاعره ولم يجن ورائها أي نفع مادي بل جعل حقوق الطبع شائعة لجميع المسلمين بشرط جودة الطباعة ورخص الثمن والنبهاني بمؤلفاته التي اقتضاها العصر يعد مصلحا اجتماعيا كبيرا وقف بشموخ أمام التيارات الوافدة لمحاربة الاسلام ولم يضعف أمام العقبات والعداوات التي كان يلاقيها بسبب مؤلفاته كما صرح هو بذلك ، لذلك جاءت مؤلفاته معبرة عن عصره بصدق ولم يعش في برج عاجي كما قال الشيخ عبد الله الملايلي مشبها

موقف النبهاني من عصره خصوصا في الفترة المتأخرة من حياته مستشهدا بقول الشاعر :

" وفيت قسطك للعلا فنم " (١)

مثلا لعدم مبالاة النبهاني بعصره في حين أن المستشرق كارل بروكمان يقول " ..... وانما يتمثل الأدب الديني في سورية ، في ظل عبد الحميد (بيوسف بن اسماعيل) النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت حتى ١٩٢٦ الذي كان صديقا لأبي الهدى الصيادي امام السلطان والذي تكشف عن نشاط أدبي خصب جدا صادر عن روح الاسلام القديم ابتغاء وقايته من تيارات أوربة المسيحية (٢) ، فقد كان النبهاني بمؤلفاته يمثل موقف الملايين من المسلمين تجاه خصومهم فقد توفرت للمسيحيين حماية القناصل وتوفر للمسلمين مؤلفات الشيخ النبهاني " يقول الأب أنيس الخوري المقدسي " تأسست جمعية حفظ حقوق الملة العربية عام ١٨٨١ وقد نشرت نداء الى العرب من مسلمين ومسيحيين تحت عنوان " بيانا من الأمة العربية " وجاء في البيان مخاطبا المسيحيين " اتحدوا مع المسلمين واستمدوا لنوال حريتكم من المعتدين فان الترك يخشون بأسكم فلا يمسونكم ولا ينتهكون حرمتكم خوفا من القناصل فاتحدوا بقلب مع اخوانكم المسلمين فان مرجع مصالحكم واحد " (٣) ، وبهذا يتضح لنا الدور الذي أداه الشيخ النبهاني بمؤلفاته في خدمة الاسلام والمسلمين .

---

(١) قابلته في بيته في بيروت في ١٩٧٥/١/٤ .

(٢) كتاب الاسلام في القرن التاسع عشر ص ١٠٠

(٣) الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث جـ ١ ص ٧٨

فهرس الجزء الثاني

الباب الثاني نشأته وحياته